الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

République Algérienne Démocratique et populaire

وزارة التعليـــم العالـــي و البحـــث العلمـــي

Ministère de l' Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique



جامعـــة وهـــران

Université d'Oran



كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية - قسم التاريخ و علم الآثار-

القناصل و القنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية من 1564 إلى 1830

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر

إعداد الطالبة :

❖ بليل رحمونة

تحت إشراف :

الأستاذ فغرور دحو

أعضاء لجنة المناقشة

أ. بن نعمية عبد المجيد	رئيسا
أ. فغـــرور دحـــو	مشرفا و مقررا
أ. بن خـــروف عمـــار	عضوا مناقشا
أ. دادة محـــمـــد	عضوا مناقشا
أ. هلايـــلي حنيفـــي	عضوا مناقشا
د. والـــيش فتيحـــة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2010-2011

كلمة شكر

نتقدم بالشكر الجزيل و الاعتراف بفضل الأستاذ المشرف الدكتور دحو

فغرور الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته و مكننا من تذليل الكثير من الصعاب.

كما تفرض علينا الآداب العلمية الاعتراف بفضل أساتذتنا الأجلاء عبر

مختلف مراحل الدراسة ،و الذين سنظل أوفياء لهم مقدرين لفضلهم و مجهوداتهم.

الشكر لكل من ساعدنا من قريب أو من بعيد لانجاز هذا العمل المتواضع.

إهداء

إلى والدي الكريمين تقديرا لجهودهما و تضحياتهما

إلى روح الأستاذة الدكتورة المرحومة غطاس عائشة التي كانت نموذجا للمرأة التي لا تمل و لا تكل.

قائمة المختصرات :

ABR : Archives des Bouches du Rhône.

ACCM : Archives de la Chambre de Commerce à Marseille.

ACFA : Archives du Consulat de France à Alger.

A.E : Affaire Etrangère.

AESC : Annales, Economique, Société et Civilisation.

A .du N : Afrique du Nord.

ANP : Archives National de Paris.

AOM : Archives Outre Mer.

Art : Articles.

CC : Correspondance Consulaire.

CNRS : Centre National de Recherche Scientifique.

C.T : Cahier de Tunis.

H. Gle : Histoire Générale.

H. des Etbls: Histoire des Etablissements.

Ed: Edition.

O.PU: Office des Publications Universitaires.

R.A: Revue Africaine.

R.H.C.M: Revue d’Histoire Maghrébine.

R.O.M.M: Revue d’Occident Musulman et de la Méditerranée.

T: Tome.

Vol :Volume.

ب.ش: بتاك شيك

ج.ت: جنيه توري.

د.م.ج: ديوان المطبوعات الجامعية.

د.ت: دون تاريخ.

د.م: دون مكان.

ش.و.ن.ت : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.

غ.ت.م: الغرفة التجارية بمرسيليا.

م.و.ك: المؤسسة الوطنية للكتاب.

ن.م: نفس المرجع.

ن.مص: نفس المصدر.

الو.م.أ : الولايات المتحدة الأمريكية.

مقدمـــة

إن الاقتصار على دراسة و كتابة تاريخ الجزائر المحلي يعني أخذ صورة ناقصة و مبتورة، فالتاريخ الدولي في إطار العلاقات الخارجية لأية دولة يعني التعبير عن مظهر من مظاهر الرقــي السياسي و الذي يعكس لنا الأوضاع الداخلية و التطـور الداخلـــي و الازدهار الذي سجلته الإيالة خلال القرنين 16 و 17م ، فالاستقرار السياسي الذي شهدته البلاد انعكست آثاره الايجابية على ازدياد قوة الإيالة و تطورها لدرجة أنها هيمنت على الملاحة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.

وضع الجزائر جعلها تعمل على ضبط و تحديد علاقاتها مع الأطراف الأوروبية باعتبارهم شركاء في المتوسط ، علاقات واجهتها صعوبات جمة فكان على الطرفين ضبطها من خلال اتفاقيات و معاهدات سلم و تجارة مع معظم الدول الأوروبية خاصة خلال القرن 18.

إن دراسة تاريخ علاقات إيالة الجزائر الدبلوماسية يعتبر من الدراسات الصعبة فهو ليس كدراسة خاصة بمدينة أو معلم تاريخي أو فئة اجتماعية، فالوثائق التي يجب الاعتماد عليها لدراسة هذا الموضوع نجدها موزعة بين مختلف دور الأرشيف لكل الدول التي تربطها بالجزائر علاقات (إسبانيا ، البرتغال ، فرنسا ، انجلترا ، السويد ، هولندا ، بعض المدن الإيطالية ، الو.م.أ ...).

دراسة لا يجب الاكتفاء فيها على اللغة العربية بل لا بد من لغات أجنبية متعددة لنتمكن من قراءة كل الوثائق ، و كشف النقاب عن ما تخفيه من معلومات.

و إن كنا نظن أن المادة التاريخية كافية لمعالجة هذه الدراسة إلا أن و من زاوية النقد الذاتي أراها ناقصة و غير متكاملة عن هذه العلاقات و لا زالت شحيحة في ظل غياب و ضياع الاسطوغرافيا المحلية عن العلاقات الدبلوماسية ، فرغم الحذر في التعامل مع الوثائق الأجنبية إلا أننا نخشى الوقوع في فخ المعلومات من وجهة نظر الآخر.

موقع الجزائر الجغرافي جعل له إستراتيجية خاصة في البحر المتوسط ، موقع جعل منه حلقة وصل بين المشرق و المغرب و بين أوروبا و إفريقيا ، موقع حدد اتجاه سياستها

الاقتصادية و السياسية فقد ساعد على تبني نشاط متوجه نحو البحر (عسكريا و تجاريا) كما جعل مدنها الساحلية لا سيما مدينة الجزائر مدنا متوسطية مفتوحة على البحر، و نقطة انطلاق للمغامرة البحرية المتوسطية - قرصنة- ، كل هذا فتح باب العلاقات مع العالم الخارجي و ما سنركز عليه هو العالم المسيحي.

إننا ندرك في هذا السياق أهمية موضوع العلاقات الدبلوماسية الذي لا يزال مجال بحث خصب اهتمت به المدرسة الغربية التي صورت الجزائر خلال الفترة العثمانية بوكر القرصنة و حكامها وقراصنتها بالمتوحشين لدرجة أنهم اعتمدوا على الأساطير التي نسجت حول العديد من الشخصيات لدرجة إخافة الأطفال بشخصية خير الدين و لنا هنا أن نتصور ما غرس في أذهان الطفولة الأوروبية من تصورات ممسوخة داخل أعماق الذهنية الأوروبية ، كما ركزوا على أنها إيالة قامت على مداخيل القرصنة القائم على السلب و النهب و جلب الأسرى فنسجت أساطير حول كنوز قراصنة الجزائر.

قد تعود تلك الصورة السوداوية التي رسمت للجزائر خاصة و إيالات شمال إفريقيا عامة إلى البحث عن المبررات و الشرعية الدولية من خلال تلك الحملات و المحاولات المتكررة لضرب أقوى إيالات شمال إفريقيا بحجة القضاء على وكر القرصنة و ما كانت حادثة المروحة إلا ذريعة تحججت بها فرنسا لكسب الرأي العام الأوروبي ، و يظهر في النهاية أن العمل الدبلوماسي مندمج لا معزول عن الآلة السياسية.

يعود اختيارنا لموضوع الرسالة الموسومة بـ: "القناصل و القنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية من 1564 إلى 1830" ناتج عن ميول و اهتمامات خاصة بالفترة العثمانية في الميدان الدبلوماسي ، خاصة و أنها علاقات تتداخل فيها علاقات متعددة المجالات تتماشى مع التيار الدبلوماسي و السياسي لا يمكن أن ينفصل عن المحور الاقتصادي و البحري ، كذلك جاء هذا الاهتمام لعدم وجود دراسات خاصة بالموضوع إلا إذا كانت خطوطا عريضة ، معلومات مبعثرة كان لا بد من جمعها و تحصيلها في شكلها النهائي.

فموضوع الدبلوماسية شيق ، فهي بمفهومها الذي يتماشى مع القانون الدولي هي مجموعة الإجراءات و الأعراف الدولية التي تنظم العلاقات بين الدول تهدف إلى خدمة المصالح الاقتصادية و السياسية العامة ، كما تعد الأداة الأساسية لتحقيق أهداف السياسة الخارجية بهدف استمالة المتحالفين و التأييد بالإضافة إلى توصيل المعلومات للحكومات عن الدول و الجماعات الخارجية و القيام بمهمة التفاوض ، كما تعمل على تعزيز العلاقات بين الدول و تطويرها بالدفاع عن مصالح و أشخاص رعاياها.

و قد وجدت فيها الدول الأوروبية الأداة الفعالة لاكتساح و اختراق العوالم الداخلية اقتصاديا و سياسيا للمجتمعات الأخرى عن طريق قناصلها الذين تمثلت مهمتهم في معرفة ذهنية المجتمعات الشرقية (الجزائرية)بحكم الاحتكاك و الإقامة بها.

قد حصرنا الموضوع من 1564 إلى 1830 أي منذ تعيين أول قنصل فرنسي برطول Bertholle إلى تاريخ احتلال الجزائر و إن كان الموضوع يبدو واسعا و كذلك طول مدة فترة الدراسة و إنما كان القصد منها عملية مسح لمرحلة جد حافلة بالأحداث و إلى تلك العلاقات التي ربطت القناصل بمختلف الأوساط و إلى تلك العلاقات بين الإيالة و بين أوروبا دول كانت على سلم أو تلك المعادية.

فهذه الفترة عرفت صراعا و مواجهة بين الإسلام و المسيحية بين الهلال و الصليب خاصة مع إسبانيا فالعمل البحري الإسلامي جاء نتيجة الاختناق الاقتصادي الذي أصاب الضفة الجنوبية للمتوسط و السيطرة على الطرق التجارية و تغير موازين القوى ، كموضوع القرصنة و البحث عن أصولها و عن المسؤول عنها أدى إلى ظهور عدة تيارات فالتيار الغربي الذي حاول إلصاق القرصنة ببحارة شمال إفريقيا و الجزائر خاصة ، و التيار الإسلامي الذي جعل القرصنة أوروبية ، إذ يقول ابن عثمان المكناسي في مخطوطه البدر السافر لهداية المسافر إلى فكاك الأسارى من العدو الكافر : " إن رؤساء مالطا ... الذين لهم في إذاية المسلمين تحذيف ... و استحسنوا فعلهم ... و أعطاهم البابا الإذن في أن يلبسوا الثياب البيض شعارا لهم ...".

و إن ظهر تيار ثالث حاول إعطاء هذه الظاهرة بعدا عالميا و على رأسهم برودل Braudel "على أنها ظاهرة عالمية تتحملها الأطراف الممارسة و قد تحكمت فيها البيئة التي ظهرت و نمت فيها و كذلك الظرفية ...".

بالإضافة إلى ظهور الامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية لفرنسا أولا و فتحت باب التنافس بين الدول الأوروبية و التوقيع على المعاهدات .

موضوع القناصل و القنصليات في إطار العلاقات الدبلوماسية جعلنا نطرح مجموعة من التساؤلات المتمحورة حول حقيقة العلاقات الأوروبية ـ الجزائرية و أبعادها : **هل يمكن الحديث عن فكر دبلوماسي في إيالة الجزائر ؟؟ أم أنه مجرد مبادرة منعزلة فرضتها الظروف الدولية ؟؟ ما هي الدوافع التي حملت الدول الأوروبية عن طريق ممثليها في الجزائر على قبول الاهانة في دفع الهدايا العادية و الإلزامية على حد تعبيرهم ؟؟ هل بنيت العلاقات الدبلوماسية الجزائرية ـ الأوروبية على مبدأ المساواة و التعامل بالمثل ؟؟ ما هي عوامل عدم التكافؤ و التفوق الدبلوماسي و الأوروبي على الطرف الجزائري لأن غياب التمثيل الدبلوماسي في العواصم و الموانئ الأوروبية لم يكن ظاهرة طبيعية لكن تحكمت فيها عوامل خارجية أدت إلى تغييبها عن الساحة الدبلوماسية حفاظا على مصالحها.**

لتناول هذا الموضوع استعملنا المنهج التاريخي التحليلي و ذلك لتحليل و تفسير مختلف جزئيات و مفردات هذا الموضوع و تحليل مختلف العلاقات بين مختلف الأطراف أو إظهار مفاهيم عديدة كالأسبقية و الحصانة و الخروج بنتائج موضوعية ، فهذا المنهج ساعد على استقراء و استنباط العديد من الحقائق.

بغرض الإلمام بالموضوع و الإحاطة بمختلف جوانبه تم الاعتماد على بيبلوغرافيا متنوعة باللغة العربية و الأجنبية ، تنوع تطلبته طبيعة الموضوع خاصة و أنها بيبلوغرافيا موزعة في مناطق مختلفة داخل الوطن و خارجه ، و قد صنفناها على النحو التالي :

الأرشيف :

يعد الأرشيف الذاكرة التي تربط ماضي الشعوب بحاضرها و مستقبلها ، فهي المصدر الذي يعتمد عليه الباحث و المؤرخ في كتابة تاريخ الشعوب و الأمم.

و يعد الأرشيف الفرنسي من أهم مصادر تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني و تعود هذه الأهمية إلى العلاقة المتميزة التي احتلتها فرنسا مع الدولة العثمانية و إيالاتها من بينها الجزائر، جاء الأرشيف ليعكس هذا الارتباط بين الجانبين إذ تميز بتنوع المادة التاريخية من خلال (المراسلات و الاتفاقيات).

- ❖ أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية (الكي دورسي Quai d'Orsay) و قد تم الاعتماد على السجلات الخاصة بالمراسلات القنصلية (CC الخاصة بالجزائر و هي على النحو التالي CC الجزائر :

33 (1797-1796

32 (1795-1794

35 (1801-1800

44 (1818 جويلية – سبتمبر

42 (1816-1815

41 (1814-1813

45 (1821-1819

46 (1824-1822

ساعدتنا هذه المجموعة في التعرف على مراسلات القناصل مع الحكومة الفرنسية و التقارير المبعوثة و التي تتعلق بالجزائر أو بالقناصل الأجانب في الإيالة.

❖ الأرشيف الوطني بباريس يعتبر رصيد ثري جدا يكشف هذا عن كثافة و حجم العلاقات الجزائرية – الفرنسية توجد به مجموعتين خاصتين بالجزائر تمتد من القرن 16 إلى غاية نهاية النظام القديم كما يضم جملة المعاهدات التي وقعتها فرنسا و دول أخرى مع إيالة الجزائر فكانت المصدر الأساسي للحصول عليها.

و الرزم المستعملة من هذه المجموعة B7 الخاصة برصيد البحرية مجموعة تضم معلومات تخص الجزائر فيما يخص العلاقات السياسية الدبلوماسية و التجارية تحوي معلومات غزيرة أهم الرزم المستعملة B7 (49 ، 446 ، 534 ، 537 ، 520 ، 385 ، 523 ، 47 ، 528 ، 214).

كما يتواجد بالأرشيف الوطني بباريس رصيد خاص بالخارجية الفرنسية الذي يضم مجموعة AE/B1 و AE/B3 تشملان المراسلات القنصلية و كذلك التقارير و المذكرات حول العلاقات الفرنسية مع الشرق و شمال إفريقيا (Levant et Barbarie) ، AE/B1(116 ، 120، 130 ، 145) و AE/B3(313 ،2 2، 32).

أهمية هذا الرصيد التاريخي و قيمة المعلومات التي تكشف عنها هذه الوثائق سواء المتعلقة بالفرنسيين أو غير الفرنسيين كمجموعة B3 322 التي تختزن مجموعة المعاهدات بين الجزائر و بعض الدول الأوروبية كبريطانيا ، السويد و الدانمارك...

❖ أرشيف الغرفة التجارية بمرسيليا : يمكن القول أننا استعملنا هذا الرصيد بالدرجة الأولى و بنسبة أكثر و ذلك لترددنا مرارا على الغرفة التجارية و تمكننا تقريبا من حصد كل أرشيف هذه الغرفة و المتعلق بتاريخ الجزائر سواءا المراسلات أو تلك الوثائق الخاصة بالمؤسسات بشرق الإيالة .

يتميز هذا الرصيد بالثراء و التنوع من حيث المادة التاريخية و ذلك ما يعكس حقيقة العلاقات الجزائرية الفرنسية بصفة عامة و مع مرسيليا بصفة خاصة ، و يحتوي هذا الأرشيف على مجموعة كبيرة من الحزم :

مجموعة E (53 – 54 – 55 – 56– 57 – 58 –) ملفات تغطي الفترة من 1673 إلى 1793 و هي خاصة بقوة البحرية للجزائر و الغنائم البحرية و تلك الحملات.

مجموعة G و التي تضم ملفين (5 – 6) و B/80 تظم ملفات خاصة باليهود و التجار المسلمين و هي مراسلات تخص منعهم من القدوم إلى مدينتي مرسيليا و طولون لممارسة التجارة بهدف حماية التجار الفرنسيين من المنافسة الأجنبية.

مجموعة I (6 – 7 – 58).

و أهم مجموعة تم استعمالها في البحث هي مجموعة J بأعدادها المختلفة من 23 إلى 45 تظم معلومات و مراسلات خاصة موظفي القنصليات قناصل ، نواب قناصل ، موثقين ، مترجمين في شمال إفريقيا و المشرق حسب التسلسل الأبجدي فمثلا إذا أردنا البحث عن القنصل دوران فعلينا بالمجموعة (J. 29) .

و نفس المجموعة J من 14 – 16 تخص مرتبات القناصل في مختلف القنصليات الفرنسية في تراب الدولة العثمانية أما (J) من 1338 – 1387 خاصة بمراسلات القناصل و الموثقين.

هناك رزم من 1877 – 1888 تختلف في مضمونها ما بين المراسلات ما بين نواب الغرفة التجارية بمرسيليا و حكومة الجزائر و بعضها خاص بمنح رخص الإقامة في الجزائر و بعضها الآخر خاص بالهدايا المقدمة للإيالة (العادية و الاستثنائية).

بالإضافة إلى مجموعة L 3 و L 4 الخاصة بالشركة الملكية الإفريقية و كذلك الوكالة الإفريقية و التي تضم رسائل القناصل فيما يتعلق بهذه المؤسسات و كذلك مدرائها و المعاملات مع البايات و تغطي الفترة من 1741 إلى 1805.

مجموعة M. Q 5.1/13 و M.R 46.1.4.1/01 و اللتان نجد بهما معلومات قيمة حول قوة البحرية ، القرصنة ، المعارك البحرية و كذلك منح رخص الإقامة لمن يريد أن يقيم بالجزائر من قبل الغرفة التجارية بمرسيليا.

❖ محفوظات ما وراء البحر بأكس آن بروفانس Aix en Provence الذي يحتوي على سجلات البايلك في شكل ميكروفيلم في مجموعة MIOM و لكن ما يهم هو المجموعة الخاصة بأرشيف القنصلية الفرنسية (A/ ACFA).

❖ محفوظات مصب الرون A.B.D Rhône .

رغم أهمية الأرشيف الأجنبي إلا أنه يمثل رؤية الآخر بكل مؤثراته و بالتالي لا بد من التعامل معه بحذر، كما لا يمكن الاستغناء عن الأرشيف المحلي.

❖ الأرشيف الوطني (العاصمة).

مهام دفتري هو ذلك الدفتر الذي يتضمن جميع الأوامر و الأحكام الفرمانات الصادرة من السلاطين العثمانيين في مختلف المجالات و الموجهة إلى الولايات التبعة للدولة العثمانية و منها إيالة الجزائر, تغطي هذه الدفاتر في مجملها الفترة التي كانت الدولة العثمانية حاضرة بكل ثقلها في البحر المتوسط من1553 إلى1905 [(1)] ، يحتوي هذا الرصيد على 16 علبة و 911 وثيقة ، استعملنا البعض من هذه الدفاتر

خط همايون : (دفاتر نامه همايون) هي دفاتر أحدثت في نهاية القرن17م و هي نوع من الدفاتر جمعت فيها الرسائل السلطانية و المعاهدات و الاتفاقيات و استعملنا جزءا منها لا سيما تلك المتعلقة بمراسلات داي الجزائر عمر باشا إلى السلطان حول حملة إكسموث 1816.

بالإضافة إلى مجموعة 3190 بقسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية بالعاصمة (الحامة) فهي وثائق مهمة تمدنا بمعلومات خاصة عن ما كانت تقدمه الدول الأوروبية من إتاوات في شكل مواد حربية و هدايا و كذلك اللزمة التي يقدمها الباستيون إلى البايلك بالإضافة إلى المراسلات التي وصلت إلى حكام الجزائر من الباب العالي و هي تغطي الفترة من 1748 إلى 1830. يبين لنا الأرشيف ذلك التنوع الكيفي.

1-المؤذن عبد الرحمن . المغارب في العهد العثماني. (الرباط : منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ,1995

المصادر المطبوعة باللغة العربية :

في موضوعنا هذا كنا نحتاج إلى مصادر أو مخطوطات محلية كتبت عن الشؤون الدبلوماسية كهؤلاء الذين قاموا بسفارات إلى أوروبا أو حتى مذكرات الأسرى الجزائريين في البلاد الأوروبية كما فعل سفراء المغرب الأقصى و كما فعل الأسرى المسيحيون ، اللهم باستثناء رسائل بعض الأسرى الجزائريين إلى ديوان الجزائر هي موجودة بالأرشيف الوطني بباريس و قد نشرها الأستاذ جمال قنان في كتابه "نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر الحديث من 1500 إلى 1830".

من أهم المصادر المستعملة "سيرة المجاهد خير الدين بربروس" فهو يتعرض إلى سيرة خير الدين بربروس و هي من المخطوطات النادرة ساعدنا في الفصل الأول أي فيما يتعلق بإلحاق الجزائر بالدولة العثمانية بالإضافة إلى كتاب حمدان خوجة "المرآة" الذي خصص الجزء الأول إلى الفترة العثمانية فقد تناول دور اليهود و تأثيرهما على الدايين حسين و مصطفى باشا بالإضافة إلى تقسيمات الإيالة الإدارية و ما كان يفرض في الجزائر من رسوم جمركية ، إلى جانب "مذكرات نقيب الأشراف" للشريف الزهار و إن كان سردا كرونولوجيا للأحداث و هي الثمانون سنة الأخيرة للإيالة إلا أنه يحتوي على معلومات تاريخية قيمة ، كما خصص جزءا كبيرا للداي محمد بن عثمان باشا.

و دون أن نهمل مخطوط الزهرة النائرة فيما جرى حين أغارت عليها الجنود الكفرة" و هو منشور في مجلة التاريخ و حضارة المغرب ، و إن كان أسلوبه هو تناول الأحداث و سردها إلا أننا استعنا به من أجل التعرف على تلك الحملات الأوروبية على مدينة الجزائر و التي وجدنا ما يوافقها من مصادر غربية ، إذ صاحبت هذه الحملات مفاوضات و توقيع معاهدات صلح كما يشير إلى ما تدفعه الدول الغازية من إتاوات للجزائر.

و من أهم المصادر و التي أفادتنا إلى حد كبير أجنبية و مترجمة إلى العربية و هي عبارة عن مذكرات للقنصل الأمريكي شالر الذي زاول مهمته في الجزائر من 1816 إلى 1824 و إن كانت فترة متأخرة إلا أنها مليئة بالأحداث كان لها أثر على مسار العلاقات الجزائرية الأوروبية في ظل التغيرات الدولية بعد مؤتمر فيينا 1815 و إكس لاشابيل 1818 ، لا سيما

المؤتمر الأول الذي قنن الأعراف الدبلوماسية الدولية ، و هناك مذكرات الأسير كاتكارت الذي غطى الأحداث و الظروف التي وقعت فيها الولايات المتحدة الأمريكية معاهدة صلح مع الجزائر و بعدها إقامة قنصلية أمريكية بالجزائر، فقد أشار إلى أسلوب المفاوضات و الأطراف الفاعلة فيها.

كما استعنا ببعض ما كتبه سفراء مغاربة كالمكناسي في "الإكسير في فكاك الأسير" و "البدر السافر لهداية المسافر إلى فكاك الأسارى في مدينة العدو الكافر" 1253 مخطوطات في المكتبة الحسنية بالرباط لكن لحسن الحظ أنها محققة فتم الاعتماد على المحقق منها ، فقد دون هؤلاء السفراء المغاربة رحلتهم المغربية ما لا نجده عند الجزائريين ، فقد صوروا لنا واقع الأسرى المسلمين بإسبانيا و مالطا كشهود عيان ، و من خلال مقارنة مع واقع الأسرى المسيحيين في الجزائر نقول أن الأسر في الجزائر كان أرحم منه في أوروبا.

بالإضافة إلى مخطوط التننلاني و الذي يتحدث في عدد من الورقات عن حملة اكسموث 1816 باعتباره شاهد عيان إذ تصادفت زيارته لمدينة الجزائر مع هذا الحدث.

أما في ما يتعلق بالمصادر الأجنبية ، و التي لا يمكن الاستغناء عنها و لا سيما عند كتابة علاقة الجزائر بالآخر دون العودة إليها فهي ما توفر لدينا بالدرجة الأولى ، فمن كتبوا و تركوا لنا مذكرات قد عرفوا المنطقة و تطرقوا إلى الكثير من الأمور لم يكتب عنها المؤرخون المحليون كالبروتوكولات و المجاملات.

من جملة من كتب عن الجزائر في الفترة العثمانية الرهبان و الأسرى ، كتابات حملت في طياتها العداء و الكره الشديد للجزائر و "قراصنتها" !!! هي مصادر تدعو بشكل صريح إلى القضاء على إيالة الجزائر أو كما تسميها بوكر القرصنة فقد أعطت كتاباتهم صورة سلبية سوداوية عن الجزائر و بذلك هي كتابات لا تخلو من التعصب الديني و اللاموضوعية عن القضايا المطروحة ، من جملة هذه المصادر :

مؤلف "الأب دان Dan" مصدر يعود إلى 1637 ، نحتفظ بنسخة مصورة منه تحصلنا عليها من المتوفى القس بول Paul بمركز الوثائق الاجتماعية و الاقتصادية CDES، عند

تحضيرنا لرسالة الماجستير و الذي ركز اهتمامه على البحرية الجزائرية و هي في عز قوتها خلال القرن 17م و كيفية افتداء الأسرى و ما يلاقونه من أعمال وحشية على يد الأتراك و العرب، و ذلك هو شأن كتابات رجال الدين المسيحيين المنتسبين إلى مختلف التنظيمات الدينية كـ : (فيلمون دو لا موت Philimon De la Motte و غيرهم) و ذلك بغرض استعطاف الأوروبيين و جمع أموال الافتداء.

و هناك مصادر أخرى تم استعمالها في إطار ما كتبه دبلوماسيون كانوا في الجزائر أمثال طاسي Tassy "تاريخ مملكة الجزائر" بارادي "الجزائر في القرن 18" مذكرات كل من دوكارسي ، تانفيل ... ، هي تقارير و مذكرات خدمت الأهداف الاستعمارية في فترة لاحقة ، فالإعداد للحملة ضد الجزائر 1830 استغلت فيه هذه التقارير و المذكرات فلا عجب أن نرى بعض الدبلوماسيين تكونوا في مدرسة اللغات الشرقية و هي مدرسة متخصصة في تكوين رجال الدبلوماسية و الجوسسة.

و الخلاصة أن هذه الكتابات تشابهت في محتواها فقد ركزت على أحوال السكان و فئاته ، النشاط البحري و إحصاء عدد القطع البحرية، و التركيز على الحصون و التحصينات الدفاعية و هذا ما يعطي هذه الكتابات طابعا استخباراتيا ذا أبعاد عسكرية تهدف إلى تعريف دولها بمواقع القوة و الضعف في الإيالة و التعريف بإمكانياتها الاقتصادية (زراعة ، تجارة ...).

أما الكتابات التي ظهرت مع بداية الاحتلال أو في فترة متأخرة في مقدمتها ما كتبه أو ما ترجمه دوفلوكس Devoulx الذي استغل منصبه فقام بترجمة الكثير من الوثائق و السجلات العثمانية بعضها ضائع اليوم ، و نظرا لعدم التحكم في اللغة العثمانية تم الاعتماد عليه "كدفتر التشريفات" الذي وجدنا صعوبة في التعامل معه كمخطوط لعدم التنظيم و التبويب ، و ما نشره أيضا حول "سجل الغنائم" و "البحرية الجزائرية" و "إشارات الأسطول" و ما نشره في المجلة الإفريقية نجده مفصلا و مرتبا في القائمة البيبلوغرافية.

و من الأدوات الأساسية في البحث مؤلفات كل من بلانتي Plantet : "مراسلات فرنسا مع دايات الجزائر" و "قناصل فرنسا في الجزائر قبل الاحتلال" ، مؤلفات غرامون

Grammont "مراسلات القناصل" و "العلاقات الجزائرية – الفرنسية خلال القرن 17م" و كلها تعكس حقيقة العلاقات بين الطرفين بالإضافة إلى قائمة طويلة من المراجع الخاصة و العامة حول الجزائر بالإضافة إلى الدراسات الحديثة لا سيما في إطار المدرسة المغاربية و العمل الحثيث للباحثين و اختراق مراكز الأرشيف مثل مقال المازاري بديرة "الجزائر و السويد" و استغلالها لأرشيف ستوكهولم و علي تابليت الذي أسهب في مقالاته و ترجمته عن العلاقات الجزائرية – الأمريكية و نظرا لكثرتها رتبناها في بيبلوغرافيا البحث.

انطلاقا من المادة المتحصل عليها اتبعنا الخطة التالية للإجابة عن جملة التساؤلات المطروحة و كشف النقاب عن العلاقات الدبلوماسية و حقيقة العلاقات الجزائرية-الأوروبية ما ظهر و ما خفي منها ، و عليه تضمنت الرسالة فصلا مدخليا و خمسة فصول.

خصصنا الفصل المدخلي "الجزائر ولاية عثمانية" و ظروف إلحاقها بالدولة العثمانية في ظل المواجهة الإسلامية المسيحية ، و تمكن الإسبان من السيطرة على المناطق الساحلية للجزائر التي تمت في إطار حركة الاسترداد و الانتقام من مسلمي الأندلس و ملاحقتهم حتى شواطئ شمال إفريقيا.

كما تناولنا فيه علاقة إيالة الجزائر بالباب العالي في مرحلتين مختلفتين الأولى من الإلحاق أي منذ أصبحت وجاقا تابعا للسلطان حكمتها أنظمة مختلفة ابتداءا من البيلربايات الذين حملوا مسؤولية توزيع النفوذ العثماني و التصدي للعدو المسيحي المعتدي ، فكانت بذلك ولاية متميزة ثم فترة الباشاوات و الأغاوات ، ما يهم هو أن هذه المرحلة (1519-1671) تميزت بمتانة الروابط بين الإيالة و المركزية العثمانية رغم قوة البيلربايات . مع أواخر القرن 16م خشي السلطان انفصال الولاية و استقلال ولاتها فقرر تقليص صلاحياتهم الواسعة بإحداث منصب الباشا بدلا من البيلرباي.

الباشوات :

في هذه المرحلة حاولت المركزية العثمانية وضع حد لسلطة التفويض المباشر من خلال إفراغ منصب الباشا من محتواه ، و استقلال الطائفة العسكرية و مشاكل الأستانة

لتتقوى على حساب الباشا الذي عجز عن وضع حد للتمردات القبلية التي أخذت أبعادا خطيرة إذ تمكن متمردو منطقة القبائل من مهاجمة مدينة الجزائر سنة 1595 لدرجة أن السلطان استدعى الباشا مصطفى آغا و سجنه باسطنبول لعجزه عن إخضاع المنطقة .

كما عجز باشاوات النصف الأول من القرن 17م من إخضاع المناطق المستعصية لا سيما في الفترة 1640-1644 و عجز الباشا جمال يوسف ضرب التمرد ، غير أن تجرؤ الباشا على فرض رسوم إضافية على عائدات الغنائم البحرية عجل باندلاع فتنة 1659 التي وضعت حد لعهد الباشاوات و بداية عهد الأغاوات الذي يعتبر عهدهم من أضعف الفترات و اغتيال الأغاوات الأربع.

أما المرحلة الثانية في علاقة الإيالة بالباب العالي 1671-1830 تبدأ بأزمة 1671 التي نتج عنها بداية نظام الدايات الذي ارتبط فيه النفوذ المادي بالنفوذ السياسي سيطر فيه منذ البداية رياس البحر بسبب الغنى و مداخيل الغنائم البحرية لكن عند تراجع العائدات البحرية تمت إزاحتهم من السلطة.

تعد هذه المرحلة من أهم المراحل إذ دعمت الإيالة ذاتها بتحقيق المزيد من الاستقلالية تجاه الباب العالي لا سيما مع 1711 ، فقد اعتبر الدايات أنفسهم شركاء و حلفاء للأستانة ، ففي الكثير من المناسبات لم تلتزم الإيالة و لم تعترف بمعاهدات وقعها السلطان العثماني مع أطراف أوروبية.

و جاء الفصل الأول "الأوساط المتحكمة في تعيين القناصل" و المقسم إلى 04 مباحث أوله البحث عن الجذور التاريخية للعلاقات بين المدن الجزائرية و بعض المدن الأوروبية و الإشارة إلى علاقة بجاية بـالبندقية و مرسيليا ثم التطرق إلى تعيين أول قنصل أوروبي في الجزائر خلال العهد العثماني و هو القنصل الفرنسي برتول ، فتظهر المنافسة الانجليزية من أجل الحصول على من يمثلها بالجزائر لكي لا تنفرد فرنسا وحدها بالامتياز في الجزائر ، ثم تناولنا في مباحث أخرى مختلف الأوساط التجارية و الدينية و السياسية المتحكمة في تعيين القناصل و إن كان التركيز على الأوساط الفرنسية و الانجليزية لتوفر المادة.

و في نقطة أخرى تناولنا مرتبات القناصل و تطورها و كأنموذج ركزنا على رواتب القناصل الفرنسيين لوفرة المادة خاصة وثائق الغرفة التجارية بمرسيليا باعتبارها المسؤولة عن دفع أجور قناصل إيالات الشرق و شمال إفريقيا ، دون أن نتجاهل أسس اختيار الجزائر لسفرائها و مبعوثيها باتجاه أوروبا.

و جاء الفصل الثاني يحمل عنوان "البروتوكولات القنصلية" الذي حاولنا فيه التعرف على تلك المراسيم الدبلوماسية في إطار الأعراف الدولية المتعامل بها قبل أن يتم تقنينها في إطار قانون دولي "دبلوماسي".

قسمنا الفصل إلى المباحث التالية : الأول تناولنا فيه تلك المراسيم "الإتيكيت" من خلال تحيات المجاملة ، الاستقبال و تبادل الزيارات بين عناصر السلك الدبلوماسي ، بعض من المراسيم اعتبرها القناصل اهانة و مساسا بكرامة موظفي السلك الدبلوماسي "كتقبيل اليد" إلى أن تختفي هذه الظاهرة خلال القرن 19م.

و يدور المبحث الثاني حول الهدايا القنصلية التي يقدمها القناصل إلى الإيالة في مختلف المناسبات أو تلك التي يقدمها الدايات سواءا إلى ملوك أوروبا أو إلى السلطان العثماني كما يتلقى حكام الجزائر هدايا من السلطان.

و تطرقنا في عنصر آخر إلى الإقامات القنصلية من حيث الوصف الخارجي و الداخلي ، و الدور الذي لعبته هذه الإقامات في المدينة أو الريف في الالتقاء و حتى إحياء الحفلات حضرها الموظفون الدبلوماسيون الأجانب ، إقامات تعكس لنا الطابع الجمالي للمدينة العربية و الأنماط المتعددة للعادات الجزائرية ، ثم في الأخير تناولنا مصير هذه القصور و الفيلات بعد احتلال مدينة الجزائر، و التي حاولت فرنسا أن تخدش من خلالها الفن المعماري الإسلامي.

و المبحث الأخير تناولنا فيه أهم مبادئ الدبلوماسية ألا و هي الحصانة و الأسبقية ، حصانة متنوعة خاصة بالأفراد و المقرات و الإعفاءات الجمركية ، أما الأسبقية حاولنا أن نستشف

تلك المنافسة و الحرب الخفية لا سيما بين فرنسا و محاولة الاستفراد بالأولوية لدى الإيالة ، أسبقية تعدت البروتوكولات إلى الحصول على الامتيازات خاصة التجارية.

و جاء الفصل الثالث "دور و نشاط القناصل في الجزائر" ، حاولنا من خلاله تشخيص المهام المنوطة بهؤلاء القناصل و قسمنا الفصل إلى ثلاثة مباحث :

الأول يتعلق بدورهم في فدية الأسرى المسيحيين ، مهمة ارتبطت بتواجد الأسرى و ما يجب أن يقوموا به من أجل التخفيف عن مواطنهم من وطأة الأسر و افتدائهم، و طرق الافتداء كتبادل الأسرى ، أو عن طريق التنظيمات الدينية مع المقارنة بين واقع الأسرى المسيحيين في الجزائر و واقع الأسرى المسلمين بالبلاد الأوروبية.

كانت مسألة الأسرى عاملا أساسيا في تحديد العلاقات الدولية و تحريكها لا سيما خلال القرن 18م إذ وجهت البعثات و المراسلات و حتى عن طريق الحملات في شأنها ، فقد اهتم الساسة الأوروبيون بفك الأسرى و لا ننسى أن الأسرى كانوا يمثلون بضاعة بشرية، فقد استغلهم البايلك كيد عاملة في بناء التحصينات و إقامة الطرق و التجذيف.

أما المبحث الثاني فيتعلق بدورهم في حماية التجارة و المصالح الاقتصادية فالمحور الأساسي لنشاطهم يتمثل في حماية و الحصول على المزيد من الامتيازات قي ظل المنافسة بين القوى الأوروبية و ظهور قوى جديدة ربطتها معاهدة سلام و صداقة مع إيالة الجزائر، كما تطرقنا إلى آفاق التوسع التجاري و الأبعاد الاستعمارية التوسعية .

أما المبحث الثالث فيتعلق بالدور القضائي للقناصل الذي ضمنته لها المعاهدات و حاولنا التفصيل فيه من خلال ما يتعلق بالأشخاص أو تلك المنازعات الخاصة بين الرعايا الأجانب أو ما بين الأجانب و رعايا الإيالة ، هو امتياز ضمن للأجانب الفصل في القضايا فكان القنصل هو القاضي دون اللجوء إلى المحاكم الإسلامية إذا ما تعلق الأمر بالخلافات بين الرعايا الأجانب.

أما الفصل الرابع "علاقة القناصل بمختلف الأوساط" فقد انصب اهتمامنا على تسليط الضوء على علاقة القناصل على تلك العلاقات الخاصة و العامة التي تربط القناصل بمختلف الأوساط فقسمنا الفصل إلى المباحث التالية :

المبحث الأول حاولنا من خلاله التعرف على علاقات القناصل بالدايات و العناصر النافذة ، كيف لجأوا إلى التقرب منهم بمختلف الطرق و الوسائل لتحقيق مآربهم ، لكن هذا لا يمنع من وجود مشاكل نغصت وجودهم بالجزائر كمسألة التهريب و تزوير جوازات السفر أو الحملات التي عرضت بعضهم للقتل كما حدث للقنصل "بيول".

و تناول المبحث الثاني علاقة القناصل برعاياهم و حكوماتهم سواء الأسرى أو الأحرار كالتجار و حماية مصالحهم و محاولة حل مشاكلهم خاصة مع الجمارك ، و إشرافهم على ضمان استقرارهم من خلال طلب رخص الإقامة من الغرفة التجارية بمرسيليا دون أن ننسى تلك المشاكل التي قد تحدث بين القناصل و رعاياهم.

و في نفس العنصر تم تناول دورهم في إطلاع حكوماتهم عن كل ما يتعلق بشؤون الإيالة من خلال مراسلات ، تقارير أو مذكرات و بذلك يتجلى الدور الخفي لهؤلاء القناصل في إطار عمل الجوسسة و يظهر ذلك من خلال الرسائل المشفرة و وجود لوحة لفك رموز الشفرة بالقنصلية الفرنسية بالجزائر.

ثم المبحث الثالث تطرقنا فيه إلى تلك العلاقات بين مختلف قناصل الدول حيث تكشف لنا عن العلاقات الودية كالمجاملات و تبادل الخدمات كالنيابة عن بعضهم في حالة غياب أحدهم لكن الأهم هي تلك الدسائس و المؤامرات التي تحاك في الكواليس لضرب بعضهم البعض ، و النماذج عن هذه السياسة الخفية عديدة ، كما نحاول كشف الغيرة و المنافسة و الحساسيات التي تنشب بين القناصل ، و هذا ما أثر على العلاقات مع الإيالة.

أما المبحث الأخير فيتجسد في علاقتهم باليهود نظرا للدور الذي لعبه هؤلاء على الساحة السياسية و التجارية ، تجسدت العلاقة مع اليهود من خلال الدعم المالي ، إذ كانوا يقومون بدور الوسيط المصرفي الذي يقدم القروض كلما كان القناصل في ضائقة مالية ، بالإضافة

إلى دور هؤلاء من خلال دور الوساطة الدبلوماسية بين الإيالة و القناصل و بين الإيالة و الدول الأوروبية ، و لعل أهم مرحلة ظهر فيها دور اليهود هي فترة الحروب النابوليونية.

كما أن اليهود لم يتورعوا عن إلحاق الضرر بالشخصيات الدبلوماسية إذا ما شكلت خطرا على مصالحهم و كاد بعض القناصل أن يفقدوا حياتهم بسبب مساسهم بمصالح اليهود ، كما كانوا وراء تعكير الجو و توتر العلاقات بين الجزائر و الدول الأوروبية.

الفصل الخامس و الأخير "مسألة التجاوز و عدم التكافؤ الدبلوماسي" قسمناه إلى أربعة مباحث أولها نتناول مختلف المصطلحات الدبلوماسية المتداولة في الجزائر في الفترة قيد الدراسة و الموجودة في الوثائق الأرشيفية.

النقطة الثانية تضمنت عوامل عدم التكافؤ الدبلوماسي بين الجزائر و الدول الأوروبية و انعدام تمثيل فنصلي جزائري دائم حيث يظهر التجاوز بين الطرفين ، إذ تخوفت الأطراف الأوروبية من استقرار الجزائريين بأوروبا ، ثم تناولنا الخصائص الدبلوماسية الجزائرية و قوة القرار السياسي و أخيرا أنواع السفارات الجزائرية و الأوروبية ، و قد أنهينا البحث بخاتمة أدرجنا فيها جملة من النتائج المستخلصة.

إن إنجاز أي بحث لا يخلو من العراقيل و العقبات ، أولها طبيعة المصادر المتعلقة بموضوع دبلوماسي مع دول عديدة فكان لا بد من البحث عن هذه المادة داخل الوطن و خارجه فهي موزعة عبر دور الأرشيف في الكثير من الدول مما اضطرنا إلى التنقل و السفر للبحث عنها.

بالإضافة إلى عائق اللغة و عدم التحكم في العديد منها, فقد تمكننا من الحصول مؤخرا على وثائق عديدة من مركز أرشيف جنوة لكننا لم نستغلها ، بالإضافة إلى العديد من الرسائل المشفرة التي تحتاج إلى التخصص لفهمها و قراءة أسرارها.

و رغم هذه الصعوبات و المشاكل إلا أننا حاولنا بذل ما في وسعنا لإنجاز هذه الرسالة بتخطي العقبات و محاولة الإلمام بالموضوع من مختلف الجوانب.

الفصل المدخلي :

1. إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية
2. علاقة الجزائر بالباب العالي :

أ - المرحلة الأولى 1518-1671.

ب - المرحلة الثانية 1671-1830.

3. التقارب الفرنسي- العثماني خلال القرن 16 م.

1- إلحاق الجزائر بالباب العالي :

تعتبر فترة نهاية القرن 15 م و مطلع القرن 16 م لمنطقة البحر الأبيض المتوسط مرحلة مهمة بالنظر لتلك التحولات و التغيرات التي عرفتها المنطقة أهمها التغيير في موازين القوى و التقنيات الحربية، أمر انعكس على العلاقات بين قوى ضفتي المتوسط أي بين دار الحرب و دار الإسلام.

تحرك الأسطول الإسباني مستهدفا موانئ المغرب الأوسط مستغلا الضعف الذي كان يمر به المغرب الإسلامي و الانقسام إلى إمارات صغيرة متصارعة و متنازعة فيما بينها كإمارة كوكو ببلاد القبائل ، الإمارة الحفصية بقسنطينة ، إمارة الثعالبة بجزائر بني مزغنة و المتيجة، إمارة الدواودة برئاسة الشيخ بوعكاز بالحضنة و الزاب [1] و سيطرة بني جلاب على واحات وادي ريغ و تنفذت عائلة المقراني حول قلعة بني عباس[2] و أضحت بلاد المغرب الأوسط على حد تعبير جوليان Julien , Ch.-A : "بلاد المغرب عبارة عن فسيفساء سياسية"[3]. هذا الضعف مكن إسبانيا من شن حملات عسكرية على الثغور المغاربية كللت بالنجاح والسيطرة على البعض منها.

عجز الزيانيون عن الدفاع عن المرسى الكبير الذي سقط في 1505 و وهران في 1509[4] و بجاية في 1510 على يد بدرو نافارو Pietro Navarro [.5]

لم تكتف إسبانيا بهذه الثغور بل فرضت وصايتها على مدينة الجزائر التي تنازلت منذ 1511 عن جزرها الساحلية و إقامة الحصون عليها (بنون penôn)*أو ما يعرف بحصن الصخرة الذي صار كشوكة في حلق سكان مدينة الجزائر قيد حريتهم في المعاملات البحرية

---

[1] -بوعزيز يحيى . الموجز في التاريخ. الجزء الثاني . (الجزائر : د.م.ج ، 2007) ص 08.

[2] -الأرقش، دلندة . و آخرون . مقدمات و وثائق في تاريخ المغرب العربي الحديث . (تونس : منشورات كلية الأدب منوبة ، 1995) , ص 33.

[3]- Julien, Ch-A. Histoire de l'Afrique du Nord de la conquête arabe à 1830. (Alger : SNED, 1978) , p250.

[4] -Haedo H.De. Topographie **et** Histoire générale d'Alger (la vie a Alger au XVIe siècle) .*Traduction de A.* Berbrugger et Dr Monnereau , 3é édition , (Alger : Ed GAL , 2007) , p 23.

[5] -Mercier, Ernest. Histoire de Constantine .Constantine, 1903, p182.

*بنون penôn : يشير إليه في مخطوط سيرة المجاهد خير الدين بربروس "حصن جون" يقع على بعد 300 م ، من حكام هذا الحصن الحاكم مارتان دي فارقاس.

مع دفع الجزية على سكانها ، كذلك فعلت مستغانم و مزغران و تنس الذين قدموا فروض الطاعة و الولاء للإسبان.

يأتي ذلك في إطار حركة الاسترداد المسيحية تنفيذا لوصية الملكة إزابيلا *و توسيع السيطرة الكاستيلية حتى تشمل جميع شمال إفريقيا و إقامة مراكز محصنة Présidions [6] لا سيما بعد الزواج السياسي بين إزابيلا و فرديناند Ferdinand ملك أراغون ، كما كانت هذه الحملات انتقامية بغرض ملاحقة المسلمين المطرودين من الأندلس.

تحسر سكان المغرب الإسلامي من هذه الاعتداءات و بدلا من اتخاذ الجهاد الهجومي، اكتفت الأقطار المغاربية بالجهاد الدفاعي و يتجلى ذلك من خلال الصرخات البائسة التي أطلقها بعض الشعراء أمثال ابن يجبش التازي :

و لم أستطعْ صبرا ، و كيف يُصبحُ لي و قد هُتكت من ديننا كل حُرمة

و شاركنا الأعداء في قطر غربنا و قد أخذوا جُلّ البلاد البهّية

و قد أرعبتْ تلك السواحلُ منهم و صاروا يُؤدون الخراج كجزية

و لم يقْنعوا بما سبوا من بلادكم و إخوانكم في حين تلك القضية[7]

تزامنت الهجمات و التوسعات المسيحية بظهور قوة إسلامية بشرق المتوسط قامت بالفتوحات في الحوض الشرقي للمتوسط ، يبدو أن هناك فرقا بين العمليات العثمانية في آسيا و منطقة البلقان و العمليات العسكرية الإسبانية على سواحل شمال إفريقيا أن الأولى كانت برية و الثانية كانت بحرية.

كما برز الأخوان عروج و خير الدين اللذان حملا لواء الجهاد ، استنجد بهما سكان المدن الجزائرية المحتلة حسب ما جاء في الزهرة النائرة :

---

* إزابيلا الأولى القشتالية الكاثوليكية 1451-1504 تزوجت من فرديناند الثاني مللك اراغون سنة 1479 بدلك توحدت اسبانيا .

[6] -وولف جون. الجزائر و أوروبا. ترجمة أبو القسام سعد الله. (الجزائر : م و ك ، 1986) ، ص 26.

[7] -قدوري ، عبد المجيد. المغرب و أوروبا ما بين القرنين الخامس عشر و الثامن عشر (مسألة التجاوز). (الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي 2000) ص 20.

"بعث أهل الجزاير يشكون من النصارى قائلين لهم :
سمعنا بكم أناس تحبون الجهاد و أخذتم بجاية و جيجلة
من أيدي النصارى و نصرتم الدين فهنيئا لكم أيها
المجاهدون ، لا بد أن تقدموا إلينا و تخلصونا من أيدي
هؤلاء الملاعين الكفرة لأننا نحن في محنة عظيمة و ذلة
شديدة"[8].

و يمثل هذا دعوة أهالي الجزائر لعروج لنجدتهم و حمايتهم ، فاستجاب لطلبهم :

"فلما وصل كتابهم إليه ، و علم ما هم عليه من العدو الكافر
أدركته حمية الإسلام و دخلته نخوة الجهاد و استخر الله
تعالى في جهادها ، فأوصى تلك الناحية من أهل جيجل أنه
إذا قدم أخوه خير الدين يهيأ له مددا من ..."[9].

استقبل عروج في مدينة الجزائر من قبل الأهالي و على رأسهم حاكم المدينة سليم التومي استقبال المنقذ ، على أن يعمل للقضاء على التواجد الإسباني بالبنون الذي أضحى شوكة في حلق أهالي مدينة الجزائر.

استغل عروج هذه المناسبة ليصبح سيد المنطقة إذ استولى بعد ذلك على مليانة ، المدية ، تنس و تلمسان [10] أثناء غيابه عن مدينة الجزائر خلفه أخوه خير الدين في إدارة المنطقة ، غير أن عروج قتل في معركة مع الإسبان سنة 1518 [11] أثناء عودته من تلمسان.

خلف خير الدين أخاه لكنه أدرك ضعف موقفه السياسي و هو محاط بمجموعة من المخاطر، هناك عدد كبير من الأعداء الذين يتربصون به و يخططون لاجتثاثه من

---

8 -التلمساني ابن رقية (محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن الجيلالي) : "الزهرة النائرة فيما جرى حين أغارت عليها جنود الكفرة". مجلة التاريخ و حضارة المغرب ، العدد 03 ، سنة 1967 ، ص 04.

9 -مجهول. سيرة المجاهد خير الدين بربروس ، تحقيق و تقديم عبد الله حمادي . (الجزائر : دار القصبة للنشر، 2009)، ص.83

10 -التميمي عبد الجليل : "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519». المجلة التاريخية المغربية. العدد 6 ، جويلية 1976 . ص 117.

11 -Haedo diego. Histoire des Rois d'Alger. Traduit par Grammont H-DE. (Alger : A. Jourdan ,1881), P 33

البلاد [12] لا سيما بعد الفشل في طرد الإسبان من حصن الصخرة و هو ما جعل سكان الجزائر يفقدون الثقة به و انقسم الرأي بظهور صراع بين الوافدين و المحليين[13].

بعدما إستتب الأمر ، عزم خير الدين إلى السفر إلى إقليم الروم لمواصلة الجهاد و جمع أهل الجزائر و قال لهم :

> "إني قد عزمت على السفر إلى حضرة السلطان و أمنت بلادكم من العدو بما تركت فيكم من المجاهدين و من وصل إليكم من أهل الأندلس و ما تركت عندكم من العدة ، لأنني تركت في بلادكم أكثر من أربعمائة مدفع و لم يكن في بلادكم و لا مدفع واحد"[14].

في هذه الفقرة دلالة على احتضان الجزائر لأعداد كبيرة من الأندلسيين المهاجرين ، الذين ساهموا في حركة الجهاد ضد الاعتداءات الإسبانية ، من خلال مساهمتهم في بناء الحصون و البطاريات الدفاعية كحصن خارج باب الواد الذي ينسب تشييده إلى جماعة من الثغوريين و كذلك تشييد بطارية تعرف بطبونة الأندلسيين بأعلى المدينة[15].

و نجد في سيرة المجاهد خير الدين أنه طلب منهم اختيار واحد منهم يقدمونه عليهم ، و كان قد اقترح ابن القاضي* فقالوا له :

> "أيها الأمير لا تطيب أنفسنا بفراقك و لا نسمح لك بذلك...
> طارت أخبار جهادك في بلادهم فأنت بيننا و بينهم سدا علينا...

---

12 -التميمي ، عبد الجليل . رسالة من أهالي ... م سابق ، ص 117.

13 -التر ، سامح عزيز. الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية . ترجمة محمود علي عامر. (بيروت : دار النهضة العربية ، 1989)، ص 82.

14 -التلمساني ، ابن رقية. مص سابق، ص 13.

15 سعيدوني ناصر الدين . *دراسات أندلسية . مظاهر التأثير الإيبيري و الوجود الأندلسي بالجزائر. (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 2003)ص 30.* كانت هذه البطارية مجهزة ب 14 مدفعا و له 17كوة منها 9 تواجه المرسى و 2 تقابل الناحية الجنوبية و 4 تشرف على مدخل الميناء و 2 تتحكمان في مدخل المدينة المعروف بباب الجزيرة انظر كذلك :

-Devoulx ,A : « La batterie des Andalous » . **RA** , 1872,pp 340-342 .

*أحمد بن القاضي الزواوي : تولى قضاء بجاية في عهد الحفصيين و قيل أنه هو من اتصل بعروج رفقة سليم التومي ، أمير كوكو ، قتل في معركة ضد خير الدين بثنية بني عائشة . أنظر سيرة المجاهد خير الدين . ص 104.

فإن الله سائـلك عـنهم يوم القيامة ... أيها الأميـر يتـعين جلوسك
في هذه المديـنة لأجل حراستها و الذب عن ضـعيف أهلـها و لا
رخصة لك في الذهاب عنهم و تركهم عرضة للعدو و الكافر..."[16].

لم يتردد خير الدين في طلب حماية السلطان العثماني "سليم الأول"*، فقد أدرك خير الدين أن الدولة العثمانية هي الدولة الوحيدة التي بمقدورها تدعيم سلطته الجزائر فاستحسن كبار المدينة و أعيانها القرار إذ حاول إقناع الأهالي قائلا لهم :

"أنتم رأيتم ما وقع من الملاعين الكافرين و لا يؤمن من عواملهم
و قـد ظـهر لي مـن الرأي أن نصل يدنا بطاعـة السلطان الأعظـم
مولانا السلطان سليم فيمدنا بالمال و الرجال و جميع ما نحتاج إليه
مـن آلة الجهاد و لا يكـون ذلك إلا بصرف الخـطبة إليه و صرف
السكة عليه ..."[17].

كان ذلك بمثابة اتفاق بين الأهالي و خير الدين و تم إرسال وفد الى السلطان سليم ، اختلفت المصادر في ذكر اسمه التي تذكر معظمها شخصية الحاج حسين[18] ، بينما من خلال رسالة أهالي مدينة الجزائر إلى الباب العالي قطعت الشك باليقين إذ أن السفير الذي أرسله خير الدين إلى السلطان هو أبو العباس بن أحمد بن القاضي** فهو شخصية عايشت الأحداث السياسية للبلاد و لا شك أن يكون قادرا على تصوير الوضع في الجزائر بمنتهى الدقة (الرسالة أنظر الملحق) :

"... أرسلنا إلى بابكم العالي الفقيه العالم المدرس سي أبو العباس
أحمـد بن علـي علي بن أحمد و نحـن و أمـيرنا خــدام أعتابكم ...

---

16 -مجهول. سيرة المجاهد ...، مص سابق ، ص 104.
* سليم الأول : 1512-1520 تاسع سلاطين آل عثمان.
17 -التلمساني ، ابن رقية. مص ، ص 14.
18 -ابن أشنهو عبد الحميد. دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر . الجزائر ، 1972 ، ص 143.
** ابن القاضي : من أعظم علماء الشريعة الإسلامية ، شارك إلى جانب عروج في حصار بجاية و كذلك محاربة حسن قارة بشرشال و حضر حصار الأسبان لتلمسان بقيادة دي مركيز De Marquiz و معايشته لأحداث الجزائر اختاره خير الدين كسفير و لديه إمكانية تصوير وضعية البلاد بدقة للسلطان.

و إن المذكور حامل المكتوب سوف يعرض لحضرتكم ما يجري
في هذه البلاد من الحوادث و السلام . أوائل ذي القعدة 925هـ ... "[19].

تفيض هذه الرسالة (بتاريخ أكتوبر 1519) بالولاء العميق للدولة العثمانية ، فالذي تزعم السفارة نيابة عن خير الدين; العالم ابن القاضي و هو من أكبر علماء الجزائر، فكان رد السلطان سليم بمنح لقب باي لرباي إلى خير الدين بربروس على الجزائر مدعما إياه بـ 2000 من الجنود الانكشارية، سلاح و مدفعية [20] كما تم تشجيع انخراط المتطوعين في صفوف مليشية إيالة الجزائر، ورفعت راية السلطة على مشارف المدينة و نودي على منابر مساجدها باسم السلطان و تحولت بذلك الجزائر إلى ولاية عثمانية.

فأصبحت الجزائر منذ ذلك الوقت قلعة لحركة الجهاد في البحر المتوسط و كذلك مساعدة مسلمي الأندلس ; ففي 1529 (936هـ) وجهت 36 سفينة في سبع رحلات للدولة العثمانية[21] و برز البيلرباي علج علي بمشروعه : " التفكير في إمكانية تقديم المدد لمجاهدي الأندلس ...تمكنوا من اختيار المتطوعين الاشتراك في ثورة البشارات 1569 و تمكن المتطوعون من النزول بشواطئ شرق الأندلس بنواحي المرية و مربلة ما بين 1569-1568 [22]

عمل خير الدين على تثبيت نفوذه و تركيز التواجد العثماني بالتركيز على جمع شتات منطقة المغرب الأوسط الذي تتواجد به قوى انفصالية متنفذة ، فلجأ إلى المواجهة المسلحة و مقاومة النزعة الانفصالية ، أهم تلك المواجهات كانت مع ابن القاضي[23] الذي نجح في الاستيلاء على مدينة الجزائر و انسحب خير الدين مؤقتا إلى جيجل.

---

19 -التميمي ، عبد الجليل. رسالة عن أهالي ... ن م ، ص 120.
الرسالة محفوظة في دار المحفوظات التاريخية باسطنبول – طوب قاي سراي – تحت رقم 4656.
20 -عيسى حسن. تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية. (عمان : الأهلية للنشر و التوزيع ، 2008) ص 513.
21 -عيسى حسن. ن م ، ص 515.
22 -سعيدوني ناصر الدين دراسات اندلسية م سابق ص 22
23 -كورين ، شفالي. الثلاثون سنة الاولىلقيام دولة مدينة الجزائر . ترجمة جمال حمادنة , (الجزائر :م ج د س)، ص ص 45-46

أمام هذه الصعوبات اضطر خير الدين إلى ربط تحالفات ظرفية مع آل المقراني التي ارتكزت في قلعة بني عباس و تطويق خصمه ابن القاضي و استعادة مدينة الجزائر سنة 1525 [24] كما استعاد نفوذه بشرشال و تنس ، كما واجهته مشكلة إخضاع قسنطينة التي تنازعتها مع السلطة الحفصية [25] .

بعد تخطي هذه العقبة حول أنظاره إلى الحامية الإسبانية المتمركزة بحصن البنون فوجه مدفعيته نحوها يوم 27 ماي 1529 [26] و بذلك أزال شوكة كانت عالقة ، و لم يكتف بتحطيمه بل أوصله بالساحل و أصبح يشكل رصيف ميناء الجزائر و بذلك تخلصت مدينة الجزائر من الضغط الإسباني.

كان طرد الإسبان من حصن الصخرة ، صدمة كبيرة زاد من مخاوف إسبانيا ، التي صممت الانتقام و شنت حملة بقيادة أندري دوريا André Doria على شرشال في 1531 مما اضطر إسبانيا إلى توقيع هدنة مع فرنسا لتتفرغ لتوجيه حملة على شرشال ، فهب خير الدين لنجدة المدينة و نظرا للدور البطولي و لمقدرته القتالية استدعاه السلطان سليمان القانوني إلى القسطنطينية [27] في 1535 ليعين وزيرا للبحرية.

فتحت هذه الانتصارات عهدا جديدا للمغرب الأوسط ، الذي دخل المرحلة الحديثة و تبرز ملامح الجزائر الحديثة .

أثارت القوة المتنامية مخاوف الدول الأوروبية عامة و إسبانيا خاصة لا سيما بعد هجوم خير الدين بربروس على جزر البليار سنة 1536 [28] و اجتياز مضيق جبل طارق و الانقضاض على السفن الإسبانية العائدة من العالم الجديد محملة بالغنائم (الذهب و الفضة).

---

[24] -دلندة الأرقش. م سابق، ص 35.

[25] -Feraud , Benjellab : « Les Benidjellab ,sultans de Tougourt » R.A 1879, p 256.

[26] -Haedo,Diego De . Histoire …..op cit P 41

[27] -Mercier, Ernest. H. de Constantine… Op cit , p 191

[28] -عيسى الحسن. ن م ، ص 520.

2- علاقة الجزائر بالباب العالي :

بانضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية أصبحت "وجقا" ، فوض فيها السلطان حكمها للبيلرباي ، و كانت ولاية متميزة و حاكمها ذو رتبة عالية.

علينا أن نحدد علاقة هذه الإيالة بالباب العالي طيلة فترة العهد العثماني من 1519-1830.

أ - المرحلة الأولى 1519-1671 :

مرت بثلاثة عهود و هي كالتالي (البيلربايات من 1519 إلى 1587 ، الباشاوات من 1587 إلى 1659 و فترة الأغاوات من 1659 إلى 1671).

ارتكزت الفترة الأولى أي البيلربايات على قوة سلاح الانكشارية ، سلطة متجهة إلى البحر، مصدر ثرواتها و طاقاتها البشرية المتجددة. تميزت الفترة الأولى بمتانة الروابط بين الإيالة و المركزية العثمانية رغم قوة البيلربايات من قوة الشخصية و قدرات عسكرية خارقة أمثال (صالح ريس ، حسن آغا ، علج علي ...)[.29]

انتمى جلهم إلى طائفة رياس البحر و قد نقل عدد منهم إلى الأستانة ليتولوا منصب قبطان باشا أو وزارة البحرية لكفاءتهم في قيادة الأساطيل البحرية مثل خير الدين و ابنه حسن باشا و العلج علي [30] امتدت الإيالة في عهدهم إلى الحدود التونسية و المغربية و إلى الواحات الجنوبية ، و يعود إليهم الفضل في تأسيس البحرية الجزائرية التي سيطرت على البحر المتوسط ما يقرب من ثلاثة قرون[31] . نزعة هؤلاء البيلربايات الجهادية جعلت أهالي البلاد يلتفون حولهم لا سيما في المناطق الساحلية المعرضة للحملات و الهجومات الأوروبية و ما إن أوشك القرن 16 على نهايته حتى تركز نهائيا في بلاد شمال إفريقيا.

---

[29] -الصلابي محمد علي. الدولة العثمانية عوامل النهوض و اسباب السقوط . الطبعة الاولى, دار الالنشر و التوزيع الايلامية 2001

[30] -بوعزيز ، يحيى .الموجز في التاريخ ... ن م ، ص 21.

[31] -شويتام أرزقي . المجتمع الجزائري و فعالياته في العهد العثماني 926-1246هـ / 1519-1830م .(الجزائر : دار الكتاب العربي، 2009) ص 34.

مع تزايد نفوذ البيلربايات خشي السلطان انفصال الولاية بعدما أصابها نوع من الضعف لا سيما بعد هزيمتها في معركة لبانت Lepante سنة 1571[32] ، فقرر التقليص من نفوذهم بأن حول السلطة إلى الباشاوات إذ حدد مدة حكمهم بـ 03 سنوات ، احتفظت سلطة الولاية بصفتها العثمانية، مع وضع حد لسلطة التفويض المباشر مع التوجه نحو حكم ذاتي دون أن تقطع الخيط الرابط بالمركز العثماني .

استغلت سلطة الباشاوات المشاكل التي تعاني منها المركزية باسطنبول ، أصبحت الطائفة العسكرية تتقوى على حساب الباشا الذي عجز على ضرب التمرد القبلي ، تمرد وصل إلى مهاجمة الجزائر في 1595 ، هذا الانتصار أدى بالسلطان إلى طلب الباشا مصطفى آغا و سجنه بالأستانة.

عرف النصف الأول من القرن 17م سلسلة طويلة من التمردات خاصة ما بين 1640-1644 ، اتهم محمد برصالي بتنظيم العصيان و لم ينج الباشا إلا باختبائه في أحد الجوامع[33].

لم تخل فترة الباشاوات من المشاكل الداخلية إذ تميزت بحدة الصراع بين الطائفة العسكرية البرية و البحرية و تمرد قبائل بايلك الشرق و الكراغلة ، فقد حاول خضر باشا عام 1596 الاستعانة بالكراغلة للقضاء على سطوة الانكشارية[34] .

إن تجرأ الباشا على فرض استخلاص إضافي على عائدات القرصنة أدى إلى اندلاع الثورة ، و تم تعيين حاكما على البلاد من الانكشارية باسم الآغا سنة 1659 ليبدأ عهد جديد عرف باسم الآغاوات ، تعرض كلهم إلى الاغتيال لعجزهم عن دفع مرتبات الجند ، كما تميزت هذه المرحلة بالضعف إذ تعرضت السواحل الجزائرية إلى حملات أوروبية أخطرها

---

32 -شويتام أرزقي . المجتمع الجزائري... ن م ، ص 35.

33 -عباد صالح . الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830. (الجزائر : دار هومة ،2007) . ص 124.

34 -Boyer, Pierre : « Le problème des kouloughli dans la régence d'Alger ».**R.O.M.M**, 1970, p 82.

كان حملة الدوق بوفور Duc Beaufortعلى مدينة جيجل عام 1664 [35] التي تكبد فيها الفرنسيون خسارة كبيرة لدرجة أنهم كانوا يشعرون بالعار.

تناوب على الآغوية أربعة آغاوات كلهم اغتيلوا ، عرفت الإيالة في هذه الفترة عدة اضطرابات على الصعيد الداخلي ، كتمرد الجند إذ عجز عن دفع مرتباتهم.

كما استاءت طائفة الرياس مما آلت إليه الإيالة خاصة الاعتداءات الخارجية كحملة بوفور المذكورة آنفا ، حمل الآغاوات مسؤولية الأضرار التي لحقت بالجزائر و الموانئ خاصة بعد حملتي فيفون و سبراق ، فتم اغتيال علي آغا لتقصيره ، و تم تعيين أحد أفراد طائفة الرياس حاملا لقب الداي ليبدأ عهد جديد.

ب ـالمرحلة الثانية 1671-1830 :

نتج عن ثورة 1671 تغيير لنظام الحكم و عين أول داي الحاج أحمد تريك (1671-1682)[36] رضي السلطان العثماني بهذا الوضع مكرها[37] بتثبيت اختيار الأوجاق و الاكتفاء بإصدار الفرمان و البعث بالسيف و القفطان . غير أن هذه المرحلة مرت بفترتين فترة سيطر فيها رياس البحر على منصب الداي من 1671-1689 ، و الفترة الثانية أصبح فيها الدايات يختارون من بين الانكشارية من 1689 إلى سقوط الإيالة [38] ، مثلما كان النفوذ المادي سببا في سيطرة رياس البحر على الحكم ، كان ضعفه (بعد تراجع عائدات البحر) سببا في إزاحتهم من السلطة.

35- Watbled, E : « Expédition du Duc Beaufort contre Djidjeli 1664 ». R.A 1873, p 218.

من أوجه التهديد و العار للفرنسيين ما جاء في أرشيف خارجية فرنسا AE/MD Alger 15 :

"الأطفال يقذفوننا بالحجارة و الرجال و النساء لا يهددوننا سوى بجيجري هم يقولون إياك و جيجري فإن الرؤوس تقطع هناك بالمناجل عبارات يترنمون بها في شكل أغنية باللغة الفرنكاوية و بلغة البلاد ... لكن يجب أن ترى سخرية الإسبان التي لا تحتمل في الواقع..."أنظر :

- قنان ، جمال. نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830. (الجزائر : المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1987) ، ص 105.

36- Gaid, Mouloud. L'Algérie sous les turcs. (Alger: Ed Mimouni , 1991) 2ème Edition , p 143.

37 -سعد الله أبو القاسم .جزائتاريخ الر الثقافي 1500-1830. الجزء الأول (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1998) الطبعة الأولى، ص 144.

38 -رحمونة بليل. العلاقات التجارية لإيالة الجزائر مع بعض موانئ البحر المتوسط "مرسيليا" و "ليفورن" من 1700 إلى 1827. رسالة لنيل شهادة الماجستير ،جامعة وهران ، 2001-2002 ، ص 01.

خلال هذه المرحلة ضعفت الروابط مع الدولة العثمانية ، و حافظت الإيالة على الحد الأدنى من استمرار العلاقات مع الباب العالي و كان الاكتفاء بإضفاء الشرعية عن طريق بعث الباشاوات و القاضي الحنفي (1671-1711) و إن كان وجود الباشا شرفيا فقط فهم مجردون من كل الصلاحيات[39].

مع مطلع القرن 18م حققت الإيالة المزيد من الاستقلالية تجاه الأستانة ، إذ رفض الداي "علي شاوش" (1710-1718)[40] سنة 1711 نزول الباشا الذي بعثت به اسطنبول إلى الجزائر و هو "شرخان إبراهيم" [41] على أساس أن وجوده بسبب الفوضى و الاضطرابات . هذه السابقة جعلت الدايات يتخلصون من الوصاية إذ أصبحوا يجمعون بين لقبي الباشا و الداي في ذات الوقت فقد سار الدايات نهج الحكام المستقلين فعقدوا المعاهدات دون العودة إلى الباب العالي ، و رفضوا في العديد من المناسبات الاعتراف بمعاهدات وقعها السلطان العثماني مع أطراف أوروبية كالمعاهدة المبرمة مع فرنسا سنة 1684 ، و التعامل مباشرة مع الدول الأوروبية ، و اعتبر دايات الجزائر أنفسهم حلفاء للسلطان لكن تثبيت التنصيب لم يكن إلا بعد وصول فرمان السلطان [42] و كذا السيف و القفطان ، فهذا الفرمان سيؤكد الوضع القائم و يضفي الشرعية.

3- التقارب الفرنسي العثماني :

يتصادف مجيء فرانسوا الأول François 1er إلى الحكم مع حدثين بارزين الأول استقرار الإخوة بربروس بالجزائر و الثاني الصراع مع الإمبراطور شارلكان ، فلم يجد أمامه سوى التقرب و التحالف مع الدولة العثمانية ، فمنذ سجنه بـ Pizzighettone [43] وجه رسالة إلى السلطان العثماني طالبا فيها النجدة و الاستغاثة من سليمان القانوني ، فكانت

---

[39] شويتام أرزقي. المجتمع الجزائري... م سابق ، ص 38.
-Watbled, Ernest : « Pachas , pachas Deys ». R.A 1873. P 144.
[40] -Gaid, Mouloud . op cit , p 155.
[41] -Plantet, E. Correspondance des Deys d’Alger avec la cour de France 1579-1833. T II. (Paris : 1889), pp 62-63.
[42] -شالر وليام . مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824 .تعريب و تعليق إسماعيل العربي (الجزائر : ش.و.ن.ت ، 1982) ص 43.
[43]- Castelot, André. François 1er . (paris : Ed France Loisir, 1983). P 365.

اللبنة الأولى للتحالف الكبير مع الأتراك ما أثار غضب المسيحيين في أوروبا و ذلك ما يعترف به فرانسوا الأول(44).

فكره الفرنسيين للإسبان أجبرهم على تمتين الروابط مع الأتراك ، فلم يجدوا وسيلة للانتقام من الإسبان سوى التحالف مع أعدائهم . لم ينس فرانسوا الأول وقوعه في الأسر على يد الإسبان في 24 فبراير 1525 (45) بعد هزيمة معركة بافيا Pavie * التي أسفرت عن مقتل 5000 جندي و أسر 20.000 ، و من ثم نقل إلى L'Abbay Augustinienne في سان باولو و منها إلى pizziguettone (46) في قلعة دالقادو حيث قضى واحد و ثمانون يوما.

أرسل الملك في شهر جانفي 1535 لافوري Jean de la Foret سفيرا دائما إلى القسطنطينية في مهمة مزدوجة أولها ضمان دعم خير الدين و أسطوله عندما تهاجم فرنسا إسبانيا و حلفائها ، و ثانيا حصول لافوري من سليمان القانوني على اتفاق تعاون سياسي و اقتصادي لمحاربة الإمبراطور ، و قد عرف الاتفاق الموقع بين الطرفين بمعاهدة الصداقة و الامتيازات Capitulations (ينظر الملحق)(47) ، و في هذا الخصوص صدر خط شريف (48) (مرسوم ملكي) يمنح فيه الباب العالي بعض الامتيازات لرعايا فرنسا النازلين بأراضي الممالك المحروسة.

تدعمت العلاقات الفرنسية – العثمانية في حرب الملك الفرنسي مع شارلكان خاصة بعد هزيمة هذا الأخير في حملته على الجزائر و ارتداده خائبا في أكتوبر 1541(49).

---

[44]- Castelot ,op cit, p 365 :

"لا أنكر أنني أرغب و بقوة في رؤية التركي العظيم مستعدا للحرب، ليس لأجله لأنه كافر، و إنما لإضعاف قوة الإمبراطور، و دفعه نحو نفقات كبيرة ، لإضعافه و ضمانة الحكومات الأخرى ..."

[45] -Ibid , p 214.

*بافيا : مدينة إيطالية في إقليم لمبارديا على نهر التسين Tessine هزم فيها ملك فرنسا ، و منها كتب رسالة إلى أمه جاء فيها عبارته الشهيرة : "سيدتي معركة فقدت فيها كل شيء إلا الشرف".

[46]- Ibid p 220.

[47] ANP/Marine B7 520(Levant ET Barbarie) : Traités de 1535 ,Feuillet595-621

[48]-المحامي فريد بك . تاريخ الدولة العلية . تحقيق إحسان حقي . (بيروت : دار النفائس ، 1981) ، ص 223.

[49] -المحامي فريد بك . ن مص . ص 223.

في ربيع 1543 أقلع خير الدين من مياه الأستانة بمراكبه و معه السفير الفرنسي بولان قاصدا مرسيليا التي جعلها قاعدة لقيادته و مقرا لأسطوله و سوقا بيعت فيها الغنائم التي حملوها معهم من إسبانيا و جعل قائد الأسطول الفرنسي الأمير فرانسوا دوبريون قواته تحت قيادة خير الدين[50] ، بعد أن غزا في طريقه سواحل صقلية ، استقبله الفرنسيون بكل إكبار و أقلع مع السفن الفرنسية إلى مدينة نيس Nice و فتحت عنوة في 21 جمادى الأولى 950 (22 أوت 1543) بعد ما طرد دوق سافواDuc de Savoie أذن لخير الدين باشا و مراكبه بتمضية الشتاء في طولون بعد أن غادرها أهلها بأمر من فرانسوا الأول في أكتوبر 1543 ، فأرسل قناصل طولون مذكرة إلى الملك معترضين قراره جاء فيها :

"إخلاء مدينتنا يعني موتها ، كان يكفي إيواء الأتراك مع
إجلاء النساء و الأطفال و الشيوخ إلى الضواحي ..." [51].

قدرت قوات خير الدين الرابضة في طولون ما بين 20 و 30 ألف رجل كما كانت رايات الهلال ترفرف ، و حوالي 110 قبطان (ريس) محاطين بالعبيد المسيحيين فتحولت طولون إلى اسطنبول.

و أعطي له 800.000 ريال فرنساوي للصرف على جنوده [52] و 300.000 ليرة كتعويض لسكان طولون [53] و كان هذا سببا في غضب الرأي العام المسيحي و اتهامه لفرانسوا بالمروق عن دينها و بدأت الدعاية المضادة للمسلمين حتى انتشرت أفكار أن خير الدين اقتلع أجراس الكنائس، فلم يعد يسمع في طولون إلا أذان المسلمين[54] ، فأبرم مع شارلكان معاهدة صلح (كريسي) في مارس 1544 ، فعاد خير الدين إلى القسطنطينية و توفي في 1546[55].

غير أن العلاقة بين الجزائر و فرنسا تغيرت في عهد حسن بن خير الدين الذي اتبع سياسة عدائية للدول الأوروبية ، مما دفع بفرنسا إلى إرسال سفيرها إلى الأستانة للتفاوض

---

[50] -حسن ، عيسى. م سابق، ص 528.

[51]- Castelot , A. op cit , p 427.

[52] -المحامي ، فريك بك. مص سابق . ص 237.

[53] -Castelot, A .op cit, p 428.

[54] -حسن عيسى ، ن م ، ص 528.

[55] -توفي خير الدين في 953 هـ و دفن في جهة بشكطاش على شاطئ البوسفور.

مع حسن بن خير الدين [56] و التعرف إذا ما كان هذا العداء سيؤثر على العلاقات الاقتصادية و الامتيازات الفرنسية في بايلرباكية الجزائر.

غير أن هذه المفاوضات باءت بالفشل رغم عروض فرنسا بتقديم الدعم للإيالة ضد الإسبان و المساعدة من أجل ترحيل مسلمي الأندلس إلى شمال إفريقيا ، و عند العودة إلى اسطنبول أثار السفير الفرنسي مخاوف السلطان ضد حاكم الإيالة المتمتع بالسلطة الواسعة ، فكانت النتيجة عزل حسن بن خير الدين و تولية صالح ريس في صفر 960 هـ/ يناير 1552م.

برر فرانسوا الأول أن تحالفه مع الأتراك جاء لأغراض إنسانية و ذلك ما جاء على لسان قنصله مونتلك Montluc في سينا Senat البندقية الذي عاتبه على ذلك الحلف [57] . ساهمت سياسة فرانسوا الأول في تحقيق الحرية الدينية و التجارية و الدليل معاهدة الامتيازات التي فتحت باب العلاقات ، فكانت هذه المعاهدة هي الأرضية التي ستبنى عليها العلاقات بين الباب العالي و القوى الأوروبية عامة و فرنسا خاصة ، كما فتحت باب المنافسة و بذل الجهود من أجل الحصول على امتيازات مماثلة.

تكرست هذه المعاهدة في 1569 لتجدد في عدة سنوات 1581 ، 1597 ، 1604 ، 1614 ، 1618 ، 1635 ، 1640 ، 1649 [58] حيث تم إدراج نقاط أساسية تؤثر على مسار الدول الإسلامية من بينها الحرية الدينية (زيارة الأماكن المقدسة و محاربة القرصنة).

هناك سؤال يفرض نفسه ما هي الدوافع وراء التحالف الغير الطبيعي بين الملك المسيحي و زعيم القراصنة ؟؟ هو تحالف حركته مصالح الطرفين التي رأت في شارلكان خطرا مشتركا ، يهدد الحدود الفرنسية ، كما أن التحالف تزامن مع استدعاء خير الدين إلى الأستانة و تعيينه قابودان باشا [59] في 15 أكتوبر1533 [60] و بذلك أصبحت مصالح الإيالة

---

[56] -حسن ، عيسى . م سابق، ص 531.

[57]- Boutin , Abel. **Relations commerciales et Diplomatique de La France avec la Barbarie 1515-1830**. (Paris : Ed A Pedone , 1902), p 265 :
" Le roi mon maitre ne cultive l'amitié des turcs que pour lui faire servir au bien de la chrétienté".

[58] -Boutin Abel. Op Cit, p 268.

[59] -Henrich. 0p Cit . p 14.

[60] -Sinan, Chaouch. Fondation de la régence d'Alger. Histoire des frères Barberousse « Aroudj et Kheir – Ed – Din ». Traduit de J. M. Venture de paradis. (Alger : Ed GAL, 2006). p 188.

مرتبطة و مصالح الباب العالي.

لقد ورد عن Sandoval [61] أن خير الدين قبل ذهابه إلى القسطنطينية وافق على تقديم خدماته و هدايا ثمينة لفرانسوا الأول (تحتوي على الأسود و النمور)، يتطرق إلى ذلك القنصل البندقي Marino Guistiniano [62] أن المبعوث بربروس التقى بالملك الفرنسي في Puy في جويلية 1533 ثم جاء المبعوث التركي إلى شاتلرو Châtellerault في ديسمبر 1534.

يبدو أن الاتفاق التركي الفرنسي سبق التحالف الجزائري بسبع سنوات لأن الأول تعود محاولاته إلى 1525 عندما أرسلت الملكة لويز Louise زوجة فرانسوا الأول سفيرا لم يكتب له الوصول إلى الباب العالي و مع أواخر1525 أرسل سفيرا آخر هو جان فرنجاني حاملا إلى السلطان رسالة من ملك فرنسا يطلب منه بكل تواضع أن يهاجم المجر. غير أن ذلك التقارب مع الإيالة سيتوقف في 1533 مع غياب سليمان القانوني الذي كان منشغلا في حربه ضد الفرس ، أما خير الدين فسينشغل بالحرب ضد النمسا بالاشتراك مع فرنسا.

و يذكر قوستنيانو Giostiniano أن الاتفاق المبرم بين فرنسا ، تركيا و بربروس ، ظهر فيه بايلر باي الجزائر كقوة ثالثة [63] إلى جانب فرانسوا الأول و سلطانه سليمان . كما تدعمت المفاوضات هذه بسفارة جون لافوري La Foret , J [64].

غير أن التوقيع على معاهدة قصر كامبرسيس Château Cambresis جعل فرنسا تؤكد على تقاربها مع إسبانيا خاصة بعدما انضمت إلى الحلف كل من البابوية ، جنوة ، فلورنسا و مالطا بحجة القضاء على القرصنة الجزائرية في البحر المتوسط.

و يبدو أن التقارب الفرنسي – العثماني – الجزائري قد تراجع بعد وفاة الملك هنري و ذلك من خلال مراسلة قنصل البندقية في الأستانة جون ميشال Michel , J في 1561 :

---

61 -Sander Rang et Denis. T II. p 212.

62- Ibid.

63 -Henrich . **L'Alliance Franco-Algérienne.** Paris ,1898. p 15.

64 -Ibid. p 106 , 26.

" منذ وفاة الملك هنري تراجعت علاقات الصداقة الفرنسية
التركية ، إذ وضع حدا لها ..."[65].

يتضح أنه مع أواخر القرن 16 م أصبح تحالف فرنسا مع المسلمين حملا ثقيلا على السياسة الخارجية الفرنسية ، فشتان بين سياسة فرانسوا الأول و الملك هنري الثاني.

فكيف ينظر العثمانيون و الجزائر إلى التحول في السياسة الفرنسية بتقربها من العدو اللدود ألا و هو إسبانيا ؟؟ . خاصة بعد تغير مقاليد الحكم من أسرة القيز Guises إلى يد الملكة الأم مع كاترين مديتشي Medicis التي وجهتها إدارة مدريد و التي ستنجر حتما إلى القطيعة مع الجزائر. و هذا ما سيجعل العلاقات الفرنسية – الجزائرية على المحك.

[65] -Henrich. Op cit p 106.

I الفصل الأول

الأوساط المتحكمة في تعيين القناصل

1. جذور القنصليات الأجنبية بالجزائر
2. الوسط التجاري
3. الوسط الديني
4. مرتبات القناصل

1- جذور القنصليات الأجنبية بالجزائر :

أ- العلاقات مع الدول الأوروبية قبل 1518 :

تعود العلاقات الجزائرية – الأوروبية إلى مراحل سابقة للفترة العثمانية ، فقد عقد حكام فرنسا معاهدة تجارة و ملاحة مع ملك بجاية خالد بن زكرياء بالإضافة إلى معاهدات مع المدن الايطالية (صقلية، بيزا...)[66] ، و كان أول قنصل فرنسي في مدينة بجاية هو بيار جوردان Pierre Jordon [67] ، و تمكن سكان مرسيليا من إقامة محطات تجارية في المشرق و شمال إفريقيا منذ القرن 12م [68] ، فمن خلال السجلات التي اعتمد عليها ماس لاتري Mas-Laterie لعائلة مانديال Manduel كانت تمارس التجارة مع (عكا، قبرص،الإسكندرية، تونس ، بجاية ، تلمسان و وهران) ، و كانت الحركة التجارية نشيطة مع الموانئ الفرنسية (مرسيليا ، ناربون Narbonne و مونبولي Montpellier)[69].

التجار البروفانسيين و اللنقدونيين لم ينتظروا تثبيت العلاقات التجارية الفرنسية – التركية ، بل زاولوا نشاطهم التجاري و وسعوه في مواجهة الكتاليين و الايطاليين [70]، و السيطرة على المبادلات التجارية (البزازة ، الشب ، الكبريت ، الشمع ، الصمغ العربي...) فمنذ العصور الوسطى كان يتم تعيين القضاة القناصل أو القناصل التجار أو قناصل البحار الذين يرافقون السفن التجارية الأوروبية[71].

كان هؤلاء يخضعون للتعيين من قبل سلطات بلادهم ، لا سيما القناصل الأجانب و يقيمون مع رعاياهم في "الفنادق" أو "الخان" ، كان تعيينهم في مرسيليا من قبل أول

---

[1]-Primaudaie Heli de la. Le commerce et la navigation avant la conquête française. (paris , 1860) , p146.

- Pechot (L) . Histoire de l'Afrique du Nord avant 1830 . Vol II, (Alger , 1914) , p 288.

يشير يوشو pechot إلى المواجهة بين المغرب الإسلامي العسكرية و العلاقات الدبلوماسية ص ص 288-294.

[2]- مولود قاسم نايت ، شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية قبل ج الاول ط1830. ، ص 8.

[68] -Mas- Laterie . Relation et commerce de l'Afrique septentrionale Maghreb avec les nations chretiennes au moyen âge .Paris, 1886, p 153.

[69]- Ibid.

[70] -Henrich Pierre. Op cit, p 109.

[71]- Watbled Ernest : " Aperçus sur les premiers consulats français dans le levant et les états Barbaresques ". **R.A**, 1945, p 20.

قاضي "بودستا" Podestat في المدينة [72] ، و كان القناصل يختارون من أهم العائلات المرسيلية الممارسة للتجارة أو السمسرة ، مع محافظة مرسيليا على استقلاليتها رغم إلحاقها و تبعيتها للكونت شارل أنجو Cte Charles D'Anjou وفقا للمرسوم XLIX [73] ، أصبحت وظيفة القنصل صفقة بيع و شراء منذ 1257 و التي تمارس عن طريق الوساطة أو دفع اللزمة [74] ، و قبل التوجه إلى مكان إقامته الجديدة عليه أداء القسم على "الإنجيل" دون مرافقة النساء[75].

غير أن هناك من كان له علاقات قبل الفرنسيين مع سواحل المغرب ألا و هم تجار بيزا Pise و عقدهم معاهدة مع أمير بجاية في 1167 بفضل المساعي التي قام بها التاجر كوكو قريفي Cocco Griffi [76] إذ حصل بموجب هذه المعاهدة على حق إقامة معمل و مركز للجمارك و قنصلية ، هذا ما شجع المدن الايطالية للتطلع لاستغلال هذه السواحل ، فوقعت هذه المدن التجارية على مجموعة معاهدات مع بجاية ، عنابة و تونس (مع جنوة في 1236، مع البندقية في 1251 و مع فلورنسا في 1252)[77].

هذه التجارة النشيطة شجعت المدينة الحرة "مرسيليا" على الانفتاح التجاري بإقامة محطات تجارية ، و يبدو من خلال ما يذهب إليه بلانتي Plantet أن التجار البروفانسيين تحصلوا من شيوخ قسنطينة و تونس في 1478 [78] على امتيازات أوسع من صيد المرجان في طبرقة و بجاية و هو الحصول على استغلال امتداد ترابي (على امتداد 10 أميال من الساحل)، مقابل بعض الإتاوات و هذا ما تستند عليه فرنسا إلى غاية 1830 في ما يعرف بحقها الإقليمي في الجزائر، و الذي يعتبر النواة الأولى أو البذرة للعلاقات الجزائرية – الفرنسية ، و تتدعم هذه العلاقات باتفاقية 1482 بين أمير بجاية و تونس مع لويس الحادي عشر Louis XI ، لكن التحدث عن نشأة القنصليات الأجنبية في الجزائر في الفترة قيد

[72]- Watbled Ernest. Aperçus sur… op cit t , p 22.
[8]- Ibid, p 23
[9]-Plantet E, correspondance … T II , op cit , p 02.
[10]- Primaudaie , le commerce … op cit , p 156.
[11]-Plantet E , correspondance … op cit , p XXVI.
[12]-Ibid , p XXVII.
[13]-Ibid.

الدراسة تجرنا إلى العلاقات الفرنسية العثمانية و انعكاساتها على الجزائر في العلاقات مع الدول الأوروبية.

منذ 1507 تعين قنصل فرنسا في الإسكندرية بيار بنات Pierre Benette [79] بتقديم طلب إلى السلطان با يزيد الثاني * من أجل حرية التجار الفرنسيين في الإمبراطورية العثمانية و بعدما أصبحت مصر ولاية تابعة للسلطان العثماني في 1518 تم التأكيد على امتيازات الفرنسيين ، و جاءت معاهدة 1535 لتتوج مساعي سفراء فرنسا بعد مفاوضات طويلة و قد نص البند الأول منها إلى توسيع الامتيازات إلى كامل الأراضي العثمانية بما فيها الجزائر :

البند : "قد تعاهد المتعاقدان بالنيابة عن جلالة الخليفة الأعظم و ملك فرنسا على السلم الأكيد و الوفاق الصادق مدة حياتهما و في جميع الممالك و الولايات و الحصون و المدن و الموانئ و الثغور و البحار و الجزائر و جميع الأماكن المملوكة لهم ... بحيث يجوز لرعاياهما ... التجول في الطرف الآخر و المجيء إليها و الإقامة بها ..."[80].

ب- بداية القنصليات :

كان هذا التقارب فرصة للفرنسيين لاستغلال هذا الحق لصيد المرجان من خلال الفرمان الذي أرسله السلطان إلى أمير أمراء الجزائر :

"تقدم الكفرة الفرنسيون بعرض حال للحصول على إجازتنا الهمايونية بشأن السماح لهم بصيد المرجان "سارقارز" الواقعة بين الجزائر الغرب و تونس حيث سبق للكفرة الجنويين إن كانوا يصطادون

79 -Plantet , E . Correspondance ... Op cit , p XXVIII.

* با يزيد الثاني : 1481-1512

80 -فريد بك المحامي ، مص سابق ، ص 224.

المرجان هناك من ذي قبل و عليه ، فقد أمرنا :
حال وصوله يجب السماح للكفرة الفرنسيين بصيد
المرجان ... و عدم التعرض لهم في ذلك السبيل
شريطة عدم إقامة أي قلعة ...شريطة أدائهم ضريبة
العشر على المرجان ..."[81] .

أسس بعض التجار المرسيليين حصن فرنسا Bastion كنقطة ارتكاز في 1560 من قبل التاجر لانش طوماس Thomas Linch أو Tommaso Lincio من كورسيكا مع التاجر المرسيلي ديدي Didié [82] ، حاولت فرنسا عن طريق سفراءها بالأستانة حمايته مما قد يتعرض إليه من تخريب من القبائل الشرقية كما حدث في 1604 و بالأخص في 1617 الأمر الذي أدى بملك فرنسا إلى إصدار قرار ملكي في 1618 [83] يمنع التجارة مع إيالات الجزائر، تونس و طرابلس.

مصالح فرنسا التجارية و تزايد أسراها في الجزائر لا يمكن أن يحميه سفراؤها في القسطنطينية رغم الشكاوي المتكررة لدى الباب العالي، فإستراتيجيتها لن تحقق أهدافها ما لم تعين من يمثلها في الجزائر، و سينجح السفير بترمول دو نرفوا Petromole De Narvoie في تعيين قنصل مرسيلي يدعى برتول Bartholle [84] الذي أخذ التعيين بموجب قرار ملكي من شارل Charles IX في 15 سبتمبر 1564 [85] ، غير أن أوجاق الجزائر و ديوانها رفضوا وجود شخصية أوروبية تحد من استقلاليتها و ذلك ما صرح به بيلر باي الجزائر حسن فنزيانو في 28 أفريل 1579 [86] التي بين فيها صداقته للملك هنري Henri III مع الامتناع عن قبول قنصل آخر في الجزائر، و يعد هذا الرفض تحد للباب العالي، فكان تعيين القنصل دون أن يباشر مهامه بالجزائر.

[81]- مهمة دفتري ، رقم 35 ، صحيفة 122 ، حكم رقم 314 بتاريخ 986 (تعريب داود التميمي).
[82]- Charles- Roux, F. France et Afrique du Nord avant 1830.(paris : Ed Felix, Alcan , 1918), p 62.
[83]- Grammont H –De : « Relation entre la France et la regence d'Alger au 17é siecle ». **RA** 1879, p18.
[84]- Busquet , Raoul . Les origines du consulat de la nation française à Alger. Marseille, 1927, p 06.
[85]- Masson, P . Histoire des établissements de commerce français dans l'Afrique Barbaresques 1560-1793. (Paris : Hachette, 1930) .p 55.
[86]- Plantet, E .correspondance ... T I, op cit . Pp 1-2.

لن تتوقف المساعي الفرنسية في الأستانة من أجل إقامة قنصلية بالجزائر، و يشرح السفير الفرنسي بترمول Petromole في رسالته للملك في 15 جويلية 1565 ضرورة تنصيب قنصل بالجزائر على غرار الإسكندرية و سوريا ، للتعرف على نشاط البحرية الجزائرية و حماية التجارة الفرنسية ، أما في رسالته الثانية بتاريخ 27 سبتمبر 1565 :

"إن من الأولويات إقامة قنصل بصفة دائمة بالجزائر ليكون عينا على هؤلاء القراصنة ..."[87].

سينجح السفير في إفتكاك تعيين ثاني في 1578 للمرسيلي صورون Sauron [88] بفضل جهود السفير أبي ليسل Abbé Lisle نستشف ذلك من خلال رسالته لملك فرنسا في 12 فيفري 1578 [89] لكن لن يعتمد هو الآخر، و يعتمد بوسكي Busquet على إجابة رسالة السفير إلى كاتب الدولة برتي Berthier على إصرار الملك هنري الثالث في 1580 بضرورة تعيين صورون و اعتماده رسميا قنصلا بالجزائر، و من خلال وثيقة أخرى (ضائعة من أرشيف غ.ت.م) تثبت أن صورون كان متواجدا في الجزائر في شهر ماي 1581[90].

لكن بالاعتماد على دوفولكس Devoulx في إحصائه للفرنسيين الذين أقاموا في الجزائر و الذي اعتمد هو الآخر على وثائق موثقية القنصلية الفرنسية بالجزائر أن الشخص الذي اعتمد و يعد أول قنصل قبل اعتماده بالجزائر هو بيونو Bionneau [91] ، غير أن هذا القنصل يتعرض للسجن بسبب خلافاته مع الديوان و استياء الملك الذي راسل الباب العالي عن طريق سفيره لانكوسم Lancosme في تقديم عريضة احتجاجات لدى السلطان (أفريل 1586) منها الاختلافات القضائية في القنصليات و تصرفات قراصنة الجزائر[92] المسيئة للراية الفرنسية.

---

87 -Watbled ,E . Aperçus sur… op cit , p 31.
88- Devoulx, A : « Relevé des principaux français qui ont résidés a Alger de 1686-1830 », RA 1872 p 357.
89 -Watbled, E .Aperçus sur… op cit , p 31.
90 -Busquet, R. op cit , p 7.
91 -Devoulx, A . Relevé … op cit , p 357.
92 -Watbled, E. Aperçus sur… op cit, p 33.

يبدو من خلال رسالة حسن فنزيانو أن هناك شخصا جاء إلى الجزائر لم يقبل اعتماده هو الآخر و لا يحدد دوفلوكس تاريخا مجيئه، في حين يذكر بوسكي Busquet أنه جاء بصفته نائب قنصل و هو ڤيـڤوتو Guighigotto سنة 1579 أو كما وجد اسمه في وثائق الأميرالية 1572-1573 بفرنسوا ڤيـڤـي Guiguillet, F ، تاجر مرسيلي و هو وكيل للقنصل صورون بالجزائر.

هي نفس الفترة التي تظهر فيها المساعي الفرنسية من خلال طموح كاترين دو ميديشي Catherine De Medicis في الحصول على إمارة لابنها هنري دوفالوا Henri de Vallois المعروف بدوق دانجو Duc D’Anjou [93] (أخ شارل التاسع Charles IX) و كان عله الاختيار بين بولونيا أو الجزائر.

لتحقيق ذلـك بـادر الملك إلى مراسـلة سفيره بالقسطنطيـنية داكس دو نواي Dax de Noaille [94] مقابل مبلغ مالي و هو في ذلك يسعى إلى التخلص من منافسة أخيه في عرش فرنسا.

نشأة القنصليات و مزاولة نشاطها يكتسي الغموض في المرحلة الأولى أما منذ قنصلية دوفياس Devias 1597 [95] و استمرار المراسلات الدبلوماسية بشكل عادي سمح بتتبع نشاط هؤلاء القناصل إلى غاية 1827 أي إلى قطع العلاقات بعد حادثة المروحة [96] أو ما يمكن أن نسميه بالكوميديا الدبلوماسية كان بطلها دوفال Duval و ليست بالحادثة الدبلوماسية.

يظهر أن المنافسة كانت حادة من أجل الحصول على منصب القنصل في الجزائر من خلال التعيينات غير المعتمدة لعدة أشخاص فرنسيين مثل بيار باسكال Pierre pascal

---

93 -Plantet, E. correspondance … op cit, p XXXIV.
94 -Grammont H -De. Histoire d’Alger sous la domination Turque. (Paris : E,Le Roux, 1887) , p 113.
95 -Devoulx, A. Relevé … op cit , p 357.
96 -Provençale Legié, la Djazairid. Poème en trois chants .vichy, 1874 :

Jamais coup d’éventail,
Sur terre et sur l’onde,
N’avait fait, jusque La tant de bruit,
Dans le monde.

حسب مرسوم جويلية 1596 و ديسمبر 1599، كذلك القبطان جون أوليفي Jean Olivier في مارس 1585 و مارس 1588[97].

أمام نجاح فرنسا في إنشاء و إقامة قنصلية في الجزائر (صورون) ظهر الانجليز على الساحة الدبلوماسية للمطالبة بامتيازات مماثلة و الذي منح لها في 1579 [98] أي للشركة التركية أو كما يسميها غرامون Grammont "شركة العشرين سفينة" و تعين وكيلها جون تبتون John Tipton في 1580 و الإشراف على المحطات التجارية الانجليزية في سواحل الجزائر.

يبدو أن إقامة القنصلية الفرنسية في الجزائر لم يكن بالأمر السهل مثلما هو الأمر بالمشرق، بسبب تزايد سطوة بحارة الجزائر الذين وصفهم لافيني M. De La Vigne إلى هنري الثاني Henri II "بأوباش و أنذال الجزائر"[99]. كما أن تعيين أول قنصل بالجزائر تزامن مع وجود لانش Linch مؤسس الباستيون [100] و قد تكون هناك علاقة خفية في دور هذا الأخير في عرقلة استقرار القنصل بالجزائر فهو يعتبر نفسه أهم تاجر و ممثل لمصالح فرنسا بالجزائر.

جـ - نيابة القنصليات :

[97]- Masson, P. H .des Etbls … Op cit , pp 57- 58 بالاعتماد على
-ANP / Marine B7 49 (provision de consul).
[98] -Grammont, H –De. H .d'Alger… op cit.
[99]- Masson, P. H des …. Op cit , p 55.
[100] -Ibid , p 56.

بالنسبة لإقامة نيابة القنصلية الفرنسية في وهران فكانت في فترة متأخرة أي مع بداية القرن 18م (1704)[101]، و يعين أول نائب قنصل من قبل القنصل الفرنسي بأليكانت لأن وهران كانت تحت الاحتلال الاسباني.

كان لهذه المحطة دور في العلاقات السياسية بين الجزائر و الدول الأوروبية ، لا سيما بعد التحرير الأول لوهران (1708) ، إذ تحصلت بريطانيا على امتياز ممارسة التجارة و تصدير الحبوب من وهران نحو قواعدها بالحوض الغربي للمتوسط ، و تظهر هنا مساعي القنصل الفرنسي كليرمبولت Clairaumbault للحصول على امتيازات مماثلة ، غير أنها باءت بالفشل ، و ذلك ما توضحه رسالته إلى حكومته في 04 جوان 1708 :

> "رفض الداي تجارة الفرنسيين بوهران ، لكن إذا اضطرت الظروف أو العواصف السفن الفرنسية على اللجوء إلى هذا الميناء فستجد الحماية الكاملة ، و سأعلم بذلك قنصلنا في قرطاجنة السيد دوماس Dumas بإعلام و تحذير بقية القناصل بعدم الذهاب إلى وهران ..."[102].

و لم تتمكن فرنسا من إقامة نيابة قنصلية بوهران إلا بعد إحدى عشر سنة أي بعد مفاوضات دوسو Dussault و التوقيع على معاهدة 1719 [103] لتكون تابعة للقنصلية العامة بالجزائر و يعود هذا إلى دسائس و مؤامرات القنصل الانجليزي الذي أراد الاستحواذ على احتكار التجارة و تزويد حامياتها بجبل طارق و ماهون* :

> "تلقى قائد قواتنا في 1708 تعليمات تتمثل في أن أكبر الخدمات التي يمكن أن يقدمها لبلاده هي تأمين الحصول

---

[101]- Pestemaldjoglou, A : « le consulat français d'Oran de 1732 à 1754 ». R .A, 1942, p 221 :

كانت نيابة القنصلية بوهران تابعة و تستمد تعليماتها من القنصلية العامة بقرطاجنة باسبانيا كما أن السجل الخاص بهذه القنصلية موجود بالأرشيف الوطني بباريس في رصيد البحرية : ANP/ Marine B7 928

[102] -Grammont, H- De. Correspondance des consuls d'Alger (1640-1742) .(Alger : A,Jourdan,1890) . p 119.

[103]- Lespes , R . Oran, ville et port … op cit, p 324.

* ماهون : احدى جزر البليار

على الحبوب – من وهران – التي تحتاجها قواتنا ويجب
أن تعرقل فرنسا في الحصول عليها ..."[104].

و بموجب معاهدة 1719 تم ترشيح السيد ناتوار Natoire* لنيابة القنصلية بوهران و قد قدمه القنصل إلى باي وهران [105] - مصطفى بوشلاغم- عند زيارته للجزائر بمناسبة أداء الدنوش** . و مع ذلك لن تتمكن فرنسا من تنفيذ ما جاء في معاهدة 1719 إلا بفضل أحد التجار من اللنقدوق Languedoc و إقامة بيت تجاري بوهران في 1723 [106] و تسييره من قبل بيار دومينيك Pierre Dominique الذي استقبله الباي أحسن استقبال و سمح له بتصدير الحبوب من وهران ، و تمكنت فرنسا خلال هذه الفترة من شحن كميات كبيرة من القموح باتجاه مرسيليا ، لكن نشاط هذا التاجر سيتوقف في 1730 بسبب تواطؤ موثق القنصلية ناتوار Natoire [107] الذي لم تكن من نصيبه نيابة قنصلية وهران و إنما لصالح دودو Dedaux *** بتوصية من الداي للباي بوشلاغم.

و تستمر نيابة القنصلية إلى غاية 1732 أي بسبب الاحتلال الاسباني من جديد لوهران و المرسى الكبير[108]،لكن يستمر وجودها في ظل ظرفية جديدة.

يبدو أن نيابة القنصلية الفرنسية في شرق الإيالة كانت أقدم بحكم قدم المؤسسات الفرنسية ، كان مقرها عنابة بالنسبة لنائبي القنصلين الفرنسي و الانجليزي ، و يظهر ذلك من خلال النزاع حول منزل عنابة بين فرنسا و انجلترا ، و قد يستقر نائب القنصل أيضا في القالة ، و

---

104 -Fisher, G eodfrey. Légende Barbaresque: Guerre, commerce et piraterie de 1415à1830.Traduit par Farida Hellal. (Alger : OPU, 1991). p 374.

*ناتوار Natoire : موثق القنصلية الفرنسية بالجزائر من 26 نوفمبر 1718 ، خلف دوران Durand في تسيير القنصلية بعد وفاته في ديسمبر 1730.

105 -ACCM. Série J, Art 1881. Objet : Alger affaires divers 1620-1728.

الدنوش هي ما كان يدفعه البايلكات الثلاثة من ضرائب لدار السلطان و هي نوعان دنوش كبرى يقدمها البايات كل ثلاث سنوات و ** الدنوش الغرى يقدمها خلفاء البايات كل ستة اشهر في الربيع و الخريف

106 -Lespes, R. Oran, Etude de géographie et d'histoire urbaine. Alger, 1938, p 87, 565.

107 -Pestmaldjoglou, A .op cit , p 222.

*** دودو Dedaux : 1727-1732.

108- Sandoval ,Ch . De : « sur la reprise d'Oran ». R.A 1864, p225.

ذلك ما يذكره كوكوفستوف Kokovostov [109] الضابط الروسي عند زيارته لشواطئ الشرقية للجزائر.

د- سيطرة الوسط المرسيلي :

ما يلاحظ عن تعيين القناصل خلال القرن 16م هو سيطرة الوسط المرسيلي على وظيفة القناصل في الجزائر و إيالات شمال إفريقيا (طرابلس و الإسكندرية باعتبارهما أغنى محطة تجارية)[110] ، و ما يفسر هيمنة الوسط المرسيلي في اختيار و تعيين القناصل الفرنسيين هو احتكار المرسيليين للتجارة الفرنسية مع الجزائر و ارتباط هؤلاء التجار بمركز رأس المال الذي حركته الدوائر المرسيلية و على رأسها (غ.ت.م).

تتأكد هذه السيطرة من خلال إشراف هذه الغرفة منذ إنشائها في 15 أوت 1599 في عهد هنري Henri IV [111] ، التي ارتبط إنشاؤها بتعيين 04 نواب ، فكل القناصل الأوائل مرسيليين [112] و من كان ينوب عنهم حتى في الفترات اللاحقة أيضا تجار مرسيليين ، و مثلما تطرقنا سابقا إلى التراخيص التي كانت تمنحها غ.ت.م للأشخاص الذين يرغبون في الإقامة في الجزائر و بطلب من القناصل بالاستناد إلى المراسيم الملكية التي تعطيها صلاحيات واسعة بالسماح أو الرفض بالإقامة[113].

109- Canard, M. « Une description de la cote Barbaresques au XVIIIé siecle par un officier de la marine kokovostov » **RA**, 1949, p 116 :

بعد عنابة ذهب كوكوفستوف بالسفينة إلى القل و منها إلى الباستيون و القالة حيث يقيم نائب القنصل الفرنسي و هو تابع للقنصل العام في مدينة الجزائر.

110 -Watbled ,E .Aperçu … op cit , pp 28-29.

111 -Tessier, O . Inventaire des archives de la chambre de commerce de Marseille , Bibliothèque de l'école des chartes , N° 41 , 1881 , p 272 :

المبنى التاريخي لهذه الغرفة الواقع بالشارع الفرنسي لاكونبيار La Cannebière بالقرب من الميناء القديم vieux port ، أصبح ميناءا حرا port franc في 1669 ، و كان مركز التجارة المتوسطية مع شمال افريقيا و المشرق.

112- Devoulx , A . Relevé … op cit .

113 -Devoulx, A. Archives du consulat general de France a Alger. (Alger : Bastide, 1853), N° 11, 26 , 36 ….

و يظهر تبني الغرفة للتجار الفرنسيين ، بل حتى في إدارة العلاقات الجزائرية – الفرنسية ، إذ يظهر في إشرافها و رأيها في تعيين القناصل بموجب قرارات حكومية (03 سبتمبر 1721) و كذلك بفرض تطبيق حقوق القنصلية (01 جانفي 1722)[114].

سنتطرق لاحقا – في مبحث الهدايا القنصلية – إلى تكفل الغرفة التجارية بمرسيليا بتقديم الهدايا الدورية (العادية) لمسؤولي الإيالة في كل مناسبة و ذلك ما يرد في وثائق القنصلية الفرنسية بالجزائر[115] ، لقد أدرك نواب هذه الغرفة دورها في تمتين الروابط التجارية مع الإيالة و دور القناصل في الحفاظ على هذه المصالح ، كما كانت الجزائر و شؤونها دائما مدرجة في جدول أعمالها[116].

أثرت مسألة الأسرى و المصالح التجارية على علاقات الجزائر مع أوروبا ، و لهذا تعددت الأوساط المتحكمة في تعيين القناصل الأوروبيين لا سيما بالنسبة لفرنسا و انجلترا بعيدا عن أي تكوين دبلوماسي من القرن 16م إلى نهاية القرن 18م.

114 -Grammont, H- De .correspondance … op cit , p 165.

115 -Devoulx, A. Archives du … op cit, p 52,54,124… :
"رأينا أنه من اللائق و الضروري لصالح الدولة و التجارة و لملاحتنا تقديم شراشف و أقمشة بقيمة (200 بتاك شيك) إلى وكيل الخرج و يحولون إلى حساب غ.ت.م".

116 -Julien, Ch- A : « Marseille et la question d’Alger à la veille de la conquête ». R.A, 1919, p 18.

*اليزابيث Elisabeth : 1533-1603 ابنة هنري الثامن و ان بولين شجعت الادب الفن التجارة و التوسع الاستعماري

** مراد الثالث : 1546-1596

2- الأوساط المتحكمة في تعيين القناصل

ا-الأوساط التجارية :

❖ الوسط الانجليزي :

تحكمت المصالح التجارية بقسط وافر في تعيين القناصل من الأوساط التجارية ، فانجلترا التجارية دخلت بكل ثقلها في البحر المتوسط منذ أواخر القرن 16م ، إذ تبنت الملكة إليزابيث Elisabeth I * سياسة التقارب من الدولة العثمانية و التوقيع على معاهدة امتيازات مع السلطان مراد الثالث **[117] ، معاهدة مماثلة كتلك التي تحصلت عليها فرنسا في 1535 ، و إن كان فيشر Fisher يذكر بأنها وقعت بين ملكة انجلترا إليزابيث و السلطان أحمد.

هي نفس الفترة التي كثرت فيها شكاوي ملك فرنسا هنري Henri IV من تعرض الباستيون Bastion إلى التخريب من طرف قبائل المنطقة عن طريق سفيره في القسطنطينية جاك جرميني Germiny J بمراسلة الملك في 25 جويلية 1579 إلى السلطان مراد الثالث [118] ، و يلح لاحقا أي في 1597 بضرورة التأكيد على معاهدة الامتيازات الأولى من خلال مساعي سفيرها سافري برفس Savary Breves [119].

يبدو أن انجلترا منذ بداية علاقاتها مع الإيالة نصبت قناصل من الوسط التجاري : إما أنهم ممثلون لشركات تجارية كبرى أو هم تجار بذاتهم ، يمكن أخذ نموذج من أول قنصل و هو جون تبتون John Tipton * منذ 1580 [120] كوكيل للشركة التركية المعروفة بالشركة الشرقية Levant Compagny ، و إن كان تأسيس هذه الشركة في فترة لاحقة

---

117 -فريد بك المحامي ، م سابق، ص 260 :
امتياز خاص حظيت به السفن الانجليزية و السماح لها بدخول المرافئ العثمانية و هي تحمل العلم الانجليزي ، كان هذا محظور من قبل لا يسمح به إلا للسفن الفرنسية و البندقية.

118- Plantet, E . correspondance …T I , op cit , p XXX.

119 -Ibid.

120 -Fisher, G. op cit, p 175.

* تبتون : مثل انجلترا أحسن تمثيل و تمكن من توسيع نفوذها و مصالحها في الموانئ المجاورة لميناء الجزائر ، أثناء رحلته إلى القسطنطينية قتل في خليج البندقية من قبل الطاقم اليوناني لسفينة ديانا Diana.

لهذا التاريخ، و تعرف أيضا بالشركة البربرية المؤسسة منذ 1585 [121]، و يتأكد هذا التعيين من خلال رسالة توصية خاصة من مدراء نفس الشركة و هما (السيد أسبورن Edward Osborne و اللورد مايور Lord Mayor) من لندن إلى حسن باشا بخصوص تبتون Tipton في 20 جويلية 1584 [122] و هما يتمنيان تطور و انتعاش العلاقات بإقامة السلم بين البلدين.

كان هذا القنصل يتلقى تعليمات من المجلس الخاص (في أكتوبر 1589 و جوان 1590) كما يعتمد فيشر Fisher على وثيقة تعود إلى 1584 حول حقوق القنصلية 1.5% على البضائع الانجليزية التي تدخل الجزائر و التي يجب دفعها إلى موظف سامي يعرف بقاضي المسيحيين Juge des chrétiens [123].

يؤكد فيشر باعتماده على أرشيف "المجلس الخاص" أن الملكة إليزابيث Elisabeth I كانت لها مصالح خاصة في نشاط الشركة الشرقية خاصة في مينائي الجزائر و تونس باعتبارهما محطة توقف Port de Relâche في إستراتيجية انجلترا المتوسطية ، و بذلك تتضح المصالح التجارية للطبقة الحاكمة و من الضروري حماية مصالحها و الإشراف عليها بوضع أمور القنصلية بيد أشخاص عارفين بأمور التجارة.

تم التركيز على اختيار الممثلين الدبلوماسيين من الوسط التجاري ليكونوا أكثر حرصا على المصالح التجارية ، و تسهيل مهام التجار الانجليز إذا ما حطوا بالجزائر و ذلك ما نجده في مذكرات أحد التجار الانجليز و هو لورانس ألدرسي Lawrence Aldersey الذي جعل من الجزائر محطة عبور في سنة 1586 :

"...أقمت عند تبتون Tipton قنصل الأمة الانجليزية الذي عاملني بكل حفاوة و ترحاب و على حسابه الخاص ، كما

121 -قدوري، عبد المجيد. المغرب و أوروبا... ، م سابق، ص 292.

122 -Morgan, J. A complete History of Algiers. London, p 580.

123- Fisher, G .op cit, p 175.

اصطحبني إلـى بلاط المـلك – يقصـد البايلر باي فـي قصـر الجنينة – لأتمكن من معرفة عادات القصر ..."[124].

أولويات التجارة الانجليزية دفعت بالقناصل التجار إلى التقرب من حكومة الإيالة و الحصول على تسهيلات للملاحة الانجليزية ، و ذلك ما نستشفه من المساعدة الخاصة التي لقيتها السفن الانجليزية الخمسة عند رسوها بميناء الجزائر في 1586 [125] بعد معركة بحرية ضارية مع السفن الاسبانية - عدو عدوي صديقي - ، كما لا يمكن تجاهل دور السيد فرانسيس ولنقهام Françis Walinigham في إعادة تنظيم الشركة التركية لتفعيل نشاطها التجاري ، بوضع عدد من القطع البحرية الانجليزية لحماية السفن التجارية [126] ، هذه القطع التي تمكنت من مواجهة السفن الاسبانية في كل من صقلية و جبل طارق ، فالشركة الشرقية هي المسؤولة عن تعيين القناصل في المدن و الموانئ العثمانية و هي نفسها المسؤولة عن دفع رواتبهم [127] كما تفعل غ.ت.م .

كان القنصل فريزل Frizell على شراكة مع أحد التجار الذين كانوا يحتكرون نسبة كبيرة من التجارة الانجليزية مع إيالتي الجزائر و تونس و هو التاجر ليت Leate خاصة في تجارة افتداء الأسرى.

سعى القناصل الانجليز إلى الإبقاء على سياسة التقارب مع الإيالة من أجل ضمان توقف سفنها و الحصول على مساعدة التموين ، و ذاك من خلال تقرير الأميرال باك Amiral Bake الذي اضطر للتوقف بميناء الجزائر للتزود بالمؤونة ، فأنزل شخص اسمه براون M. Brown و هو ذات الشخص الذي سيعينه للإقامة في هذه المحطة التجارية إلى حين موافقة الملك على تعينه كقنصل[128] هذه الموافقة التي ستأتي في ديسمبر 1655 بأجر 400 جنيه .

---

124 -fishe.op cit,p175.
125 -Ibid p 176, 181.
126- Ibid , p 300.
127 -وولف ، ج م سابق، ص 250.
128- Ibid, p 300.

فالجزائر محطة توقف ضرورية للأساطيل الانجليزية في البحر المتوسط بحكم موقعها وسط إيالات شمال إفريقيا إلى أن تتمكن من إقامة محطتين في غرب المتوسط (جبل طارق و تطوان) و ذاك ما سيزيد في دعم موقعها و موقفها في الملاحة الدولية.

فالجزائر في الكتابات الانجليزية للقرن 17م تعد "جوهرة" و مدينة غنية ، حتى ظهر بعض الأسرى سباقين بمشاريع و اقتراحات لاحتلالها برا و بحرا أمثال فرانسيس نايت Françis Knight * و ما يمكن أن تحققه هذه المنطقة لصالح انجلترا.

كما أن أولويات الاهتمام بالمسائل التجارية ليس معناه إهمال شؤون الأسرى الانجليز، فبانتي Pananti يشيد بمعاملة القنصل ماكدونال Mc. Donnel [(129)] ،الذي استقبله بمقر إقامته و إكرامه.

ما يؤكد تحكم الأوساط التجارية الانجليزية في تعيين القناصل في الجزائر، ما حدث بالنسبة للقنصل وارد Ward الذي عينه باركر Parker بتأثير و دعم من قبل ستة و ثلاثون تاجرا لندنيا لدعم قرار تعيينه [(130)] ، كما ينتمي القنصل كول Cole R إلى عائلة من كبار التجار اللندنيين ذوي التأثير القوي على سياسة انجلترا الخارجية من بينهم (أزراكول Ezra cole تاجر بأزمير في 1686 ،جون كول Cole John تاجر في مالقة 1672 و الجزائر منذ 1669 ، و جورج كول Cole George...)[(131)] و ما يبين تأثير هذه العائلة سياسيا ارتباطها بشارل كول Cole Charles الكاتب في البلاط الانجليزي ، كما كان لهذه العائلة

---

*فرانسيس نايت knight : تاجر انجليزي وقع في أسر بحارة جزائريين بقي أسيرا من (1631 إلى 1637) و هو صاحب مذكرات :
-A Relation of seven years slavery under the turks of Algiers suffred by an english captif merchant. London , 1646 أنظر
- Ghettas Aicha: « Le regard d'un captif Anglais sur Alger durant la première moitie du xvii° siècle », the movement of people and ideas between Britain and the Maghreb», 2002, pp 25-31.

129- Pannanti Signor . **Narrative of a residence Algiers**. London, 1830 , pp 76-77 :
"The represent british government, and defend the rights of the greatest naval power of the universe, few consuls has exercised a larger share of influence amongst these barbarians".

130- Fisher, G . op cit , p 323:
من بين المساندين لقرار التعيين لوارد Ward كل من : جون وستلهوم Wolstenholme رئيس الجمارك و القبطان روبير ستار Starr Robert وكيل الكومنولث بالمغرب و الذي سيعين فيما بعد قنصلا.

131 -Heywood, Collin: « an english marchant and consul … op cit, p 51.

علاقة بيهود ليفورن [132] كما كان كريستيان Christian Cole كاتبا لدى دوق منشستر Manchester.

بالإضافة إلى العلاقات القديمة لهذه العائلة مع مناطق شمال إفريقيا ، و هو في ذات الوقت تاجر له صفقات فقد سير شؤون القنصلية بعد وفاة أرليسمان Erlisman إلى حين مجيء بايكر Baker . لا يمكن تجاهل دور و مساعي كول Cole من أجل تمتين العلاقات البريطانية مع الإيالة في عهد الملكة آن Anne * [133] و ذلك من خلال رسالة جون جنقنز John Jenings للداي يتشكره فيها لتأمين حاجيات الحامية الانجليزية في ماهون و جبل طارق ، و عندما مرض كول كتب أخوه طوماس Thomas إلى كاتب الدولة الانجليزي ليعين بدلا منه [134] حفاظا على المصالح التجارية للعائلة.

الوسط الفرنسي

منذ القرن 16م كان تعيين القناصل الفرنسيين في المحطات المتوسطية من المرسيليين من قبل قاضي مرسيليا Viguier [135] باقتراح من أعيان المدينة. و لم تصمد سياسة ريشيليو Richelieu في وجه سياسة الإيالة التي رفضت التوقيع على السلم مع المفاوض نابولون صونصون Napollon S ** في 1626 إلا بشروط سنتحدث عنها في مبحث آخر ، لكن أمام ضغط الوسط التجاري الفرنسي (المرسيلي) و الخسائر التي منيت بها التجارة الفرنسية :

> "لقد أكد الملتمســون الذين كتبوا العريضة للملك الفرنســي
> لويس Louis XIII علــى أن الخسائــر ليست فقــط علــى
> مدينة مرسيليا بل كل المدن الساحلية (سان مالو St Mallo

[132] -Heywood collin. Op cit ,p 51.

*آن Anne : 1665-1714 من أسرة ستوارت ، زوجة أمير الدانمارك جاك في عهدها ضمت مقاطعة ايكوس Ecosse ، فأصبحت انجلترا تعرف ببريطانيا العظمى في 1707.

[133]- Fisher, G. op cit, p 376.

[134] -Heywood, C. op cit, p 63.

[135] -Windler, Christian. La diplomatie comme expérience de l'autre. Consuls français au Maghreb (1700-1840). (Genève : Ed Droz, 2002), p 35.

** نابولون Napollon : جاء للمفاوضات مع الجزائر منذ 1623 ، قتل في 11 ماي 1633 أثناء الغارة التي دبرها ضده الجنويين الذين استقروا في طبرقة و كانوا ينافسونه في تجارته في صيد المرجان.

هافر Havre ، روان Rouen ... و أصبــح عدد الأسـرى الفرنسيين يزيد عن 6000 أسير "[136].

أمام هذه الوضعية أرسلت فرنسا صونصون نابولون في 1628 رفقة 03 سفن محملة بالهدايا و الأسرى المسلمين و توزيع 50.000 جنيه على العناصر النافذة في الإيالة [137] ليتمكن في الأخير من التوقيع على معاهدة 19 سبتمبر 1628 [138] ، و يبدو أنه نجح أيضا في التوقيع على (معاهدة خاصة بالباستيون) و هي المعاهدة التي اعتبرها الكاردينال ريشوليو Richelieu منافية لكرامة فرنسا فسعت هذه الأخيرة إلى إجراء تعديلات على المعاهدة لكن هذا لم يتم بسبب موت نابولون[139].

كان القناصل الأوائل (خلال القرن 16) أمثال شايس Chaix * يبعثون بتقاريرهم إلى غ.ت.م بدلا من بعثها إلى الملك ، رغم أنه تحصل على قرار التعيين من الملك هنري Henri III في 15 فيفري 1595[140].

رغم أن القوانين تمنع القناصل الفرنسيين من ممارسة التجارة إلا أن البعض مارس هذا النشاط إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، و كنموذج لدينا القنصل فاليير Vallière من خلال وثائق الأرشيف الوطني بباريس تحت عنوان "ملاحظات حول المواطن فاليير بالجزائر"[141] في 12 fructudor an IV ** الذي يثبت عن طريق الوثائق الصفقات

---

136 -ANP / Marine B7 49.

137- Cat, E. Histoire de l’Algérie ,Tunisie-Maroc. (A Algérie : Ed A Jourdan ,1889) . p 281-282.

138 -قنان جمال ، المعاهدات ... ، م سابق، ص ص 266-268

- Grammont, H -De : « La mission de Sanson Napollon 1628-1633 » , R.A , 188 ,p 369.

139 -قنان جمال ، المعاهدات ... ، ن م ، ص 65.

*شايس Chaix : دكتور في القانون و نائب قنصل مع أنه سير شؤون القنصلية بعد رحيل دي فياس De Vias في 1680 ، و يبدو أنه قتل في انتفاضة الجزائريين ضد الفرنسيين في 1622 أنظر :

- Devoulx, A. Relevé … op cit , p 357.

140 -ABDR / B 3339. F° 44 : Lettre confirmant à jacque vias , la charge de consul à Alger et cote de barbarie par la feu Henri III . Paris 15 février 1595.

141- AE/ CC Vol 32 : 12 fructudor an IV تقرير 12 فركتدور العام الرابع

** لما جاءت الثورة الفرنسية استغنت عن التاريخ الميلادي ، ابتكرت رزنامة جديدة "الرزنامة الثورية" انطلاقا من سنة قيام الجمهورية و استدل على الشهور بدلالات فصلية و هو يعكس أراء فلاسفة التنوير و مناداتهم بالرجوع إلى الطبيعة : //

// Vendimaire du 22 septembre au 21 octobre.
Brumaire du 22 octobre au 20 novembre.
Frimaire du 21 novembre au 20 décembre.

التجارية لحسابه الخاص و لصالح مايفرن Meifrun سمسار الجمهورية "فهما شريكان" ، و يبدو أنه خالف القوانين الفرنسية و مارس التجارة منذ أن كان نائب قنصل في طرابلس ، و هناك تسبب في إفلاس 03 تجار لا زالوا يطالبونه بالتسديد.

نفس الأمر يؤكده التقرير الذي كتبه المبعوث فوق العادة هركولي Herculais ، أنه وجد في منزل القنصل كميات من الخشب خاصة بالقنصل (142) اشتراها من غنيمة انجليزية ، و قد طلب المبعوث هركولي من القنصل الجديد التحقيق في القضية.

و في الكثير من المناسبات تولى كبار التجار بعض المناصب في القنصلية ، فكانوا موثقين أمثال مايفرن Meifrun (143) بقرار تعيينه في 21 مارس 1768 خلفا لأرميني Armeny و رغم نصبه كموثق إلا أن هذا لم يمنعه من ممارسة نشاطه التجاري(144).

و قد كلف فيما بعد بإدارة شؤون القنصلية الفرنسية في غياب القنصل من 1777 إلى 1782 بقرار من كاتب الدولة للبحرية الفرنسية.

في الكثير من الحالات لجأ كولبير Colbert إلى تعيين من كان على رأس إدارة الباستيون مثل دوسو Dussault ، ثم من جاء بعده سورنهاد Sorhaind بالانتداب إلى حين وصول القنصل الجديد.

Nivose	du 21 décembre	au 19 janvier.
Pluviose	du 20 janvier	au 18 février.
Ventose	du 19 février	au 20 mars.
Germinal	du 21 mars	au 19 avril.
Floreal	du 20 avril	au 19 mai.
Plairial	du 20 mai	au 18 juin.
Messidor	du 19 juin	au 18 juillet.
Thermidor	du 19 juillet	au 17 aout.
Fructidor	du 18 aout	au 16 septembre.

-Gallot, Max .Maximillien Robespierre (Histoire d'une solitude). (paris : Ed France loisir, 1968) p 329.

[142] -AE/ CC Vol 32 (note sur le citoyen vallière consul à Alger le 24 messidor an IV , N° 25) :
"من بين الصفقات التجارية لفاليير بيعه لكمية من القهوة كانت للوكالة الإفريقية و بيعه في العديد من المناسبات كميات من الصوف تركتها له الوكالة ، كما اشترى غنيمة من الزبيب باعها إلى آباء المستشفى لصناعة ماء الحياة *Eau de vie* ، كما رفع من قيمة الكمبيالات إلى 10% بعدما كانت لا تتعدى 6.5%".

[143] -ACCM, Série L III, art 85. Objet : 1756-1777.

[144] -Devoulx, A. Relevé ... op cit , pp 381-384 :
من بين صفقاته أنه اشترى في 31 أكتوبر 1767 بنك جنوى بحمولة 1000 قنطار و في 13 سبتمبر 1769 اشترى طرطانة بحمولة 80 برميل و غيرها من الصفقات ...

شغور القنصليات يعيق سير مصالح الرعايا الأجانب فكانت تسير في هذه الحالة من قبل التجار منذ نشأة القنصليات ، فعند غياب دوفياس Devias سير شؤون القنصلية الفرنسية التاجر إتيان Etienne و انسلم Enselme ، مارتلي Martely ، طوماسن Thomasin ، كلافيل Clavel و فرقس Fergues مقابل 500 ايكو دفعتها غ.ت.م [145] ، كما استاء بشاوات الجزائر من هذا الفراغ القنصلي فألحوا على الحكومة بضرورة إرسال قنصل جديد يمثلها [146] و يظهر ذلك من خلال رسالة الباشا حسين إلى الدوق دوقيز Duc De Guise في 01 أوت 1627.

ما يقال عن فرنسا و انجلترا يقال عن بقية الدول ، إذ اضطرت السويد تحت ضغط التجار منذ 1720 إلى سن قوانين ليبيرالية جديدة و إلزام الحكومة على الاتجاه نحو تأمين و تطوير التجارة البحرية ، لذلك الغرض أعد البرلمان السويدي سنة 1723 مشروع معاهدة سلام و تجارة [147] ، التي ستمنح لسفن الأسطول التجاري السويدي و لسفن رعاياها الحق في الإرساء و التجارة في جميع الموانئ الجزائرية و ذلك من خلال بنود المعاهدة التي ستوقع في 1729 [148] من خلال البند الثالث من هذه المعاهدة :

"كل السفن منها التابعة لجلالة ملك السويد أو لرعاياه و التابعة لجمهورية الجزائر و لرعاياها ، تستطيع الإبحار بكل حرية بدون أي عرقلة ... و تستطيع الإبحار حيث تشاء دون أن تتعرض للتفتيش أو التعطيل ... لا يجوز حجزها و لا مصادرتها بأية طريقة كانت ..." [149].

كانت المصلحة التجارية و سلامة ملاحتها في المتوسط فوق كل اعتبار إذ يقول أول قنصل سويدي رفتليوس Refteluis في رده على من انتقد هذه المعاهدة :

---

145 -Plantet, E. Correspondance ... T I op cit , p 22.

146 -Ibid. p 27.

147 -مازاري بدير ة : « الجزائر و السويد تجارة عالمية و صراعات دولية 1729-1830» المجلة التونسية ,عدد 101. سنة 1990,ص 36.

148 -ANP/ Marine B 7 537.

149 -قنان جمال ، نصوص و وثائق ... ، م سابق، ص 216.

"فليعلموا أن الغرض منها لم يكن المصالح التجارية
أو أية مصالح هامة أخرى ، و إنما كان القصد منهـا
ضمان السلامـة و الأمــن لسفننا في المياه الاسبانيـة
و البحر المتوسط حيث المسالك إلى التجارة مع الشرق..."[150].

و لا تشذ البندقية عن القاعدة، فسفيرها بالقسطنطينية المعروف بالبايل Baile كان يمشي بتعليمات السينا Senat و الحكماء الخمسة للتجارة (05 sages) [151] كانت مهمتهم حماية ملاحة و تجارة البندقية ، ألحق بهؤلاء الحكماء مع منتصف القرن 18م ثلاثة مستشارين تقنيين يعرفون بالنواب التجاريين ، و كان ممثلوها في المحطات التجارية يعينون من قبل التجار و كذلك مفاوضوها مثل روزالام Rosalem [152].

نظرا لما يمكن أن يحدثه تداخل المصالح التجارية الشخصية للأشخاص من مشاكل و تأثيرها على علاقات الإيالة مع الدول الأوروبية ، فقد عبرت الجزائر عن عدم ارتياحها لاختيار الدول الأوروبية قناصلها من بين التجار ، إذ كانت ترى في ذلك سببا في التوتر و عدم استقرار العلاقات بسبب تداخل المصالح الخاصة مع مصالح الدولة ، و قد عبرت عن استياءها من خلال مراسلاتها الدبلوماسية مع الدول الأوروبية لا سيما مع بداية القرن 17م :

"... إن مصالــح الدولة يجب أن توكل إلى أشخاص
ليست لهم علاقة بالنشاط التجاري و يجب أن يكونوا
متجردين من كل الدوافع الشخصية أثناء تأدية مهامهم
كموظفين و أعوان للدولة ..."[153].

و في هذا بعض خصائص الدبلوماسية الجزائرية و هو التميز بين الشؤون العامة و الخاصة للتجار أي الوضوح في الرؤى الدبلوماسية.

ب- الوسط الديني :

[150] -نايت مولود قاسم ، م سابق، ج 1 ، ص 111.
[151] -Despois, M : «La mission du consul de Venise Nicolas Rosalem 1753-1754 » **RA** 1952, p 66.
[152] -Ibid.
[153] -قنان جمال ، معاهدات ... ، م سابق، ص 255.

في ظل التطورات التي عرفها القرن 17 م و ازدياد عدد الأسرى ، أصبحت القنصليات بيد الوسط الديني اللازاري Lazariste ، بمساعي رجل الدين سان فانسون St Vincent Paul * الذي أسس جمعية (تنظيم) الرحمة مع شراء استغلال القنصليات الفرنسية في الشرق [154] ، و دفعت ثمن الاستغلال (charge consulaire) الدوقة إيقيون Duchesse Aiguillon ** في 1646 من المرسيلي بالتازار Balthazar Vias De و شراء استغلال قنصلية تونس كذلك في 1648 [155] ، و منح هذا الاستغلال بموافقة الملك إلى رجال الدين اللازارين Lazaristes.

تداول على القنصلية الفرنسية من الوسط الديني ثلاثة من رجال الدين : أول قنصل من السلك الديني "بارو" Barreau ، الذي لم يستمر في منصبه بسبب تراكم الديون التي قدرت بـ 6000 قرش بالإضافة إلى فرار تاجر مرسيلي فابر Fabre من الجزائر بسبب الديون التي تركها وراءه (12000إيكو) [156] و تعويضه بديبرديو Dubourdieu في عهده فقدت مرسيليا إشرافها على قنصليات الشرق و شمال إفريقيا [157] ، هذا القنصل بدلا من تدعيمه للسلم كان يحرض في مراسلاته لدولته بإرسال بعض القطع البحرية لتخويف الإيالة لأن الداي لا يحب فرنسا [158] لأن قراصنة فرنسا كل من بول Paul و بوفور Beaufort استولوا على سفينتين جزائريتين.

---

[154] -Cat , E . op cit , p 292.

* سان فانسون St Vincent : رجل دين ، كاردينال ، هو نفسه تعرض للأسر من خلال رسالته للسيد كومي Commet في 1607 ، أسره قراصنة تونس في 1605 إلى غاية 1606 ، أنظر :

-D'Estry d'Stephen .Histoire d'Alger depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours . Tours, 1843, p117.

** الدوقة ايقيون Aiguillon : ساهمت في وصول اللازاريين إلى قنصليات المغرب ، كونت مؤسسة البعثات الدينية بمرسيليا ، أنظر :

-Belhamissi, M : «Les relations entre l'Algérie et l'église catholique a l'époque ottomane »Majallat ettarikh, A980 «, p 61.

[155] -Grammont, H -De : « un académicien … » op cit , p 11.

-Julien, Ch - A. Histoire de l' Adu N… op cit , p 287.

[156] -Grammont, H- De. H .d'Alger … op cit , p 204.

[157] -Tournier Jules. Jean le vacher , pretre consul de France et martyrs (1647-1683). (Rabat : Ed la porte, 1947) , p 185.

[158] -ACCM. Série J. Art 1349, objet : dubourdieu رسالة 27 جانفي 1672

أما القنصل الثالث فهو لوفاشي Le vacher إلى غاية 1683 ، إلى أن رست الوظيفة على من يدفع أكثر و هو بيول Piolle في 09 فبراير بسعر 15000 ليرة تورية[159].

أثبت الوسط الديني كفاءته الدبلوماسية ، و تقبلهم في الوسط المغاربي لا سيما الجزائر إما احتراما لرجل الدين أو تلك التبرعات التي يجمعونها سنويا و نشاطهم في افتداء الأسرى بالدرجة الأولى و تخليص المسيحيين ، لكن هذا لا يعني إهمال شؤون التجارة ، إذ يظهر التعاون بين اللازاريين و الأوساط التجارية المرسيلية في تسيير شؤون فرنسا التجارية في المؤسسات الفرنسية [160] فقد تم توكيلهم على أموالهم.

تلقى بعضهم انتقادات لاذعة من قبل مبعوثي الملك هايت Hayet الذي أشار في تقريره بتاريخ 03 جوان 1681 [161] ، لقد أشار إلى تهاون القنصل لوفاشي Le vacher و عدم اهتمامه بسجل القنصلية خاصة في ما يتعلق بالأسرى ، و ما عرف عن هذا القنصل "تعلقه و ارتباطه الشديد بالجزائر"[162].

ما يلاحظ هو أن سياسة القنصليات الفرنسية و أولوياتها تختلف حسب طبيعة و وسط انتماء القناصل ، فقد أولى القناصل من طبقة رجال الدين اهتماما أكبر بمسألة الأسرى و جعلوها أولى اهتماماتهم ، لدرجة أنهم اتهموا بتخصيص أموال التجارة على الأعمال الخيرية من خلال مذكرة بدون تاريخ [163] ، هذا ما دفع بكولبير Colbert إلى تخفيف نفقاتهم (الاعتمادات المالية).

استحواذ اللازاريين على وظيفة القنصلية جعلهم يتحكمون في تعيين رؤساء الشؤون الدينية في إيالات شمال إفريقيا و الإشراف على عمليات الافتداء، و إشرافهم على تسيير الكنائس هذا ما جعلهم في مواجهة دائمة مع رجال الدين الأسبان الذين سيطروا منذ القرن

---

[159]- Boulanger, patrick. Les appointements des consuls de France à Alger au XVIII° siècle, actes de colloque : « la fonction consulaire à l'époque moderne » , université de Bretagne Sud , avril , 2006.
[160] -Capot- Rey. Op cit, p 131.
[161] -Ibid. p 133 عن AE, Alger (1664-1668).
[162] -Ibid. p 134 :
"إذا فتحت أمامي الأبواب و الطريق إلى السماء و السماح لي بالمرور و خياري بينها و بين الجزائر لاخترت الطريق الثاني".
[163] -Boulard Claud : «Les consuls Français dans la regence d'Alger(1581-1827) ». L'Algerianiste, No 54, p 12 : « ils furent les plus mauvais consuls qu'on puisse rêver ».

16م على الكنيسة الكاثوليكية و المستشفى [164] في مدينة الجزائر، و الذين وجدوا الدعم من قبل الحكومة الاسبانية.

واجهت القناصل اللازاريين مشاكل عديدة في تسيير شؤون القنصليات فقد عانوا من شكاوي التجار الفرنسيين بهذه الموانئ إلى غ.ت.م ، و مع أواخر القرن 17م استحال التعاون بين المرسيليين و اللازاريين خاصة أنهم لم يلتزموا بتعليمات الغرفة التجارية و لا توجيهات كولبير[165].

كما ضعف تأثيرهم على السياسة الخارجية بعد وفاة الكاردينال سان فانسون St Vincent ، و اختيار الحكومة الفرنسية قناصل من غير الوسط الديني ، ذلك ما نستشفه من مراسلات عديدة [166] ، بضرورة إيجاد قناصل ذو اهتمامات تجارية ، و تميزت سياسة كل من ليون Lionne و كولبير Colbert [167]بالتخلص من تأثير الكنيسة الكاثوليكية على سياسة فرنسا الخارجية ، هذا الأخير الذي سينتزع حق استغلال القنصلية من اللازاريين لصالح الوسط التجاري من جديد ، إذ يلحق كولبير قنصليات المشرق بالتاج الفرنسي في 1669 ، باستثناء قنصلية الجزائر إلى غاية 1683 [168] أي إلى مقتل لوفاشي.

أعجب كولبير بالتجربة الهولندية ، فحاول أن يضمن لفرنسا نصيبها و حصتها من الملاحة و التجارة الدولية ، فعمل على تأسيس شركات فرنسية على النمط الانجليزي و الهولندي (1646-1670)[169]. سوء تسيير رجال الدين لشؤون القنصلية جعلهم يتصرفون في أموال الافتداء و إنفاقها في غير مجالها ، بالإضافة إلى الرسوم المرتفعة المفروضة على التجار فخشي سان فانسون St Vincent من تذمر المرسيليين لا سيما في فترة الأب بارو

164- Capot- Rey, op cit, p 42.
165 -Riggio ,Achille , op cit . p 43.
166 -Capot -Rey , op cit , p 135 :
رسالة كولبير إلى بوفور Beaufort في مارس 1665 : " لا بد من إيجاد شخص محنك و مناسب يمتلك من المال ليوزعه ...".
رسالة ثانية في 01 ديسمبر 1665 : "تحتاج تجارتنا مع تونس إلى رجل أحسن من القنصل الموجود حاليا...".
167 -Julien, ch- A. H. d’A. du N … op cit , p 287.
168 -Plantet, E. Consuls de … op cit , p 45.
169 -قدوري عبد المجيد . المغرب و أوروبا ... ، م سابق، ص 292.

Barreau [170] فحاول خلفه لوفاشي Le vacher تدارك الأمر برفع الرسوم المفروضة على السفن الفرنسية (الأموال الموجهة للعناية بالكنيسة).

تميزت فترة قنصلية اللازاريين بتأثير الكنيسة الكاثوليكية و البابوية على سياسة فرنسا الخارجية مع إيالات شمال إفريقيا [171] ، فقد كلفت روما سان فانسون بالعديد من المهام و إرسال المبعوثين من رجال الدين خاصة ما بين 1646-1648 خاصة في عهد مازاران Mazarin الذي تحالف مع البابوية مؤكدا على رفقائه بالعهد [172] (أي الدعم المالي للبابوية في معاداة المسلمين).

من المشاكل التي واجهت قناصل القرن 17م مشكل المترجمين Drogmans فغالبا ما اشتكى التجار لدى الملك الفرنسي ، ما جعل الملك يأخذ إجراءات لحل المشكل بإصدار مرسوم بأن : "مترجمي القنصليات يجب أن يكونوا فرنسيين و اختيارهم من قبل التجار"[173]، كما أمر في نفس المرسوم بإرسال 05 أطفال فرنسيين إلى دير الكابوسيين Capuccins بمدينة بيرا Pera [174] بالقسطنطينية لتعلم اللغات الشرقية.

هو نفس المشكل الذي واجه قناصل أواخر القرن 17م ، فقد أكد لومير Le Maire على ضرورة إلحاق أطفال اللغة بالقنصليات كمترجمين [175] (إتقان القراءة و الكتابة للتركية).

خلال فترة اللازاريين تمكنت الدول المنافسة لفرنسا من التقرب من الإيالة على حساب فرنسا ، و هي نفس الفترة التي تتبنى فيها فرنسا سياسة عدائية ضد الجزائر[176] ،

---

170 -Capot - Rey, op cit, p 138.
171 -Belhamissi, M. Relation entre l'Algérie … op cit , p 60.
172 -Capot- Rey, op cit, p 147.
173 -ACCM .Série J. Art 46 objet : Enfant de langue : من خلال تقرير 17 فبراير 1670
174 Gautier, Marie et Antoine .La première promotion des jeunes de langue, bulletin de l'association des anciens élèves (S.L), 1992, pp 7-8 :
المقصود بهؤلاء الأطفال : أطفال اللغات الشرقية ، نجد مدرسة قديمة (لنفس الغرض) تأسست في البندقية 1551 تحت اسم مدرسة جيوفاني Giovanni Di Lingua و كان مرسوم 1669 النواة الأولى للمدرسة الوطنية للغات الشرقية في 30 مارس 1795.
175-Grammont, H- De. Correspondance … op cit , p 165.
176 -حملات الدوق بوفور Duc Beaufort ضد موانئ القل ، الجزائر و جيجل (1663 ، 1664 ، 1665).
حملة دوكين Dusquene على مدينة الجزائر (1682 و 1683).
حملة ديستري D'Estrée على مدينة الجزائر 1688 أنظر :
- بوعزيز يحيى. مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية (الجزائر:د .م . ج ، 1999) ، ص 49.

بسبب الانتهاكات و التجاوزات من قبل القراصنة المغاربة [177] على حد زعمها متجاهلة انتهاكاتها ، حملات غالبا ما تكون مصحوبة بالمعاهدات (1661 ، 1689 المعاهدة المعروفة بالصلح المائوي) ، نسجت الدول الأخرى نفس النهج إذ تمكنت هولندا من عقد معاهدة 1662 مع الجزائر، و ركنت انجلترا إلى عقد الصلح مع الجزائر سنة 1682 بعد 14 سنة من العداوة [178] ، فتمكنت القوى الأوروبية الثلاث (فرنسا ، انجلترا و هولندا) إلى لجم البحرية الجزائرية إلى حين الذين لم يبق أمامهم سوى سفن (البندقية ، جنوة ، صقلية ، اسبانيا و البرتغال) . و هذا ما دفع بكاتب الدولة ساينلي Seignelay إلى إعادة حرية التجارة للمرسيليين لاستعادة مكانتها، المهم أن السياسة العدائية كانت تهدف إلى تحطيم كبرياء مدينة الجزائر، كما حاولت البابوية في هذه الفترة استغلال وجود اللازاريين في تونس و الجزائر لزرع العداوة المسيحية ضد إيالات شمال إفريقيا[179].

ت -قناصلة القرن 18م :

مع 1766 أصبحت شؤون القنصليات من اختصاص كتابة الدولة للبحرية ، حسب مرسوم جويلية 1766 [180] ، فقد أعفيت غ.ت.م من دفع أجر سفير القسطنطينية الذي يصل إلى (20.000 جنيه) ، و تحسنت ظروف و وضعية القناصل في الجزائر لا سيما في فترة الداي محمد بن عثمان باشا ، و يهنئ فالبير Vallière نفسه من خلال رسالته (05 أفريل 1769) :

> "لم يكـن الفرنسيون أبدا في حالة أفضل ممـا هـي عليه اليوم في الجزائـر فـي ظل الحكـومة القائمة ، فقنصلهم له مكانة معتبرة و رعاياه يتمتعون بالأفضلية و بحارتنا محميين ..."[181].

177 -دلندة الأرقش وآخرون. مقدمات و وثائق ... م سابق، ص 269.

178 -دلندة الأرقش. مقدمات... ن م ، ص 269.

179 -ACCM. Série J. Art 16 objet : Etat des appointements
- Riggio, Achille , esclave … op cit , p 42.

180 -ACCM. Série J .Art 1369 objet : lettre de J-A De Vallière.

181- ACCM. Série J. Art 1369.

في 14 فيفري 1793 و بقرار من الجمعية الوطنية ألحقت القنصليات بوزارة الشؤون الخارجية ، غير أن الوزير لوبران Le Brun أكد أن ذلك لن يؤثر في العلاقة بين غ.ت.م و شؤون القنصليات ، و في نفس السنة تم إلغاء الشركة الملكية الإفريقية بموجب قانون 24 أوت 1793 و متبوع بمرسوم 19 بليفيوس العام الثاني (7 فيفري 1794)، لتحل محله الوكالة الإفريقية ، حتى أجور موظفي هذه الوكالة أصبحت ثابتة و تحت إشراف الدولة ، و بموجب نفس المرسوم تم تحديد الألوان الوطنية الثلاث[182] و تم إعلام الداي بهذا التغيير في 28 مارس 1794 من المواطن دي فرقس Defergues وزير الشؤون الخارجية إلى الداي حسن باشا :

" إن ممثلي الأمة الفرنسية ارتأوا تغيير الراية الفرنسية ، إنني مكلف من حكومة الجمهورية بإعلامكم بهذا التغيير لكي لا يحدث أي خطأ بين السفن الفرنسية و..."[183].

نهاية النظام القديم ، أثر في اختيار و تعيين القناصل الفرنسيين إذ يعتبر القنصل جون بون سانت أندري J- B St André * بداية عهد جديد للقناصل الفرنسيين في علاقاتها مع الجزائر، فهو عينة جديدة يمكن القول هو عهد جديد للقناصل تميز بتغيير العلاقات الفرنسية الخارجية فقد زود بتعليمات [184] من قبل حكومته في 29 ترميدور العام الرابع (29Thermidor IV) ، انظر الملحق. إذ يقول لمولتدو Moltedo عند استلام مهامه : "وجدت عند قدومي هنا -بالجزائر- فرنسا راكعة و سأعمل على جعلها واقفة". [185]

تعليمات تحدد مهامه و واجباته ، كانت مهمته الأساسية حل المشاكل العالقة المتمثلة في إقناع سلطات الإيالة بإعادة السماح للتجار الفرنسيين بتصدير الحبوب إلى فرنسا ، كما يجب إعادة

---

[182] -Garrot, H. Histoire Générale de l’Algérie. Alger. 1900, p 599.

[183] -Plantet, E. Correspondance … T II, op cit, pp 438-439.

*جون بون سانت أندري J. B St André : شخصية مخضرمة عايش النظام القديم أي ما قبل و بعد الثورة ، ينتمي إلى حزب اليعاقبة les jacobins ، سير شؤون مدينة طولون منذ ديسمبر 1793 ، اعتقل بعد حركة الترميدوريين Thermidor في جويلية 1794 إلى أن صدر قانون العفو العام في أكتوبر 1795 ، ليعين فيما بعد قنصلا في الجزائر أنظر :
- قنان جمال. العلاقات... ، م سابق، ص ص 67-68.

[184] -AE / CC Vol 33. Alger 1796-1797.

[185]- Devoulx, A : « La régence d’Alger sous le consulat et l’Empire ». R.A 1887, p 248.

النظر في المعاهدات السابقة ، و سيكون على شاكلته من سيأتي بعده أمثال ديبوا تانفيل Thainville و دوفال Duval [186].

يتجلى التغيير في المواقف و التدخل المباشر، أهم قضية اهتم بها هي مسألة السفن المحايدة التي سمحت فرنسا لنفسها بالاستيلاء عليها و يعد ذلك انتهاك و خرقا لقانون البحار[187].

فقد واجهت الجزائر السياسة الفرنسية بغلق موانئها في وجه القراصنة الذين استولوا على سفن الدول المحايدة ، الأمر الذي اعتبرته فرنسا انحيازا للانجليز . فكانت أولى اهتماماتها العلاقات الجزائرية- الانجليزية ، و كان أول قنصل يعمل على تسييس ديون الجزائر (دوفال Duval) و جعلها ورقة ضغط على اليهوديين باكري / بوشناق و مساومتهما على الديون التي لهما على الخزينة الفرنسية [188] لضمان عدم انحيازهم للانجليز و تسخير نفوذهما و تأثيرهما لخدمة مصالحهما في الجزائر.

انقضاء العهد القديم و التغيير في مؤسسات فرنسا ، من ضمن جملة التغييرات التي ميزت أوروبا منذ بداية القرن 19 م ، إذ عرفت تغير في موازين القوى ،و عادت الدول الغربية إلى السياسة المدفعية التي تخلت عنها منذ فترة سابقة ، فكانت حملة اللورد اكسموث Exmouth في 1816 ضربة قاسية على الجزائر، يصعب بعدها إعادة بناء قوتها من جديد إلى أن نصل نقطة نهاية عهد في 1830 بالاحتلال الفرنسي للجزائر الذي يعتبر سياسة استعمارية تهدف إلى القضاء النهائي على بنية الكيانات السياسية للدول المغاربية .

ث-أوساط اختيار المبعوثين الجزائريين :

إذا كانت الدول الأوروبية قد اختارت سفراءها و قناصلها اتجاه الدولة العثمانية و إيالاتها (الجزائر) من الاكليروس ، البرلمانيين ، القضاة النبلاء و العسكريين (الأميرالات) و التجار لتمثيلها أو للتفاوض ، فإن الإيالة لم يكن لها تمثيل دائم في المدن و الموانئ

186 -بنور فريد. المخططات الفرنسية تجاه الجزائر 1782-1830 ، (الجزائر : مؤسسة كوشكار للنشر و التوزيع ، 2008).
187 -قنان جمال. العلاقات... ، م سابق ، ص 70.
188 -قنان جمال ، العلاقات ... ، ن م ، ص 73.

الأوروبية فقد اختارت مبعوثيها من بين الكتاب و الرياس و لا ندري المعايير و المقاييس في هذا الاختيار.

قد تكون لخبرة الريس "سنان باشا" (189) أو "علي ريس"(190) ، القابودان أو قائد الميناء أو "ليمان رئيس"* (191) هو من كلفه الداي عمر باشا بإعداد تقرير حول حملة اللورد اكسموث و بعثه للسلطان العثماني (192) - محمود الثاني - ، و ما ترتب عنها من أضرار و هي موجودة في وثائق خط همايون (193) ، و قد اختاره الداي في سفارة إلى لندن في 1819 لما يتمتع به من صفات دبلوماسية من كياسة و اللياقة فحين أراد كاتبه الطاهر خوجة الانسحاب من السفارة و التوجه نحو جبل طارق كاتب وزير المستعمرات الانجليزي في 16 جويلية 1819 (194) و إخباره على أن أحد أفراد السفارة سيرحل.

قد يكون اختيارهم على رأس البعثات لإتقانهم للغات الأجنبية، و إدراكهم لقضايا افتداء الأسرى ، و بالتالي لا مجال للاستغناء عنهم في المفاوضات مع الدول الأجنبية.

أو يكون اختيارهم من الكتاب الكبار أمثال محمد الأمين (195) و هو شخص ذي كفاءة عالية و عارف بالعلاقات الجزائرية – الفرنسية ، كان يشغل منصب دفتر دار و له سيرة حافلة

---

[189] -Grammont, H -De. H. d'Alger … Op cit , p 153.

[190] -حماش ، خليفة : « سفارة علي رئيس الى لندن عام 1819 نموذج للديبلوسية الجزائرية في العهد العثماني من خلال وثائق جديدة » المجلة التاريخية المغربية العدد 87-88 سنة1997

* ليمان رئيس : كلمة تركية تعني رئيس الميناء و هو يقوم بمهمة في تفتيش السفن و المراقبة و التعرف على هوية السفن، و يتسلم الرسائل من القباطنة و تسليمها إلى الداي و قد وصفه شالر بالذكاء و الآراء المتحررة،و الأهم هو إتقانه للغتين الفرنسية و الانجليزية.

[191] -حماش ،خليفة ، سفارة علي ... ، ن م ، ص ص 507-535.

[192] -التميمي عبد الجليل : " قذف مدينة الجزائر سنة 1816 "، بحوث و وثائق في التاريخ المغربي" ، الجزائر – تونس و ليبيا 1781 -1816" ، مركز الدراسات و البحوث في الولايات العربية في العهد العثماني ، 1985 ، ص ص 56-63.

[193] -خط همايون ، عدد 22486 ، تاريخ 1231.
خط همايون ، عدد 22556 ، تاريخ 1231 :
«هذا... و قد قام أمير أمراء الجزائر – عمر باشا – بإرسال تقرير مفصل إلى القبطان باشا إلى المقام الشاهاني بواسطة قبطان علي رئيس ميناء الأوجاق ليقوم بدوره بالتوضيح اللازم حول الموضوع و طلب المعونة العسكرية من المقام الشاهاني العالي ".

[194] -حماش خليفة ، سفارة علي ... ، م سابق، ص 531 ، قد أورد الرسالة بالأصل ليظهر إتقانه للغة الانجليزية :

My Lord ,
"As your Lordship has been acquainted with unis conduct of the man named Taher Hodja , who was my secretary , and who had expelled himself from the number of my suit and took his pasport from the colonial office to go to gibraltar … your Lordships most respect ful".

[195] -قنان جمال ، معاهدات ... ، م سابق، ص ص 123-124 عن :

ANP/ Marine B7, 214-215 (1690-1695).

*بلوك باشي : رتبة في الأوجاق تعني قائد السرية كما ارتبطت بوظيفة رئاسة الميناء.

(حافظ لسجلات الدولة في القسطنطينية ليلتحق بالجزائر في 1689، اشتهر بخطه الديواني و أسلوبه في التبجيل للمخاطب).

من أهم الشخصيات البارزة في السفارات الجزائرية خلال القرن 17م سليمان بلوك باشي * هو ذو خبرة في هذا المجال إذ ترأس عدة سفارات كسفارته إلى فرنسا سنة 1695 من قبل الداي شعبان وسفارته في سنة 1696[196] رفقة المترجم الفرنسي فيشر Fisher[197] .

من بين الكتاب الذين اعتمد عليهم في السفارة نحو أوروبا (لندن) هو "الحاج محمد خوجة" أحد الكتاب الأربعة [198] الذي سافر إلى لندن في 19 سبتمبر 1749 على متن سفينة الأميرة بقيادة القبطان السويدي كريستيان كوش Christian Coch للتفاوض بشأن الغنيمة الانجليزية (209 ماسة و 17000 قرش برتغالي).

كما اعتمدت الإيالة على التجار الأجانب (أهل الذمة) أمثال "سيمون أبو قية" باعتباره يمثل مصالح الداي لدى البلاط الفرنسي و ذلك ما نجده في مراسلة الداي حسن باشا إلى الحكومة الفرنسية الذي يوصي به توصية خاصة :

"لن نطلب منكم سوى المعاملة الحسنة لرعايانا
بالأخص بيت باكري و المدعو سيمون أبو قية
الذي سيسلمك هذه الرسالة ..."[199].

و في رسالة 03 فريكتدور العام الرابع 03 Fructidor an IV يصف نفسه في ديباجة الرسالة إلى وزير العلاقات الخارجية الفرنسية باعتباره المكلف بأعمال الداي Chargé des affaires du Dey [200]، و هو يطلب موعد في يوم 09 من نفس الشهر على الساعة الثالثة

---

196 -قنان جمال ، معاهدات ... ، ن م ، ص ص 143-144.

197 -Plantet, E. Correspondance ... T I, p 496.

198 -ACCM .Série J. Art 1381.

199 -Plantet, E. Correspondance ... T II, op cit , p 463.

200- AE/ CC Vol 32.

لمقابلة كاتب الدولة ، و في رسالة أخرى (09 ترميدور Thermidor)[201] يشير إلى الدين الذي منحه الداي إلى المبعوث الفرنسي هركولي Herculais (200.000 بياسترة).

إن أصعب مسألة واجهت العلاقات الجزائرية – الفرنسية مع أواخر عمر الإيالة هي مسألة الديون – المطالبة بتسديد الدين الذي منح في 1796 – ، فقد طلب الداي من الحكومة الفرنسية أن تسلم المبلغ لوكيله اليهودي الذي أصبح هو المفاوض باسم الداي مع السلطات الفرنسية بشأن هذه المسألة.

قد يكون الاعتماد على أهل الذمة كوكلاء في العواصم و الموانئ الأوروبية كونهم وسطاء مقبولين لدى الدول الأوروبية على الخصوص أو إقصاءا للفئة التجارية المسلمة كما تمت الإشارة إلى ذلك في عنصر خاص بالتجاوز و التفوق الأوروبي.

تم الاعتماد على أهل الذمة في التفاوض و إبرام المعاهدات لا سيما هؤلاء من ارتبطت أسماؤهم بالتجارة و الدبلوماسية الجزائرية منذ أواخر القرن 18م ، فقد نص مشروع المعاهدة و الشروط التي وضعها الداي لإبرام السلم مع الجمهورية الفرنسية في 28 بليفيوس العام الثامن 28 pluviose an VIII :

البند الأول : تكون المعاهدة السابقة سارية المفعول ابتداءا من تاريخ التوقيع على هذه المعاهدة الموقعة من طرف قنصل الجمهورية الفرنسية و نحن كوهين يعقوب باكري المكلف من طرف الداي للتفاوض بشأن السلم.

البند الرابع : تتعهد الحكومة الفرنسية بتسديد كامل الديون التي يطالب بها يعقوب باكري ، و إرجاع فرنسا لـ 03 حمولات لباكري تم الاستيلاء عليها من طرف قراصنة فرنسا[202].

كما يمكن اللجوء إلى عناصر أخرى من أهل الذمة من غير اليهود ، فقد كان يمثل المصالح الجزائرية في لندن لوجي Logié Charle بعد استقالته من القنصلية السويدية.

إسماعيل العربي : « دور اليهود في الدبلوماسية الجزائرية في اواخر عهد الدايت » مجلة تاريخ و حضارة المغرب , 1974 ,العدد 12، ص 59 : "إن سيمون أبو قية كان يحظى بثقة الداي الذي أصبغ عليه شرف التعيين الدبلوماسي" ممثل الداي"، إنه كان شقيق محظية الداي المفضلة.

[201]- AE/ CC Vol 32.

[202]- AE/ CC Vol 35, Alger 1800-1801.

يبدو أن الإيالة لم تهتم بتعيين قناصل أو سفراء يمثلونها في الدول الأوروبية بصفة دائمة ، بل كان إرسال المبعوثين لفترات محددة و في مهام محدودة ، كما لم يكن لهؤلاء المبعوثين أي تكوين خاص إلا من خلال ما اكتسبوه من تجارب في المهام التي أنيطت بهم إما كمبعوثين للسلطان العثماني أو نحو الدول الأوروبية.

3- مرتبات القناصل (الفرنسيين نموذجا) :

تكفلت غ.ت.م بدفع رواتب Appointements القناصل و موظفي القنصليات (نواب قناصل، موثقين ، ترجمان ...) ، نجد في أرشيف غ.ت.م مجموعات من الوثائق خاصة بالرواتب بأرقام بحزم متعددة لا سيما مجموعة (J) (1338 ، 1373 ، 1378 ، 1387...) أو تلك الخاصة بموظفي القنصليات في المحطات و الموانئ الشرقية و شمال إفريقيا في نفس المجموعة (J) من العدد 23 إلى 45 و هي تغطي الفترة الممتدة من 1687 إلى 1794.

تمثلت مداخيل القناصل الفرنسيين أساسا من ما يعرف بحقوق القنصلية Droit du Consulat برسم 2% على السفن الفرنسية و سفن الدول التي تحت حمايتها ، لكنها مداخيل قليلة مقابل النفقات الكثيرة ، مما دفع بالبعض إلى ممارسة التجارة سرا و علانية ، هذا ما جعل كاتب الدولةساينلي Seignelay يكتب إلى محاسب البروفانس السيد لوبري Lebret[203] أنه على نواب غ.ت.م أن تتحمل تكاليف القنصل الذي يوافق على تعيينه الملك . و أجرت الحكومة الفرنسية تحقيقا في شكاوي القناصل حول الوضعية المادية المزرية من قبل مبعوثها صورنهاد Sorhainde في 1685.

[203] -ACCM .Série J Art 14 : رسالة المركيز ساينلي إلى مراقب البروفانس السيد لوبري Lebret في أوت 1689 و رسالة 06 ديسمبر 1689.

نظرا لتصرفات بعض القناصل – ممارسة التجارة – و الشكاوي يتحصل الكونت بونتشارترن Comte Pontchartrain على مرسوم ملكي في 13 جويلية 1691 تتكفل بموجبه غ.ت.م بدفع أجور القناصل الفرنسيين و تخصيص (100.000 ليرة) توزع على القنصليات في الإمبراطورية العثمانية.

هذه الغرفة التي استقلت عن بلدية مرسيليا مع القرن 17م باعتبارها مؤسسة تجارية مسيرة من قبل التجار[204] و هي المسؤولة كما ذكرنا سابقا عن إعطاء تراخيص الإقامة للفرنسيين بالجزائر، فهذه رسالة باري Paret في 14 جانفي 1820 يطلب من خلالها جواز سفر لأوليفي S. Olivier للعمل كطباخ لدى قنصل بريطانيا [205] ، و كذلك الترخيص بإقامة بيوتات تجارية ، كالطلب الذي تقدم به التاجر شودوان Shaudoin [206] في 26 جوان 1816.

أصبح القناصل يتحصلون بموجب المرسوم الملكي على مرتبات قارة مقابل منعهم من مزاولة التجارة (بطريقة مباشرة أو غير مباشرة)[207] مع عقوبة 3000 ليرة ، يدفع ثلثها غرامة نقدا و الباقي يفتدى به أسير فرنسي.

نص المرسوم على أن قنصل الجزائر سيتلقى 3000 جنيه كراتب خاص بالإضافة إلى 3000 [208] أخرى كنفقات (لمائدته و الهدايا و الإكراميات و المجاملات و دفع إيجار القنصلية و أجور الموظفين).

استمر تذمر القناصل من مختلف المحطات و بالأخص من الجزائر حول أجورهم التي هي أقل مما يتقاضاه نظرائهم من دول أخرى (الانجليز و الهولنديين) ،لا سيما أنهم منعوا من ممارسة أي نشاط تجاري . تتجلى هذه الشكاوي من خلال مراسلاتهم مع نواب غ.ت.م : فقد كتب دوسو Dussault إلى كاتب الدولةساينلي Seignelay في 1684 :

---

204 -Windler ,christian . Op cit, p 25.

205 -ACCM. Série M. Q .5.1/13.

206 -ACCM .Série M.Q .5.1. /13.

207 -Watbled, E. Aperçus … op cit, p 22. من خلال مجموع قوانين بلدية مرسيليا التي تعود الى القرن 13م

208- ACCM .Série J Art 14, objet : Appointements et tables de consuls de France dans l'empire ottoman.

"... إنهم بؤساء ، و ببؤسهم هذا هم يسيئون للأمة ،
هم في حاجة دائمة بسبب ضعف النشاط التجاري
في هذه المدينة و العلاوات لا تفي بحاجياتهم ..."[209].

و هذا القنصل لومير Le maire يكتب رسالة معبرة في 29 جويلية 1694 :

" إنكم لا تسمحــون أن أعاني يوميا و أنا أعمل للصالح
العام ، و الإنفاق من مالي الخاص ، بالإضافة إلى المأساة
اليومية ..."[210].

أما دوران فلا يكل و لا يمل في مراسلاته من وصف الوضعية المزرية : " أنا أكثر من يعاني من سوء المعاملة مقارنة ببقية القناصل ".

و في رسالة أخرى يقول : " أفضل حراثة الأرض على أن أعمل قنصلا ..."[211].

نفس الشيء بالنسبة للقنصل كليرومبولت Clairaumbault [212] و الأخطر ما كتبه بوم Baume في 09 أكتوبر 1717 :

" أنا وحدي من يعانـــي ، و لم يبق لي إلا جلدي
أبيعه و أنا لا أبالي ، لكن عليكم بالحذر و عليكم
أن تراعوا مصالحكم .."[213].

عرفت أجور القناصل زيادة منذ أن أصبحت قارة و التي نوضحها من خلال الجدول التالي[214] : القيمة بالليرة التورية.

---

[209] -Capot- Rey, op cit, p 168.
[210] -ACCM. Série J. Art 1354.
[211] -ACCM. Série J. Art 1355 : رسالة 15 أوت 1701
رسالة أفريل 1701.
[212] -ACCM. Série J, Art 1356 : رسالة 05 فيفري 1716 يبين فيها الوضعية المزرية التي يعيشها.
[213] -ACCM. Série J. Art 1356.
[214] -ACCM .Série J. Art 14.

السنوات	1691	1720	1766	1779
القيمة	6000	9000	10.000	15.000

ما زاد في تذمر القناصل الفرنسيين أن هناك قنصليات أخرى في الإمبراطورية العثمانية كانت فيها أجور القناصل مرتفعة عن الجزائر خاصة قنصليات المشرق ، فقد طلب دوران Durand تعيينه في قنصلية القاهرة الشاغرة [215] ، كما كان قناصلة المورة Moree يتقاضون 9500 ليرة [216]. و يقدم القناصل تقريرا عن النفقات الإضافية مع وثائق ثبوتية و هذا ما نجده في مراسلة 26 فيفري 1727 :

" تجدون في البريد المرفق بيان النفقات ، بما أنه
لم تكن لدينا السيولة الكافية اضطررنا للاستدانة
بفائدة 2 % لمدة شهر (بالبستول الاسباني) "[217].

مع أواخر القرن 18م تحاول خارجية فرنسا تدارك الفرق في مرتبات القناصل بين إيالات المشرق و إيالات شمال إفريقيا باعتراف الدوق براسلين Duc Praslin في 1716 ، خاصة بعدما ألغيت كل الحقوق و الرسوم القنصلية في 01 أوت 1720 [218] فكان من النتائج أن ارتفعت المرتبات ، إذ تلقى القنصل فالليير Vallière A 10.000 ليرة تورية [219] بالإضافة إلى مبلغ آخر للنفقات الاستثنائية الخاصة بالهدايا.

مع قيام الثورة الفرنسية 1789 ظهرت السندات Les assignats التي أثرت على طريقة الدفع بالنسبة لمرتبات القناصل في مختلف القنصليات [220] ، إذ تحولت من العملات النقدية إلى الورقية ، و هذا ما جعل الحكومة الفرنسية في وضع صعب تجاه دبلوماسييها لما

---

215 -Plantet, E. Correspondance ... T II, op cit , p 141 , 144.
216- ACCM. Série J, Art 16 مراسلة 04 أفريل 1763
217- ACCM. Série J, Art 1358.
218- Boulanger, P. op cit, F° 08.
219 -Ibid, F° 13.
220- Ibid.

تسببه من خسائر عند تحويلها (أنظر الملحق) الوثيقة التي يوضح فيها الإخوة جيمون Gimon [221] مشكل استعمال السندات الورقية .

بعد التوقيع على معاهدة السلم المائوي طالب دوكارسي De kercy براتبه المتأخر التي عجزت الحكومة الفرنسية عن دفعه فاقترحت عليه القنصلية العامة بهامبورغ Hambourg براتب 15000 ليرة.

كان فاليير Vallière قبله الذي اتهم بممارسة التجارة ،قد برر نفسه أنه كان يعاني من مشاكل مالية عويصة ، و لم يجد من وسيلة لمواجهة نفقاته الخاصة سوى ذلك السبيل[222].

أما بالنسبة للانجليز فالشركة الشرقية هي المسؤولة عن دفع مرتبات القناصل الانجليز، فقد دفعت لجيمس فريزل Frizell J أجر سنتين مسبقا عند تعيينه [223] ، و تدل رسائله التي كتبها بعد عام 1626 أن الشركة لم تدفع له مستحقاته و أن الملك لم يتدخل ليجعلها تدفع له ، و يعود سبب ذلك أن تجارا آخرين لا صلة لهم بالشركة أصبحوا يمارسون التجارة بالجزائر[224] ، لذلك تركته الشركة يتدبر أمره من خلال رسوم القنصلية، و هذا إشارة إلى المشاكل التي واجهت القناصل الانجليز أيضا و إن كانت حالات استثنائية و هو نقص السيولة و يقول نفس القنصل فريزل أنه لا داعي لاستمرار وجوده بالجزائر[225]،لنقص الأموال.

و عليه يمكن القول أم الدول الأوروبية و على رأسها فرنسا و بريطانيا اعتمدت على الآلة الدبلوماسية للتوغل داخل العوالم الشرقية بحكم الاحتكاك و صارت أوروبا لا تستغني عن خدمات قناصلها و أصبحت مصالحها متوقفة على ما يقدمه هؤلاء حتى كتب فيكفورت Wicquefort [226] .

---

[221] -ACCM. Série J. Art 1875.

[222]- ACCM. Série J .Art 1372.
- AE/ CC Vol 33, Alger 1796-1797.

[223] -وولف ، ج ، م سابق ، ص 257.

[224] -وولف ، ج ، ن م ، ص 257.

[225]- Fisher, G. op cit. p 283.
Playfair. Op cit. Pp 50 – 51 :كتب فريزل
« Je crois très sincèrement qu'aucun des ministres de sa majesté n'a été l'objet d'autant de négligence que moi – même ».

[226] -القدوري عبد المجيد. دبلوماسية المأمورية ... م سابق، ص 262 .

II**الفصل الثاني** : البروتوكولات القنصلية

1. تحيات المجاملة
2. الأسبقية و الحصانة الدبلوماسية:
3. الهدايا القنصلية:
4. إقامات القناصل :

II- البروتوكولات القنصلية

1- تحيات المجاملة

إن موضوع القناصل و القنصليات و مختلف العلاقات الدبلوماسية مرتبط بتلك التعاملات و الأعراف التي نجدها مترسخة في المجتمعات الدولية عبر العصور إذ أصبح الاتصال بين الدول أمر لا غنى عنه ، كما كرس الإسلام آداب التحية و أصولها ، غير أن آداب اللياقة و المجاملة تطورت أشكالها الحديثة الغربية لا سيما مع القرن السادس عشر فأصبح لها طابعا مستقرا في الممارسة و في التعاملات بين الدول فأضحت نهجا متكاملا له قواعد و أصول يحترمها المجتمع الدولي ، و لقد دون الكاتب الايطالي بلدابيار كاستجليوني بعض من هذه الآداب في كتابه The Courtigiano Courtier في 1528.

كان الايطاليون سباقين إلى الاهتمام بالآلة الدبلوماسية و تحسين استخدامها لتحقيق مصالحها[227] خلال القرنين الخامس عشر و السادس عشر، إذ اتسعت اتصالاتهم مع الدول المجاورة و انتشار علاقاتهم التجارية في البحر الأبيض المتوسط ، و أول جمهورية ايطالية اهتمت بالدبلوماسية هي البندقية و ذلك بإنشاء أول ديوان للمحفوظات لجمع المعاهدات و حفظ الوثائق من 833 إلى 1797.

أما خلال القرن السابع عشر و الثامن عشر فقد وضع الفرنسيون الأنموذج الذي سارت على نحوه الدول الأوروبية، حتى أصبحت اللغة الفرنسية لغة التعامل الدبلوماسي [228] مثلما هو الحال بالنسبة للغة الانجليزية في وقتنا الحالي.

لقد تأصلت مفاهيم اللياقة و المجاملة في عهد الملك الشمس لويس الرابع عشر Louis XIV و بتأثير من وزيره الكاردينال ريشليو Richelieu * الذي يعد بحق رائد الدبلوماسية الفرنسية منذ 1616 ، فهو أول من جعل المفاوضة مهنة دائمة[229] و تدعمت الدبلوماسية

---

227 -قدوري عبد المجيد ، المغرب و أوروبا ... م سابق، ص 314.

228 - بركات جمال . الدبلوماسية ماضيها و حاضرها و مستقبلها .القاهرة 1991 , ص 41.

* ريشليو : الكاردينال 1585 – 1642 و هو مؤسس الأكاديمية الفرنسية كان له تأثير كبير في السياسة الداخلية و الخارجية لفرنسا.

229 -بركات جمال ، ، ن م ، ص 41.

الفرنسية بجهود مازاران Mazarin* و كولبير Colbert اللذان اهتما بأشكال الممارسة من حيث المظهر و لباس القناصل و قواعد الأسبقية و الاهتمام بآداب الإتيكت و اللياقة.

أ- تعريفها :

- ❖ الإيتيكيت Etiquette : هي كلمة فرنسية تعني البطاقة و هي تستعمل حديثا للدلالة على بطاقات الدعوة التي توزع في المناسبات في الأوساط الدبلوماسية على الأفراد بهدف التقيد بالتعليمات المدرجة عليها و بذلك أصبحت مرادفة للآداب و التصرفات التي يلتزم بها هؤلاء الأفراد و عموما هو الذوق و مراعاة شعور الآخر.
- ❖ البروتوكول Protocol : كلمة انجليزية تعني حسب ما جاء في قاموس أكفورد هي قواعد السلوك و أصول المجاملات أو فن السلوك المهذب المطبق في المناسبات، و في الأصل هي كلمة يونانية تعني صفحة السجل ، أما في المصطلح الدارج فتعني التقليد أو القاعدة.
- ❖ المراسيم : هي كلمة عربية تطلق على مجموعة الإجراءات الرسمية التي تفرضها طبقة العمل الدبلوماسي التي تقوم على اللياقة و اللطف و الذوق السليم[(230)] في العلاقات.

و باللغات الثلاث لها مدلول واحد و هي القواعد العامة تناقلتها الأجيال عبر العصور.

بتطور العلاقات بين الدول ، تحولت هذه القواعد إلى صفة الإلزام و يجب أن يحرص المبعوث على المجاملات في السراء و الضراء[(231)] و في مختلف المناسبات و قد يترتب عن إغفالها و عدم احترامها إلى حدوث أزمات حادة في العلاقات الثنائية بين الدول مثلما سنرى لاحقا، فكثيرا ما تؤدي إلى طرد القناصل و إن كانت النماذج عن ذلك نادرة.

---

* مازاران جول : 1602 – 1661 أصبح كاردينال بمساعي ريشليو ، وزير حنة النمساوية إلى حين بلوغ لويس الرابع عشر سن ممارسة ملكه، أنهى حرب الثلاثين سنة.

[230] *عطا محمد صالح زهرة. أصول العمل الدبلوماسي و القنصلي.ليبيا, 1994، الطبعة الأولى، ص 181.*

[231] *قادري حسين. الدبلوماسية و التفاوض. (الجزائر :منشورات خير جليس، الطبعة الأولى، 2007)، ص 40.*

ساهمت المؤتمرات الدولية بدور متميز في تثبيت و ترسيم القواعد و الأسس العامة للبروتوكولات الدبلوماسية لا سيما مؤتمر فيينا[232] –الذي تناول مهام الدبلوماسيين و حصاناتهم و امتيازاتهم. فقد توصلت الدول المشاركة[233] إلى وضع نظام لترتيب السفراء جعل مبعوثي البابا في الدرجة الأولى و أعقبه مؤتمر أكس لاشابيل Aix Lachapelle في 1818.

ب- **التحية المدفعية :**

هذه المراسيم و إن أخذت طابع العالمية إلا أن بعضها يحمل خصوصية الطابع المحلي و ذلك ما نراه في إيالة الجزائر. لقد كانت كرامة هؤلاء القناصل و المبعوثين أو حتى بمجيء السفن الحربية إلى مدينة الجزائر مصاغة بمجموعة من التشريفات تقرها المعاهدات و ذلك ما أقره البند الثاني من معاهدة 21 مارس 1619 :

"إن شخصية القنصل تحترم و يتمتع بنفس التشريفات والامتيازات و الحقـوق التي يتمتع بها نظرائه فـي موانئ السلطان..."[234].

و هو ذات البند الذي تؤكد عليه فرنسا في معاهدتها اللاحقة ، كما خول للرعايا الفرنسيين التجار على وجه الخصوص الاستفادة من مختلف الامتيازات و من خلال ما جاء في المعاهدات المبرمة بين الجزائر و بقية الدول التي كانت لها تمثيليات دبلوماسية في الجزائر يتجلى أنها تعاملت معها من حيث التقاليد و التشريفات بمبدأ المساواة[235].

تبدأ هذه المراسيم بوصول السفن الحربية الأجنبية و رسوها بميناء مدينة الجزائر بإطلاق احدى و عشرين طلقة مدفعية و يقوم الأسطول أو السفينة برد التحية بعدد مماثل من

[232] قادري حسين، ن م ، ص 18.

[233] -الدول المشاركة : النمسا :(ميترنيخ و الإمبراطور فرانسيس الأول)، انجلترا : (كاسلري و الدوق ولنقتون) ، فرنسا (تاليران)، روسيا (ألكسندر الأول)، بروسيا (فردريك وليام).

[234] - قنان جمال ، معاهدات ....، م سابق ، ص 271.

[235] - ANP/A.E. B3 322. Dossier traites entre l’empereur et la république d’Alger.

الطلقات[236] ، و يذكر الزهار أن النصارى يطلقون اثنان و عشرون طلقة بينما نحن احدى و عشرون طلقة و يفسر ذلك أن المسلمين يتمسكون بما ورد في الحديث الشريف :

".... لأننا نمتثل لقوله صلى الله عليه و سلم : الله وتر و يحب الوتر..."[237]

و إذا ما نزل قائد الأسطول أو المبعوث إلى البر يتم تحيتهم بخمس طلقات و تتكرر العملية عندما يرحل نهائيا و ذلك ما ذكره دارفيو D'Arvieux في مذكراته :

"بوصولنا إلى الجزائر حيينا المدينة و الداي بخمس طلقات عندما قدم إلى السفينة ، و تمت تحيتي من قبل كل المراكب الفرنسية و الانجليزية و الليفورنية بخمس طلقات..."[238].

تجدر الإشارة إلى أن هذا المبعوث لم يحض باستقبال لائق من قبل الديوان و حسب ما تفرضه مكانته بسبب ترفعه و تكبره[239].

كما يقتضي التشريف أيضا إطلاق عدد من الطلقات المدفعية دون أن نجد في الوثائق عدد الطلقات و ذلك عند التوقيع على المعاهدات و الإعلان عنها[240].

و تكريسا لمبدأ الضيافة متى بقيت السفن أو الأسطول الأجنبي في الميناء ترسل إليه سلطات الإيالة بهدية و هي عبارة عن عجول و دجاج و خبز و فواكه، لكن بعد ذلك يدفع قنصل

---

[236]- ANP/ AE B3 322 المادة 20 من معاهدة الجزائر و الدانمارك 10 أوت 1746

« Lorsque un vaisseau de guerre danois se sera mis à l'ancre de la rade d'Alger et que le consul l'aura fait savoir au dey , le dey fera saluer le vaisseau par 21 coups de canon du château à quoi le vaisseau répondra par autant de coup résolu ».

[237]- الزهار شريف. مذكرات أحمد الزهار نقيب أشراف الجزائر . تقديم و تحقيق أحمد توفيق المدني . الجزائر ، 1974 ،ص ص 150-151.

[238] -Labat, R. P. J- B .Mémoire du Chevalier d'Arvieux , envoyé extraordinaire du Roy à la porte, consul … (S.L) , (S.D) p 80

- Courtinat Roland. La piraterie Barbaresque en méditerrané XVI – XIX. (Paris : Ed Jacques Gandini, 2003) p 91 :

لقد وصل دارفيو إلى الجزائر في ظروف صعبة و هي الفراغ القنصلي إذ طرد القنصل بورديو Bourdieu و نقله إلى مرسيليا على متن سفينة بقيادة M. Dalmeras لأنه اتهم بتواطئه في فرار الأسرى على متن سفينة فرنسية.

[239]- Grammont, H - De . H .Alger …. Op cit , p23.

[240] -ACCM . série J Art 1875 رسالة أرنو في ماي 1666

دولته 40 دولار و 14 دولار مقابل الهدية[241] ، و إن كنا نرى في بعض الكتابات الجحود و إنكار لجميل الضيافة على أن ضيافة الجزائريين لا تزيد عن ثلاثة أيام[242] جاهلين بذلك عادات و تقاليد البلاد بالإضافة إلى شريعتها الإسلامية التي تنص على أن الضيافة لا تزيد عن ثلاثة أيام[243].

و نجد نفس الشيء في أرشيف القنصلية الفرنسية [244] أنه عند قدوم القطع البحرية الهولندية و إرساؤها بميناء الجزائر تمت تحيته بـ 21 طلقة مدفعية و رد الأسطول بالمثل غير أن الاختلاف مع أغلب المصادر التي تتفق على خمس طلقات عند النزول نجد في هذه المرة أنه تمت تحيتهم بسبع طلقات مدفعية.

قد يتملص البعض من هذا التقليد كما فعل بارلو Barlow أول قنصل أمريكي بالجزائر (1796-1797)[245] الذي وصل إلى ميناء الجزائر يوم 4 مارس 1796 قادما من أليكانت Alicante * و تمت استضافته بقصر الداي و خصص له جناح في الطابق الثاني من القصر فتحايل هو و كاتكارت Catcart لعدم الرد على الضيافة.

و هناك حالات خاصة يمكن فيها إطلاق عدد من الطلقات المدفعية كما فعل فاليير Valliere بعد الاستئذان من سلطات الإيالة في سنة 1774 [246] و ذلك بعد وصول نبأ وفاة الملك لويس Louis XV و بما أن القباطنة الفرنسيين نفذ لديهم البارود فقد استلف هؤلاء برميلا من البارود من وكيل الخرج.

ت - الاستقبال و تقبيل اليد

---

[241]- شالار وليام. مص سابق ,ص 66 .

[242] -Plantet , E . Les consuls …. Op cit , p 80.

[243]- الماوردي. الأحكام السلطانية في الولايات العربية . (بيروت : دار الكتاب العربي ، 1999) ط III ، ص 257 : "و إذا صولحوا على ضيافة من مر بهم من المسلمين قدرت عليهم ثلاثة أيام، و أخذوا بها لا يزادون عليها" و في حديث أنه عن المقداد بن معد يكرب قال : الرسول الله صلى الله عليه و سلم عن أبي شريح الخزاعي قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :"الضيافة ثلاثة أيام و جائزته يوم و ليلة...".

[244]- ACCM .série J Art 1365 :

هذه الضيافة التي قدمت للأسطول الهولندي المتكون من 52 قطعة بقيادة Mr Pierre Henry Reynet

[245] - تابليت علي : "القنصل الأمريكي الأول في الجزائر 1796-1797 جويل بارلو"، مجلة حوليات الجزائر ، العدد 9، سنة 1995-1996 ، ص ص 54-55.

*أليكانت Alicante : تقع جنوب شرق اسبانيا تعد من أهم الموانئ الاسبانية تعرضت للحصار الإنجليزي و الفرنسي أثناء حرب الوراثة

[246] -ACCM. Série J Art 1370, objet : consulat d’Alger langoisseur de la vallée 1774-1782.

❖ –الاستقبال

يتم استقبال المفوضين كل في قنصليته حيث تتم المجاملات و التشريفات ما بين الرعايا المسيحيين و البعثات الدبلوماسية ، يخبرنا دارفيو D’Arvieux أنه عند وصوله إلى مقر القنصلية الفرنسية وجد في استقباله القنصل الانجليزي و الآباء الماثوريين البرتغاليين[247] الذين قدموا إلى الجزائر لافتداء الأسرى المسيحيين من كل الجنسيات ، و حسب العرف الدبلوماسي مثلما أشرنا في مقدمة المبحث أنه على القناصل الأجانب أن يكونوا حاضرين عندما ترسو سفن جنسياتهم.

تشمل جملة التشريفات عند المقابلة مع حكام الإيالة و التي اعتبرتها الدول الأوروبية قمة في الاهانة و ذلك ما يدفعنا إلى التساؤل ما الذي دفعها إلى قبولها ؟؟؟ و لا سيما بروتوكول تقبيل اليد[248] .

بقدوم القباطنة و المبعوثين الأجانب يقدمون و يتبادلون التحية و يقومون بمراسيم الزيارة و الاستقبال، إذ نجد في سجل موثقية القنصلية الفرنسية تقرير الموثق جرمان Germain J.B [249] أنه رست بميناء الجزائر سبع سفن حربية انجليزية و نزل قبطانها الذي وجد في استقباله قناصل الدول الأوروبية و على رأسهم القنصل الانجليزي لتحيته كما جرى العرف و إخطار الداي فيما بعد ، و كان ذاك القبطان مكلفا بإجراء مفاوضات مع الداي لاستعادة غنيمة انجليزية استولى عليها بحارة جزائريون و تتمثل في حمولة مهمة من

---

[247] Labat, R.P .op cit , p 83.

[248]- Grandchamp pierre : « Le baise main des consuls à la cours de Tunis » , R.A , 1945 , pp 291-292.

[249] - ACCM .Série L III, Art 259 , objet : compagnie royale d’Afrique : lettre de J.B Germain agent à Alger 1749-1751.

و تتجسد المعلومة في تقرير 20 أوت 1749 جاء فيه بالتفصيل أسماء السفن :

- Le centuron : commandant Van Keppel 30 canons.
- L’assurance : capitaine Daniel 36 canons.
- La rose : capitaine Bladvell 36 canons.
- Le gorland: capitaine Villet 36 canons.
- Le triton : capitaine Burthnet 36 canons.
- Le tryul : capitaine Crafs 36 canons.
- Filly sloop : capitaine Whiat 36 canons.

القمح و 1700 قطعة نقدية اسبانية و عشرون غراما من الماس . و يبدو أن مفاوضات كبيل Keppel كانت على درجة من الصعوبة لأنها استغرقت ما يقارب السنتين[250].

كان من مهام القناصل الحفاظ على مراسيم الاستقبالات لمبعوثي دولهم مهما كانت مكانتهم ، المهم أنهم رعاياهم و ذلك ما نستشفه من مذكرات بايصونال Peysonnel [251] الذي يشير إلى القنصل الفرنسي دوران Durand الذي استقبله بكل حفاوة عند تقديم أوراق الاعتماد من أجل تسهيل مهمته العلمية من قبل سلطات الإيالة، و هذا على سبيل المثال لا الحصر.

تتمثل مجاملات التحية خاصة في المناسبات كتقديم التهاني أيام الأعياد (الفطر و الأضحى)، أو تقديم التهاني من قبل القناصل عند التنصيب للداي و الموظفين الكبار ، فبهذه المناسبة قدم القنصل فالبير Valliere هدايا لكل من حسن باشا و الخزناجي و الأغا قدرت بـ 7233 جنيه تورنو[252] بمناسبة توليته المناصب الجديدة و يتكرر ذلك كل ما وصل داي جديد إلى سدة الحكم تقربا و حفاظا على المصالح الاقتصادية.

❖ **تقبيل اليد:**

من مبادئ اللياقة أن توجه الدعوات إلى قناصل الدول ليشاركوا في الاحتفالات و تقديم المجاملات للداي، إذ يشير شالر Shaler أنه لا يخصص لكل مكانته إذ يتركون وسط الحشد داخل قاعة في انتظار تقديم التحية و يركز على هذه القاعدة :

"... لكي يثبت القناصل تبعيتهم تقضي هذه القواعد أن يقبلوا يد الباشا كل مرة يقفون أمامه..."[253].

---

250 - Play fair R.L : « Histoire des relations de la Grande - Bretagne avec les Etats Barbaresques avant la conquête Française » R.A, 1878, pp 407-408.

يبدو أن كبيل كان في مهمة للتفاوض مع دول شمال إفريقيا لأنه قبل مفاوضاته مع الجزائر كان قد تفاوض مع حاكم تطوان بشأن وقوع الانجليز في الأسر أيضا و ذلك في 13 جوان 1749.

251- Peysonnel , J. A. Voyage dans la régence d'Alger et Tunis. Paris, 1987, p 215.

252- A.N.P /AE. B1 145 فرساي 15 جويلية 1795

253- شالر وليام ، مص سابق ، ص 67.

و قد ورد هذا النوع من البروتوكولات في جل الكتابات الغربية حتى عند رجال الدين إذ يشير إلى ذلك الأب فاي Jean de la Faye عند ذهابه إلى مدينة الجزائر لافتداء الأسرى :

"أنه أثناء احتفال المسلمين بعيد الفطر و الذي

يدوم ثلاثة أيام يتجه المسيحيون لتهنئة الداي

يتقدم كل قنصل طائفته كل حسب دوره لتقبيل يد الداي "[254].

غير أن هذا التقليد الذي تدمر منه الأوروبيون كان عرفا سائدا في الدولة العثمانية و إيالالتها مشرقا و مغربا[255]، فترك هذا شعورا بعدم الرضا لدى المبعوثين الأجانب لا سيما مع أواخر القرن الثامن عشر و بداية القرن التاسع عشر ،ما يلاحظ هو ارتباط ذلك التذمر بضعف الدولة العثمانية ، إذ لا نجد له أثرا خلال القرنين السادس عشر و السابع عشر.

و هذا التقليد لا ينحصر على الأجانب فقط بل حتى مع البايات و بقية الرعية فهم يقبلون يد الداي عندما يمثلون أمامه و ذلك ما يشير إليه تقرير الشركة الملكية الإفريقية عندما امتثل وكيلها مع باي قسنطينة و القنصل فالبير Valliere أمام الداي[256]، على أن المقابلة لم تتم فيها أية مراسيم معتادة ما عدا تقبيل يد الداي من طرفهم جميعا ، و يقدم إلى كل من يستقبله الداي (الباي أو خليفته ، القنصل أو المفوض...) القهوة التقليدية ، و يقتضي العرف أن يترك الضيف على صحن فنجان القهوة قطعة من النقود الذهبية[257] تكون في مستوى مرتبة الزائر الذي نال شرف شرب قهوة الداي و غالبا ما يكون القهواجي أسيرا مسيحيا فيجمع هذا المبلغ في صندوق محفوظ في منزل الداي ليضيف عليه مبلغا من ماله الخاص ليوزع على الأسرى مرتين في السنة.

---

[254]- Faye, p, jean de la , Denise Machant et autres . Voyage pour la rédemption des captifs aux Royaume de Maroc et d'Alger, pendant les années 1703 , 1724 et 1725. (Paris : Ed Bouchene, 2000) p CXXXV.

[255] - Grandchamp , p . « Le baise main des consuls a la cour de Tunis ». RA, 1945, pp 291-292.

[256] - ACCM .Série L III art 313. رسالة القنصل فالبير بتاريخ 6 ماي 1765.

[257] -كاتكارت . مذكرات أسير الداي كاتكارت قنصل أمريكا في المغرب . ترجمة إسماعيل العربي . (الجزائر: د م ج، 1982)، ص 51.

و تتم هذه المراسيم أيضا عند استقبال المفاوضين بالاعتماد على مذكرات إيتون بشأن استقبال المبعوثين الأمريكيين من قبل الداي في قصره يذكر ما يلي :

"... هنا قلعنا أحذيتنا و دخلنا إلى مكان أشبه بالكهف ، الأنوار جد ضئيلة ... ما هي إلا لحظات حتى كنا نقف أمــام وحش ضخم الجثة... عندما دنونا منه مد يده إليــنا... و عندها أشار علينا دليلنا بأن قبلوا يد الداي ، فانحنى القنصل العام ، انحنى القنصل باحترام كبير و قبل يده و حذونا حذوه على التوالي... همـمنا بالانصـراف بأخـذ أحذيتنا و أغـراض أخـرى...فقد أجبرنا... على أن نبدي خالص الآداب و الاحترام..."[258] .

يتم استقبال الأجانب و تحدد لقاءاتهم مع الدايات في الفترة المسائية[259]. و كما ذكرنا سابقا تذمر قناصل الدول الأوروبية و الولايات المتحدة الأمريكية من هذا البروتوكول إذ كانوا يشعرون بالاهانة الدائمة التي لم تقتصر على تقبيل اليد و إنما تعدته إلى بروتوكولات أخرى، كالتحية و الانحناء عند المرور أمام قصر الجنينة[260] و قصر القصبة لاحقا*.

كان القناصل الأجانب مجبرين على السير و رؤوسهم عارية دون قبعة عند الوصول إلى القصر أو المرور أمامه[261] و إلا تعرضوا إلى مضايقات من قبل الحرس على عدم احترام هذه القاعدة ، كما أظهروا امتعاضهم من انحناء رؤوسهم تحت حاجز الخشب لمقابلة الداي[262] و إذا لم يسمح لهم بالدخول فيبقى القنصل جالسا عند المدخل على مقعد حجري مع الحرس، كما عليهم أن يتجردوا من سيوفهم في حضرة الداي[263] و عدم ركوب الخيل داخل القصبة[264] .

---

258 -لويس رايت و جوليا كلود. الحملات الأمريكية على شمالي إفريقيا في القرن الثامن عشر 1799-1805 ، تعريب محمد روجي البعلبكي . (طرابلس : مكتبة الفرحاني ، 1967)، ص 59.

259- Grammont, H -De. Alger sous…. Op cit, p 229.

260- Courtinat roland. Op cit , p 91.

*تغير مقر الدايات من الجنينة إلى القصبة في 1817 في عهد الداي علي خوجة، أنظر :

-Daniel panzac. Les corsaires Barbaresque, la fin d'une épopée 1800-1820.(paris : ed CNRS , 1999), p 246.

261 - Play fair, op cit, R.A 1880, p 193.

262-إسماعيل العربي. العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب و الولايات المتحدة الأمريكية 1776-1816. (الجزائر : ش.و.ن.ت 1978)، ص 35.

263- Plantet ,E . Consuls… op cit , p 50 كذلك

أثارت هذه القواعد و المراسيم حفيظة القناصل الأجانب الذين اعتبروها مساسا بهم و بسيادة دولهم ، فقد تذمروا و رفضها بعضهم حتى أنهم راسلوا حكوماتهم بهذا الشأن، ففي رسالة شهر فيفري 1753 يتبين تحسر القنصل الفرنسي من تصرفات الداي عبدي باشا* الذي فرض على القنصل الفرنسي و بقية الرعايا الفرنسيين على أن يسلموا على يده ، مما اضطر السيد قوتيه Gautier إلى الاختفاء عن الأنظار[265] ، تجنبا و تهربا من هذا العرف ، و بالتالي فهم يعلم البلاط الفرنسي عن هذا التصرف قصد التدخل.

و من رفض الالتزام بهذا التقليد كان مصيره الطرد بالرغم مما يتمتعون به من حصانة دبلوماسية ذلك ما حدث للقنصل الفرنسي ايفان Evant [266] الذي رفض أن يقبل يد الداي و كذلك رفضه الترجمان الذي فرض عليه لأنه يعمل جاسوسا لحساب الهولنديين[267] ، فطرد و عاد إلى فرنسا في حين رفض دولان Dulane صاغرا لذلك ، و في نفس السياق نجد القنصل الانجليزي فريزر Fraizer الذي رفض في 1767 خلع نعليه و التخلي عن سيفه و تقبيل يد الداي و نتيجة لهذا السلوك المتعجرف أعاده الداي إلى بلده[268]، حاولت بريطانيا إعادته و تقديم أوراق اعتماد جديدة ، لكن الداي رفض استقباله ، و في اليوم التالي عاد مع الأميرال الذي أحضره إلى انجلترا تفاديا لهذه المشاكل الدبلوماسية و خشية توتر العلاقات عينت الحكومة البريطانية في السنة الموالية قنصل جديد زودته الحكومة بأن يسلك سلوكا مرضيا للداي مع احترام طبائع البلد.

غير أنه مع مطلع القرن التاسع عشر تمكنت بعض الدول (فرنسا ، بريطانيا ، اسبانيا و الو.م.أ) أن يحرروا قناصلهم من هذا التقليد المهين الذي يدل على الخنوع[269]، و يرجع ذلك إلى تراجع قوة الإيالة البحرية في هذه الفترة و تعرضها للعديد من الهزات مثلما

- شالر وليام. ن مص ، ص 209 :
" لم يتمكن قائد الأسطول الفرنسي من الدخول إلى قصر الداي و سيفه معلق بجانبه و أنا نسيت أن أسجل أن القبطان سبنسر الانجليزي قد منع هو الآخر من الدخول إلى القصر لنفس السبب ، و هذا ادعاء جديد من الإيالة ، لأن القنصل الأمريكي شالر سبق أن قدم الى الداي عدد من الضباط الأمريكيين و الذين كانوا يحملون سيوفهم..."

[264] -Plantet, E. consul… , op cit , p 50.

*عبدي باشا : 1724-1732

[265] -A.N.P/ Marine B7 385 (Levant et Barbarie 1752-1753).
[266] -Plantet ,E . Les consuls ... Op cit , p 49.
[267]- Grammont, H -De. Alger sous… op cit , p 23.
[268]- العربي إسماعيل. العلاقات الدبلوماسية ... ، م سابق ، ص 36.
[269]-شالر وليام ، مص سابق ، ص 68.

سنتطرق لاحقا كالحملة الأمريكية و المعاهدة المفروضة ، حملة اكسموث Exmouth و حملة نيل Neal.

تم في مؤتمر فيينا 1815 ترسيم الأعراف و البروتوكولات الدبلوماسية ، و لما اتفقت الدول المشاركة بشأن القضاء على القرصنة و الرقيق الأبيض و الضغط على إيالات شمال إفريقيا ، ألغيت هذه العادة - تقبيل اليد- على حد تعبير شالر[270] بالنسبة لجميع قناصل الدول و في الوقت الحالي نصافح يده و ننحني أمامه ، و لجأ بعضهم إلى خلق الأعذار لإعفاء أنفسهم من حضور الاحتفالات.

ث- تبادل الزيارات بين القناصل

لم تقتصر البروتوكولات التي ميزت علاقة هؤلاء المبعوثين بالديوان فقط ، بل حتى فيما بينهم و تتجلى في تبادل الزيارات و كلها في نطاق المجاملات الدبلوماسية.

فبعد وصول القنصل إلى مدينة الجزائر يبادر زملائه القناصل أولا بالزيارة للترحيب به و تهنئته بالمنصب الجديد و تنظم على شرفه مأدبة عشاء في منزل أحد القناصل ، فيقول دوفال Deval "ذلك ما فعله اتجاهي كل من قنصلي سردينيا و الأراضي المنخفضة"[271]، و كذلك عند وصول السيد Puys قام بزيارته كاتب القنصلية الأمريكية السيد بيفال Bevel و من قبل غرامي Gramet كاتب قنصل انجلترا و بيس Bice نائب قنصل الدانمارك و فريزيني Fraizinet نائب قنصل هولندا و كذلك باكري اليهودي[272]، و إن كان بعض القنــاصل يتملص من هذه المجاملات تفاديا للنفقات.

---

[270]-شالر وليام ، ن مص ، ص 68.

[271] - A.E /CC . Vol 44 : juillet – septembre 1818, الرسالة المبعوثة من الجزائر 23 أوت 1818

[272] - A.E /CC .vol 44.1818 : تقرير 28 جويلية 1818

يعطينا هذا التقرير تفصيلا عن هذه المجاملة إذ يقول دوفال : أن نفس الشيء قام به اتجاهه قنصل الأراضي المنخفضة و سردينيا أقاما على شرفه مأدبة عشاء فخمة Dinner d'apparat كما رافق السيد Guys لزيارة قنصل الدانمارك في منزله الريفي حيث أقاما يوما و ليلة و حضيا باستقبال حار ، كما خصهم كاتب القنصلية الأمريكية بفطور صباح رائع في المنزل الريفي ، و استقبلهم قنصل السويد استقبالا حارا و دعوتهم للغذاء قبل العودة إلى المدينة ، و كان غذاءا بعيدا عن البروتوكولات.

لقد عرف القنصل السويدي شولتز Shultz * بإحيائه للحفلات الراقصة و التنكرية في منزله الذي يقع في شارع - La licorne تسمية العهد الاستعماري - و الذي يعد منزله من أجمل منازل مدينة الجزائر كما سنتطرق إليه لاحقا ، استقبل هذا القنصل في منزله الممثلين الدبلوماسيين الأوروبيين كل يوم سبت[273].

إن التنافس و الخلافات بين فرنسا و انجلترا لم تمنع قنصليهما من القيام ببروتوكولات المجاملة و تبادل الزيارة خاصة في فترة الصراع الفرنسي الانجليزي ما بين 1806-1809 إذ يسجل حضور القنصل الانجليزي حفل عشاء في منزل القنصل تانفيل Thainville الذي تقام سنويا في تاريخ 15 أوت إحياءا لعيد الإمبراطور[274]. و نجد تفصيلا عن هذه المناسبة في مذكرات السيدة بروتون Broughton [275] ابنة القنصل الانجليزي بلانكلاي Blanklay حيث : تشيد بالقنصل الفرنسي و زوجته السيدة تانفيل و تميزها بحسن الضيافة و اللياقة على النمط الارستقراطي للبلاطات في أوروبا ، و بذلك يتبين أن مجتمع القناصل في مدينة الجزائر كان يتجاوز الخلافات بين الدول الأوروبية.

و يمكن من خلال المذكرات و المراسلات أن نستشف حتى المعاملات ما بين زوجات القناصل ، فزوجة تانفيل Thainville * المتميزة بدلالها و تأنقها و هي قريبة الأسرة الملكية السويدية و الاسبانية من فرع كلاري لمرسيليا Calary de Marseille ، كانت تذهب سنويا إلى فرنسا - باريس - و تعود بمختلف الألبسة و الزينة لنساء القناصل و كانت

---

*شولتز Shultz : ضابط في المدفعية في الجيش السويدي ، أرسل في مهمة إلى مدينة الجزائر سنة 1812، و كان له الفضل في بناء دار البارود، تقلد في 1824 منصب قنصل السويد و النرويج ، بقي في منصبه حتى وفاته سنة 1847 و يعد من الشهود العيان لحادثة المروحة.
و الأجمل هي تلك السهرات و اللمسة الباريسية لزوجته الشابة و التي تصغره سنا ، رغم أنها ولدت في منطقة لانكاستر Lancaster و هي محبة للفن خاصة الرسم أنظر :
مقال أندري نوشي حول مربع القناصل، ص ص 22-23.

[273]- Nocchi Edouard : « Le carré des consuls au cimetière Sainte Eugene d'Alger » l'Algérianiste, mars 1987, N° 37, p 23.

[274] - Boyer, p. La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention Française. (Paris : Ed Hachette, 1963), p 255.

[275] - Bardoux, J : « La vie d'un consul auprès de la régence d'Alger ». R.A, 1924, p 279.
نفس الشيء يذكره القنصل دوفال Duval في رسالة 31 نوفمبر 1821 أنه تجاوزا للخلافات التي كانت له مع قنصل انجلترا Mc donelle أنه تم تبادل الزيارات ، و زيارة عائلته كذلك ، كما نظم على شرفه مأدبة عشاء فخمة حضرها كل القناصل و الأوروبيين و رد له تلك الدعوة.

-AE/CC .Vol 45 1819-1821.

*السيدة تانفيل Thainville : ابنة كلاري Clary المصرفي من مرسيليا و المصاهرة بين عائلة كلاري و جوزيف بونابرت.

بلانكلاي الانجليزية الوحيدة التي تلبس على المودة الباريسية ، في حين عانت الانجليزيات من فقدان المودة الباريسية في هذه الفترة بسبب الحصار المفروض على فرنسا ، و كن نسوة القناصل ينتظرن عودة السيدة تانفيل بفارغ الصبر و يشدن بخصالها و عدم أنانيتها .

فضلا عن العزائم و الولائم ، فمائدة القنصل الفرنسي لم تكن تخلو من الضيوف (ما بين 10 إلى 12 شخصا) ما بين تجار فرنسيين وفدوا إلى المدينة أو حتى بعض الموظفين الكبار للديوان أو الرياس.

فقد سعى صانصون نابولون Sanson Napollon لكسب ثقة و صداقة العناصر النافذة في الديوان(276) عن طريق العزائم المتكررة شأنه شأن بقية البعثات الدبلوماسية تقربا و خدمة لمصالحهم لا سيما التجارية منها.

إضافة إلى تنظيم الاحتفالات الخاصة بالمناسبات الدينية كأعياد الميلاد و أعياد الفصح (عيد القيامة) Noel et paque (277) التي يحضرها الأحرار من الأوروبيين و كذا الأسرى ، و يحظى القناصل بالتهنئة من قبل القناصل و موظفي الديوان.

كان الوسط الأوروبي متميزا في الجزائر بلباسه الأوروبي ، فقد أولى القناصل اهتماما بالغا بحسن المظهر عند مقابلة أعضاء الديوان و لا سيما عند مقابلة الداي إلى درجة المبالغة ، و لنا في ذلك نموذج في الفارس دارفيو Le chevalier Laurent d'Arvieux (278) الذي لم يلق الترحيب من أعضاء الحكومة بسبب عجرفته و غطرسته ، لذلك رحل سريعا ليخلفه الأب لوفاشي، كما نستشف الاعتناء بالمظهر و الملبس من خلال ما

276- Blavin, j . La condition de la vie des français dans la régence d'Alger. Alger ,1899. p 56.

277- Ibid p 57.

278 -Plantet, E. Consuls … op cit , p 20 :

*تكونت الحملة من :

- The Lyon , sir robert mansel , 250 hommes , 40 canons.
- The vantgard amiral sir chard hawkins 250 hommes , 40 canons.
- The rainbow , contre amiral sir thomas button , 250 hommes , 40 canons
- The constat capitaine , Arthur main warry , 250 hommes , 40 canons
- The anthelope capitaine sir henry palmer 250 hommes , 40 canons
- The convertine capitaine Thomas low 320 hommes , 36 canons

-Paly fair , R.A 1878 op cit , p 306.

قام به قائد الحملة* الانجليزية السير روبير مانصال Sir Robert Mansel [279] سنة 1620 أثناء التفاوض مع الإيالة اختار أحد بحارته و ألبسه لباسا لائقا و أنزله كقنصل.

بالنسبة للفرنسيين هناك مذكرة ملكية بتاريخ 3 نوفمبر 1700 [280] تعطي القناصل صلاحية مراقبة سلوك هؤلاء التجار أثناء إقامتهم في الجزائر.

كانوا يتجمعون في إطار مجموعة تعرف بالأمة Nation و المتكونة من القنصل و نوابه ، القساوسة و الموثقين أي ما يمثل موظفي السلك الدبلوماسي و يضاف إلى الأمة الفرنسية ممثلين من الباستيون Bastion[281] و ما بين اثنان إلى ثلاثة تجار مقيمين في مدينة الجزائر و هي تجتمع بشكل عادي أو كلما دعت إليه الضرورة.

كما يمكن إدراج رسائل أو زيارات التهاني و كذلك التعازي من ذلك بالإشارة إلى رسالة كل من قنصل سردينيا في 21 نوفمبر 1824 و رسالة شالر 20 نوفمبر 1824 و رسالة قنصل الدانمرك Carthensen إلى دوفال Duval بغرض تعزيته بوفاة لويس الثامن عشر Louis XVIII و مشاركة الفرنسيين خطبهم في فقدان ملكهم[282]. و في نفس السياق نجد من خلال رسالة 21 نوفمبر 1824 للقنصل العام لسردينيا مشاركته الفرنسيين أحزانهم بوفاة الملك لويس الثامن عشر و ذلك بنكس راية (العلم) سردينيا من الساعة التاسعة صباحا إلى السادسة مساءا[283].

و في نفس الوقت تهنئته باعتلاء شارل العاشر Charle X العرش ، كما نجد أيضا نوعية الكتابات الدبلوماسية في تعزية الداي حسين لشارل العاشر عن طريق القنصل Duval [284] (بدون تاريخ).

---

279 -Playfair, op cit R.A 1878 pp 305-307.

280 - Blavin, op cit, p 14.

281 - Devoulx, A. les archives des consulats … op cit

282 - AE /CC Vol 33 Alger, 1824.

283 - AE/ CC Vol 33.

284 - AE /CC Vol 33:

يمكن إدراج المجاملة الدبلوماسية من خلال مراسلة الداي إلى لويس الثامن عشر Louis XVIII بتهنئته بالعودة إلى عرش أجداده فتم التأكيد و تثبيت معاهدة 1818 ملف :

-A.N.P / AE B3 322 : précis des traites entre la France et Alger et des expéditions.

2-الاسبقية و الحصانة الديبلوماسية:

- ا -الأسبقية préeminence

❖ تعريفها :

هي الأولوية التي يحظى بها القنصل أو السفير على غيره من نظرائه في الاستقبال أو في تأدية بروتوكولات التهنئة و غيرها لدى الدولة المضيفة أو في الحفلات و المؤتمرات، و ذلك ما كان ساريا في الجزائر بين القناصل الأجانب و بالأخص قنصلا فرنسا و انجلترا.

كان التنافس على أشده بين القناصل لاحتلال الصدارة فتحولت في الجزائر و حتى في الدول الأوروبية إلى مشكلة عويصة تثير الصراعات في الدول من أجل الحفاظ على عزوة دولة ما :

" لقد كان هناك نزاع لا نهاية له حول الأسبقية ، و ذلك لأنه على الممثل الدبلوماسي المقيم أن يحافظ على عزة تاج سيده باعتباره ممثلا له..."[285]

لقد طرحت هذه المشكلة في المحافل الدولية تفاديا للمواجهات و توتر العلاقات بين الدول كما حدث بين اسبانيا و فرنسا في حادثة عربة السفير الاسباني في 30 سبتمبر 1661[286]، فاقترحت بعض الدول كالسويد بضرورة وضع حد لمشكل الأسبقية على أساس مبدأ المساواة في مؤتمر وستفاليا عام 1648 [287] لكن هذا الاقتراح قوبل بالرفض ، غير أن الدول الأوروبية خطت خطوة هامة خلال القرن التاسع عشر للتوصل إلى اتفاق لوضع حد

---

[285]عطا محمد صالح، م سابق، ص 189 عن
-Mattingly Garret. Renaissance diplomaty , London , 1963, p 251.

[286]- Nicolson, Haroid. Diplomaty. London , 1969 , p 99 :
"تتمثل هذه الحادثة عند وصول المبعوث السويدي إلى ميناء تور Tour في لندن ذهب كل من السفيرين الفرنسي و الاسباني لاستقباله و تحيته كما جرت العادة، حاول السفير الفرنسي أن يسبق عربة السفير الاسباني و في إطار السباق اصطدمت العربتان ، و لما علم الملك الفرنسي لويس louis XIV قطع العلاقات مع اسبانيا و هدد بإعلان الحرب إذا لم تقدم اسبانيا اعتذارا فوافق الملك الاسباني على معاقبة سفيره في لندن مع تقديم التعويضات..."

[287] -رسخ هذا المؤتمر مفهوم التمثيل الدائم للبعثات الدبلوماسية ترسيخا للسلم و الاستقرار في أوروبا ، لقد أنهى الحرب الثلاثين سنة بين دول أوروبا ، راجع :

لمشكل الأسبقية في مؤتمر فيينا عام 1815 * فقد جعلها تعتمد على مبدأ الأقدمية حسب تاريخ تنصيب القنصليات في عواصم الدول المعتمدة فيها.

❖ التنافس الفرنسي الانجليزي على الأسبقية :

في سياق الأسبقية يشير المبعوث دارفيو D'Arvieux في مذكراته[288] أنه تقدم لدى الداي هو و حاشيته بحكم أسبقية القنصل الفرنسي في الجزائر -الأقدمية- التي تضمنها له المعاهدات و الاتفاقيات كالبند السابع من معاهدة 17 ماي 1666 :

"إن القنصل المعني سيتمتع بالتكريم و التسهيلات و كل الامتيازات التي منحتها أو ستمنحها في المستقبل الاتفاقات... فالقنصل الفرنسي سيتمتع بحق الأولوية و السبق على غيره من القناصل..."[289].

كانت أسبقية الفرنسيين على باقي الأمم من النقاط الحساسة في العلاقات الفرنسية الجزائرية و استعمال الراية البيضاء La Bannière Blanche فقد حاول المبعوث تورفيل التركيز في مفاوضاته و المعاهدة الموقعة في 25 أفريل 1684 في البند السابع و العشرين : "إن السفن الفرنسية تحيى بأكثر قدر من الطلقات المدفعية... "[290]. ليعاد طرحها في 1689 و كذلك في معاهدة 1 نيفوس العام العاشر.

لقد حاولت فرنسا تكريس مبدأ الأفضلية لممثليها على بقية ممثلي الدول الأوروبية لا سيما الانجليز من خلال ترسيم المبدأ عن طريق المعاهدات المبرمة كالبند التاسع و العشرين

-ياغي إسماعيل و عبد الفتاح حسن أبو علية. تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر، (الرياض : دار الفتح و الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية) ص ص 118-120.

*انعقد هذا المؤتمر ما بين سبتمبر 1814 إلى جويلية 1815 كإتمام لمعاهدة باريس، و من أبرز الشخصيات التي لعبت دورا في هذا المؤتمر (ميترنيخ، كاسرليه ، تاليران) و شمل بذلك الدول المتحالفة ضد نابوليون بونابرت (روما ، النمسا ، بروسيا و بريطانيا) انظر

:نعنعي عبد المجيد ، أوروبا في بعض الأزمة الحديثة و المعاصرة 1453-1848 ،(بيروت : دار النهضة العربية ، 1983)، ص ص 324-328.

[288]- Mémoire d'Arvieux , T.VI ,op cit p 155.

[289] -قنان جمال ، المعاهدات ... ، م سابق ، ص 286،298،343.

و هو نفس المبدأ الذي تنص عليه معاهدة 24 أفريل 1684 في بندها السابع عشر : "أن القنصل المعني يكون له حق السبق على غيره من القناصل و له كل الصلاحيات..."

كما يتأكد في البند السادس عشر من معاهدة 24 سبتمبر 1689.

[290] - Devoulx, A : « Un incident diplomatique à Alger en 1750 ». R.A 1872, p 82.

لمعاهدة 17 سبتمبر1789 [291] و حتى من خلال تحية السفن بالمدافع أنه من حق فرنسا أن تحيى بأكبر قدر من القذائف أي بأكثر من 21 طلقة ، غير أن كل المصادر و الوثائق الأرشيفية تحدثت عن 21 طلقة كتحية لجميع الدول بدون استثناء و بذلك نستنتج أن الإيالة الجزائرية لم ترتب الدول ذات علاقة معها حسب الحجم و القوة و إنما تعاملت معها على مبدأ المساواة ، و إن حظيت فرنسا بالأسبقية .

وتعدت هذه الأسبقية المجال الدبلوماسي إلى مجال الامتيازات و احتكار تجارة المواد الأساسية في موانئ بايلك الشرق[292] ، ففي 1747 [293] رفض باي قسنطينة "حسن خوجة"* بيع الحبوب للعديد من السفن الانجليزية و السويدية و الهولندية على أساس أنه لا يوجد حبوب للتصدير إلا للفرنسيين و هذا كدليل على الأفضلية التي يتمتع بها الفرنسيون.

و في نفس السياق و الأسبقية التي تتمتع بها فرنسا عن باقي الدول الأوروبية هي أفضلية التعامل معها تجاريا حتى في الأوقات الحرجة و الصعبة ، إذ في 1759 منع الداي منذ بداية السنة تصدير كل أنواع الحبوب من موانئه (بسبب الجفاف) الذي ضرب البلاد[294] ، فأرسلت فرنسا مراقبا إلى القنصل يطلب استفسارات تأخر وصولها فرد عليه القنصل بأنه الوحيد الذي سمح له الداي بشحن الحبوب من مينائي بجاية و عنابة ، و كتب في هذا الشأن إلى باي قسنطينة** لتسهيل التعامل مع الفرنسيين (رسالة بيرو perou 12 أكتوبر 1759).

---

[291] -ANP / Marine, B7 528 (Levant et Barbarie) :

البند 29 :" كلما أرست سفينة حربية فرنسية في ميناء الجزائر و بعد إخطار القنصل للداي يجب تحية سفينة الإمبراطور بأكبر قدر من الطلقات المدفعية أكثر مما يتم به تحية سفن الدول الأخر" مع ملاحظة أن المعاهدة لا وجود لها في دراسة الأستاذ قنان "معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830" و التي ذكر فيها كل المعاهدات ما عدا هذه المعاهدة التي لم أجد لها أثرا.

[292] تتمثل هذه المواد في : الحبوب ، الصوف ، الجلود ، المرجان و الشمع ، راجع الزبيري العربي ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792-1830.(الجزائر: م و ك ، 1984).

[293]- ACCM .Série L III, Art 310, objet : compagnie royale d'Afrique :

رسالة 15 سبتمبر 1747.

*حسن خوجة : 1736-1754 المعروف ببوحناك. أنظر//

// - Gaid Mouloud. Chronique des Beys de Constantine. (Alger : OPU) pp 32- 33.

[294] -ANP / AE .B1 130.

** الداي المشار إليه هو أحمد بن علي المعروف بالقلي 1756-1771 أشهر خلفائه صالح باي الذي زوجه ابنته ثم خلفه على رأس البايلك ، أنظر :

-فايست أوجين . تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي ، 1792-1837 . تحقيق صالح نور . تقديم الشيخ عبد الرحمن . (الجزائر : دار قرطبة للنشر و التوزيع ، 2010).

و تتأكد هذه الأفضلية التجارية و السبق للفرنسيين في رسالة القنصل فالبير Valliere [295] للغرفة التجارية بمرسيليا التي يتعهد فيها الداي للقنصل أمام باي قسنطينة بضرورة احترام مصالح فرنسا خاصة في بايلك الشرق، و جاء ذلك كنتيجة لمعاهدة السلم بين فرنسا و الجزائر (17 ماي 1666)و التي جاء في بندها الثاني عشر :

"سيعامل التجار الفرنسيون في جميع موانئ و مرافئ مملكة الجزائر بخصوص تفريغ السلع... مثلما يعامل غيرهم من أية أمة أجنبية و أفضل...."[296].

دائما و في إطار الأفضلية التي تعد مظهرا من مظاهر الأسبقية المتعددة، منح القناصل الفرنسيين صلاحيات واسعة من السلطة الشرعية على جميع المسيحيين في الموانئ العثمانية[297] بما فيها الموانئ الجزائرية.

و مع أواخر القرن الثامن عشر و خلال القرن التاسع عشر أصبح التنافس حادا بين فرنسا و انجلترا حول الأسبقية في التهنئة في المناسبات و تقديم المجاملات للداي ، فقد حظي قناصل فرنسا منذ زمن بعيد بامتياز الأسبقية في إطار الصداقة التقليدية التي تربط فرنسا بالدولة العثمانية و إيالتها .

كان مشكل الأسبقية المشكل الظاهري ببن قناصل فرنسا و انجلترا ، و يذكر القنصل الانجليزي بلانكلاي Blanklay أن القنصل الذي كان قبله فالكون Falcon و الملقب بالقنصل المجنون[298] قد وضع حدا لكبرياء الفرنسي في حادثة طريفة.

---

[295]- ACCM. Série L III. ART 259 : رسالة 16 يناير 1769

[296] -قنان جمال ، المعاهدات .... ، م سابق ، ص 288 عن
-ANP/Marine B7 523.

[297] -وولف جون ، الجزائر و أوروبا.... ، م سابق ، ص 241.

[298]- Bardoux, op cit, pp 265-266 :
" تسابق القنصلان الفرنسي و الانجليزي على سلالم القصر ، على من يصل الأول لمقابلة الداي ، فما كان على فالكون إلا أن يحمل القنصل الفرنسي و يعيده إلى مدخل القصر و يحظى هو بالأولوية بمقابلة الداي..."

و تفاديا للخلافات و الحساسيات و النزاعات القنصلية بين القوتين حسمت الإيالة الموقف فتقرر أن يتقدم قنصل فرنسا في مقابلة خاصة للدايات ليلة الأعياد و هذا تمييزا له عن بقية القناصل.

ففي عيد الأضحى أو كما ورد في إحدى الوثائق الأرشيفية "قوربان بيرم" في 18 سبتمبر 1820 [299] أرسل دوفال Duval ترجمان القنصلية إلى قصر الداي لتحديد موعد الاستقبال لتهنئته كما جرت العادة و بما أن القنصل الانجليزي ماكدونال Mc Donnal كان غائبا عن مدينة الجزائر فهو يريد أخذ مكانه أي بتهنئة الداي في نفس يوم العيد مع استباق بقية القناصل ، لكن لفترة مؤقتة إلى حين عودة القنصل الانجليزي ، تحدثت المصادر المحلية عن هذا التنافس و ذلك ما أورده شريف الزهار [300].

و نجد التركيز الفرنسي دائما على مبدأ الأسبقية و التمايز بالاستناد إلى البعد التاريخي للعلاقات الجزائرية الفرنسية و إلى الاتفاقيات من خلال البند الرابع عشر من معاهدة 1719 و كذلك في البند السادس عشر من معاهدة 1801 الموقعة دوبوا دو تانفيل Thainville [301].

و تؤكد هذا الامتياز مراسلات حكام الجزائر مع ملوك فرنسا كرسالة الداي عبدي باشا إلى الكونت دي موريباس في 21 جوان 1731 و المتضمنة ما يلي :

" إننا نؤكد و نعطي الدليل بالاستقبال الحسن الذي حظي به قنصلكم على غيره من القناصل الأوروبيين..." [302].

من خلال الرسالة تجدر الملاحظة إلى الأخذ بعين الاعتبار مكانة فرنسا و علاقاتها مع الجزائر أن القنصل دولان Delane كان يدخل الديوان متقلدا سيفه دون احترام للتشريفات

---

[299] - AE /CC , Vol 45 Alger : 1819-1821, vol 45, 1820 رسالة 25 سبتمبر

[300] -الزهار ، مص سابق ، ص 164 : //

// "... لأنه في القديم كان يتخاصم قنصلا الانجليز و الفرنسيين على السبق بالتهنئة ... فأمر الأمير يومئذ بأن يهنئ قنصل الفرنسيين ليلة العيد و يهنئ قنصل الانجليز يوم العيد و أصبحت هي تلك العادة"

[301] - AE / CC, vol 45 (1819-1821)

"المكلف بالأعمال للجمهورية الفرنسية يستمر في التمتع بالامتيازات و الحصانة التي تضمنها له الاتفاقيات السابقة كما يحتفظ بحق الأولوية و الأسبقية على نظرائه من الدول الأخرى"

[302] - Plantet , E . Correspondance ...T .II .

الخاصة بالإيالة التي تمنع دخول القناصل على الداي بالسيف ، و رغم الملاحظات و التحذيرات رفض القنصل الامتثال لذلك ، مما دفع بالداي إلى مطالبة السلطات الفرنسية بتغييره بقنصل آخر.

خلفت هذه المسألة (الأسبقية) الحساسية في العلاقات الفرنسية - الانجليزية في الجزائر فتعددت مجالاتها حتى في ما يخص استعمال الألقاب و هنا يمكن الإشارة إلى حادثة 1750 بين قنصل انجلترا ستانفور Stainfort و قنصل فرنسا لومير Le maire إذ أراد القنصل الانجليزي أن يفرض لقب السعادة للمبعوث الانجليزي كيبل M. Keppel [303] الذي جاء للجزائر من أجل التفاوض لاسترجاع الغنائم الانجليزية استولى عليها الجزائريون ، غير أن لوميرLemaire امتنع عن القيام بالزيارة البروتوكولية إلا إذا سحب القنصل و المبعوث طلبهما لأن القنصل الفرنسي تلقى رسالة من حكومته من قبل وزير و كاتب الدولة روي Mgr- Rouille في 31 أوت 1750 [304] بعدم إطلاق ذلك اللقب- صاحب السعادة- على المبعوث الانجليزي لأن ذلك سيعطي السفن الفرنسية و القنصل الانجليزي الأفضلية للانجليز على غيرهم من الأمم على أساس أن لقب صاحب السعادة خاص فقط بالسفراء.

ب - الحصانة الدبلوماسية Immunity Diplomatic

❖ -تعريفها لغة و اصطلاحا :

تشكل الحصانة الدبلوماسية و الامتيازات أهم الركائز للعلاقات الدولية ، و قبل التطرق إليها في سياقها التاريخي يجدر بنا تناول هذا المصطلح و تعريفه لغويا و اصطلاحا.

✓ **لغة :** يرجع أصل الكلمة إلى الحصن و هو المكان و حصانته معناها المنع من إلحاق الضرر بالمحصن ، و تحصن أي اتخذ له حصنا و رقابة و رجل محصن أي مكرم و حين تقيد كلمة الحصانة بصفة الدبلوماسية تنتقل الدلالة من الإطلاق إلى التقييد.

303- Devoulx, A. Un incident … op cit pp 83 – 85.
304- Devoulx,A .Un incident… p 86.
- Grammont, H-De : « Episode diplomatique à Alger en 18° Siècle » R.A, 1882, pp 130- 138.

و من خلال قاموس روبر Robert هي الإعفاء من عبء أو امتياز يمنح قانونا لفئة معينة من الأشخاص . في حين يعرف القاموس السياسي الحصانة بأنها إعفاء بعض الأشخاص من ولاية القضاء في الدولة التي يعتمدون فيها ، و يرى البعض الآخر إلى أنها حق المبعوث في الحماية الزائدة من جانب الدولة المستقبلة ضد أي اعتداء.

و جاء في قاموس أكسفورد Oxford بأنها من مبادئ القانون الدولي الذي يعفى بموجبه بعض الأشخاص من الخضوع لأحكام المحاكم المحلية.

✓ **اصطلاحا :** الحصانة بمفهومها العام لها جانبان :

الأول : حق يمنح لشخص المبعوث و سفارته ليحول دون ممارسة الدولة المضيفة أي اعتداء عليها و يطلق عليه "الحق السلبي" إذ يقوم على عدم ممارسة الدولة المضيفة سلطاتها القضائية أو المالية على المبعوثين الدبلوماسيين.

الثاني : يتمثل في توقيع العقوبات المقدرة قانونا على من اعتدى على المبعوثين الدبلوماسيين أو على السفارة "الحق الايجابي" و باقي التعريفات التي لم يتم ذكرها تدور على معنى واحد و هو توفير الحماية حتى لا يتعرض من قبل الأفراد أو سلطات الدولة المضيفة بالأذى.

لقد عرفت المجتمعات منذ القدم تبادل الرسل و أقرت مبدأ الحصانة باعتبارها القاعدة الأولى لممارسة الدبلوماسية و التعامل بين الدول ، و بذلك تغوص فكرة الحصانة إلى الأزمنة البعيدة تحت ما كان يصطلح عليه بـ "حرمة السفراء" فقد اعترفت جميع الشعوب و الدول بمكانة المبعوثين الدبلوماسيين باعتبارها شخصية مقدسة[305].

---

[305]عادل عمر . حصانة الدولة بين الإشكالية و المعايير . منتدى العلوم القانونية و الإسلامية و الإنسانية :
" أي هجوم على الممثل الدبلوماسي يعتبر هجوما على بلاده و هذا ما يؤدي إلى حرب ، لذلك وجب إحاطة السفير بامتيازات..."

لقد ورد في مجموعة القوانين الرومانية ما يلي : " أن من يعتدي على سفير دولة أجنبية يخرق أحكام القانون الدولي و يجب تسليمه إلى حكومة السفير و أبناء شعبه للاقتصاص منه على هذه الاهانة"[306] .

كما تناول الفقه الإسلامي مفهوم الحماية للرسل و المبعوثين فقد أكرم الرسول - ص- رسولي المقوقس و هرقل[307] و أرسل المقوقس كتابا إلى الرسول - ص- تضمن : بسم الله الرحمن الرحيم ، لمحمد بن عبد الله ، من المقوقس عظيم القبط سلام عليك ، أما بعد :" فقد قرأت كتابك و فهمت ما ذكرت فيه و ما تدعو إليه... و قد أكرمت رسولك و بعثت إليك بجاريتين* لها مكان في القبط العظيم، و بكسوة ، و أهديت إليك بغلة** لتركبها، و السلام عليك". و أعطى المسلمون الأمان للحربيين و لأهل الذمة*** فوجب عليهم الالتزام به و الوفاء بالعهد.

فكان نظام الأمان و معناه طمأن و عاهد و سلم ، و هناك الأمان الدائم الذي يستفيد منه أهل الذمة على أنه "عقد يسمح فيه لغير المسلم أن يدخل دار الإسلام و يبقى فيها آمنا على نفسه و ماله" استنادا إلى الآية الكريمة : "وإن أحد من المشركين استجارك فأجره"[308] و هذا ما ينطبق على غير المسلمين الذين يلجأون لدار الإسلام و ما نعالجه في نقطة اللجوء السياسي.

---

306 عادل عمر ، نفس المنتدى .

307 -ابن قيم الجوزية . زاد المعاد في هدي خير العباد صلى الله عليه و سلم ، ج الثالث ، ص 379.

* الجاريتان هما : مارية و سيرين.

** البغلة دلدل بقيت إلى زمن معاوية.

*** أهل الذمة : هم أهل الكتاب من اليهود و النصارى الذين تربطهم بالمسلمين روابط شرعية حسب الشريعة الإسلامية بدفعهم الجزية مقابل حفظ أمنهم و أموالهم و حرية تعبدهم ، أنظر :

- حموش مصطفى أحمد ، فقه العمران الإسلامي ، من خلال الأرشيف العثماني في الجزائر 956-1246هـ/1549-1830م ، ص 71.

308 -سورة التوبة الآية..

في هذا المجال يعد جورجيوس Grotius أبو القانون الدولي أول من اهتم بفكرة الحصانة كعرف دبلوماسي تحول إلى أحكام القانون الدولي فأصدرت حكومة هولندا في عام 1651 قانونا ينص على ما يلي :

"إن القانون الدولي العام و حتى قوانين البرابرة تقضي باحترام و تكريم السفراء و الممثلين الدبلوماسيين الموفدين من قبل الملوك و الأمراء..."[309].

فمنع كل إنسان من إهانتهم أو التعرض لهم ، و كنموذج لتطبيق هذا المبدأ ، حكم في السويد عام 1728 على أحد الأشخاص بالإعدام لإقدامه على شتم سفير الملك لويس الرابع عشر Louis XIV .

لقد استفاد الذميون في الدولة العثمانية و إيالاتها بما فيها الجزائر من "بيان الذمي"[310] الذي أصدره السلطان العثماني في ذي القعدة 1137 الموافق لـ 12 جويلية 1725 ، فتمتعت هذه الطائفة[311] بالاستقلال التام في إدارة شؤونها الداخلية و تحكيم شريعتهم و قضائهم.

لقد تكفل أمين أهل الذمة نيابة عن أفراد طائفته عن تقديم الجزية بمعدل قرش واحد عن كل فرد[312] ، إلى جانب الترضيات و الهدايا التي كان يقدمها أغنياء اليهود[313] تقربا من العناصر النافذة في الدولة و كسب الامتيازات.

---

309 -بركات جمال. ، م سابق ، ص 177 ، بالاعتماد على :
Grotius Hugo. the law of war and peace , 1625.

310 -حموش مصطفى. فقه العمران ... ن م ، ص 72.

311 -ميلاد سلوى علي ، وثائق أهل الذمة في العصر العثماني و أهميتها التاريخية ،(القاهرة : دار الثقافة للنشر و التوزيع ، 1983)، ص 17 عن :
-Yerasisnos .S . La réglementation urbaine ottomane XVI-XIX Siècle , institut française d'urbanisme , université de paris III.

312 -سعيدوني ناصر الدين. النظام المالي في الجزائر في اواخر العهد العثماني 1792-1830. (الجزائر : م و ك, 1985)، ص 105.

313 - Devoulx ,A . Tachrifat .... Op cit , p23:
قدم يعقوب بن زهوط في 16 صفر 1231هـ / 1816م هدايا للداي تتمثل في ثماني قطع من قماش للألبسة ، قطعة قماش هولندية ، Tثماني قطع قماش أسود ، ثماني قطع من الحرير و قطعة موسلين ، 25 رطل قهوة و 200 بوجو ...".

و بذلك يعد نظام أهل الذمة الإطار القانوني لتواجد النصارى و اليهود في إيالة الجزائر بناءا عليه تمتعوا بحقوق لم يعرفوها في بلاد أوروبا ، و هذا النظام سهل عليهم ممارسة نشاطهم الاقتصادي و الاجتماعي و شعائرهم الدينية.

❖ -حصانة القناصل و مقراتهم :

تشير الحصانة إلى حرمة الأشخاص كما هو مقرر فقها و قضاءا في القانون الدولي، إن الممثلين الأجانب يتمتعون بحصانة دبلوماسية و لا يخضعون لولاية القضاء الإقليمي في الدولة المبعوثين لديها.

فمن خلال التعريفات السابقة يمكن القول أن مفهوم الحصانة ضيق ، إذ يندرج ضمن مفهوم و شكل من أشكال الامتيازات ، إذ هي أشمل و تشمل كل أنواع الحقوق التي يتمتع بها المبعوث الدبلوماسي ، بذلك لا يخضع لأي شكل من أشكال التوقيف أو السجن فتصان حريته و كرامته و يرفع علم بلده على مقر قنصليته. و السؤال المطروح هل استفاد القناصل الأجانب في إيالة الجزائر من هذه الحصانة ؟؟ استنادا للوقائع التاريخية و على ما كتبه الغربيون.

لعل أهم الدول المستفيدة من هذا المبدأ هي فرنسا ، إذ أعطت تقاليد الصداقة القديمة مع الدولة العثمانية للسفن الفرنسية بعض الحصانة[314] و لطالما كانت أوامر السلطان مطاعة و قابلة للتنفيذ.

كانت حرية هؤلاء القناصل مصانة داخل مدينة الجزائر و كذلك المناطق التابعة لها ، و يتم معاقبة كل من يمسهم بسوء أو سبهم ، فقد حكم على ذلك الجزائري الذي ضرب القنصل الانجليزي طوماس طمسن Thomas Thomson [315] بالفلقة (1200 ضربة) أودت بحياته، و هذه الحصانة ضمنتها لهم المعاهدات المبرمة مع الجزائر و ذلك ما نستشفه من خلال البند السابع عشر من معاهدة السلم المبرمة بين ملك بريطانيا شارلز الثاني و الداي

[314] -وولف جون ، م سابق، ص 246.

[315] - Tassy , L . Op cit, pp 70-71.

باشا الجزائر و قد وقع هذه المعاهدة عن ملك انجلترا أرتور ألبير Sir Arthur Albert أميرال بحرية الملك في البحر المتوسط في 10 أفريل 1682 هذا نصها :

"إن القنصل في الجزائر حاليا أو من يأتي بعده يتمتع بحرية و حصانة تامة في شخصه و ممتلكاته ، له الحق في اختيار ترجمانه و سمساره ، حرية التنقل في الصعود على متن السفن الراسية في الميناء و كذلك الذهاب إلى الريف و أن يمنح مكان لممارسة شعائره الدينية"[316].

و تتشابه المعاهدات في محتواها حول نفس النقطة ، فعلى سبيل المثال و في فترة لاحقة من خلال معاهدة السلم الممضاة مع الدانمارك في 10 أوت 1746 [317] و كذلك معاهدة السلم مع البندقية في 23 جوان 1768[318] :

"بإمكان قنصل البندقية و في المستقبل و تحت كل الضمانات الأمنية و السلامة أن يعيش بدون خوف و لا يلحق به أحد الضرر لشخصه أو لأمتعته... و أنه إذا أراد التجول على ظهر إحدى السفن أو خرج الخروج من الميناء فلا أحد يستطيع أن يمنعه من ذلك...".

و الملاحظ هو التشابه في صيغ المعاهدات المبرمة من حيث الصيغة فقد ترجمنا الأولى و تركنا الثانية في الهامش كما هي بالإضافة إلى ترتيب البنود.

و بذلك استفاد القناصل من هذا الوضع الامتيازي استنادا إلى المعاهدات المبرمة سواء مع الباب العالي * أو إيالة الجزائر ، فكان من حق هؤلاء طلب الحرس من حكومة الإيالة

316- A.N.P /Marine B7 523 (Levant et Barbarie) 1682-1684.

317 - ANP/ AE B3, 322 ://

// « le consul de Danemark présent et à venir vivra entièrement en sureté et en paix… il aura le pouvoir de … aller a bord de tel vaisseau qu'il voudra faire tel voyage … il lui sera aussi permis d'avoir dans sa maison un ecclésiastique pour l'exercice de la religion chrétienne …»

318التميمي عبد الجليل ، "معاهدة السلم الممضاة بين البندقية و الجزائر في 23 جوان 1768" دراسات و وثائق في التاريخ المغربي في العصر الحديث ، ص 19.

*الباب العالي : كانت مكاتب الوزراء الترك في وقت من الأوقات في بيوتهم الخاصة و لما جاء محمد الثاني بنى في سنة 1467 مكاتب للوزراء تسمى باشا قلوسي أي باب الباشا ثم سميت بعد ذلك بـ "باب أصفي" أو الباب العالي الذي أصبح منذ 1654 مكتبا حكوميا لا يفصله إلا شارع من سراي السلطان القديمة "طوب قابو سراي".

دائرة المعارف الإسلامية ، ج III ، ص ص 242-243.

لحماية المقرات ، و ذلك ما قام به قنصل أمريكا شالر Shaler [319] بالجزائر لحراسة قنصلية انجلترا بعد ما غادرها قنصلها و عهد إليه برعاية مصالح الانجليز ، و تطبيقا لذلك رفع العلم الأمريكي و شعار الو.م.أ على مقر القنصلية.

و دائما في سياق الحماية التي يتمتع بها القناصل الأجانب في الجزائر نجدها في المذكرة التي بعث بها شالر إلى زملائه القناصل[320] يشرح فيها أن المادة 15 من المعاهدة الأمريكية الجزائرية تضمن لرعايا الطرفين الحرية و الحصانة الشخصية و السفر في أراضي البلدين برا و بحرا و بالتالي على الإيالة احترامها.

فهذا المبدأ حمى حياة بعض القناصل و عدم تعرضهم لأحكام عقابية كما تنص عليها الشريعة الإسلامية كمثال على ذلك اكتفاء حكومة الداي مصطفى باشا بطرد القنصل الانجليزي فالكون Falconne [321] و عدم تعرضه لإقامة الحد و ذلك لتورطه في قضية زنا مع امرأتين من الإيالة.

كما يمكن إدراج ضمن الحريات و الامتيازات التي يتمتع بها شخص القنصل في اختيار ترجمانه Drogman أو سمساره Sansal (كما وردت المصطلحات في المعاهدات) دون أن يفرض عليه من قبل سلطات الإيالة حسب البند العشرين من معاهدة 1689 مع فرنسا ، لكن هذا لم يمنع الدايات من فرض المترجمين على القنصليات عنوة (من فئة الأعلاج)، كما فعل الداي مع قنصل انجلترا في 1734 [322] إذ عين الداي أحد من أتباعه ربما ليكون عينا على القنصل الانجليزي.

و تتجلى هذه الحصانة للقناصل حتى بالنسبة لهؤلاء الذين يمارسون مهامهم في جهات أخرى غير الجزائر، فقد وقع السيد توليوري S.De La Tuelerie قنصل فرنسا بماديرا* Madera [323] ، و كان على متن سفينة برتغالية وقع في قبضة رياس جزائريين و جيء به

---

[319]شالر وليام ، مص سابق ، ص 31.

[320] - A.E/CC, Vol 46 .Alger 1822-1824, (feuillet 063).

[321]زكية الزهرة ، م سابق، ص ص 52-53.

[322]- Balvin. Condition …. Op cit , p 91.

من خلال التقرير الموجه إلى موريباس Maurepas في 06 فبراير 1734.

*ماديرا Madera :

[323]-Chaillous Lucien. L’Algérie au XVIII siècle, suivis de la guerre de quinze heures. Toulon, (s d), p 145.

إلى مدينة الجزائر، فأطلق سراحه بتدخل من قنصل فرنسا لكن مقابل هدايا ترضية و ليس مبالغ للافتداء ، و يعود ذلك إلى مركزه الدبلوماسي ، كما يعطينا نظرة لاحترام الجزائر للقانون الدولي.

إن الحرمة التي تمتع بها القناصل لم تمنع حكام الجزائر بتوجيه تحذيرات و إنذارات (تهديدات) للقناصل الذين يخلون بالأعراف و التقاليد البروتوكولية التي ألزمتها الإيالة ، فقد تعرض القنصل الفرنسي دولانDelane إلى الاهانة و الإحراج في قاعة الاستقبال من طرف الداي أمام مرأى من زملائه و مرد ذلك " إلى حضوره إلى مجلس الداي بالسيف ، فقال له الداي أنه إذا تجرأ و أعاد نفس التصرف فلن يلوم إلا نفسه ، و قد يقطع رأسه"[324].

يعتبر تصرف القنصل تحدي صارخ لقوانين الإيالة و هي منع الأجانب من الدخول على الداي متقلدين سيوفهم ، و يذهب غرامون إلى أن تصرف الداي هذا كان بإبعاد و تحريض من قنصلي انجلترا و السويد .

قد تحدث تجاوزات و خرق لمبدأ الحصانة إذ يتعرض أفراد البعثة إلى مضايقات أو سجن أو مصادرة لممتلكاتهم و من أمثلة ذلك أن تعرض قنصل الدانمارك أولريش ulrich و قنصل هولندا فريزيني Fraisinet إلى التقيد و السجن بسبب تأخر بلديهما في دفع الإتاوة السنوية[325] فاتخذ كل القناصل موقفا موحدا بكتابة وثيقة احتجاج جماعية ، كانت هذه الخطوة باقتراح من القنصل الانجليزي بلانكلاي والسير جماعيا (مثنى مثنى) إلى القصر تنديدا بذلك الإجراء ، و كان في مقدمة هذه المسيرة الدبلوماسية كل من تانفيلThainville و بلانكلاي Blanklay و تؤكد ابنة القنصل الأخير في مذكراتها أنه لأول مرة تم تجاوز مبدأ الأسبقية من أجل مصلحة و كرامة أوروبا و هددوا الداي بالرحيل الجماعي[326] و تضمنت الوثيقة أن سجن Ulrichi مساس بحرمة القناصل و التي يجب احترامها و عدم خرق هذه الحصانة الديبلوماسية.

324- Grammont, H-de. Correspondance …. Op cit , p 194.
325- Grammont, H-de. Alger sous la …. Op cit , p 367.
326- Bardoux . La vie d'un consul aupres de la regence d'Alger » RA, 1924 , pp 271-272.

و جاء في مذكرات شالرShaler في مرحلة لاحقة أن نائب القنصل الانجليزي في وهران قد اعتقل و احتجزت ممتلكاته[327] وذلك كرد فعل على رحيل قنصله و تورطه في إيواء بعض العناصر من القبائل - سنتطرق إليها في عنصر لاحق- ولم يطلق سراحه إلا بتدخل من الخزناجي مذكرا الداي بأن ذلك النائب هو وكيل للقنصل الأمريكي وتم إرسال برقية مستعجلة لباي وهران.

و رغم ما يتمتع به القناصل من امتيازات متعددة و حصانات إلا أنهم مجبرين على احترام تقاليد البلاد ، إذ نجد أن سطوح المنازل ممنوع على الرجال إذ هو فسحة و مجال للنساء فقط دون الرجال[328] ففي السطوح تقضي النسوة وقتا طويلا للتمتع بالمناظر و الهواء أو لبعض الأعمال ، و عقوبة من يضبط يسترق النظر الموت.

و إذا ما عدنا إلى الوراء أي خلال القرن السابع عشر حيث تم تسجيل تعرض قنصلين فرنسيين إلى القتل عن طريق المدفع و هما كل من الأب لوفاشي Levacher [329] و بيول Piolle [330] ، و هذا ما جعل الأوروبيون يبالغون في وصف الجزائر بالهمجية إلا لتربط بفكرة أن خرق حرمة السفراء ليس فقط من الجانب الجزائري و إنما مارسها الطرف الآخر في معادلة العلاقات السياسية و الدبلوماسية.

إن مذبحة مرسيليا 1620 [331] لدليل على ذلك و التي قدر عدد ضحاياها 40 قتيل و سلب منهم 50000 أوقة[332] (الأوقة تعادل 11.5 ف) ، فقد ندد حسين باشا في رسالته إلى قباطنة مدينة مرسيليا بما حدث للوفد الجزائري بقيادة سنان باشا مشيرا إلى أن الأعراف الدولية تحمي السفراء :

"عند كل الأمم لا يجب أن يتعرض السفراء إلى أي

327- شالر، مص سابق، ص 209.

328 - Bardoux : op cit, p 270.

329-Plantet ,E.Correspondance….T I, P 143.

330-Ibid ,p 158 .

331 -الجيلالي عبد الرحمن ، ن م ، ج III ، ص ص 122-123 :
"بينما سنان باشا في سفارة إلى فرنسا وصلت إشاعات أن احد القراصنة رجب رايس قد استحوذ على سفينة فرنسية بخليج مدينة ليون... أظهر أهل مرسيليا عدوانهم للجزائريين بتحطيم و تقتيل أهلها بما فيهم السفير سنان غدرا...".

332- ANP/Marine B7 520.

خطر ، و إذا كان ذلك انتقاما مـن ما قام به الريـس

رجب ، فاعلموا أنه قد هرب..."[333].

هذه السفارة التي كانت تقيم في المنطقة التجارية و الآمنة في فندق موالهون Meoilhone وذلك بالاستناد إلى سجلات غ.ت.م جاء في تقريرها أن أعضاء البعثة الجزائرية قاوموا ببسالة الأعداد الكبيرة للمعتدين لمدة يوم و ليلة و لم يخرجوا من الفندق إلا بعد إضرام النار في البناية[334] حيث تم ذبحهم أو رميهم في البحر بكل وحشية و لم يتمكن نواب غ.ت.م من إنقاذ سوى 12 من الجزائريين و يرى غرامون بأن عدد الضحايا كان 48 و ليس 40.

و لنا أن نتصور تأثير هذه الحادثة على مسار العلاقات الفرنسية الجزائرية و ما يمكن أن يتعرض له الرعايا الفرنسيين في الجزائر ، فقد تعرض القنصل شايس Chaix إلى السجن و تعرضت السفن الفرنسية إلى الملاحقة بدون هوادة من قبل الرياس الجزائريين لتدفع مرسيليا ثمن جريمتها ، فخلال أشهر خسرت فرنسا 21 سفينة[335] بيعت في الجزائر و قدر القنصل الخسائر الفرنسية بـ 211900 ف[336] ، و في ظل هذه الأزمة خير القنصل الفرنسي الحكومة الفرنسية إما إعلان الحرب على الجزائر و إما توقيع على سلم حقيقي معها، غير أن فرنسا لم تتناول المسألة بمحمل الجد لان لويس الثالث عشر loui s XIII* و محضية شارل دالبير دي لينس**De Lynes[337] متورطان في منازعات و خلافات مع الهوقونات.

استمرت هذه الأعمال الانتقامية إلى غاية 1621 إذ تعرض حصن فرنسا Bastion إلى هجوم فقتلوا و استرق جميع سكانه بما في ذلك دي قيز De Guise ، و لم تتوصل فرنسا إلى معاهدة سلام (19 سبتمبر 1628) إلا بعد مفاوضات صعبة قادها نابولون Napollon

---

333- Plantet , E .Correspondance …. II, op cit , p6.

334- Grammont, H - De. Relation …. Op cit, N° 1879, p 26.

335-وولف جون ، ن م ، ص 268.

T336وولف جون ، م سابق، ص ص 268-269.

*لويس الثالث عشر: ولد في فونتانبلو 1601-1643 خاض حرب الثلاثين سنة

** شارل دي لينس

337 - Grammont, H - De. Relation …. Op cit , pp 104-106 .

كلفته ثمنا باهضا و إعادة المدفعين البرونزيين اللذان اعتبرت الجزائر مسألة استرجاعهما مسألة مبدأ في تحديد العلاقات مع فرنسا بسبب سرقتهما من قبل دانسا Danse ، و قدر الوصل الذي دفعه قناصل مرسيليا بـ 30000 ليرة[338] إلى السيد قيز Guise لصالح أتراك الجزائر دون أن ننسى مبالغ الافتداء الضخمة للأسرى الفرنسيين (200 جنيه تورنو)[339] عن كل أسير و نظرا لضخامة المبلغ قرر لويس Louis XIII أن تقوم المدن و المقاطعات التي لها أسرى بالجزائر بجمع المبالغ المالية لافتدائهم.

و بذلك تعد الحصانة شرطا أساسيا في أداء المهمة الدبلوماسية، إذ توفر الجو المناسب لأداء المهام، لذلك أقرته الأعراف الدولية .

❖ الإعفاءات من الرسوم :

تمتع أعضاء السلك الدبلوماسي في الجزائر بامتياز الإعفاءات الجمركية عن المواد المعدة لاستعمال البعثة ، هذا ما تنص عليه المعاهدات في بنودها، فعلى سبيل المثال : المادة 21 من المعاهدة مع الدنمارك في 22 رجب 1159 الموافق لـ 20 أوت 1746 :"إن المواد الضرورية لاستعمالات القنصل معفية من أي رسوم..."[340].

و الإعفاء لا يمس القنصل وحده بل طل موظفي القنصليات من مترجمين و موثقين من أي نوع من الرسوم و الضرائب التي كانت تفرض على الرعايا الأجانب ، و هو ما يتعارف عليه بـ "الإعفاءات المالية" أو ما يصطلح عليه في وقتنا الحالي بـ "الحصانة المالية"[341] و مرجعية ذلك المركز الذي يتمتع به المبعوث الدبلوماسي.

هذه الإعفاءات تسهل مهمة القناصل على اعتبار أن إلزام الشخصيات الدبلوماسية بدفع الرسوم الجمركية هو نوع من الإكراه و ذلك يتعارض مع حرمة القناصل المقيمة في الإيالة،

---

[338]- Ibid, p 113 :
ساهم في جمع هذا المبلغ كل من جون دي ريا Jean de Rua (12000ل)، جون بارقاز Jean Bargues (4000ل) ، سيدات القديسة ماريا Les dames de St Marie (360ل) و جون مازاريت Jean Mazarit (10400ل).

[339] -قنان جمال ، المعاهدات .... ، م سابق، ص 92،62.

[340]- A.E/ B3 322 : « toutes les provisions nécessaires pour la maison consulaire du consul seront affranchit de tous droit résolus » .

[341] -قادري حسن . م سابق، ص 62.

على أن الإعفاء يقتصر فقط على المواد الموجهة لاستعمال الخاص و لعائلته و ليس للمواد قصد التجارة.

ونجد دائما السند القانوني لهذه الحصانة و التي هي شكل من أشكال الامتيازات جملة المعاهدات المبرمة بين الجزائر و الدول الأوروبية فيذكر بوتان أن قناصل فرنسا في بلاد المغرب معفون من دفع أي نوع من الضرائب exemption des droits[342] لكن هذا ينطبق على كل القناصل.

وبما أن السند هو المعاهدات فنستدل ببنودها ،فنذكر هنا البند التاسع من معاهدة 17 ماي 1666 إذ تناول الإعفاء شكلا و تفصيلا :

"إن الأقمشة و المواد الغذائية التي يستقدمها القنصل لسد حاجاته الشخصية أو لتقديمها كهدايا ، وكذلك المواد التموينية التي يشتريها في عين المكان لسد حاجاته العائلية..."[343].

وغيرها من المعاهدات التي تقر هذا الامتياز كمعاهدة 24 افريل 1684 في بندها الواحد و العشرين ...وغيرها من الاتفاقيات ، نرى مما سبق أن هذا الامتياز حق من الحقوق التي يتمتع بها القناصل الفرنسيين و هو نفس الامتياز الذي ستعمل على تكريسه حكومة الثورة في معاهدة 7 نيفوس العام العاشر الموافق لـ 23 شعبان 1216هـ[344] في البند السادس عشر :

"إن القائم بالأعمال- القنصل- يستمر في التمتع بكل الاعتبارات و الحقوق و الحصانة و الامتيازات التي منحتها له المعاهدات القديمة...".

هذا امتياز تمتع به كل القناصل و ليس الفرنسيين فحسب - إن كان التركيز على الطرف الفرنسي فذلك لكثرة عدد المعاهدات المبرمة معها- بل مع الدول الأخرى و تقتصر على بندين مع دولتين على سبيل المثال لأنها كلها تصب في نفس الفكرة وهي الحصانة المالية.كما

[342]- Boutin . La France avec la Barbarie …. Op cit , p 92.

[343]-قنان جمال ، المعاهدات ... م سابق ، ص 297-298.

[344]-قنان جمال ، المعاهدات ... ن م ، ص 343.

تضمنت المادة الواحد و العشرون من المعاهدة السويدية – الجزائرية في 9 ماي 1729 نفس الامتياز :

" أن القنصل السويدي لا يدفع على لوازم بيته أو الهدايا

المقدمة له أي أداء جمركي كان أو غيره "[345]

وهي نفس المعاهدة التي تم بموجبها تعيين لوجي أول قنصل سويدي في الجزائر بمرتب 4000 غولدن هولندي.

وكذلك عندما نجحت الو.م.أ في التوقيع على معاهدة الصلح، تضمنت بندا ينص على : "البضائع التي تصل إلى القنصل الأمريكي و إلى أسرته تكون معفية من الضرائب الجمركية"[346].

وذلك لإعطاء نظرة على خصائص الدبلوماسية الجزائرية في هذه الفترة و كيفية تعاملها مع الدول الأجنبية على قدم المساواة من خلال التشابه حتى في صياغة البنود.

❖ **حصانة المقرات و حق اللجوء Asyle :**

اعتبر مقر القنصليات الأجنبية الواقع في أراضي الدولة المبعوثين إليها مستقلا عن سيادة السلطة الإقليمية و غير ملزم بالخضوع لقوانينها ، هذه النقطة لازالت تشكل إشكالية في العلاقات الدولية و لم تسلم من انتقادات حتى في وقتنا الحالي .

ما يجسد حرمة و حصانة مقر القناصل هو ممارسته حق الإيواء أو اللجوء Asylun بالانجليزية وdroit d'asile بالفرنسية ، وذلك بلجوء بعض العناصر إلى مقر القنصليات و ذلك يعكس أنهم كانوا يعملون بمبدأ الاستقلال عن الإقليم المحلي .

[345]-المزاري بديرة : "الجزائر و السويد ...م سابق، ص 44

[346]- العربي إسماعيل ، العلاقات... م سابق.، ص 108.

فقد حاولت بعض الدول الأوروبية ترسيخ مبدأ الحصانة للمقرات حتى و لو كان على حساب أمن الإيالة الداخلي أو المساس بحالة الاستقرار السياسي ، و على رأس هذه الدول انجلترا التي قام قنصلها بتطبيق ما يعرف بحق اللجوء و حماية كل من يلجأ إلى مقر القنصلية.

فقد رفض قنصل انجلترا تسليم رعايا جزائريين مطاردين من طرف العدالة[347] تعود هذه القضية إلى تمرد منطقة القبائل في 1823 على السلطة المركزية و كانت القوانين السارية في الإيالة أنها تعاقب حتى أفراد القبائل المتمردة ، و بما أن جل خدم القنصليات الأجنبية هم من القبائل أمر الداي بإلقاء القبض عليهم [348]، وهذا ما جعل القناصل في وضعية حرجة مع الإيالة ،فهم يتمتعون بحصانة المقرات ، و الداي يرى أنه ليس من حق ممثلي الدول الصديقة أن يحموا المتمردين ، فقنصلا فرنسا و هولندا – تفاديا لمواجهة سلطات الإيالة – سهلا لخدمهم عملة الفرار و الالتحاق بالمناطق الجبلية ، في حين سلم قنصل الدانمارك و السويد خدمهم بالقوة أما قنصل انجلترا فاتخذ موقفا متعنتا و رفض تسليمهم[349] و تم اقتحام منزل القنصل ، الأمر الذي اعتبره بقية القناصل خرق لمبدأ الحصانة.

و قد وجدنا في أرشيف الكي دورسي Quai d’Orsay مذكرة للقنصل الأمريكي شالر في 16 أوت 1822 عن هذه الحادثة، شرح فيها لزملائه القناصل بالاستناد إلى البند الخامس عشر من المعاهدة الأمريكية – الجزائرية أهمية الحصانة التي تضمن لرعايا الطرفين "الحرية و الحصانة الشخصية"[350].

و حسب شالر أن الإيالة لا تحترم هذا المبدأ و لا تصون ما جاء في المعاهدات بحجة أنه تعرض للضرب و الاهانة و هو في نزهة في فحص مدينة الجزائر مع خادمه عندما كان من القرب من المنزل الريفي للخزناجي فأسقط من على حصانه بأمر من الأغا[351] و يشير في

347-شالر ، مص سابق، ص ص 194-201 ، أنظر كذلك حسب رواية شريف الزهار ص ص 151-152 :
"... كان أربعة يعملون بالأجرة عند قنصل الانجليز، فذهب الحرس ليقبض عليهم ، فمنعهم القنصل و أغلق دونهم باب البستان و قال : إن هؤلاء القبائل في حرم الانجليز، فقال له الحراس : إما أن تمكننا منهم طوعا و إلا فإننا نأخذهم جبرا، و هؤلاء الناس رعيتنا ، و أكلوا أموال النصارى و قتلوهم و هم أهل عهد معنا ، و أنت لا دخل لك في أمرهم... عندما وصل المركب صعد القنصل... فلا أعود معكم لأنكم اعتديتم علي و أخذتم الخدام و ما رعيتهم حرمة الجنس و لا البنديرة*".
*البنديرة : هي الراية La **bannière** .

348 -Grammont, H -De . Alger sous.... Op cit , p 325.
349 -Ibid. p 385.
350 -AE/CC.Alger 1822-1824 .vol 46. Feuillet 063.
351 -AE/CC.Alger 1822-1824 .vol 46. Feuillet 064.

مذكرته إلى أنه عرف بهويته على أنه قنصل أمريكا و يجب احترامه و عوض الاعتذار تعرض للتهديد.

لكن القنصل لم يشر إلى أنه لم يحترم التعليمات التي تمنع أي شخص من المرور في تلك المنطقة بسبب الأشغال و الحفر ، و هذا مدعاة للتساؤل ألم يكن شالر يريد استغلال حصانته في التجسس و التعرف على طبيعة الأشغال التي تمنع أي شخص مهما كان التقرب من تلك المنطقة؟؟؟.

كما نجد مذكرة احتجاج للقنصل دوفال Duval في 9 فبراير 1824 [352] عن تصرفات الإيالة تجاه القنصليات الأجنبية بشأن خرق مبدأ الحصانة و أن المداهمة لم تمس فقط القنصلية الانجليزية بل حتى الأمريكية و ذلك ما لم يذكره شالر في مذكراته.

و قد تكون هذه المذكرة هي نفسها التي تلقى شالر نسخة منها من دوفال من الرسالة التي وجهها إلى قنصل بريطانيا جاء فيها أن حكومته تستنكر بأقصى ما يمكن سلوك سلطات الإيالة نحوه و نحو قناصل الدول الأجنبية[353] و الحكومة الفرنسية تؤكد على عدم خرق الحصانة الدبلوماسية للقناصل و القنصليات.

مسألة مايفرن Meifrund* :

في هذه المسألة نجد نموذجا مماثلا بعكس الأدوار ، و هي دور الجزائر في استعمال حق اللجوء السياسي للتاجر مايفرن[354]، قضية طبعت العلاقات الجزائرية الفرنسية فقد اتهم

---

352 -AE/CC.Alger 1822-1824 .vol 46. Feuillet 290.

353-شالر وليام ، مص سابق ، ص 201.

*مايفرن : هو جوزيف بيار مايفرن (1752-1794) أقام مدة طويلة بمدينة الجزائر (42 سنة) لتسيير البيت التجاري رونيو و دنقالير من 1758-1778
كانت تربطه بالداي محمد بن عثمان باشا و وكيل الخرج حسن علاقة صداقة وطيدة ، فبعد استقراره في طولون ، أعلنت المدينة تمردها على حكومة الثورة و فتحت ميناءها للقوات الانجليزية ، و مع نهاية 1793 تمكنت قوات الثورة من استرجاع المدينة و فرار مايفرن إلى قرطاجنة** بعد طرد الأسطول الانجليزي ، و في مذكراته يشرح دواعي اختيار الجزائر للجوء و ما نغص عليه الأمر هو تواجد صهره قنصلا بها ، أنظر قنان جمال ، العلاقات الفرنسية....، ن م ، ص 60.
-Devoulx ,A : « Relevé des principaux français qui ont résidé à Alger de 1686 à 1830 » , R.A 1872 , pp 421-422.

** قرطاجنة : تقع في مقاطعة مورسي تعزز دورها الدفاعي في عهد شارلكان و فليب الخامس

354- Pares, A jacque .Un toulonnais à Alger au XVIII Siècle Meifrund (pierre joseph) 1723-1814. Paris : ed rider.

بالخيانة و تورطه في تسليم ميناء طولون Toulon إلى الأسطول الانجليزي و أصبح متابع قضائيا.

فكانت هذه المسألة مناسبة للعديد من المراسلات بين سلطات الإيالة و فرنسا ، إذ تدخل الداي حسن لدى السلطات الفرنسية لطلب العفو عنه و ذلك ما نجده في رسالة الداي حسن باشا إلى المواطن بوشو Buchot * محافظ العلاقات الخارجية في 16 أكتوبر 1794 :

"... إننا نلح اليوم مرة أخرى لصالح مايفرن فهو ليس من طبقة الخونة و نحن متأكدون من ذلك ... نتمنى أن ننسى عيوبه فهو يستحق تقديركم و حمايتكم..."[355].

اهتم الداي بالمسألة لدرجة أنه جعل منها مسألة خاصة ، و احتلت حيزا كبيرا في مفاوضات المبعوث الفرنسي هركولي Herculais [356] في أفريل 1796 مع الداي الذي عبر عن خيبة أمله أمام الموقف الفرنسي اتجاه مطلبه في العفو عن اللاجئ الفرنسي.

لقد أثرت مسألة مايفرن على العلاقات الجزائرية الفرنسية ، إذ تماطلت حكومة الثورة على الرد على مطالب الداي ، فانعكس ذلك على نشاط الشركة الملكية بشرق الإيالة من خلال تراجع حجم الصادرات نحو مرسيليا التي لم تتعد 32000 حمولة من مختلف أنواع الحبوب، و ذلك من خلال مراسلة الشركة إلى نواب غ ت م سنة 1793 :

" إننا لم نتمكن من شراء الكمية المنصوص عليها في المعاهدات المبرمة بيننا و بين الإيالة..."[357].

نجد أن الداي يساوم فرنسا و يخيرها ما بين العفو عن مايفرن أو توقيف تزويدها بالقمح[358]. أثرت هذه القضية على حساسية العلاقات الجزائرية – الفرنسية لدرجة أن الداي أعاد الهدايا

* بوشو Buchot philibert : محامي ثم قاضي في محكمة Lous – le – Saunier ، وكيل نيابة ثم محافظ للعلاقات الخارجية منذ 20 جرمينال العام II إلى 30 بروميير العام III أنظر:
- pares .A Jacque , op cit , p 49 ,

[355] -Plantet ,E . Correspondance … op cit T.II, p 446.

[356] -بليل رحمونة ، . العلاقات التجارية لإيالة الجزائر مع بعض موانئ البحر المتوسط مرسيليا و ليفورن من 1700 إلى 1827 . رسالة ماجستير ، إشراف فغرور دحو جامعة وهران 2001-2002 . ص 8.

[357] الزبيري العربي ، التجارة الخارجية ... ، ن م ، ص 208 باعتماده على :
-ANP/ B3 .313.

التقليدية التي بعثت بها لجنة السلام و هذا ما ورد في مراسلة القنصل فاليير Valliere :

" قدمت للداي الهدايا المتمثلة في خاتم السوليتير Solitaire الرائع و النادر ، و زوجين من المسدسات... لكن أول ما قاله : أن هدايا العالم لا تؤثر في ، و إنما ننتظر العفو عن مايفرن..."(359.)

و ذلك يجعلنا نتساءل عن سر العلاقة و الصداقة التي يكنها الداي للتاجر مايفرن ، هل هي مجرد صداقة و وفاء أم أن هناك مصالح خفية تجمع الرجلين ؟؟ لم نجد لحد الآن ما يشبع الفضول.

ردت لجنة الوئام على مطلب الداي بأنها ستنظر في الأمر و البحث عن مخرج يرضي الطرفين مع ضرورة احترام قوانين الجمهورية الفرنسية(360) و ذلك ما اعتبره الداي تماطلا ، فلم يكن للجمهورية أن تتغافل عن القوانين الجديدة و اعتبار مايفرن عدوا للثورة و لا يمكنها إغضاب الداي في نفس الوقت (بين فكي كماشة) ، كما اتهم القنصل فاليير بالتأثير على الداي حسن لمصلحة صهره(361)، لذلك أرسلت لجنة الإنقاذ في 21 فنتوز العام II الموافق لـ 11 مارس 1794 المواطن دوشي Ducher للتحقيق في مدى تحيز موقف فاليير بشأن مايفرن فرفع تقريرا لصالح القنصل و هو ما يذكر مايفرن في مذكراته :

" أنه و لمدة 8 أشهر قضاها في الجزائر لم ير قط صهره و لم يلتق به إلا بعد تحدث الداي معه على أنني اعمل لصالح الجمهورية"(362) .

بسبب هذه الاتهامات الموجهة للقنصل ، رأى هركولي ضرورة إبعاد القنصل عن

358- AE/ CC. Vol 33. Alger 1796-1797 (réponse se Vallière aux Accusations).

359 -Pares, j . op cit , p 50.

-Plantet , E . Correspondance ….. T II , op cit , pp 352-353.

360 - AE /CC .Alger vol 33.

361بعد انتهاء مهام مايفرن كموثق بالقنصلية الفرنسية في الجزائر تزوج في 4 فبراير 1785 من اميلي فاليير شقيقة القنصل Valliere .

362- Pares, j . op cit , p 48 : بالاعتماد على

- Mémoire justificatif de pierre – joseph Meifrund , article du ministère des affaires étrangers (CC)

الجزائر الذي غادر باتجاه اسبانيا مع صهره [363]، و في 1796 أرسل تظلمات إلى المديرية التنفيذية إزاء تجاوزات هركولي[364] ، و يبدو أن الخلاف كان حاد بين القنصل و المبعوث لدرجة أن فالبير سيتهم هركولي –الذي استضافه و سمح له بالإقامة في بيته لمدة 6 أشهر- بمحاولة قتله [365] و أنه غادر الجزائر دون تشريفات لدرجة الاهانة .

أدرك هركولي المنعرج الذي سيأخذه مسار هذه المسألة إن لم يتم تسويتها من خلال العراقيل التي وضعها الداي أمام فرنسا ، فحاول إقناع مايفرن بضرورة التخلي عن مطلبه في العودة إلى فرنسا و إنما الاستقرار و عائلته في اسبانيا مقابل تعويضه عن ممتلكاته التي تمت مصادرتها[366] و أبلغ مايفرن الداي برضاه بما توصل إليه مع المبعوث الفرنسي.

نجد أن مسألة اللجوء وضعت القناصل على المحك ، و في موقف حرج مع سلطات الإيالة من خلال حق الإيواء. و ذلك ما وقع أيضا للقنصل الفرنسي كليرمبولت Clairambault بسبب لجوء ثلاثة أسرى من فرسان مالطا حاولوا الفرار[367].

---

[363] غادر فالبير الجزائر باتجاه اسبانيا في ماي 1796 و برر وجهته للديركتوار ، و الذي سيرفع الحجز على ثروته منذ 20 نيفوس العام V .

[364]- قنان جمال . العلاقات ..... م سابق، ص 62.

[365]- AE/ CC . Vol 33 . Alger 1796-1797 .

[366]- قنان جمال . العلاقات ..... ن م ، ص ص 62- 63.

تم الاتفاق على مبلغ 100000 ف كتعويض على أن يتسلمه في الحين ، فاقترض هركولي المبلغ من الداي ، بالاعتماد على :
AE/CC .Alger . vol 33 20 أفريل 1796

[367] - Grammont . Alger sous…..op cit , p 278.

3-الهدايا القنصلية

حظي موضوع الهدايا و الهبات بالدراسة و التحليل لدى الكثير من الدارسين و المختصين في السياسة و الديبلوماسية و الأنثروبولوجيا منهم جاك ڤودبو Jacque Godbout[368] و مارسال موس Marcel Mausse [369] و الذي يعد أول من اهتم بأهمية الهبة داخل المجتمعات الإنسانية، على أن وراءها أبعاد اجتماعية و اقتصادية و دينية و سياسية ، فالهبة تمكن من الإحاطة بالفعل الاجتماعي و الديبلوماسي الشاملين.

يخلص موس Mausse إلى أن الهبة تمثل ترابط التزامات ثلاثة : العطاء القبول و الرد[370]، فالأفراد و الجماعات ملزمون بإعطاء الهدية و قبولها و الرد عليها و يؤدي العطاء إلى بناء علاقة مزدوجة بين الواهب و المتلقي ، علاقة تكافل و علاقة تفوق و من هذا المنطلق أدرجنا عنصرا خاصا بالهدايا القنصلية التي كانت تدفعها القوى الأوروبية لإيالة الجزائر في مناسبات متعددة تقربا و بحثا لقضاء حاجة أو مصلحة ما.

و الحديث عن العلاقات و المهمات الديبلوماسية يستدعي استعراض الهدايا أو بيشكش* التي اعتادت الإيالة أن تقدمها أو تتلقاها من الدول الأخرى.

كان في تلك الهدايا ما يحمل رموزا لها دلالات معروفة و هي تختلف في نوعيتها و طبيعتها بين ما يبعث للعالم الإسلامي و على رأس الباب العالي و بين الهدايا التي تبعث للدول الأوروبية ، فالهدايا تشكل القاعدة الصلبة لبناء جسور العلاقات السياسية و الديبلوماسية القائمة بين الجزائر و العالم الخارجي ، و تكشف لنا أهمية الهدايا و بعدها

---

368 - Jacque ,Godbout .L’esprit du don. (paris : ed la découverte , 1992), pp 19-20 , 147-148.

369 - Mauss ,Marcel . Essai sur le don , forme et raison de l’échange dans les sociétés archaiques. paris , 1983 , p 143, 279.

370 - قدوري عبد المجيد و آخرون. التاريخ و الديبلوماسية قضايا المصطلح و المنهج . (الرباط : منشورات كلية الآداب) ، 2003 ، ص 176.

*البيشكش : كلمة عثمانية من أصل فارسي بمعنى الهبة التي تقدم لأحد الرؤساء أو أصحاب النفوذ لكسب موقفه و وده أنظر :

- حماش خليفة: « تبادل الهدايا بين الجزائر و الباب العالي» ، سلسلة الإنتاج الفكري الجزائري الجزء الثاني ، ص 18.
- شريف الزهار . ن مص ، ص 183.

و ما يمكن ن تفرزه من تأثير على العلاقات من خلال المراسلات بين القناصل و حكوماتهم، و من خلال ميزانية القنصليات حتى صارت تشكل لنا مادة أرشيفية دسمة[371].

ا-هدايا السلطان :

إن الهدايا التي ترسلها الإيالة إلى السلطان العثماني هي هدايا لها بعد تاريخي، مرتبط بإلحاق الجزائر بالدولة العثمانية حيث أرسل أهل مدينة الجزائر برأي من خير الدين بربروس 1519 إلى سليم الأول بأربع سفن تحمل هدية عظيمة[372] و قد تم تعيين أبو العباس أحمد بن القاضي كسفير لدى الباب العالي على رأس من ذهب إلى اسطنبول حاملا إليه رسالة الأهالي و المشار إليها في عنصر سابق.

اكتسى تبادل الهدايا مع الباب العالي أهمية بالغة ، إضافة إلى كونها تقليدا و عرفا سائدا منذ الإلحاق إلى سقوط الإيالة، فهو يرتبط بالتعبير عن الولاء للسلطان ، و تتمثل الهدايا المرسلة إلى السلطان في الغنائم التي يحصل عليها من الغنائم البحرية من أحجار كريمة و أسرى و غيرها[373] .

يتم توزيع الهدايا على السلطان و وزرائه و أفراد حاشيته بحصص متفاوتة كل حسب مركزه في الدولة[374] و يشير حماش إلى قائمة المستفيدين من هذه الهدايا و في مقدمتهم السلطان ثم الصدر الأعظم و شيخ الإسلام و أغا دار السعادة و القابودان باشا و أغا الانكشارية و رئيس الكتاب و غيرهم و يسمى الرسول الذي يحمل الهدية و الرسالة المبعوثة بأغا الهدية[375] و يتحدث التمقروتي عند مروره بمدينة الجزائر الهدايا السلطانية في النفحة

---

[371] -ACCM. série J. Art 1388, Objet : consulat d'Alger , compte 1700-1730.
-ACCM . série J . Art 1880, objet : présents aux puissances de la régence d'Alger 1701-1791.
خليفة حماش ، تبادل الهدايا ...... م سابق.

[372] مجهول . سيرة المجاهد... ن مص ، ص 106 :
" يرى المؤلف أن خير الدين بربروس عين أربعة أجفان برسم السفر إلى حضرة السلطان و قدم عليه رجلا من خواص أصحابه اسمه الحاج حسين و وجه صحبتهم هدية عظيمة من جملتها أربعة رؤساء النصارى العظام....".

[373] -شريف الزهار ، ن م ، ص 121.

[374] -حماش خليفة ، تبادل الهدايا ... ، ن م ، ص 17.-

[375] - -حمدان خوجة ، مص سابق، ص 132.

المسكية [376] و ارتأينا لتدعيم ذلك أن نستفيد مما جاء في دفتر التشريفات[377] عن الهدايا التي بعث بها دايات الجزائر إلى القسطنطينية و كذلك رد الهدايا من السلطان إلى إيالة الجزائر ، فهذه الهدايا المبعوثة للقسطنطينية في أوائل شعبان 1105 هـ الموافق لـ 1693 كلف كل من أحمد آيا باشي و الحاج شعبان بولكباشي و كوتشوك أودباشي برئاسة إسماعيل و الحاج محمد لأداء الهدايا المتمثلة فيما يلي :

- 10 عبيد سود مهندمين ، واحد منهم ولد بالجزائر و آخر بالمشرق.
- 05 إيماء (عبدات) مهندمات.
- 26 حايك أحمر ذو حواشي مذهبة و حريرية بطول 14 ذراع و 3 أذرع عرضا.
- 08 بندقيات من النوع الرفيع.
- 45 حزام حريري مذهب.
- 10 حايك أبيض خفيف.
- 45 سبحة من المرجان و 04 ببغاءات.

و هناك هدايا أخرى جد معتبرة و هي ملفتة للانتباه كالتي بعث بها علي باشا للسلطان و كان رئيس الوفد محمد وكيل الخرج في 16 شوال الموافق لـ 1758[378] و تتمثل فيما يلي :

- 32 زربية من جنوب الإيالة و 25 حايك أحمر صنع بورقلة.
- 30 حايك أبيض صنع بورقلة و 44 حايك أحمر صنع في تلمسان.
- 80 حزام حريري مذهب ، و 12 غطاء من الشراشف.
- مسبحتان من العنبر و 71 مسبحة من المرجان.
- 16 حزام عادي ، 10 نجاد (حمالة بنادق)
- 08 أكياس للبارود و 08 مسدسات فاخرة.
- 30 عبدا و 50 أسير مسيحي.

---

376 -التمقروتي ، علي بن محمد . النفحة المسكية في السفارة التركية . تقديم و تحقيق عبد اللطيف الشادلي . (الرباط : المطبعة الملكية ، 2000) ص 129 :
"لقد سافرت السفينتان اللتان جئنا فيها راجعتين من الجزائر إلى اسطنبول بأموال كثيرة و جباية البلد و هدايا بأمثالها للسلطان و الوزير و القبطان و غيرهم ... ".

377 - Devoulx, A. Tachrifat... , op cit , p 39.

378 - Ibid ,p 40.

و هذه قائمة الهدايا الضخمة التي بعث بها محمد بن عثمان باشا في 06 شوال 1189 الموافق لـ 1775 [379] و قد كلف وزير الخرج سيدي حسن بحمل الهدايا إلى القسطنطينية و هي كالتالي :

- 60 مسبحة من المرجان ، و مسبحة واحدة من العاج و مسبحتان من العنبر.
- 52 حزام من الحرير، 22 غطاء و 10 نطاقات (تكة).
- عشر مسدسات و 10 بنادق.
- 10 أكياس لحمل البارود و 10 جعبات.
- 10 ساعات و خاتم للسلطان.
- 60 حايك من الحرير و 30 حايك أحمر مصنوع في بسكرة.
- 10 حايك للنساء مصنوع في المغرب الأقصى و 50 حايك آخر.
- 60 زربية صحراوية.
- 15 أسدا.
- 10 إيماء و 16 عبدا و 70 أسير مسيحي.

و من خلال هذه النماذج عن الهدايا المرسلة إلى السلطان العثماني يتبين حجم و طبيعة الهدايا ما يبين الإنتاج المحلي للإيالة و الصناعات المختلفة أو الغنائم البحرية.

و في بعض الفترات تكون الهدايا كبيرة و قيمة تجذب الأنظار كالهدية التي قدمها الداي عمر باشا في 1231هـ الموافق لـ 1816م حتى تحدثت عنها كل من جريدة المبشر Moniteur الفرنسية و التايمز Times الانجليزية[380] و تتمثل هذه الهدية في " عدد من الغلمان و ثلاثة خيول بسروجها و شكائمها المرصعة بالذهب و الأحجار الكريمة و البنادق

379- Devoulx.Tachriffat….op cit.

380 -حماش خليفة ، تبادل الهدايا.... ، ن م ، ص 16
جريدة المونيتور عدد 255 ، سبتمبر 1816
جريدة التايمز التي أوردت ما يلي :" أن صحفا فرنسية و ألمانية تتحدث في أيامنا هذه عن الهدية العظيمة التي أرسلها والي الجزائر عمر باشا إلى السلطان العثماني..."//
// أنظر كذلك الزهار ، ن مص ، ص 121 :" يحكى عن هذه الهدية .... أنه لم يقدم مثلها أمير قبله و لا أمير بعده ، و كثرتها من أحجار اليواقيت و من الجوهر النفيس و من الذهب الابريز و قد قدرت حجرة واحدة من الحجارة المرصعة في سرج من السروج بستة و ثلاثين ألف محبوب و هذا شيء لا يقدر بثمن...."

و عدد من السبحات المصنوعة من المرجان و الكهرمان و عدد من الجواهر و ثمانية أسود و أربعة نمور و ست نعامات و عدد كثير من الببغاءات وعدد من الألبسة و الأغطية الجزائرية الصنع و عدد من السجاجيد المزركشة المصنوعة في فاس علاوة على خمسين أسيرا أوروبيا"[381].

بالاعتماد على المبشر بلغت قيمة هذه الهدية مليون و نصف مليون من الريالات الجزائرية.

و قد تكون هي الهدية المبعوثة للباب العالي و التي تحدث عنها حمدان خوجة[382] و التي قدرها بمبلغ مليون من الفرنكات.

ب-جنسيات السفن المستعملة (الحاملة للهدايا):

يتضح لنا من خلال الوثائق الأرشيفية أن إرسال الهدايا و الوفد الحامل لها يكون على متن سفن أجنبية ترتبط حكوماتها مع الإيالة بمعاهدة سلم ، حتى تضمن عدم التعرض لها من قبل أعداء الإيالة و بالأخص فرسان مالطا ، و غالبا ما تكون هذه السفن الأجنبية ذات جنسية فرنسية و هو أمر اعتبرته فرنسا تشريفا ، تكريما و تمييزا لها عن غيرها من الدول الأوروبية ، و هو تقليد حرصت الجزائر على مراعاته منذ القرن السادس عشر.

إلا أن هناك حالات استثنائية تستعمل سفن غير فرنسية خاصة مع أواخر القرن الثامن عشر، فعندما تأخر وصول السفينة الفرنسية التي طلبها الداي حسين باشا في 1791 تم استعمال سفينة اسبانية لنقل الهدايا السلطانية، و كاعتذار من الملك الفرنسي لويس السادس عشر Louis XVI * أرسل هدية مع المبعوث مسييومي Messieumy [383] و رسالة مجاملة رد عليها الداي بهدية تمثلت في ثلاثة أحصنة من أحسن الأنواع و شرح للملك الفرنسي الظروف التي اضطرته لاستعمال السفينة الاسبانية مؤكدا أن هذا لا يعني أي تفضيل لاسبانيا :

---

[381] -حماش خليفة ، تبادل الهدايا .... ، م سابق، ص 15 بالاعتماد على أرشيف ما وراء البحر سجل 8. 13 A.O.M 2228 M I

[382] -حمدان خوجة ، مص سابق، ص 133.

* لويس Louis XVI 1774-1792:عرف غهده اهم حدث و هو الثورو الفرنسية سنة 1789 اعدم و زوجته ماري انطوانيت في 1793

[383] -قنان جمال ، المعاهدات ... ، ن م ، ص 7 ، 39.

" فالجزائر لا زالت متمسكة بتقاليدها في هذا الصدد ، لما يمثله العلم الفرنسي من أمان في البحار و للمكانة التي تحتلها فرنسا كأول دولة أوروبية في علاقتها مع المسلمين....".[384]

و الملاحظ استعمال سفن غير فرنسية كان مع أواخر القرن الثامن عشر مثل السفن الأمريكية ، فقد استغلت الإيالة فرصة إرساء الفرقاطة الأمريكية الحربية "جورج واشنطن" بقيادة وليام باينريدج بميناء الجزائر و هي تحمل الإتاوة السنوية[385]، فطلب الداي من الربان رفع العلم الجزائري على الفرقاطة الأمريكية بغرض نقل السفير الجزائري و الهدايا إلى السلطان العثماني في 1801 و قد أبحرت هذه السفينة و على متنها أغرب حمولة[386] على حد تعبير ايتون* في مذكراته ، كاد القبطان الأمريكي أن يرفض طلب الداي لولا تدخل القنصل العام تفاديا لأي حادث من شأنه أن يؤثر على العلاقات الجزائرية الأمريكية و إشعال فتيل الحرب، و قد برر القنصل O'brien قبول استعمال الجزائر للسفينة الأمريكية التي سيستغرق سفرها إلى القسطنطينية 04 أشهر سيكلف أمريكا 40.000 دولار[387] لكن أين هو هذا المبلغ أمام حجم الخسائر إن رفضنا و أعلنت الجزائر الحرب على السفن الأمريكية.

كما يلاحظ استعمال السفن الانجليزية لهذا الغرض مرتين في 1806 و 1816 و كذلك الدانمارك، و العزوف عن استعمال السفن الفرنسية خلال هذه الفترة خاصة بعد هزيمة أوريلي O'reilly في 1775 أمام مدينة الجزائر[388] ، يفسر السيد رونودو Renaudot (موظف في القنصلية الفرنسية في عهد لافالي La vallée)[389] في رسالة إلى حكومته بتاريخ 23 أكتوبر 1777 :

---

[384] -قنان جمال ، العلاقات ... ، ن م ، ص 38 بالاعتماد على رسالة 16 نوفمبر 1791 ANP. AE .B1. 144

[385] -Dupy, E .Américains et Barbaresques (1776-1824). paris, 1910 , p 122.

[386] -رايت لويس ، الحملات الأمريكية على شمال إفريقيا ، ص ص 122-123 :
"غرابة الهدية بالنسبة للأمريكيين تتمثل في ما يلي :" تتمثل في السفير و حاشيته التي يزيد عددها عن المائة إلى جانب 100 من الرجال و النساء و الأطفال و الزنوج و هدية السلطان أربعة 4 خيول ، خمسة و عشرون ثورا ، مائة و خمسون خروفا ، أربعة ايتون : أسود ، أربعة نمور ، أربعة ضباء ، أثنى عشر ببغاء و بعض النعامات...".

[387]- Dupy, E .op cit, p 124.

[388] -ACCM .Série j, Art 1370, رسالة سبتمبر 1775
Delarymphe, majore : « expédition d'oreilley en 1775 », R.A, 1861, pp 31-40.

[389] -ACCM .Série j, Art 1370 (1774-1782)

" إن سبب العزوف عن استعمال السفن الفرنسية في السفارات نحو القسطنطينية هو تعرض سفينة القنصل برطول Bertolle التي كان على متنها 189 حاج إلى هجوم من قبل البحرية الاسبانية ، لذلك منع الداي رعاياه من السفر على متن السفن الفرنسية لأنها لم تعد آمنة...".

لكن نلاحظ العودة إلى استعمال السفن الفرنسية بعد زوال الخطر الاسباني و ذلك بعد التوقيع على معاهدة السلام مع اسبانيا في 1791 ، و ذلك ما تعكسه لنا رسالة القنصل فالليير Valliere إلى حكومته[390] :

"يشرفني إعلامكم أن الداي طلب مني فرقاطة فرنسية لنقل سفيره إلى القسطنطينية ، و لم يكن في وسعي إلا إرضاؤه...".

تحظى السفن التي تنقل الهدايا باهتمام كبير، إذ تزين بالرايات و تودع وسط طلقات المدافع[391] ، و بعد الوصول إلى القرن الذهبي في القسطنطينية يؤمر بإنزال البعثة التي تحمل الهدية و تخصص لها مراسيم الاستقبال ، و الهدية تقابل بهدية أخرى إذ يتلقى حكام الجزائر (إذا كانت بمناسبة التولية) مقابل هداياهم "القفطان" أي اللباس الرسمي (اللون الأحمر) أو ما يعرف بالخلعة [392] ثم الكليج و هو نوع من السفن العثمانية و الفرمان بالإضافة إلى هدايا سلطانية تتمثل في المعدات العسكرية[393] و كنموذج يمكن إدراج هدية السلطان محمود الثاني* إلى علي باشا التي احتوت على 42 بندقية و 3000 قذيفة و مدافع و 200 قنطار من البارود و مثلها من الحديد و سفينتين كبيرتين.

و يذكر حمدان أن هدية السلطان كانت أعظم مما يرسله الدايات :

---

[390] -ACCM. Série j, Art 1372 , objet : Commerce de Barbarie , Compagnie Royale 1792 رسالة 29 مارس

[391] - حماش خليفة ، تبادل .... ، ن م ، ص 22.

[392]- الزهار ، ن مص ، ص 143 ، 145.

[393] -Devoulx A. Tachrifat…, op cit , p 41 :

في 15 رجب 1180 (1766) وصلت سفينة هولندية من القسطنطينية تحمل ما يلي 02 هاون (مهارس) عيار 200 و 2 هاون آخرين عيار 100 مدفعين نحاسيين عيار 32 و مدفعين نحاسيين آخرين عيار 24 ، 19 سارية و 28 سارية صغيرة ، 250 مجذاف، 22 دفة ، 200 دفة كبيرة و 60 عجلة مدفع.

"و بالمقابل كانت عطية الباب العالي أكثر أهمية إذ اشتملت حتى على بعض الخراقات..."[394].

و الملاحظ أن رد السلطان بهدايا أكبر قيمة معناه قبول هدايا الإيالة، كما أن نوعيتها أنها مواد حربية و ذلك ما يبين النقص الذي تعاني منه إيالة الجزائر ، و حاجتها الماسة إلى هذه المواد خـاصة و أن الدول الأوروبية و البابوية قد أصدرت براءات تـحرم فيها تصدير المواد الحربية إلى إيالات شمال إفريقيا[395] التي تمارس القرصنة.

كما أن إرسال الهدايا إلى اسطنبول ليس فقط بمناسبة تولية كرسي الولاية و إنما أيضا لتسهيل عملية التجنيد ، فظلت الجزائر ترسل هدايا لكبار موظفين الباب العالي خاصة القبطان باشا المكلف بالشؤون الجزائرية و مساعديه في مختلف الرتب كالهدية المبعوثة إلى خرزوف باشا في 1233هـ الموافق لـ 1817[396].

و مما سبق نلاحظ سيطرة استعمال السفن الفرنسية لإرسال الهدايا نحو الأستانة للعديد من الاعتبارات ، منها أنها أكثر ضمانا في البحر الأبيض المتوسط و اختيارها دون سواها لنقل سفراء الجزائر و هو ما يؤكده الداي في مراسلاته مؤكدا "أن ذلك يعود إلى تعود سابقيه في اختيار و استعمال الراية الفرنسية".

كما نستنتج أيضا تحكم الظرفية السياسية في علاقات الجزائر الخارجية[397]، و نلاحظ أن الابتعاد عن الراية الفرنسية بدأ مع القرن الثامن عشر بسبب الحروب التي عاشتها فرنسا

محمود الثاني : 1808-1839استفاد من اقامته الجبرية مع سليم الثالث الذي اطلعه على خطط الاصلاح عرف عهده بكثرة الحروب و الصراع مع الانكشارية انظر الصلابي ن م ص 339

394- حمدان خوجة ، مص سابق، ص 134.

395- Belhamissi ,M . Alger ville au 1000 canons, p..

396- بوشنافي محمد .الجيش الانكشاري خلال العهد العثماني في الجزائر 1700-1830 .رسالة ماجستير ، تحت اشراف أ . د بلقاسمي بوعلام ، جامعة وهران (2001-2002) :

-Colombe, M : « Contribution de recrutement de l’odjak d’Alger dans les derniers années de la régence d’Alger » R.A , 1943 , p 176 :

تتكون الهدية من معطفين حمراوين من الصوف ، مسدسين ، ثلاث سبحات من العقيق ، ثلاث سبحات أخرى من الأصداف ، حزام ، ساعة ، جلد أسد ، جلد نمر و عبد أسود و كذلك أعوانه تلقوا هدايا قيمة.

397 -ACCM. Série j. Art 1882, objet : Commerce et Barbarie 1730-1755.

رسالة ماشو حافظ الأختام و وزير البحرية في 31 مارس 1755 :"... من خلال ما وصلني في رسالة العاشر من هذا الشهر أن الإيالة قطعت علاقاتها مع الدانماركيين و الهولنديين ... و لا يمكننا إلا أن نستفيد من هذه الوضعية ... و هذا الحدث لا يمكنه إلا أن يكون ايجابيا لملاحتنا..."

كحرب الوراثة الاسبانية 1710-1714 [398] التي انتهت بالتوقيع على معاهدة أوترخت في 1713 بالإضافة إلى ظروف أخرى أثرت على الجزائر في اختيار السفن المستعملة لإرسال الهدايا السلطانية كحرب السبع سنوات و الحروب النابليونية و الحصار المفروض على فرنسا.

و مما سبق نستنتج أن تبادل الهدايا مع الباب العالي هي إحدى مظاهر ارتباط الإيالة بالدولة العثمانية من خلال إحياء الصلات العريقة بين الطرفين كما تضفي طابع الشرعية على حكام الجزائر بالإضافة إلى المساهمة في تعزيز القوة الدفاعية للإيالة و إعانتها للمحافظة عليها فهي تعد من جملة أملاكه.

كما يعكس لنا حجم الهدايا الوضع الاقتصادي للإيالة ففي فترات الرخاء تكون الهدايا ضخمة و تتناقص مع حالات العسر و الاضطرابات ، أو بسبب الغارات التي تتعرض لها الإيالة.

ت- هدايا الدول الأوربية :

أما في ما يخص الهدايا التي تقدمها الدول الأوروبية فتعرف بالهدايا القنصلية présent consulaire [399]، فنجد تعدد الهدايا التي تقدمها الدول الأوروبية على يد قناصلها أو وكلائها في مختلف المناسبات السعيدة أو بمجيء المبعوثين للتفاوض بشأن التوقيع على معاهدات السلم فتوزع الهدايا على الشخصيات النافذة في الدولة أي كبار الموظفين كل حسب مكانته.

اختلفت طبيعة تقديم الهدايا من فترة إلى أخرى و من دولة إلى أخرى ، إذ مع ضعف بحرية الإيالة تحولت الإتاوات التي تدفعها القوى الأوروبية إلى ما يشبه الهدايا الإلزامية و الترضية البروتوكولية باختلاف المناسبات من أجل التأكيد على الروابط الثنائية بينهما أو عند تجديد معاهدات السلم من أجل حماية الملاحة و الامتيازات التجارية[400] .

---

398 -Fillipini , j , p : « Livourne et l'Afrique du nord au XVIII siècle …. » p 127.

399 -Paradis, v . op cit , p

400 -Emerit ,Marcel : « Voyage de condamine … » R.A, p 378.
- Grammont H- de .Correspondance des consuls….op cit P 60.

في هذا الصدد نجد مادة تاريخية غنية و قوائم مفصلة عن هذه الهدايا من خلال مراسلات القناصل التي نجدها في الأرشيف الوطني باريس[401] أو أرشيف الغرفة التجارية بمرسيليا[402] أو سجلات الإيالة عن ما يعرف بالهدايا القنصلية.

و الملاحظ أن هذه الهدايا تقرها الحكومات و توجه إلى قناصلها توصيات بذلك ، فهذا الكونت موريباس Maurepas يرد على طلب الغرفة التجارية بمرسيليا بتخصيص 1500 بياسترة[403] قيمة ما يجب تقديمه من هدايا للعناصر الفاعلة في الإيالة، كما تشير نفس الرسالة إلى الهدايا القيمة التي قدمها الكونتراميرال Mr . Contramiral باسم السويد إلى الجزائر.

عند تفحص سجلات موثقية القنصلية الفرنسية Journal de la chancellerie بتاريخ 11 أوت 1753 أنه حضرت إلى ميناء الجزائر سفينة دانماركية من الحجم الكبير تحمل الهدايا الاعتيادية و المتمثلة في البارود و الكور و الحبال و غيرها[404] و هي هدايا عبارة عن مواد حربية.

و النماذج عن الهدايا كثيرة سنقتصر على البعض منها حسب ما يقتضيه الغرض ، فعند وصول دارفيو D'Arvieux إلى الجزائر كمبعوث من قبل كولبرت Colbert* في وقت كانت فيه القنصلية الفرنسية شاغرة إذ تم طرد القنصل بورديو Bourdieu [405] من قبل الداي بسبب فرار العديد من الأسرى المسيحيين على متن السفن الفرنسية ، و رأت السلطات

---

401 -ANP /Marine B7

402 -ACCM. série J, Art 39 , objet personnel consulaire.
-ACCM. Série J, art 1880 (1701-1791)

403- ACCM. Série J, Art 1880 : رسالة lebret في 13 أفريل 1730.
-ACCM. Série J, Art 1358
مراسلة 22 جويلية 1730 :
"تعلم هذه الرسالة بوصول القبطان بيار دوران Pierre durand يوم 15 جويلية و تسليم الهدايا للقنصل و المتمثلة في شراشف لندنية و التي لم تكن من ذوق الداي و لا حاشيته..."

404 - ACCM . Série j Art 1365 bis. objet : consulat d'Alger : B. Germain chancelier faisant fonction de consule 1754-1756.

*كولبر Colbert : 1619-1683 طبع سياسة فرنسا الخارجية في عهد الملك لويس XIV بالأخص في الفترة 1662-1683 ، أهم انجازاته هو تدعيم و تطوير الأسطول الحربي إلى 276 سفينة ، و دوره في تأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية ، عرف عهده// // بالنظام الكولبيري Colbertisme المبني على القوة التي تتحدد بما تملكه الدول من أموال و بالتالي الحصول عليها باسم المركنتلية Mercantilisme

405-Mémoire d'Arvieux …op cit P 71.

الفرنسية في هذا الإجراء تعسف في حق قنصلها. في هذه الظروف جاء دارفيو لتسوية الوضع ، و بعد خمسة أيام من وصوله أرسل إلى الداي و الباشا هدايا للترضية و تتمثل في شراشف هولندية من قماش البروكار و الحرير لكن على غير العادة رفض الداي بابا حسن الهدايا و تم إرجاعها و اكتفيا بقبول المربى فقط للأطفال(406) لأنهما كانا يفضلان الحصول على الهدايا نقدا على حد زعم D'Arvieux.

عرفت قيمة الهدايا الفرنسية للجزائر تطورا خلال القرن الثامن عشر و يتوضح ذلك من خلال الجدول التالي و القيمة بالليرة(407) :

1814	1811	1805	1791	1774	1763	1742
113000	150000	80000	48500	16600	13200	6400

قد يعود ارتفاع قيمة الهدايا إلى التنافس الذي بدا جليا بين القناصل و المبعوثين الأجانب في تقديم الهدايا تقرب من العناصر النافذة في الإيالة و دخول دول جديدة حلبة التنافس ، فالكل يقدم الأفضل و الأغلى و ذلك ما نستشفه من مراسلة القنصل الفرنسي دوران Durand إلى حكومته بتاريخ 22 أفريل 1730 (408) مبررا رفض الداي للشراشف اللندنية التي لم تتناسب و ذوقه مقارنة بالهدايا السويدية القيمة التي جاء بها الكونترابرال.

ارتبط تقديم الهدايا بالمناسبات السعيدة للدايات أو الموظفين الكبار أو لأقربائهم ، كالتعيين في منصب سام ، فقد حظي الداي إبراهيم في مارس 1710 بهدايا قيمة و كذلك عند تجديد المعاهدة نال كل نصيبه من الهدايا :

- للداي قفطان مذهب و قفطانين آخرين من قماش رفيع.
- البيتمالجي قفطانين من القماش الدمشقي قرمزي.
- ترجمان الداي قفطان من القماش الدمشقي أخضر اللون.

---

406 - Memoir d'Arvieux . op cit, ;lP 88.

407 - Plantet E . Consul ... op cit , p 50.

408 -ACCM . Série J , Art 1358. مراسلة 22 جويلية 1730.

- للكتاب الأربعة و قبطان الميناء كل قفطان.

قدرت قيمة هذه الهدايا بـ 365 بياسترة [409] .

أو عند تقديم هدايا المجاملة مثلا عند ختان الداي محمد بقطاش* لابنه قدمت له القنصلية الفرنسية أقمشة مذهبة في 24 ديسمبر 1708 ، و قدمت لنفس الداي هدية أخرى تتمثل في حوض فضي بمناسبة زواج ابنته بعلي شاوش الذي قدمت له هو الآخر زوجان من المسدسات بطلقتين (pistolets à deux coups)[410] ، و عندما سئل كليرومبولت Clairaumbault عن نفقات القنصلية الفرنسية من قبل نواب الغرفة التجارية برر هذه النفقات بما قدمه من هدايا لكل من صهر الداي (قفطان و شراشف، زوجان من المسدسات مزينين بالفضة و الذهب)، وكذلك القفطان لقهواجي الداي بقيمة 179 بياسترة[411] .

نلاحظ أن الموظفين استفادوا و كان لهم نصيب من تلك الهدايا في مختلف المناسبات و يبرز ذلك خاصة من سجل المحاسبات للموثقية القنصلية الفرنسية[412] بمدينة الجزائر المقدم إلى رئيس بلدية مرسيليا و إلى نوابها من قبل مايفرن موثق القنصلية.

كما استفاد بايات البايلكات من الهدايا القنصلية و الكل بحساب فقد قدم بيكو Becot زوجان من المسدسات لباي وهران و هذا يرتبط بالمساعي التي قامت بها فرنسا بعد تحرير وهران الأول من أجل إقامة محطة تجارية و نيابة قنصلية.

تقربا من الداي محمد بقطاش تقدم القنصل الفرنسي كدليل على فرح فرنسا لاسترجاع الجزائر لوهران من الأسبان بتقديم هدايا للصبايحية الذين أتوا بخبر (بشارة) الاستيلاء على

409 -ACCM . Série J .Art 1388 objet : compte 1700-1730

*الداي محمد بقطاش : 1707-1710

410 -ACCM . Série J Art 1388

411- ACCM . Série J Art 1388

بالإضافة إلى هدايا أخرى كالهدية لمصطفى خوجة كبير الكتاب (قطع من القماش المذهب) بمناسبة زواج ابنه.

412 -ACCM . Série J Art 1396, objet : compte 1777-1779 :

" في شهر جانفي بأمر من القنصل قدمت هدية إلى الخزناجي بمناسبة زواج ابنته مع وكيل الخرج و تتمثل في مرآة كبيرة بإطار مذهب و ذلك في 10 جانفي 1777 كما اهدي وكيل الخرج فراشان جميلان فاخران من الساتان المطرز الأبيض و حواشي مذهبة بقيمة 1000 بياسترة.

حصن سان فيليب St philippe و في 10 سبتمبر 1707 هدية أخرى بعد أخذ حصن سانت كروا St Croix ثم للذين جاءوا ببشارة استرجاع وهران في 23 جانفي 1708[413] .

يمكن استنتاج مفعول الهدايا التي أضحت إحدى السبل التي لجأ إليها القناصل و الدول لخدمة مصالحهم و لضرب منافسيهم ، و ذلك ما نستشفه من نشاط كامبانا نائب قنصل اسبانيا بوهران ، فبوصوله إلى مدينة الجزائر قدم هدايا قيمة فاقت 120000 ريال لتسعة أشخاص من حاشية الداي[414]، و لنا أن نتساءل ما وراء تلك الهدايا ، و فعلا كان كامبانا يحمل في جعبته مشروع الحصول على ترخيصات لإقامة محطة تجارية اسبانية (على غرار المؤسسات الفرنسية في الشرق) ، و فعلا نجح في الحصول على امتياز شراء القمح من بايلك الغرب بأسعار جد مرضية.

في 29 فبـراير توجه إلى وهـران لإرساء قواعد مصـنعه - لصناعة الصابون- بـوهران، حيث اسـتقبله محمد الكبـير* و قدم إليه كامبانا Campana هـدايا بقيمـة 50000 ريال[415] ، وكذلك هدايا إلى قائد ميناء أرزيو باسم ملك اسبانيا.

قيمة الهدايا تبين لنا حجم المنافسة إذ كان على أول قنصل اسباني لاس هيراس Las Heras [416] حماية المصالح الاسبانية أمام قوة و امتيازات فرنسا و انجلترا في الإيالة، فمعاهدة اسبانيا مع الجزائر فتحت باب المنافسة على مصراعيه.

استغلال حبوب بايلك الغرب و إقامة مصنع الصابون جاءا تنفيذا لمعاهدة 1786 و ما حصلت عليه من امتيازات و بذلك تغيرت السياسة الاسبانية تجاه الجزائر من المواجهة و الاحتلال إلى سياسة التقارب و التطبيع و استبدال العساكر بالتجار الاسبان و القلاع و الحاميات بالمحطات التجارية.

---

413 - ACCM . Série J Art 1388

414 - Louis cara delsguila . Les espagnols en Afrique , les relations politiques et commerciales avec la régence d'Alger de 1786 à 1830 . professeur M.s perez ,1977, université de bordeaux III, thèse doctorat 3ème siècle, p 65.

*محمد الكبير :تولى سنة اثنين و تسعين و مائة و الف الموافق ل 1778 فتح وهران 1791/1206
المزاري الاغا بن عودة . طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و اسبانيا و فرنسا. تحقيق يحي بوعزيز ,الجزء الأول بيروت دار الغرب الإسلامي .1990 ص 289

415 - Louis cara , op cit , p 66.

416 -Loui Cara . op cit. p 35.

كما يبين لنا تقرير القنصل السويدي براندل Brandel في 31 ديسمبر 1775 [417] التفاصيل عن التنافس بين القناصل الأوروبيين فيما بينهم للتقرب من الحكومة الجزائرية.

ساهمت الهدايا أيضا في تسهيل المفاوضات لا سيما المتعلقة بقضية الأسرى و ذلك ما قام به صانصون نابولون Sanson napollon [418] في مهمته لافتداء الأسرى فقد وزع على كبار الإيالة هدايا بقيمة 70000 ليرة فرنسية.

و في نفس السياق وضع ملك السويد "فريدريك Fréderic" تحت تصرف مبعوثه جورج لوجي George logie 400 جنيه إسترليني[419] لشراء مجوهرات لائقة ليقدمها للداي و لأفراد حكومته بالإضافة إلى تزويده بتوصيات بتقديم هدايا صغيرة لمن يراه مفيد له في مهمته في حين يحتفظ بالهدايا الثمينة إلى حين نجاح المفاوضات و التوقيع على معـــاهدة سلام و تجارة و صداقة التي تتم في 16 أفريل 1729 ، و في السنة الموالية تبعث السويد القائد بول غرون هافن Paul Gronha ven إلى الجزائر بسفينتين محملتين بهدايا ثمينة تتمثل في 40 مدفع ، 800 رمح ، 1600 قذيفة مدفعية ، 80 قطعة خشبية و 8 كابلات بلغت قيمة الهدايا 20.980 ريكس دالر* دوم حساب تكلفة السفينة التي بلغت 10.060 ريكس دالر[420] فرد الداي بهدية مجاملة تتمثل في عبد و أسدين و قط وحشي و ثلاثة ضباع و رسالة شكر مؤرخة في 14 فيفري 1732.

---

[417] المازاري بديرة .السويد و الجزائر ...، م سابق، ص 50.
هذا تفصيل عن الهدايا التي وزعها براندل Brandel عام 1775 و التي بلغت قيمتها 17000 ريكس دالرعلى الداي و العديد من العناصر النافذة الذين بلغ عددهم 173 شخص و هي كالتالي :

- الداي : أقمشة دمشقية ، خواتم من الماس ، ساعات ذهبية.
- جابي الضرائب : ملابس و ألماس.
- وزير البحرية : ملابس ، ألماس ، ساعة ذهبية ، مسدس.
- قائد أركان الجيش : ساعة ذهبية ، مسدس ذهب ، بالإضافة إلى هدايا أخرى لشخصيات أخرى.

[418] -Grammont H-D . Histoire de relation.... Op cit , R.A 1879 , p 134.
- مروش منور ،ن م . الجزء الثاني ، ص 210.

[419] -المازري بديرة ، الجزائر و السويد ...ن م، ص ص 37-38، ص ص 50-51.

*ريكس دالر : عملة سويدية

[420] المازري بديرة ، الجزائر و السويد ...، م سابق، ص 44.
بالإضافة إلى هدايا أخرى بعثت بها السويد في 1735 تتمثل في مجوهرات ،أقمشة ، ملابس حريرية، اشتريت من لندن ، جنوة ، و مرسيليا بالإضافة إلى ذخيرة و أسلحة بلغت قيمتها 26.000 ريكس دالر.

كما تلعب الهدايا دورا في تسهيل عمليات الافتداء للأسرى و التخفيف من المشاكل التي يعانيها آباء الافتداء ، لذا نجد أن قنصل البندقية كبرياتا Capriata [421] قدم هدايا معتبرة لذلك الغرض و في نفس الوقت التوقيع على معاهدة سلم.

تحدد نوع الهدايا من قبل الإيالة ، إذ نجد سبع دول تقدم للجزائر إتاوات ، أو هدايا كل سنتين و هي كل من (الولايات المتحدة الأمريكية ، هولندا ، البرتغال ، نابولي ، السويد ، النرويج و الدانمارك)[422] تقدمها في شكل مواد حربية (حبال ، حديد ، بارود ، سواري ، مجاذف...) بقيمة 30.000 ليرة ، و يمكن العودة إلى رصيد الخارجية للأرشيف الوطني بباريس للتعرف على ذلك[423] .

تحددت هذه الإتاوات بمتوسط 125000 فرنك لتنخفض في سنة 1791 إلى (108000ب) بالنسبة للسويد و إلى (100000) بالنسبة للبرتغال ، أما هولندا فقد أعفيت من ذلك سنة 1816 [424] و ذلك بعد حملة اللورد اكسموث Lord Exmouth* على الجزائر و انعكاساتها السلبية على الإيالة ، أما بالنسبة للو.م.أ فقد أعفيت منها بعد 1825.

أما باقي الدول الأوروبية و هي كل من فرنسا ، انجلترا، اسبانيا ، ساردينيا و البندقية و راقوزا فلم تكن تدفع تلك الإتاوات بل هدايا عينية كل سنتين بقيمة 10000 سوكين بالإضافة إلى هدايا من المجوهرات قد تصل إلى 50000 سوكين([425]) .

---

[421] - ACCM . Série j Art 1384, objet : Benzet – armeny , chancelie , 1762-1767.

[422] - Plantet , E . les consuls….. op cit p 56.

[423] - AE / B3 , 322 :

يحتوي هذا الملف على الهدايا السنوية التي تقدمها الدانمارك للجزائر (500 قنطار من بارود المدافع ، 8000 كور مدفع بأحجام مختلفة ، 50 لوحة Perches للتجذيف ، ditto 10)

-CCC, archives des affaires étrangers vol 32 (1799).

من خلال مذكرة في ملف مراسلات القنصلية في أرشيف الكي دورساي Quai d'Orsay نجد مذكرة مفصلة عن ما كلف الو.م.أ لعقد السلم مع الجزائر و هي هدايا عبارة عن مواد حربية بقيمة 150000 بياسترة و تتمثل فيما يلي : شراء الأمريكان لـ 108 أسير أمريكي بكل النفقات (230 ألف ب) هدايا للداي و عائلته (256 ألف ب) هدايا لكبار الموظفين (185 ألف ب) بالإضافة إلى الهدايا الخاصة من طرف دونالدسون Donaldson و القنصل بارلو Barlow (68000ب) و الأهم هو الهدايا في شكل معدات حربية بقيمة 12 ألف سوكين جزائري ما يعادل (21800ب) و هدايا من المجوهرات كل سنتين بقيمة (29066ب) و المجموع هو 897.132 ب.

[424] - Plantet , E . Les consuls ….op cit p 56.

*اكسموث Exmouth: قدم على راس اسطول يتكون من 6سفن و 4فرقاطات و 2بريك لوضع حد للقرصنة

[425] - Plantet,E. Les consuls… op cit , p 56.

د- القناصل و الهدايا :

يؤدي تأخر تقديم الهدايا أو تأخر وصولها في بعض الأحيان إلى تعرض القناصل إلى المضايقات قد تصل إلى السجن و الاعتقال كما حدث للقنصلين الهولندي فريزيني Fraisinet و الدانماركي Verich [426] في عام 1807.

لقد سعت بعض القوى الأوروبية إلى التخلص من ثقل هذه الهدايا لأنها ترى فيها إهانة يجب التخلص منها و ذلك بشن حملات عسكرية ضد الجزائر كالحملة الدانماركية عام 1770 [427] بقيادة الأميرال كاسان Kaasen ، لكنها باءت بالفشل و اضطرت الدانمارك إلى شراء الصلح مع الجزائر بـ 100000 إيكو Ecus و سفينتين محملتين بمواد حربية و هذا ما يبين قوة الإيالة في هذه الفترة إذ ستتمكن من رد الحملة الاسبانية القوية بقيادة أوريلي O'reilly.

لقد أسهبت الوثائق و الكتابات عن ما كانت تدفعه الدول الأوروبية من هدايا و تركز على أنها مفروضة متناسية الأعراف الدولية و الدبلوماسية منذ القدم :

- مملكة الصقليتين و البرتغال وقعتا على اتفاق بنفش الشروط إذ تدفعا للداي إتاوة سنوية 24000 ب و هدايا مختلفة تساوي 20000 ب[428]
- توسكانيا لا تدفع أي إتاوة و إنما هدية قنصلية بقيمة 23000 ب .
- ساردينيا تحررت من دفع الإتاوة بمساعدة انجلترا ، لكنها تدفع مبلغ مالي غير محدد عند تعيين قناصلها[429]
- الدول الدينية les états d'église هي تحت حماية الملك الفرنسي و بالتالي هي معفاة من كل ما تدفعه بقية الدول.
- اسبانيا تنفرد في علاقتها مع الإيالة على مدار ثلاثة قرون بسبب احتلالها لوهران و المرسى الكبير، لكن بعد التوقيع على معاهدة 1786 [430] تبدأ العلاقات في التطبيع

[426] - Ibid.
Bardoux . la vie d'un consuls, op cit , p
[427] - Galibert Léon. Algérie ancienne et moderne. Paris, 1854, p 239.
[428]- Galibert. Op cit , p239.
[429] - Ibid, p 239.
[430] - ANP, AE /B3 322.

خاصة بعد الجلاء لتعفى من الإتاوات لكن تدفع الهدايا مع تجديد تنصيب قناصلها[431]

ارتبطت الهدايا من بعض الدول بتجدد القناصل لا سيما خلال القرن الثامن عشر ، فغالبا ما كانت الإيالة تطالب بتغيير القناصل للحصول على الهدايا[432]، و إذا لم تلتزم الدولة بذلك يتم طرد قنصلها.

و لم يتوان القناصل في التقرب من الموظفين الكبار و العناصر النافذة في الإيالة كما أشير سابقا بتقديم هدايا بحجة الصداقة و تمتين الروابط لتسهيل المعاملات خدمة لمصالحهم، في هذا السياق أهدى دوفال Duval مسدسان مزينان بالذهب و الفضة للأغا اشتراهما من بيت باري التجاري[433] و رد الأغا بهدية تتمثل في حصان بربري أصيل جميل.

كان لزوجات الدايات نصيبهن من هذه الهدايا ،استقينا من ملف الهدايا بالغرفة التجارية[434] به وثيقة تبين الحرص على إرسال هدية خاصة لزوجة الداي و ذلك نظرا للتأثير القوي لهذه الزوجة على الداي ، و هذا ما يدفعنا إلى التساؤل عن الدور الخفي الذي لعبته النساء في مسار الإيالة (و إن لم يكن هذا موضوعنا) خاصة أن هذه الفترة هي فترة غموض عن دور المرأة في المجال السياسي.

شكلت الهدايا منذ البداية جزءا لا يتجزأ من المصاريف السنوية للقنصليات و المبعوثين لدى الإيالة، نظرا لكثرة المناسبات و بذلك نجد الهدايا العادية و الاستثنائية ، فحسب ما نجده من مادة كثيفة في سجلات الغرفة التجارية أن القنصلية منحت الشخصيات في الديوان اعتياديا كل أنواع التحلية (من مربى ، مشروبات روحية ، قسطل ، تفاح...) .

431- Galibert , L . op cit , p 239.

432 - Boutin abel , commerce et diplomatie ….. pp 160-161.
Courtinat, Rolland. La piraterie ….. p 44 :
قدمت هامبورغ Hambourg بمناسبة التوقيع على معاهدة 28 فبراير 1751 و تنصيب قنصلها في الجزائر هدايا في شكل مواد حربية (4000 بومبة بوزن 100 و 150 رطل ، 50 مدفع ، 8000 كور ...).

433 - AE/ CC, vol 45 Alger 1819-1821.

434- ACCM série j art 1880 (1701-1791) :
وثيقة 9 أفريل 1774 : تقديم القنصل لافالي La vallée باسم نواب الغرفة التجارية للداي و المتمثلة في علبة تحتوي ساعة ذهبية مزدانة بألماس و خاتم بحجر ماس واحد solitaire.
يمكن العودة إلى الملاحق للإطلاع على الوثائق المرفقة.

و بما أن فرنسا تتمتع بالأفضلية مقارنة بالدول الأخرى فقد أعفيت من الإتاوة لكن هدايا متعددة فيما يعرف بالهبة Donative [435] غير أنه كان على فرنسا في ظل التنافس بين الدول أن تجاري بقية الدول حفاظا على مركزها الديبلوماسي ، فعند تعيين لومير Le Maire قنصلا قدم للداي و للموظفين الكبار حسب العادة (العرف) هدايا بقيمة 6600 ف[436] بتوصية من موريباس Maurepas إلى نواب غ.ت.م حتى لا تكون فرنسا أقل من مثيلاتها و لا سيما انجلترا.

ج- موقف الدول الأوروبية من الهدايا القنصلية :

كانت الدول الأوروبية ترى فيها تعسفا و تطاولا لدرجة الخزي ، إذ تضطر إلى شراء التوقيع على معاهدات السلم[437] بالهدايا مثلما فعلت في 1780 ، إلا أن ذلك تقليد يدخل ضمن الأعراف الديبلوماسية المتعارف عليها ، إذ نجد إرسال دايات الجزائر هدايا إلى ملوك أوروبا في العديد من المناسبات و لأغراض متعددة فالهبة تقليد قديم في العلاقات بين الدول و الشعوب ، فمثلما كانت تتلقى الهدايا كانت تقدمها الإيالة ، و لنا هنا أن نتساءل لماذا ترى فيها الدول الأوروبية مساسا لشرفها و لكرامتها؟؟؟

فلهذا العرف دلالات تبين النية الصادقة في إقامة و الحفاظ على العلاقات الحسنة بين الطرفين ، فعند قدوم القنصل الانجليزي بلانكلاي و التحاقه بمنصبه في 1806 قدم الهدايا إلى الداي حسب الأعراف القديمة ما يعرف بهدية القدوم[438] و كرد للمجاملة بعث الداي إلى القنصل بآمة و ابنها الصغير لمنزل القنصل لتقوم على خدمته و عائلته.

قد تكون الهدايا التي قدمتها الجزائر للدول الأوروبية في إطار الترضية ، فبعد حملة الأميرال دوكين Dusquene في 24 أفريل 1684 جاءت سفارة الأغا الحاج جعفر إلى قصر

435 - Courtinat R. op cit , p 91.

436 - ACCM série j art 34 رسالة 2 فبراير 1749

437 - Mascarenhas op cit , p 161 :

"...الكل يبحث عن السلم مع أتراك الجزائر ما عدى سيدي الذي لا زال في حرب معهم، و هو بذلك يحظى باحترام جميع المسيحيين..." أنظر كذلك :

-Courtinat , la piraterie .....op cit , pp 41-43.

438 - Bardoux , la vie .... Op cit , pp 264-265.

فرساي[439] محملة بالهدايا في جوان من نفس السنة للاعتذار عما حدث للقنصل لوفاشي Levache و ما نجم عنه من قطع للعلاقات مع فرنسا ، ترأس هذه السفارة الحاج جعفر أغا لما يتميز به من مميزات النزاهة و الرزانة و الخبرة ، فقد تقلد العديد من السفارات، تؤهله للنجاح في مهمة و إصلاح العلاقات بين البلدين[440] و كان الوفد الجزائري يتكون من 12 ضابط.

أقام هذا الوفد في فندق السفراء و حظي بالترحيب و التقدير ، تكللت مساعي هذه السفارة بالنجاح إذ تم الاتفاق على السلم و احترام المعاهدة المبرمة و عند مغادرتهم لباريس تلقوا العديد من الهدايا القيمة :

"أهدي لرئيس السفارة 6 قطع من سباط أخضر من النوعية الرفيعة ، زوج مسدسات ، شمعدان من البلور بثمانية فروع ، ساعة حائطية pendule de Thuret ، أربع ساعات ، خمس أذرع من البروكار الفضي و الذهبي مزركش بأزهار حريرية لخياطة الستر ات و ذراعين و نصف من القماش القرمزي ، شراشف بندقية ، مسدسان آخران ، سيف مرصع بالأحجار الكريمة ، و البعثة المرافقة ميدالية ذهبية و أذرع من البروكار..."[441]

عادت هذه السفارة إلى الجزائر مكللة بالنجاح برفقة الماركيز أمفريل Amfreville، تمكنت من تحرير200 أسير في صحة جيدة و 196 أسير عاجز ، حملت رسالة إلى الداي من قبل الماركيز ساينلي Marquise de Seignely و كذلك بهدايا من الملك الشمس إلى داي الجزائر (6 مسدسات ، سيف مرصع ، 12 ميدالية ذهبية) وصلت إلى الجزائر في نوفمبر 1684.

---

[439] - Plantet E, les consuls…. Op cit , p 24.

[440] - Jean Peter. Les Barbaresque sous louis XIV, le duel entre Alger et la marine du roi (1681-1698) . (Paris : Ed Economica , 1997) pp 66-67.

أعجب جعفر أغا بمدينة باريس و بقصورها الملكية خاصة بعد زيارته لقصر فرساي و الأنفاليد و فان سان.

[441] - Jean peter .op cit. p 76.

هناك سفارة ثانية في السنة الموالية 1685 برئاسة الحاج محمد محملة بهدايا للويس الرابع عشر Louis XIV و المتمثلة في (12 حصانا أصيلا) بغرض التفاوض لتحرير الأسرى الأتراك في فرنسا[442] .

لم تكن السفارات تجاه فرنسا فقط ، بل تجاه دول أخرى ، فهذه سفارة جزائرية نحو انجلترا و ذلك ما أشار إليه القنصل لومير Le Marie في مراسلة في 19 سبتمبر 1749 :

"أن هناك سفارة جزائرية إلى لندن ، و هي تحمل معها هدايا إلــى ملكها تتمثل في سبعة خيول أصيلة ، عــدد من الأسود ، جلود ، نمور و منتوجات أخرى للإيالة..."[443] .

و في مراسلة متأخرة إلى غ ت م بتاريخ 09 مارس 1750[444] يشير نفس القنصل إلى أن الإيالة لم تتلق أي أخبار عن سفارتها التي ذهبت إلى لندن و لقد أورد حماش بالاستناد إلى الوثائق الموجودة في الأرشيف البريطاني[445] قائمة بأعضاء السفارة و الهدية التي حملتها معها. غير أن التفاصيل الدقيقة حول هذه السفارة ناقصة ، لا سيما المصادر المحلية ، كما أن هناك سفارتين إلى لندن الأولى في 1811 أرسلها الحاج علي باشا* و الثانية في عهد الداي حسين * و التي عثر حماش على ملف خاص بها في وزارة الخارجية البريطانية كما جاء ذكر هذه السفارة غير العادية في مذكرات وليام شالر :

" كان الجزائريون قد بعثوا في أوائل 1819 إلــى لندن بـسفارة على متن سفينة حربية ... و كانت مثقلة بالهدايا من بينها الجياد و السباع و النعام...

---

442 -Ibid. p76

تلك الجياد 6 منها للملك لويس xiv ، اثنان للملكة ، 2 للماركيز ساينلي و 2 لتورفيل.

443 - ACCM série j , art 1364

- ACCM série j , art 1381 , objet : consulat d'Alger Jean baptiste Gerrmain chancelier 1749-1758 :

ذكر في الرسالة أن السفارة هي برئاسة الحاج محمد إلى لندن ذهبت على متن السفينة السويدية بقيادة القبطان Cristian cock

444 -ACCM série j , art 1364.

445 حماش ، سفارة علي رئيس .... م سابق، ص ص 507-508، 523

يتواجد هذا الملف في دار المحفوظات العامة بلندن و يظم الملف 13 وثيقة 10 بالانجليزية و 3 بالعربية.

*الحاج علي باشا : 1809-1814.

و قد استقبل وزيرهم الذي أرسل على رأس هذه السفارة في كارلتون هاوس بالاحترام و المراسيم المعتادة..."[446].

و مما سبق نرى أن الجزائر بدورها قدمت هدايا للدول الأوروبية لأغراض متعددة ، فأين هو وجه الخزي ، و التعسف الذي تتحدث عنه الأوساط الأوروبية ، في هذا الصدد يتساءل القنصل السويدي براندل Brandel** في تقرير لحكومته بتاريخ 31 ديسمبر 1775 :

"كيف لفرنسا و هولندا و الدانمارك و البندقية أن تقبل بالضرائب الباهظة التي أرهقت كاهلها و كيف لبريطانيا أن تترك الجزائريين يسيئون لكرامتها..."[447]

و في هذا إشارة إلى قوة انجلترا البحرية و كيف لهذه الدول أن تقبل بقرار الداي علي باشا و المتمثل في تغيير موظفي القنصليات (القناصل) كل سنتين بغرض الحصول على الهدايا.

و يزداد تذمر فرنسا من مسألة الهدايا خاصة بعد الثورة الفرنسية ، إذ وجه مونج كاتب الدولة للبحرية إلى القنصل فاليير Valliere تعليمات بأنه يجب أن يصرح للداي رسميا و بلهجة جديدة :

"بأن الجمهورية لا تبيع صداقتها كما أنها لا تريد أن تشتري صداقة الجزائر بالهدايا و عليه فلا يجب أن تعود للمطالبة بها منذ الآن فصاعدا..."[448]

غير أن حكومة الجمهورية تتراجع عن هذه التعليمات في مراسلة آجلة مؤرخة (17 جانفي 1793)، و يبدو أن هذا التخلي و التراجع كان لفترة مؤقتة، إذ تظهر الغطرسة

---

*حسين باشا 1818-1830 : آخر دايات الجزائر

[446] --شالر وليام ، مص سابق ، ص ص 178-179.

**براندل Brandel : كان سكرتيرا في القنصلية السويدية بالجزائر منذ 1753 مقابل مرتب سنوي 600 ريكس دالر و تزوج من ابنة القنصل لوجي و بقي إلى أن أصبح قنصلا سنة 1759.

[447] -مازاري بديرة ، الجزائر و السويد .... ، م سابق، ص ص 49-50.

[448] -قنان جمال ، العلاقات الفرنسية ... م سابق، ص 46 عن :
رسالة باريس 8 ديسمبر 1792 ANP / AE , B1 145.

الفرنسية في عهد القنصل مولتدو Moltedo الذي كلفته الحكومة الجديدة "برفضها القاطع عن تقديم الهدايا القنصلية و الهدايا العرفية التي كانت الأمة الفرنسية تقدمها في الماضي"[449]

لكن احترام الجزائر لهذا التقليد المتعارف عليه بين الأمم جعلت القنصل في حرج إذ تلقى عند مقابلة الداي ما يعرف بهدية القدوم و هي تحرير أربعة أسرى فرنسيين دون مقابل.

فلما التذمر ؟ ! فمثلما كانت تقدم الهدايا ، كانت تتلقى هدايا بنية تمتين أواصر العلاقات.

مما لا شك فيه أن دبلوماسية الهدايا و استعمال ثقافة الآخر استجابت لحد بعيد للإستراتيجية الأوروبية بالجزائر من أجل خدمة المصالح و التقرب من العناصر النافذة في الإيالة، و إن لم يكن نجاحها كاملا في بعض الأحيان بسبب المنافسة بين الدول الأوروبية و بين القناصل الأوروبيين خاصة الفرنسيين و الانجليز.

و بالرغم من ضخامة الهدايا طيلة الفترة قيد الدراسة ، نشك في كونها أحدثت تغييرا في مسار العلاقات في الكثير من المناسبات تم رد الهدايا أو رفضها.

و تبرز أهميتها من خلال اعتناء الحكومات بالهدايا التي تقدم إلى الإيالة لم يمكن أن تحققه من نتائج لا سيما على الصعيد التجاري.

4-إقامات القناصل :

ا-مدينة الجزائر نموذج للمدينة الإسلامية(المتوسطية)

إن التطرق إلى إقامات القناصل في مدينة الجزائر يجرنا إلى الحديث عن هذه المدينة و عن خلفيات كثيرة كغنائم البحر التي صنعت الثروة لسكان المدينة و سمحت لهم ببناء قصور و فيلات داخل أسوار المدينة و خارجها.

---

449 قنان جمال ، العلاقات الفرنسية ... ن م ، ص 46 عن :
ANP . CCC , Alger , vol 34 , paris 15 mai 1798.

كما تعكس لنا الدراسات الحديثة للمدينة [450] أو ملاحظات من أقام فيها أو زارها ذلك التنوع الإثني الذي جعل منها فسيفساء بشرية من (عرب ، أتراك ، أعلاج)، كما ضمت أقليات دينية هامة مثل اليهود الذين نشطوا في المجال التجاري و أقليات أوروبية جاءت للتجارة[451] فأصبحت مدينة الجزائر من المدن المتوسطية المفتوحة على شعوب البحر.

فكان عالم المدن بتركيبته الاجتماعية و مؤسساته و أنشطته الاقتصادية أكثر تعقيدا من عالم و مجتمع الريف، فهذه التباينات الإثنية جعلت لكل فئة اجتماعية خصوصيتها كالطائفة اليهودية رغم التعايش بين مختلف الفئات.

لقد ساهم التواجد العثماني و النزوح الأندلسي إلى مدينة الجزائر[452] إلى دفع الفن المعماري فقد تمازج الطراز المعماري المتنوع فكانت و كأنها مدرسة معمارية متميزة تجمع بين قباب اسطنبول و أنواع القرميد التي اشتهرت به الأندلس على حد تعبير بن حموش مصطفى في كتابه دار السلطان[453]، إذ كانت مدينة الجزائر من أهم المدن التي استقطبت أنظار المهاجرين الأندلسيين[454] حتى صار عددهم فيها مع مطلع القرن السادس عشر 25000 نسمة[455]، فقد عرفت المدينة مع قدومهم نهضة عمرانية و نموا سكانيا حتى صارت سهول سهول المتيجة بحق مناطق استيطان و تعمير الأندلسيين على حد تعبير سعيدوني.

450- Raymond ,A . Grandes villes arabes à l'époque ottomane . (Paris : Ed Sindbad, 1985) .
-Raymond ,A : « Le centre d'Alger en 1830 » . R.O.M.M, vol 31 , 1981, pp 73-84.
-Aleth ,Picard : « Architecture et urbanisme en Algérie d'une rive à l'autre 1830_1962 » R.O.M.M , v ol 73-74 , 1994 , pp 121-136.
-Pascuel , J : « Approche de la ville de Levant , continuité et renouvellement » R.O.M.M , vol 55-56 , 1990 , pp 9-17.

451- الأرقش دلندة و آخرون. مقدمات و ... م سابق , ص 188 .

452- المقري ، نفح الطيب ، الجزء الرابع ، تحقيق إحسان عباس مص سابق ، ص 528 :
و قاموا في بعض الجبال على النصارى مرارا ، و لم يقبض الله تعالى لهم ناصرا إلى أن كان إخراج النصارى بهذا العصر القريب أعوام سبعة عشر و ألف ، فخرجت ألوف بفاس و أخرى بتلمسان من وهران ... و هم لهذا العهد عمروا قراها الخالية و بلادها، و كذلك بتطوان و سلا و متيجة الجزائر...". أنظر كذلك :
-سعيدوني ناصر الدين . دراسات .... م سابق ص ص 27-28.

453- حموش بن أحمد مصطفى . دار السلطان : مدينة الجزائر في العهد العثماني ، الإدارة الحضرية و التهيئة العمرانية (الجزائر : دار البصائر ، 2009 .) ص 156 ، أنظر كذلك :
سعيدوني ناصر الدين ، دراسات أندلسية ، م سابق ص 65 : " استخدام القرميد الأجوف الأحمرtuiles crues و المائل للزرقة في السقوف.

454- أهم الهجرات الأندلسية : 1512،1534،1535،1550،1567،1570،1585،1607،1612،1614، أنظر سعيدوني ن.م. ص 130.

455 -سعيدوني ناصر الدين ، دراسات أندلسية... ، نفس المرجع ص ص 27-28.

و يحاول مؤرخو المدرسة الاستعمارية تقديم صورة عن الجزائر باعتبارها إحدى مدن شمال إفريقيا على أنها من "مدن القراصنة"[456] بالاعتماد على النظرة السوداوية على أنها ارتبطت بفترة القرصنة و اللصوصية مصدر الثروة ، و على كل حال فإن هذه المدينة تمتاز شأنها شأن المدن المغاربية بالطراز الإسلامي و ذلك من خلال مبانيها بوجود مسجد جامع يقع وسط التجمع السكاني الذي كان القلب النابض لتلك المدن ، إلى جانب الزوايا والأضرحة نجد أن الفضاء الحضري يضم إلى جانب المنشآت الدينية نجد الأسواق الدكاكين... و كذلك منشآت السلطة السياسية و مؤسساتها. و قد أكد ابن خلدون على العلاقة الوطيدة بين الدولة عبر مختلف مراحلها من القوة إلى الضعف ، إلى كثرة السكان الذي يؤدي إلى عظم المدينة :

" فعلى نسبة حال الدولة يكون يسار الرعايا، و على نسبة الرعايا و كثرتهم يكون مال الدول، و أصله كله العمران و كثرته ..."[457]

و ذلك ما يتأكد من تطور مدينة الجزائر من القرن 16 إلى القرن 19 .

غير أن قصور الدايات لم تبق داخل المدينة بل نجدها حتى في الأحواز، تحيط بالمدينة تلك الأسوار و التي تعد الحد الفاصل بين المدينة و الريف ، فبالإضافة إلى دورها الدفاعي في إطار التحصينات هي تسهل مراقبة كل حركة داخل المدينة أو خارجها جعلت هذه الأسوار من مدينة الجزائر فضاءا مغلقا لا يفتح إلا عن طريق تلك الأبواب المحروسة بذلك تجسد الثنائية بين الحضري و الريفي و بين البلدي و البراني [458]، و تتخلله العديد من الأبواب التي اشتهرت بها مدينة الجزائر التي زارها التامقروتي خلال القرن السابع عشر ذكر أن بها ثلاثة أبواب[459] بينما أبواب المدينة خمسة و هي :

- باب البحرية أو باب الجزيرة ثم أصبح يعرف بباب الجهاد يقع في اتجاه الشرق.

---

[456]- إشبودان العربي . مدينة الجزائر تاريخ عاصمة. (الجزائر : دار القصبة للنشر ، 2007) ص 34 .
[457] ابن خلدون عبد الرحمن مص سابق، ص 669.

[458] -دلندة الأرقش و آخرون ، م سابق، ص 189 .
[459] -التمقروتي ، مص سابق، ص 129 .

- باب السماكة أو الديوانة في اتجاه الشمال الشرقي، تراقب جميع السلع المستوردة من الخارج و كذا مراقبة الأجانب الوافدين إلى المدينة.
- باب العزون الواقع في الجنوب ، يعد العصب الحيوي للمدينة لاتصاله بالطرق التجارية.
- باب الواد في اتجاه الشمال، يأتي في أهم شارع للمدينة و ما يحتويه من أسواق كبرى بالإضافة إلى باب آخر و هو باب سيدي رمضان.
- باب الجديد في اتجاه الجنوب الغربي القريب من القصبة العليا[460] ، و يضيف خلاصي باب آخر هو باب سيدي رمضان [461] و لا تفتح هذه الأبواب طوال فترة صلاة الجمعة خوفا من هجوم مفاجئ كما أنها لا تفتح للمتأخرين ليلا مهما كانت الظروف و مهما كان ذلك الشخص و ذلك ما حدث للقنصل الأمريكي شالر الذي كان في زيارة خارج المدينة فرفض الحرس فتح الباب رغم أنه عرف بنفسه[462].

و الملاحظ في هذا المبحث هو ندرة ما كتب من أبحاث في مجال العمران خلال الفترة العثمانية ، و ذلك ما يذهب إليه ريمون Remond.A : "إن قلة المعلومات عن المدن العربية خاصة بالنسبة للفترة الحديثة ما بين القرنين السادس عشر و التاسع عشر"[463].

قد يعود الأمر بالدرجة الأولى إلى ضياع الوثائق المحلية خلال السنوات الأولى للاحتلال، و التي كانت عرضة للسلب على يد عدد من الموظفين من الجيش الفرنسي، إذ عثر على البعض من هذه الوثائق في مكتبات باريس (الخاصة أو الوطنية).

و ما استقيناه من معلومات عن إقامة القناصل عبارة عن شذرات من المذكرات من هنا و هناك.

لقد اشتهرت مدينة الجزائر بالعديد من القصور و الفيلات الجميلة و الموزعة عبر أحياء مدينة الجزائر، كان عدد القصور داخل المدينة ما يزيد عن 12 قصرا للضباط و كبار

---

460 -عقاب محمد الطيب . قصور مدينة الجزائر . (الجزائر :دار الحكمة ، 2007)، ص 26.
461 -خلاصي علي ، العمارة العسكرية العثمانية لمدينة الجزائر (الجزائر ، منشورات المتحف المركزي للجيش، 1985)، ص 85.
462 -ANP/ CC Alger 1822-1824.
463 Remond, André. ville arabes…. Op cit

الإيالة، أما المنازل فما بين 12000 و 15000 منزل[464] ، مثل قصر بوشناق ، قصر بن زهوط باكري ، دار الداي حسين و غيرها[465] و بشأن جمالها الزخرفي و تناسق منازل البرجوازية ذكر هاينريش ما نصه : " مدخلها مزخرف بالمرمر ... بهوها مقبب ذي أعمدة خاص باستقبال الرجال سلمها مزخرف بالخزف ، رواقها بالطابق الأول يحيط به بهو الأعمدة التي بها ثلاثة أقواس في كل الجهات الأربع..."[466] فما عسانا إلا أن نستدل بوصف الجامعي لجمال مدينة الجزائر قائلا :

فدعني من غرناطة و ربوعها و شانيل* فالحُسنُ انتهى للجزائر

فما تفضُّلُ الحمراء بيضاء غادة مُقرطـة بالـبـدر ذات غـدائـر.

فمن خلال بناءات و زخارف القصور و الفيلات يمكننا أن نستشف العلاقات التجارية التي كانت تربط الجزائر بالموانئ الأوروبية و مواد البناء المستعملة في معظمها مواد مستوردة من النوع الرفيع كالمرمر الأبيض الذي تشتهر به محاجر كرارا* Carara إلى جانب الزليج ذو الـلون الباهـت الأخضـر و الأصفـر يجلـب مـن هـولنـدا، ايطاليا و مـرسيليا و استيـراد

السيراميك الذي اشتهرت به منطقة دلفت Delfet ** المستعمل في التبليط pavement.

فمن خلال سجلات الغرفة التجارية نجد أن الجزائر استوردت في 1787 (118 قطعة من الزليج بقيمة 5900 فرنك[467]، و استورد اليهودي سفورنو Elizer Sforno من ليفورن 14 قطعة من الرخام و 400 قطعة من الأردواز كما استورد من ليفورن أيضا و دائما في

---

464 -خلاصي علي ، العمارة العسكرية...، المرجع السابق ، ص 17.

465 -بلبراوات بن عتو . الريف و المدينة في الجزائر . رسالة دوكتوراه ، إشراف بلقاسمي بوعلام ، جامعة وهران 200 ، ص 54 .

466 -بلبراوات بن عتو . م سابق ص 54 .

* شانيل : نهر بقرطبة و قد بنى عليه المنصور محمد بن أبي عامر قنطرة أستجة ، أنظر : شيارو محمد عصام ، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود ، 91-897 هـ / 710-1492 م ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 2002 ، ص 200.

* كرارا Carara :منطقة ايطالية اشتهرت بانتاج المرمر الابيض الذي استوردته الايالة لتزين به المساجد خاصة الاعمدة و المحارب

** دلفت Delfet :مدينة هولندية اشتهرت بصناعة الزليج و الزجاج

467- ACCM . série I , article 20.

1791 (423 قطعة أردواز و 1000 قرميد من الرخام[468]) و يتجلى من ذلك دور اليهود في تزويد السوق الجزائرية بمواد البناء.

ضمنت المعاهدات المبرمة مع الجزائر لقناصل الدول الأوروبية الحق في اختيار أماكن الإقامة كالبند العشرين من معاهدة 1689 مع فرنسا :

"يعترف للقنصل بامتياز حق اختيار منزله و كذلك الأمر بالنسبة للتجار مقابل إيجار"[469].

أو ما نجده أيضا في البند السابع عشر من المعاهدة المبرمة مع الدانمارك في 22 رجب

1159 هـ الموافق لــ 10 أوت 1746 م[470] (معاهدة سلام و صداقة)، على أن تكون هذه الإقامات في مستوى القناصل[471]، يتم استئجار هذه الفيلات إما من الرياس أو من البايلك ، فقد كان القنصل الفرنسي على سبيل المثال يدفع في حدود 2000 ليرة[472] كإيجار.

و تمتعت إقامة القناصل بالحصانة التي تعرف في القانون الدولي الحديث بحرمة المسكن، و تنص على هذه الحصانة المعاهدات كالبند السابع عشر من معاهدة نيفوس السنة العاشرة و الموافق لــ 23 هلال شعبان 1216 :

" إن مسكن المفوض الفرنسي يعتبر حرمة لا يجوز لأية قوة عمومية الدخول إليه إلا إذا طلب المفوض الفرنسي نفسه ذلك من حكومة الجزائر..."[473]

---

[468] - Haddey , M. J.M. Le livre d'or des israélites Algériens (receuils de renseignements inedits et authentique sur les principaux négociants juifs pendant la période turque). (Alger :A Bouyer , 1887) . p 50,83,91.

[469] - Balvin , la condition de vie , p 50 :

Art 20 : « au consul le droit de choisir une maison, les marchands jouissaient évidemment du même droit en toute tranquillité ».

أنظر كذلك :

Rouard decard , traite de la France , p 58.

[470] - AE /B3 , 322 :

وقع هذه المعاهدة من الجانب الدانماركي Ulrich adolph de daneskiote في عهد الداي إبراهيم باشا.

[471] Comelin . F , Philemon de la motte et autres . Voyages pour la rédemption des captifs au Royaume d'Alger et du Tunis . fait en 1920 .

يذكر الأب كوملان أن منزل القنصل الفرنسي من أجمل منازل مدينة الجزائر و يغطيها وصفا دقيقا .

[472]- Plantet , E . les consuls de France... op cit , p 46.

و ذلك ما تطرقنا إليه في عنصر سابق خاص بالامتيازات و أنواع الحصانات التي يتمتع بها القناصل.

و كان لكل قنصل إقامتين إقامة الصيف و إقامة الشتاء (أو إقامة الريف و إقامة المدينة)، حفاظا على قيمتهم و ضمانا لكرامتهم مثل أهل البلاد.

ب - إقامات الصيف (الريف) :

تواجدت الإقامات الصيفية للقناصل بفحص مدينة الجزائر و المقصود به المناطق الواسعة الواقعة خارج أسوار المدينة، و يوجد ثلاثة فحوص : فحص باب الواد ، فحص باب عزون و فحص باب الجديد(474).

انتشرت بهذه الفحوص العديد من المنازل الريفية التي تعرف في لغة الفرانكا Langua Franca بالمصري Macerie[475] أما على حد تعبير حمدان خوجة فهي منازل للاستجمام(476). يذكر لنا هايدو Haedo (477) خلال القرن السادس عشر عن كثرة المنازل الريفية إذ يقول أن الكثير من السكان يملكون ممتلكات و مزارع جميلة في سهول متيجة أما مسكارنهاس Mascarenhas الأسير البرتغالي (ما بين 1621-1626)(478) يقدر عددها في حدود 2000 و يقول أنه لكل منزل حديقة أو جنان يعمل فيه الأسرى المسيحيين، و في نفس فترة القرن السابع عشر يقدرها الأب دان Dan بـ 1000 (479) منزل ريفي.

---

473 -قنان جمال ، المعاهدات ... م سابق، ص 343.

474 -راجعي زكية ، نفس المرجع ، ص 29 ://

// تقدر مساحته بـ 150 كلم² و يمتد إلى ما يزيد عن 12 كلم من أسوار مدينة الجزائر يمتد من البحر إلى حدود سهول المتيجة من الشرق إلى الغرب من مصب واد الحراش إلى حدود هضبة بوزريعة.

475 -سعيدوني ناصر الدين ، دراسات اندلسية .... ، م سابق، ص 49.

476 -حمدان خوجة . مص سابق، ص 19.

477- Haedo D .de. Topographie … op cit , pp 231-232.

478 - Mascanenhas . op cit , p 89

-Tassy , histoire du royaume …. P 123.

479- Dan , R. P.F .Ministre et supérieur du couvent de la sainte trinité et rédemption des captifs . Paris 1637 , p 87.

* عيون القناصل : بمنحدرات جبل بوزريعة ، عرفت بتلك التسمية لاستخدام مياهها في بساتين قنصليات سردينيا ، الصقليين و الدانمارك ، أنظر سعيدوني ، من المظاهر الأثرية ، ن م ، ص 66.

تميزت هذه المنازل الريفية بالحدائق و البساتين و الجنانات الخاصة بالطبقة الثرية من الرياس، البرجوازية و القناصل الأجانب ، و لم يكن اختيار الفحص للإقامة و الاستجمام صدفة و إنما لتوفر الشروط الملائمة لدلك في الطقس و السكن و الغراسة و وفرة العيون : عين الزبوجة ، عين الأزرق ، الحامة ، عين سبع عيون ، عيون القناصل*، عين الربط[480]، و غيرها من العيون و كذلك الآبار : بئر مراد ريس ، بئر خادم بالإضافة للأودية : وادي المغاسل ، وادي كنيس ، وادي الطرفة و وادي الكرمة[481].

لقد تميز فحص مدينة الجزائر بجمال طبيعته و خصوبة أراضيه و إنتاجه الوافر لمختلف أنواع الثمار و الخضرة الدائمة طيلة أيام السنة ، بالاعتماد على مصادر تلك الفترة التي تصف لنا جمال المنطقة فيمكن أن نتصور تلك اللوحة التي رسمتها الطبيعة من خلال وصف الجامعي فيقول :

تراها على وجه البسيطة أنجما و أغصان الأشجار ترمح نافعة حيث
الربيع غضد ترى أرضها تبدي الغادرة يانعة دواليها تسقي
الغصون فتتنى دماء على أرض من الثلج الوافعة فتبصر أغصان
الأشجار سجد تنير و الصوت الحنين و راكعة و ما هي إلا جنات قد
تأرجحت مداخيلها بالطيب و المسك ساطعة [482]

و يتأكد الوصف بما تذكره السيدة Broughton : لقد انتشر بوادي القناصل La vallée des consuls[483]) أشجار الزيتون و الخروب Caroubier ، المصطكا Lentisque* اللبلات Liseron ، العشقة Lierre** ذات الأوراق الكبيرة و الورد البري حيث تفوح من أعالي بوزريعة رائحة الزعتر و الريحان الشامي Myrte و Ciste*** ، ففي الربيع يزهر الوادي فيكون أشبه بجنة عدن و ما يزيد في جمال الفحص هو أشجار

---

480 -سعيدوني ناصر الدين ، " من المظاهر الأثرية ... م سابق ، ص ص 61-81.

481 -سعيدوني ناصر الدين ، من المظاهر الأثرية .... ن م ، ص ص 64-65

482-الجامعي . فتح مدينة وهران . تحقيق حسني مختار , (الجزائر : مخابر المخطوطات ، 2003) ص 67 .

483- Bardoux , j . op cit , p 274.

* المصطكا : lentisque من الحصيلة البطمية يستخرج منه علك تجاري .

** العشقة : lierre جنس نباتات معمرة من فصيلة الأراليات.

*** الأذن : Ciste قستوس من الفصيلة الاذنية.

الليمون ، البرتقال و الرمان فكانت موقعا خلابا اختاره القناصل للإقامة الصيفية إذ يقول فيكتور برنار (Bernard Victore[484] " أنها تبعث الإحساس العميق بروعة الطبيعة و هدوء الريف و أفضل أن أترك الصياغة بلغتها كما استعملها سعيدوني.

يحرص الجزائريون على بناء المنازل الجميلة المتميزة بطلائها الأبيض الناصع بمادة الجير الذي اشتهرت به مدينة الجزائر حتى عرفت "ببلد الجير"[(485)] ، لا سيما في أوقات الرخاء و هذا يعطينا فكرة عن الثروة المرتبطة بغنائم البحر فهناك فيلات عرفت بأسماء أصحابها كجنان و قصر علي بتشين الذي كان يخدم في قصره 200 امرأة و 40 غلام و سخر 400 مـن عبيده للعمل في تسوية التضاريس المحيطـة بمنـزله الريفي[(486)]. و فيلا الريس حميدو و المحاذية لجنان القنصلية الانجليزية و تصفه ابنة القنصل الانجليزي بلانكلاي Blanklay [(487)] في مذكراتها أنه من أجمل جنانات المنطقة أو تلك المرتبطة بثروة التجار كفيلا عبد اللاطيف أو حمدان خوجة الذي يتحدث عن منزله الريفي[(488)].

و سنحاول إعطاء صورة عن المنازل الريفية بالاعتماد على مصادر تلك الفترة و سنقتصر على بعض النماذج فقط فهذا طاسي Tassy يتحدث عن جمال منزل القنصل الفرنسي لا سيما في فترة كل من دوران Durand de Bonnel و سابقه كليرمبولت [(489)] :

"كانت حديقة المنزل كثيفة الأشجار حيث يمكن الاستمتاع بالقيلولة تحت الظلال و على الأسرة الهزازة و الأجمل تلك البئـر في الوسـط التـي تتدلى فيها زجاجات الخمر و المـاء (التبريد الطبيعي)".

---

[484] سعيدوني ناصر الدين . دراسات اندلسية .... ، م سابق، ص 49.

-Bernard victore, : « un aspect le plus champêtre et le plus paisible qu'un âme tranquille puisse désirer ».

[485] -سعيدوني ناصر الدين ، دراسات اندلسية .... ، ن م ، ص 65.
لنا في هذا الصدد بيت شعري للجامعي :
بمزغنه الفيحاء تبحر بمدى ترى كسقيط الثلج بيضاء الناصعة.
أنظر الجامعي . ن مص ، ص 67 .

[486] -مروش منور ، الجزء الثاني م سابق، ص 270.

[487] - Bardoux , j . Op.cit , p 278.

[488] حمدان خوجة ، مص سابق، ص ص 237-240.

[489] - Tassy laugier . op cit , p 125.

نجد وصف جمال منزل القنصل الفرنسي Durand من دولة أخرى أيضا عند أباء الافتداء و على رأسهم جون لافاي Jean de la Faye فيقول :

" منزل جميل و كبير، مزين بالأسلحة الفرنسية ، و يرفع فيه العلم الفرنسي، و فيه تم بناء كنيسة لممارسة الشعائر يوم الأحد و الأعياد....."[490].

و يسعى كل قنصل أن لا يكون أقل من زميله من دولة أخرى لا سيما التنافس بين القنصلين الانجليزي و الفرنسي.

كما يعطينا القنصل الأمريكي شالر وصفا عن منزله الصيفي و بالتالي فكرة عن جميع المنازل في مدينة الجزائر :

" هو منزل مربع يبلغ 64 قدم من كل واجهة و ارتفاعه 42 قدم ، يتكون من طابق أرضي توجد به المخازن و الصهاريج و الاصطبلات و الأقواس القوية التي تحمل المبنى، و بقية المبنى 28 قدم عبارة عن طابقين يقعان في شكل دائري حول حوش مفروش بالمرمر... كانت شقق المنزل... ضيقة جدا و طويلة جدا و هذا التسهيل و التنظيم ملائم جدا لأحوال المناخ ... للمنزل باب واحد يقضى إلى الخارج باب من القوة و المتانة حيث يشبه باب قلعة و جميع أرضية المنزل مفروشة بالمرمر أو الآجر الذي تم تلوينه في هولندا، و جميع غرف الشقق غطت حيطانها حتى ارتفاع حوالي 4 أقدام بالفسيفساء الرقيقة . و المفروض أن المنزل الذي وصفته قد كلف بناؤه 100.000 دولار و أنا أدفع إيجارا سنويا مقداره 250 دولار..."[491].

490- Faye jean de, Denis . Et autres . Relation en forme de journal du voyage pour la rédemption Des captifs aux royaumes de maroc et d'Alger, pendant les années 1723, 1724, et 1725 .présentation Ahmed farouk .(paris : ed bouchene , 2000) , p 146.

491 شالر وليام . مص سابق ، ص ص 95-96.

فكان من السهل العثور على كثير من المنازل التي هي في مستوى منزل القنصل الأمريكي أو حتى أجمل منه و ذلك ما يدفعنا إلى إعطاء أمثلة عن بعض هذه المنازل كفيلا الزبوج* Les Oliviers [492] و هي اليوم إقامة السفير الفرنسي - بحي الأبيار - بعقد حكري Emphythéotique ، و بالقرب منها قنصلية الدانمارك التي تحولت إلى ملكية مارغريت Marguerite و لوران لوبرلي Laurent Le perlier [493].

كانت المنازل الصيفية و الجنانات خاصة بالطبقة الثرية التي يؤجرونها للقناصل الأجانب، فعند مدخل الأبيار أيضا نجد دار النعمة[494] مقر القنصلية الهولندية بحي الثغوريين Taggarin *.

ارتبطت تلك المنازل بانتشار الضياع أو الجنانات نظرا لتوفر الشروط الطبيعية التي سبق ذكرها لا سيما وفرة المياه التي توفر السقي الضروري لحدائق و بساتين الفحص ، و نستدل هنا بما ذكره سعيدوني عن رحالة يصف بستان إبراهيم الكرغلي و هي : " أشجار البرتقال و الليمون و العناب و الرمان و التين و التفاح و الخوخ و المشمش بالإضافة إلى مختلف أنواع الزهور كالياسمين و لعل أحسن الجنان تلك التي كانت بحوزة الأوروبيين الذين استطاعوا أن يطوروا زراعة البرتقال و العنب..."[495]

---

* فيلا الزبوج : تداول على هذه الإقامة كل من الأميرة مير Mir في 1835 ثم إلى القنصل شولتز Shultz و زوجته سنة 1838 لمدة 7 سنوات، أطلق عليها اسم calorama بمعنى المنظر الجميل، و في 1881 تحولت ملكيتها إلى فيكتور أوليفي victore olivier لمدة ربع قرن ، أما أثناء الحرب العالمية الثانية فتداول عليها كل من الجنرال جوان juin في 1943 ثم الجنرال ديغول و عائلته De Gaulle في 18 أوت 1944.

492 - Joliers , henri , Marcel philibert . Les oliviers . Alger , 1970.

493 -Jolier Henri . op cit , p 15.

494- Ibid , p 04.

* الثغوريين taggarins :حسب براهيمي أنهم من العرب القاطنين بالمدن يوجد منهم أغنياء كثيرون يمارسون تجارة الأسرى و البضائع و غالبا يكونون من الأندلسيين ...." أنظر

- Brahimi , denise : « quelque jugements sur les maures andalous dans les régences turques au XVII siècles » R.H.C.M. Juillet , 1970, p 41.

في حين يعرفهم سعيدوني : هذه الكلمة مشتقة من الثغوريين جمع ثغري نسبة إلى سكان الثغور أو أقاليم الحدود الشمالية من كطالونيا ، أراغون و فالنسيا فقد حل أغلبهم بالجزائر بعد قرار الطرد لعام 1609 ، و استقروا بحي لازال يعرف لحد اليوم بتقاران (الأبيار) أنظر

سعيدوني ناصر الدين ، دراسات أندلسية .... ، م سابق ، ص 28.

495 - Tassy , op cit . p 125.

-سعيدوني ، ورقات جزائرية .... م سابق ص ص 401-402.

كانوا يأتون بالأشجار (نقلة) لغرسها في حدائقهم من أوروبا وكذلك الأمر بالنسبة للموظفين الكبار :

" ترجى وكيل الخرج القنصل لافالي M. De la Valler أن يحضر له من مرسيليا في أسرع وقت ممكن 12 شجيرة إجاص محفوظة في تربتها Conditionnée في براميل أو صناديق ليتم غرسها في حديقته بالريف...."[496].

فكان هذا الفحص وفير الإنتاج يمون مدينة الجزائر و حتى التصدير ، فقد استغل القناصل المساحة الواسعة للجنانات و خصوبة التربة في إنتاج ما يحتاجونه من مواد زراعية و تربية الحيوانات فتقول السيدة بروتون Mrs Broughton [497] في مذكراتها :" أنهم ينتجون كل شيء، فهم لا يشترون سوى التوابل ، فكل شيء كان على الطريقة الانجليزية و تتباهى حتى بتحضير الطثرة الانجليزية Crème anglaise ".

اقتدى القناصل بالجزائريين الذين يفضلون سكن ضواحي المدينة التي تنتشر فيها الديار العربية الأنيقة ذات الأقواس العديدة و العرائش الظليلة و السطوح الأفقية[498] التي يقضون فيها بعض الوقت للتمتع بالطبيعة، و من أجمل الضواحي تلك المشرفة على البر و البحر فاختارها البرجوازيون مقرا لهم ، فكانت القنصلية السويدية من أجمل ديار الأبيار بل من أجمل ديار الدنيا[499].

و من الدور المميزة لفحص مدينة الجزائر دار شكيكن (جنان شكيكن)[500] ملكية سيدي إبراهيم بن يوسف وكيل الخرج و هي المقر الصيفي لقنصل اسبانيا.

---

496 -ACCM. Série J Art 1370, objet : consulat d'Alger : louis robert langoisseur de la vallée consul 1774-1782.

497 - Bardoux . op cit , p 274.

498 -حليمي عبد القادر . مدينة الجزائر ، م سابق ، ص 238.

499 -حليمي عبد القادر ، نفس المرجع ، ص 238.

بنيت هذه الفيلا فوق صخرة سان رفائيل St Raphael المطلة على البحر مباشرة ، تحيط بها الينابيع و الحدائق و الرمان و التين ، خربت عام 1848.

500 - Saidouni Nasser Eddine . La vie rural , p 62.

من أجمل المنازل و الضياع أيضا الدار الحمراء التي كان يقطنها في القرن السابع عشر كل من علي رايس و صالح رايس و أصبحت قبل الاحتلال ملك للداي حسين التي أوكل تسييرها إلى القنصل الانجليزي سان جون[501] ، يقع هذا القصر مواجه لمسجد علي بتشين غير بعيد عن قصر خداوج العمياء[502] و هو اليوم متحف للفنون الشعبية التقليدية إلى جانب دور و جنانات أخرى كجنان سبع بيار التابع للقنصلية التوسكانية و جنان سليمان (وزير الداي) الذي يمتد على مساحة 25000 م^2 تم شراؤه من قبل قنصل انجلترا.

شهدت هذه الفيلات في الفترة قيد الدراسة إحياء حفلات تركت بصماتها في مذكرات و كتابات البعض ، إذ تصف لنا السيدة بروتن Broughton الحفلة و الوليمة الكبيرة - كلها بذخ و ترف - التي أقامها القنصل تانفيل Thainville و دعا إليها المجتمع القنصلي ، فكانت الحديقة كلها مزينة بالأنوار و كذلك الألعاب النارية.

ت -منازل المدينة :

ذكرنا سابقا أنه حفاظا لكرامة القناصل و قيمتهم كانت لهم إقامتين ، و سنحاول أن نعطي و لو فكرة موجزة عن إقامتهم في المدينة.

فكانت القنصليات و موثقيتها تتجمع في حي واحد في المدينة السفلى قرب حي البحرية [503] والتجمع أيضا في شارع واحد يعرف بشارع القناصل* la rue des consuls [504] ، كانت الإقامة في حي الرياس لأن أعالي المدينة كانت ممنوعة على الأوروبيين. أقام القناصل في منازل ذات طابع إسلامي موريسكي يتم استئجارها من البايلك ، على مقر كل قنصلية

-سعيدوني ناصر الدين .<u>دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر ، الفترة الحديثة و المعاصرة</u> ، الجزء الثاني ، الجزائر : م و ك ، 1988 ، ص 147 .

501 -سعيدوني ناصر الدين ، دراسات و أبحاث في .... ج II ن م ، ص ص 144-145.

502 -عمورة عمور . ام سابق، ص 198.

خلاصي علي . العمارة العسكرية ، ن م ، ص 17 :

"ملكها الداي حسين حين كان خوجة للخيل ما بين 1816-1818 ، غادرها إلى القصبة بعد توليته دايا ، لم يعد إليها إلا في 05 جويلية 1830 ، حيث استقبل بها الجنرال دوبورمون De Bourmont بعد أن كلف قنصل انجلترا بالإشراف عليها".

503 - Boyer , p . Vie quotidienne ….op cit , P 254.

-Shuval , Tal . <u>La ville d'Alger vers la fin du XVIII siècle : population et cadre urbain</u>.(paris : ed CNRS , 1998), p 160.

شارع القناصل : هو شارع زاوية الكشاش يمتد من البحرية إلى شارع حمام ملاح أنظر : بن كرادرة زهية . <u>أسواق مدينة الجزائر من الفتح الإسلامي إلى الفتح العثماني</u>، رسالة ماجستير، إشراف لعرج عبد العزيز ، جامعة الجزائر ، سنة 2000 ص 204 .

504 - Bardoux . la vie d'un ….. op cit , R A , 1880 , p 198.

علم pavillon بلده[505] في الريف أو المدينة ، و إنزال العلم من قبل سلطات الإيالة دليل على قطع العلاقات و ذلك ما فعله الداي مصطفى باشا مع القنصلية الفرنسية في عهد تانفيل بأمر من السلطان العثماني و بعد استدعاء القنصل إلى قصر الجنينة "تم قطع سارية العلم من على سطح القنصلية الفرنسية بالشاقور[506] بمراقبة من مبعوث من قبل السلطان الذي أمر بوضع 140 فرنسي رجال ، نساء و أطفال رهن الاعتقال". و نفس الإجراء قام به الداي حسين في 02 أكتوبر 1828 :

" تم إنزال العلم الفرنسي بأمر من الداي و رمي الأثاث في الخارج ، و في 12 أكتوبر 1828 تكفل القنصل السارديني باسمه الخاص تسيير شؤون القنصلية الفرنسية ..."[507].

قد يضطر بعض القناصل إلى تغيير مقراتهم كما حدث للقنصل الفرنسي في 1798، فمن خلال سجلات القنصلية يتضح أن التغيير لم يكن إراديا بل فرض عليهم :

" ..... نحن دومينيك مولتيدو Dominique Marie Moltido القنصل العام للجمهورية الفرنسية و انتوان سليف Antoine Sielve موثق القنصلية و ميشال لوكونت Michel le Cointe الكاتب الخاص ، أنهم كانوا فوق سطح المنزل مديرين ظهرهم للمسجد، فصاح فينا أحد الجزائريين بضرورة النزول من السطح..."[508] .

لأن نمط المجتمع الجزائري الإسلامي و النسيج العمراني عوض النساء خروجهن من البيت و ذلك بالحديث مع جارتها عن طريق السطح الذي كان محرم على الرجال .

على باب كل قنصلية أجنبية في مدينة الجزائر حارسين انكشاريين[509] لحراسة القنصلية و لضمان سلامة المبعوثين الدبلوماسيين و أثاثهم و ذلك ما تنص عليه الاتفاقيات المبرمة بين

---

505 - Paradis , v . Alger aux XVIII siècle , p 239.
506 Dupy , E. op cit , p 130.
507- Play fair ,op cit , R A , 1880 , p 198.
508 -Boyer ,p .op cit .p 254. أنظر
-Devoulx ,A. les archives du consulat …. Op cit.
509-ANP/Marine B 7 . 528 , Levant et Barbarie .20 معاهدة 17 سبتمبر 1689 البند العشرين

الجزائر و الدول الأوربية ، و للقنصل الحق في استبدالهما إذا رأى فيهما تقاعس في أداء الوظيفة المنوطة بهما.

كنموذج للإقامات في المدينة ، و ما توفر لدينا من مادة حول القنصلية الفرنسية ، التي كانت ملكا للريس إسماعيل[510] استأجرها القناصل بـ 100 قرش و 5 بيك* من الشراشف، تقع هذه الإقامة في المدينة السفلى قرب الميناء و كذلك قرب قصر الجنينة ، كانت جميلة إذ يزين وسط فنائها نافورة ، أقواس و أعمدة من الرخام ، مزينة بالخزف الايطالي ، زرابي و أسلحة محلية ، مرايا بندقية و ساعات انجليزية دقاقة ، أقاموا بها 112 سنة إلى أن تأخذ منهم في عهد Moltedo [511] من قبل الداي حسين ليسكن حريمه.

كان إيجار إقامات القناصل جد مرتفع في بعض الأحيان فتخلق صعوبات مالية للقناصل، و ذلك ما نستشفه من مراسلة القنصل لومير Le maire [512] أن حقوق القنصلية لم تكن كافية حتى لدفع الإيجار ، فحاولت رفع أجور قناصلها تفاديا لهذه المشاكل فصدر قرار من المتصرف المالي لوبري Lebret بدفع 3000 ليرة كراتب و 3000 ليرة[513] كنفقات أخرى كالإيجار و مصاريف الإقامة ، و مع ذلك يراها لومير غير كافية كمصاريف مقارنة ببقية القناصل الأوربيين في الجزائر خاصة الانجليز و الهولنديين و ذلك ما يتجلى في مراسلات القنصل دوران Durand في 16 أفريل 1700[514] لدرجة أنه يفضل حراثة الأرض على مواصلة مهامه القنصلية في الجزائر.

---

[510] -Boulard claude : « Les consuls français dans la régence turque d'Alger (1581-1827) » , l'Algerianiste n° 55, 1991, p18.

* البيك وحدة لقياس الأطوال (0.70) أي 3.50 م سنويا

[511]- Ibid.

[512]- ACCM . série j, Art/ 1354 , رسالة R . le maire 1691/2/13

« je ne puis subvenir m'étant épuisé j'ai fais pour contrebalancer les profusions de nos ennemis qui répandant en toutes mains, ayant de bons fonds , ce qui fait qu'ils de maintiennent toujours au vent de nous dans ces lieux ».

[513] - ACCM.série j, Art 14 : 1691 رسالة 24 أكتوبر

[514] - ACCM . série j Art :1355 أنظر مراسلتين

- رسالة 24 أوت 1699
- رسالة 14 أفريل 1701

و اشتكى أيضا قناصل القرن الثامن عشر و موظفي القنصليات من عدم تلقي أو تأخر روايتهم و ذلك ما نجده في رسالة السيد رينودو Renaudot : " فلا الموثق و لا الترجمان و غيرهم لم يتلقوا أجرهم في الجزائر..."[515].

و رغم أن المعاهدات تضمن اختيار المنازل و حرية الممارسة للشعائر الدينية و حق إقامة كنيسة صغيرة في بيت القناصل إلا أنه يمنع من استعمال الأجراس[516] كما هو الحال في الدول المسيحية و هذا وفقا لشروط عقد الجزية مع أهل الذمة التي نصت على : " أن لا يسمعوا أصوات نواقيسهم و لا تلاوة كتبهم و لا قولهم في عزير و المسيح "[517] و ذلك احتراما للمشاعر الدينية للسكان و قد بعث في هذا الشأن الداي توجيهات إلى القنصل الفرنسي.

بحكم موقع هذه القنصليات و تجمعها في شارع القناصل و في حي واحد الواقع في المدينة السفلى القريبة من الشاطئ ، ما جعلها عرضة للكثير من المخاطر في حالة الاعتداءات و القصف البحري من أعداء الإيالة ، فنتيجة لقصف الأميرال دوكين Dusquene فقد تخرب جزء من منزل القنصل لوفاشي le vacher [518] و كذلك تحطيم باب القنصلية الفرنسية ، كما تعرضت مدينة الجزائر إلى قصف مدفعي من قبل قطع الأسطول الاسباني ابتداءا من 01 أوت 1753 [519] ، فقد أحرق من جراء ذلك منزل قنصل السويد ، و أصيب منزل قنصل فرنسا بأضرار كبيرة ، و كذلك ما حدث للكثير من المنازل

---

515 - ACCM . série j Art : 1370 objet Robert la vallée (1774-1782) . رسالة 23 أكتوبر 1777

516 - Play fair , R A , 1880 , p 196 :

« le dey adresse ses compliments et vous pris de vouloir bien ne plus vous servir de la cloche que vous avez dans votre maison , ces sonneries étant contraire aux usages du pays… ».

517 -الماوردي بن حبيب البهري البغدادي. الأحكام السلطانية في الولايات الدينية . بيروت : دار الكتاب العربي ، 1999 ، ص 209.

518 - Tournier. op vit , pp 214-215.

519- ACCM . série j , Art 1371 (dekercy)

تقرير القنصلية الفرنسية 30 أوت 1753.

أثناء حملة الكونت أوريلي O'Reilly [520] فقد كان القنصل الفرنسي الدانماركي و السويدي[521] شاهدو عيان و كانوا مجتمعين في منزل واحد.

ما يهمنا أن هذه الإقامات ستلغب دور في الدبلوماسية الأوروبية في الجزائر إذ أنها ستستغل الجوار لخدمة أغراضها على الصعيد الداخلي و يظهر ذلك من خلال مراسلة فالبير Vallière : "امتلكت زوجة الداي منزلا مجاورا لمنزلي و يتطلب ذلك تصرفات و معاملة خاصة كالتقرب ، فهذا الجوار يحتم علينا استغلاله أحسن استغلال من خلال العناية الخاصة بها و بعائلتها "[522]. يتبين لنا أن الدبلوماسية الأوروبية تستغل كل شيء للوصول إلى أهدافها.

ث ـمصيرهابعد الاحتلال :

أثارت هذه الضياع و المنازل الجميلة إعجاب العسكريين و المصاحبين للجيش الفرنسي سنة 1830 ، فوصفوا الفحص بأنه أكثر جهات العالم انشراحا و بهجة [523] فأبدوا إعجابهم بتلك الفيلات في أعالي بوزريعة و هضاب الأبيار، هذا ما جعلهم يسيطرون عليها كقصر جنان الخياط* التي قدمت إلى الجنرال يوسف امتنانا للخدمات التي قدمها لفرنسا من قبل الدوق أيسلي Isly [524] و أصبحت تعرف بعد الاحتلال بفيلا يوسف.

عمل الفرنسيون منذ السنوات الأولى للاحتلال على خدش هذه الثقافة المعمارية ، و يتجلى ذلك في التعديلات التي أدخلوها على المنازل في الجزائر ، يقول إيشبودان أن :

---

520 - ANP/ Marine .B 7/ 433 (micro film) 1775/7/18 أنظر مراسلة

521 - Anonyne .Alger topographie, population , force militaire de terre et de mer ...... Marseille, 1830, p 93.

522- Loualiche , Fatiha. Alger et la correspondance consulaire de France 1792-1815 .
في كتاب التاريخ و الدبلوماسية قضايا المصطلح و المنهج . ن م ، ص 136 .

523 -سعيدوني ناصر الدين ، ورقات جزائرية .... ، م سابق ، ص 397 بالاعتماد على :
-Blanqui (A.J). Alger rapport sur la situation économique de nos possessions dans le nord d'Afrique, paris, 1840, p 10.

* جنان الخياط كانت في السابق ملكا لخداوج العمياء بنت حسن باشا أنظر :
-Klein , H .Feuillet d'Eldjazair (le viel Alger et sa banlieu ...) T II Alger : p 95

524 -عمورة عمار ، الجزائر بوابة ... ، ن م ، ص 198
تقع بالقرب من متحف باردو و أصبحت تابعة للأوقاف في 1814.

"الاستعمار ساهم في إنكار المدينة الأم من خلال تدمير الأحياء ، من خلال التنكر للماضي الحضري"[525].

فقد أدخلت على دار الخزناجي تعديلات على النمط الأوروبي في 1846 و هي الدار التي اتخذها الدوق دومال Duc Dumal [526] إقامة له ، كما نستنتج التغيير من خلال رسالة الجنرال كلوزيل Clauzel [527] إلى وزير البحرية عن التخريب الذي أصاب الدار المربعة** Maison carré من قبل الجنود الفرنسيين و لم تسلم من الأعمال الهمجية فيلا جنان المفتي ببوزريعة التي صارت معسكر للكوت دوبرمون De bourmond في 1830 و فيما بعد إقامة الجنرال برتزان Berthezene.

ما زاد الطين بلة أن الجنانات و الإقامات الجميلة و الملكيات الكبيرة أضحت إقامات للجنود الفرنسيين و إصطبلات لخيولهم أو اتخذت مقرات لإدارات الاحتلال.

فهذا حوش باي الغرب بالقرب من بوفاريك الذي أوى 200 جندي fantasins و 76 فارس.

وحولت الفيلات إلى مقرات إدارية أو أغراض أخرى و لنا في ذلك نماذج إذ نجد أن إقامة السويد التي كانت قبل الاحتلال من أجمل المساكن مجهزة بأفخر الأثاث و أواني الفضة و غيرها من الأشياء الثمينة ، "و عندما وصل الجنرال بورمون De Bourmond إلى أبي زريعة طلب منه أن يخلي الدار ليفتح حيطانها ... و يتمكن من مهاجمة حصن الإمبراطور..."[528] . fort de L'empreur و سميت ببطارية هنري الرابع Henri IV.

استفادت بعض الشخصيات من إقامات القناصل الأجانب في الجزائر قبل الاحتلال ، فدار النعمة (مقر القنصلية الاسبانية) حصل عليها الأرشيفي دفولكس Devoulx [529] و كذلك

---

525 -ايشبودان العربي ، مدينة الجزائر تاريخ عاصمة. (الجزائر : دار القصبة ، 2007) ، ص 33.

526- Klein, H. op cit , p 66

لقد كلفت التغييرات 31.400 فرنك ، فقد شهد هذا القصر سهرات جميلة و راقية التي نظمها الدوق و الدوقة Duc et duchesse Magenta في 1865 أثناء زيارة نابليون الثالث Napoleon III و كذلك حفلة 1903 على شرف الرئيس لوبي Loubet و في أفريل 1922 و ماي 1930 أثناء زيارة الرئيسين دومارق Doumerg و ميليران Millerard.

527 - Ibid. p 92

** المنزل المربع maison carré : عرف قبل الاحتلال ببرج القنطرة أو برج الآغا ما بين 1822-1824 من قبل يحيى آغا أجرت للمريشال بـ 5.300 فرنك.

528 -حمدان خوجة ، م سابق ، ص 208.

529- Klein ,op cit , T I, p 23

فيلا بابا روشي المعروف بالمانشو [530] و عرفت بدار القراصنة التي سكنها في سنوات الاحتلال السيد بليتي M. Peltier [531] أستاذ الحقوق و قد احتوت صالوناتها على مجموعات و تحف قيمة تعود إلى الفترة العثمانية.

[530] - Ibid .
[531]- Ibid .

III **الفصل الثالث** : علاقة القناصل بمختلف الأوساط

4. علاقتهم بالدايات و العناصر النافذة
5. علاقتهم برعاياهم و حكوماتهم:
6. العلاقة ما بين القناصل
7. علاقتهم باليهود

III-علاقة القناصل بمختلف الأوساط :

1- العلاقة بالدايات و العناصر النافذة :

ا -علاقتهم بالدايات

بحكم التمثيل القنصلي للسلك الدبلوماسي في الجزائر ، أصبح هؤلاء الممثلون على علاقة مباشرة مع الدايات و الموظفين الكبار، تعاملت معهم الإيالة على قدم المساواة مهما كانت مرتبتهم (مبعوثين أو قناصل) و إن كان هناك تمييز فهو مبني على العلاقة الشخصية أو المصالح المؤقتة التي تجمع الطرفين.

حاول القناصل الأجانب التقرب من العناصر النافذة في الإيالة من خلال ربط علاقات وطيدة لا سيما مع الدايات ، غير أن هذه العلاقة تختلف من قنصل إلى آخر.

كان كول Cole الانجليزي و كذلك خليفته هولدن Edward Holden مستشارين للداي، فإتهم الفرنسيون الأول بالجوسسة ، و أطلق عليه اسم "رجل من القش"[532] ، أخذت انجلترا حيزا كبيرا في التقرب من أغاوات الجزائر لا سيما مع ½ الثاني من القرن 17م ، و نستشف ذلك من خلال مراسلة القنصل أونبي Oneby في 04 أفريل 1663 :

"... إننا نحظى بمعاملة جيدة من قبل الباشا و الديوان،
معاملة تسمح لنا بتطبيق كل التعهدات المنصوص عليها
في المعاهدات... و في غضون 08 أشهر سلم إلي ثمانية
من مواطنينا أسروا على متن سفينة معادية للإيالة..."[533].

تمكن القنصل هودسن Hudson من إقامة علاقة متميزة مع الداي ، و كان يجمع ما بين منصب القنصل و ممارسة التجارة ، إذ كان التاجر الانجليزي الوحيد في الجزائر في هذه الفترة أي ما بين 1720-1728[534]، كما سمحت له علاقته مع الداي بالحصول على امتياز

---

[532]-Fisher, G. op cit , p 387 : « Homme de paille ».
[533] -Ibid, p 289.
[534] -Ibid, p 387.

التزود بالزيت – هي مادة يحظر خروجها من ميناء الجزائر – و القمح مقابل معدات بحرية و حربية تحتاجها الإيالة ، كما تحصل على امتياز تصدير المواد التي ينتجها بايلك الغرب عن طريق بيته التجاري بوهران ، و هو البيت الذي كان يسيره نائب القنصل جون فورد J.Ford .

لجأ الممثلون الدبلوماسيون إلى أسلوب الهدايا لقضاء مصالحهم و لإظهار النوايا الحسنة في العلاقات الثنائية ، فهم يشاركون الإيالة أفراحها تقربا منها كدلالة على الصداقة القوية ، و نستدل هنا برسالة موثق القنصلية الفرنسية في 12 جوان 1708 و المتعلقة بمبالغة القنصل الانجليزي في تقديم هدية قيّمة (500 بياسترة) و تميزه عن غيره بالاحتفالات لمدة 3 أيام على سطح منزله بإطلاق الألعاب النارية [535] و ذلك بمناسبة استرجاع وهران الأول [536] و يشير إلى أن هذه المبالغة في الفرحة أثارت تعجب الأتراك و وصف بالمنافق و المتملق.

و يرى القنصل لومير أنه من الضروريات تقديم الهدايا و إن كان ذلك سرا خارج المناسبات للاحتفاظ بالعلاقات الودية مع الشخصيات النافذة في الدولة ، خاصة الشخصيات التي ساعدته في حل مشكل القبطان بلوري Beloury و هم كل من قبطان الميناء و الترجمان و 4 من الرياس الكبار[537] فقد حققوا في صحة جواز سفره و يقول بأنه سيحتاجهم في مسائل أخرى.

و هو ذات القنصل الذي سيستغل علاقته الطيبة مع الداي في بداية فترة قنصليته بطلب خاص بأن يتوسط له الداي لدى باشا طرابلس لإطلاق سراح أخيه و أن يبعث به إلى الجزائر[538] و ذلك بحكم العلاقة الودية بين الإيالتين ، و يبدو من خلال الخطاب أنه تمت الاستجابة لطلبه.

[535]- Grammont H. D. correspondance .... Op cit , p 120.

[536] - كان تحرير وهران الأول في 1708 في عهد الداي محمد بقطاش و الباي مصطفى بوشلاغم.

[537] -ACCM . Série J , Art 1365 Bis : رسالة 14 جويلية 1749

تتمثل الهدايا في سمك الأنشوفة ، مشروبات روحية ، مربى و أقمشة التي لم تكلفه سوى 14 قطعة لويز

[538]- ANP, AE / B1 116, Alger 1687-1692 : مراسلة 25 ماي 1692

طلب الداي من القنصل ايفان Evant في 03 سبتمبر 1742 [539] أن يكتب إلى البلاط الفرنسي و بالضبط إلى موريباس للتدخل في قضية السفينتين الجزائريتين اللتين استولى عليهما قرصان اسباني و أسر عدد من الجزائريين كانوا على متنها و تم اقتيادهم إلى مالقا، و إما أنه سيلجأ إلى اعتقال الفرنسيين بالجزائر و مصادرة قيمة ما أخذه الأسبان (45000 قرش نقدا).

ب – علاقتهم بالعناصر النافذة

حفاظا على العلاقات الطيبة مع الدايات ، نجدهم يعرضون و يقدمون الخدمات للعناصر النافذة في الإيالة (تقربا منهم) ، فقد كانوا وسطاء في عملية افتداء الأسرى المسلمين، في هذا السياق نجد القنصل فاليير Valliere الذي قام بإرسال طرد (دون تحديد المبلغ) إلى السيد دي كومونت De Caumont في مالطا بغرض افتداء أسير يهتم لأمره الداي[540].

هذه العلاقة الحسنة ليست مع الداي فقط بل أي عنصر يكون له تأثير و نفوذ فما بالنا بالموظفين الكبار ، فالقنصل لافالي La Valée لم يتأخر في مراسلة زميله بنابولي من أجل تحرير أسير جزائري بنابولي بطلب من الخزناجي ، فقام بمراسلة M. Astier [541] على أن يقوم بالتدابير اللازمة و باستعمال أموال غ.ت.م على أن يسددها هو في الجزائر.

بما أن الأتراك لا يتنقلون إلى الدول الأوروبية ، فهم يلجأون إلى القناصل لقضاء حوائجهم ، فقد طلب وكيل الخرج من القنصل لافالي M. De La Vallée [542] أن يحضر له من مرسيليا 12 شتلة (فسيلة) إجاص في براميل مملوءة بالتربة ليتم غرسها في حديقة إقامته الريفية.

---

539 -ACCM, Série J, Art 1362 Bis : في هذا الملف رسالة واحدة فقط من ايفان إلى موريباس بسبب قصر مدة خدمته.

540- ACCM, Série J , Art 1372 : رسالة 02 أكتوبر 1791

541- ACCM, Série J , Art 1370 objet Vallée consul (1774-1782) رسالة 18 أكتوبر 1774
هناك رسالة سابقة بتاريخ 10 ماي 1774 الأسير الجزائري هو أحمد بن حسان وطلب من أستيي Astier أن لا يتعدى سعره 100 سكين بندقي .

542 -ACCM, Série J , Art 1370 : الرسالة دون تاريخ

و لتحسين العلاقة مع الدايات عرض فاليير Vallière خدماته على أعضاء ديوان الجزائر بمراسلة زميله مولان Moulin قنصل فرنسا بجنوة في 11 أوت 1791 للعمل على تحرير سبعة جزائريين ، كما تدخلت فرنسا في مالطا لتحرير أسير جزائري (543) و بذلك تحاول فرنسا ترضية الداي و ذلك ما يظهر من خلال مراسلة 14 ديسمبر 1791 (544) كما تتوسط في السنة الموالية (سبتمبر 1792) لدى سلطات جنوة لتحرير الأسير علي ريس (.545)

كانت هذه الخدمات وسيلة للتقرب أو الحصول على امتيازات ، فقد أسر وكيل الخرج حسن ابن أخ الداي عثمان باشا من قبل الأسبان و أطلق سراحه في 23 ماي 1776(546) بفضل مساعي القنصل الفرنسي بمدريد و بتدخل الملك الفرنسي لويس السادس عشر Louis XVI فحسن هذا كان من بين الشخصيات التي أيدت توقيع الجزائر لمعاهدة 1786 و التأثير على الداي بما يمكن أن تحققه من فائدة على الجزائر ، و يبدو أنه بقي على علاقة مع الأسبان و يتجلى ذلك في المراسلات الإسبانية مع وكيل الخرج هذا (16 رسالة) خاصة مع بازيليني (547) هذا ما دفع بعض الكتاب إلى القول أن الأسبان نجحوا في استدراجه لتبني وجهة نظرهم عن طريق الهدايا و الترضيات.

تعددت الخدمات التي يقدمها القناصل للدايات و العناصر النافذة ، لدرجة طلب المساعدة المالية مقابل قضاء المصالح ، فلم يتوان الداي حينما طلب مساعدة دوفال في أن يراسل السفير الفرنسي بالقسطنطينية على أن يعطي مبلغ مالي قدره 10.000 قرش اسباني قوي للقابودان حسين الذي أرسل على رأس السفارة إلى القسطنطينية (548) على أن يرد المبلغ لاحقا لحساب المؤسسات الإفريقية (الوكالة) بالجزائر على شكل سفتجة ، و يتم تسجيلها في موثقية القنصلية.

---

543 Loualiche Fatiha. Alger et la correspondance consulaire de France (1792-1815) p 137.
544 -Plantet , E . Correspondance … T II , op cit p
545-Loualiche Fatiha. op cit p 137,
546 -سعيدوني ناصر الدين . دراسات أندلسية ... المرجع السابق ص 189 .
547 -سعيدوني ناصر الدين . دراسات أندلسية ... ن م ، ص 190 .
548 -A.B du R, 8 M/ 160. رسالة 26 فيفري 1821

قد تلجأ سلطات الإيالة إلى القناصل من أجل الحصول على رخص الإبحار للبحارة الجزائريين كما فعل وزير البحرية مع القنصل شالر Shaler إذا كان بإمكانه أن يمنح تأشيرات مؤقتة للملاحين الجزائريين بالنيابة عن قنصلية النمسا و توسكانيا و البرتغال فأجاب القنصل بأن ذلك الأمر ليس باستطاعته و ليس من واجباته [549]، بعد ذلك تقدم بنفس الطلب إلى القنصل الانجليزي و نظرا لأن القنصلية البريطانية ترعى مصالح هذه القنصليات فقد نصحه القنصل الأمريكي القائم بأعمال القنصلية البريطانية أن يجيب هذا الطلب حيث أن ذلك يتفق مع مبادئ المجاملة و يعمل على الحفاظ على العلاقات الحسنة بين البلدين.

سمحت هذه العلاقات و التقرب من الشخصيات النافذة في الإيالة من معرفة الشؤون الداخلية ، و ذلك من خلال المجاملات و الزيارات التي كانت من الوسائل الناجعة للتعرف على العناصر الفاعلة من أجل استقاء الأخبار، و كذلك تقديم الهدايا للشخصيات القادمة من القسطنطينية ، كما جاء في تقرير لومير La Maire في 26 نوفمبر 1692 فهو يخبر نواب غ.ت.م عن زيارته المتكررة للبولكباشي الذي جاء من طرابلس الغرب [550]، فقد استغل في ذلك علاقة الصداقة التي تربط البولكباشي بأخيه القنصل بطرابلس ، هذا التودد كان بهدف معرفة خبايا مهمته ، و لم يخف لومير في تقريره أنه حاول جر البولكباشي في الحديث لمعرفة غرض الزيارة لكن هذا الأخير تفطن لأمره قائلا له :

"إذا أردت معرفة حقيقة الأمر عليك بالانتظار
أو أن تتجه إلى الداي ليخبرك بذلك..."[551].

و مع ذلك تمكن لومير من معرفة بعض الأمور الخاصة بشؤون طرابلس بعد زيارته للداي في حديقته و هي مساعدة إيالة طرابلس للجزائر ضد "أحمد باي" تونس الذي اعتدى عليهم[552].

549 -شالر ، مص سابق، ص 242.

550 -ACCM, Série J, Art 1354.
551 -ACCM, Série J 1354.
552 -ACCM, Série J, 1354.

استفاد هؤلاء الدبلوماسيون من علاقاتهم الخاصة ، فسهلت مهامهم و قضاء حوائجهم، و تحصلوا على مساعدات مختلفة ، لقد زودت الإيالة السفن الفرنسية الراسية في ميناء الجزائر بالبارود بطلب من القنصل[553] من أجل إطلاق عدد من الطلقات المدفعية بعد وصول نبأ وفاة الملك لويس Louis XV فقدم له وكيل الخرج (برميل من البارود)، قد يبدو قليلا لكن البارود من المواد الإستراتيجية بالنسبة للإيالة.

كرد للجميل لم يمتنع القنصل في تقديم بعض الخدمات لشخصيات الإيالة ، إذ استجابة لطلب الداي محمد بن عثمان باشا في نقل (04 أتراك) إلى القسطنطينية على متن السفينة الفرنسية[554] لكن شرط عدم النزول في تونس و التكتم على خبر وفاة الملك لويس الخامس عشر.

كما استفاد قنصل البندقية كبرياتا Le S. Capriata من العلاقة الودية التي كانت تربطه بداي الجزائر و بأعضاء الديوان ، تقربه سمح له بتحرير رعاياه 30 أسيرا بسعر 30.000 سكين بالإضافة إلى الخصم (10% من الرسوم)[555] و كعربون محبة قدم للداي هدايا معتبرة.

يقوم القناصل بدور الوسيط بين الإيالة و رعاياهم في تحديد مواعيد المقابلات إما تلك الخاصة بشؤونهم في الإيالة كلقاء مسؤولين و مدراء المؤسسات الفرنسية في شرق الجزائر أو بالنسبة للمبعوثين و المفاوضين القادمين من أوروبا ، كما فعل القنصل دولان Delane مع مدير الشركة الملكية جون باتست فنيكس J. B. Fenix مع الداي عبدي باشا[556].

غير أن تلك العلاقات الطيبة لم تكن دوما على ما يرام ، إذ واجهتهم العديد من المشاكل لا سيما مسألة التهريب و جوازات السفر التي أخذت حيزا من المراسلات

553 -ACCM, Série J, 1370.

554-ACCM, Série J, 1370 : رسالة 25 ماي 1774

555 -ACCM, Série J, Art 1383, objet : Benzet Armeny (1762-1767) رسالة 17 أوت 1767

556- ACCM, Série L III Art 07, objet : compagnie royale d’Afrique, traité avec les puissances arabes (1694-1790) تقرير 6 جويلية 1731.

الدبلوماسية ، فهذه شكوى القنصل الانجليزي في طرابلس الغرب من زميله بجنوة الذي كان يبيع الجوازات بـ 30 دولار[557].

مسألة التهريب لعب فيها اليهود دور نشيط لا سيما في مجال الأسلحة و المعدات الحربية الممنوعة على الجزائر وفقا للمراسيم الملكية و البراءات البابوية [558]، نجد مع نهاية القرن 18م أن اليهودي صمويل مواتي Samuel Moetti اشترى لصالح الجزائر من مرسيليا بضائع محرم تصديرها بموجب قانون بلفيوس العام الثالث الموافق لـ جانفي 1794[559] و التي كان الداي حسن باشا بحاجة إليها.

و نظرا لخطورة المسألة واجهت القناصل العديد من المشاكل منها استياء أعضاء الديوان لمنح الجوازات لغير رعايا الدول التي ينتمون إليها ، فقد ورد عن القنصل الانجليزي أنه تم منح 500 جواز سفر الأمر الذي أدى إلى استياء الداي و يؤكد نفس القنصل السير جون بارفين Sir John استياء الداي حسن من خلال هذه المراسلة :

"... إن قضية الجوازات بالنسبة للجزائر و لأغلبية القنصليات بالضفة الشمالية أو الشاطئ الإفريقي ، أفقدت الحكمة البريطانية كل تصور أو حضور في المنطقة..."[560].

كما كان القناصل رهن الظروف و المستجدات ، إذ كانوا عرضة للإقامة الجبرية كما حدث لوارد Ward سنة 1669 ، انتقاما من الجالية الانجليزية بعد حملة الأميرال سبراق Spragg على بجاية بسبب حرق السفن الجزائرية الراسية في بجاية ، و حسب بلايفير

---

[557] -Fisher G , op cit , p 443 .

[558] -بوعزيز يحيى ، المراسلات ... م سابق، ص 115 :
يتناول رسالة الوزير الاسباني للداي حسن باشا في 10 ديسمبر 1791 يخبره فيها : " أنه تم القبض على مركب جنوي يحمل علما اسبانيا يركبه جنويون، يمارسون التجارة السوداء و ليس من حقهم حمل العلم الاسباني و لا جوازات سفر اسبانية...".
-Belhamissi M. Alger ville de 1000 canons .(Alger :E.N.L, 1990) , p 73 :
إن البراءة الحبرية البابوية المادة VII من براءة In Coena Domini تعاقب كل من يبيع للمسلمين أسلحة و معدات حربية.

[559] -Belhamissi M .Alger, l'Europe et la guerre secrète (1518-1830), (paris, Ed France empire 1984), p 153.

[560] -Fisher G, op cit, p 442.

Playfair [561] أن القنصل بعد انتهاء مدة قنصليته قتل يهوديا فانقض عليه الحرس، انتشرت الإشاعات في أوروبا لا سيما في ليفورن أن القنصل الانجليزي قد قتل انتقاما ، لكن السفير البندقي في ليفورن يشير أن رسائل سبراق Spragg جاءت بأخبار سارة و هي إطلاق سراح القنصل [562] و رغم ضغط سبراق Spragg إلا أنه لم ينجح في التوقيع على اتفاقية ترضي غرور انجلترا (خاصة إطلاق سراح دون مبالغ الافتداء).

يصعب تصنيف هذه الفكرة لتداخلها مع أفكار أخرى و إن كانت تكشف الغطاء عن مؤامرات القناصل و تواطئهم مع أعداء الإيالة في منح الجوازات المزورة فالوثائق الليفورنية تعلمنا أن العديد من السفن البندقية محملة بقموح المشرق كانت تحمل جوازات سفر ليفورنية لتتجه نحو لشبونة و برشلونة[563] ، علما أن إسبانيا و البرتغال كانتا في حالة حرب دائمة مع الإيالة مما أعاق البحرية الجزائرية في الحصول على غنائم مربحة ، فقد ورد عن القنصل الانجليزي أنه تم منح 500 جواز سفر الأمر الذي أدى إلى استياء الداي مما يقوم به القناصل بصفة عامة في المساس بمصالح الإيالة الاقتصادية و استفاد المايورقيون من ذلك في بيع الجوازات و تحقيق الأرباح الطائلة.

كما تورط بعض القناصل في التواطؤ و التعامل مع أعداء الإيالة ، ففي حرب الإيالة مع تونس و هجومها عليها كرد فعل على اعتداء محمد باي تونس ضد الجزائر الذي تحالف مع سلطان المغرب مولاي إسماعيل و بالتالي الهجوم على الجزائر من الشرق و من الغرب في آن واحد ، ما يهم هو تورط قنصل فرنسا في إمداد تونس بالسلاح [564] و بعد التحقيق مع القنصل و اعترافه بمساعدة باي تونس طلب الداي من السلطات الفرنسية سحب القنصل وتعويضه بقنصل آخر مزود بتعليمات صارمة يراعي فيها الحياد في هذه الصراعات.

كانت الجوازات الفرنسية تباع علنا في هولندا [565] ،ما يمكن قوله أن مسألة الجوازات مسألة حساسة في الملاحة البحرية و العلاقات الخارجية فهي تسمح للبحارة من معرفة الدول

---

[561]- Ibid, p 326.

[562] -fisher G op cit , p 324.

[563] Belhamissi , M . Marine ... T III p 626. عن B7 / 5 F° 25.

[564] قنان جمال. معاهدات ... م سابق ، ص 142 ، اعتمادا على أبي الضياف ، إتحاف أهل الزمان الجزء 2 ، ص ص 78-79 .

[565] Belhamissi , M . Marine ... T III p 625. عن B7 / 5 F° 25.

الصديقة من المعادية و هذا دليل على انتشار حركة التهريب في البحر المتوسط . كما ذكرنا سابقا أنه عند احتلال فرنسا لحصن سان فيليب وجدت العديد من الجوازات البيضاء[566] قصد استعمالها و احتماءا برايات القوى الأوروبية لذا فعند التوقيع على المعاهدات كان يتم الاتفاق على نموذج جوازات السفر الذي يمنح للقناصل ، و تؤكد السلطات الجزائرية على هذه المسألة ، فمن خلال مراسلة ديوان الجزائر إلى نواب غ.ت.م في 20 أفريل 1790 عن طريق قنصلها للإلحاح في الحصول على تعهد رسمي بعدم منح جوازات سفر فرنسية للسفن الأجنبية[567].

لا يمكن الاستغناء عن القناصل و دورهم في الوساطة الدبلوماسية و حل الخلافات بين الإيالة و الدول الأوروبية ، أو في المفاوضات. عند حملة اللورد اكسموث أرسل الداي عمر باشا يوم 29 أوت قنصل السويد للمفاوضة مع اللورد الانجليزي ، ثم عاد إلى البر رفقة القبطان بريستان Bristane و بنروز Sir J. Penrose [568] حيث تم الاتفاق على النقاط التالية :

- القضاء على العبودية.
- تحرير الأسرى المسيحيين و عددهم 1200 أغلبهم من اسبانيا و البرتغال.
- تعويض مادي حوالي 500.000 ف.

يمكن لشخصية القناصل أن تحدد العلاقات بين الإيالة و الدول الأوروبية و يمكن أن تؤدي إلى حدوث ما يعرف في الشؤون الدبلوماسية بـ "الحادث الدبلوماسي"* l'incident diplomatique الذي من شأنه أن يعرقل الممارسات العادية للاتصال بين الشركاء[569]، خاصة إذا كان بعضهم مزود بتعليمات خاصة كتلك التي زود بها جون سانت أندري*

566 -Playfair, op cit (1878) p 425.
567 -ACCM , Série J , Art 1875 , objet : commerce et barbarie .
568 -Grammont H- D . Alger … op cit , p 379.

*الحادث الدبلوماسي : لا يخضع الحادث الدبلوماسي لتعريف قانوني، قد يكون حادثا عرضيا غير مقصود أو خرقا كبيرا، فهو يمس البعثة الدبلوماسية ، أنظر :

569 -بلانتي ألان . في السياسة بين الدول ، مبادئ في الدبلوماسية . ترجمة نور الدين خندودي . الجزائر ، ENAG (المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية) 2006 ، ص 262، و كنموذج لذلك هناك حادثة تخدم الموضوع :
Grammont H-D. épisode … op cit , pp 130-138

* جون بون سانت أندري : يعقوبي تقلد عدة وظائف سامية في عهد جمعية الوفاق الوطني (1792-1795) نائب في البرلمان و آخر مهمة له هي إدارة مدينة طولون بعد طرد الانجليز في (ديسمبر 1973) أنظر : قنان جمال ، العلاقات... ن م ، ص 67.

J.B.St André [570] الذي يعد تنصيبه مرحلة جديدة في العلاقات الفرنسية الجزائرية ، فهو يمثل عهدا جديدا لطراز جديد من القناصل ، فالتعليمات التي زود بها من قبل المديرية التنفيذية حددت خط سير عمله و الوثيقة الخاصة بهذه التعليمات نجدها مرفقة في الملاحق.

2- علاقتهم برعاياهم و اطلاع حكوماتهم

أ - مع رعاياهم :

❖ الأسرى

قام القناصل بدور هام في التخفيف من وطأة الأسر عن رعاياهم ، أو إنقاذهم من العقاب إذ استطاع القنصل الفرنسي كلريمبولت Clairmbault سنة 1706 إنقاذ بعض رجال الدين الجنويين من الحرق المحتوم بقرار من الداي حسين الذي وصلته رسائل من أسرى جزائريين بجنوة الذين يعانون من القسوة و محاولة إجبارهم التخلي عن دينهم و حرمانهم من الماء[571] مقابل مبادرة ذات القنصل اتخاذ خطوات مع جنوة لتحسين أوضاع الأسرى الجزائريين.

تتحمل القنصلية نفقات إضافية في تزويد الرعايا المنكوبين و الناجين من الغرق، بتقديم لهم ما يحتاجونه كما فعلت القنصلية الفرنسية في 06 فيفري 1709 مع طاقم القبطان لوريل Lauril الثمانية عشر الناجين من الغرق على السواحل التونسية بمنحهم (18 قميصا و 18 بطانية)[572] و كذلك المواد الغذائية ، نفس الشيء يُمنح للفرنسيين الذين أعادهم الريس قارة علي [573] إلى القنصل في 05 ماي 1709 بمنحهم الملبس و المأكل.

اهتم القناصل بشؤون رعاياهم إلى أبعد الحدود ، و لا سيما هؤلاء الأسرى حتى عند انتهاء مهامهم و الدعوة إلى العناية بهم و هنا نستدل بالاجتماع الخاص للقنصل مولتيدو

570 -AE/ CC Vol 33 Alger 1796-1797.
571- De la motte et autres … . op cit, pp 50-60.
572 -ACCM, Série J, Art 1388, objet : compte 1700-1730.
573 -ACCM, Série J, Art 1388.

Moltedo برعاياه قبل رحيله و الخروج بمذكرة [574] إلى بونابرت القنصل الأول للجمهورية الفرنسية بتاريخ 01 جرمينال العام الثامن بضرورة تخليصهم من الأسر.

قدم القناصل من السلك الديني خدمات إنسانية لرعاياهم بالإيالة الأحرار منهم و الأسرى و لا سيما أثناء فترة الوباء ، إذ كان لوفاشي Le vacher نموذجا لتلك الأعمال فقد جعل من مقر القنصلية مستشفى لهؤلاء المرضى المصابين بالوباء سنة 1682[575] بعدما عجز عن إيجاد منزل للإيجار، ليقدم لهم العلاج ، و قد امتد هذا الوباء حتى بداية القرن 18م، و زاد عدد ضحايا هذا الوباء عن 45000 قتيل[576]، و بفضل جهود هذا القنصل تحصل من الداي على رخصة للأسرى من رجال الدين أن يكون لباسهم مميزا[577] (لباس رجال الدين).

استغل القناصل معاهدة الامتيازات الأولى ، فمختلف الجمعيات و رجال الدين تحت حماية القنصل الفرنسي ، غير أن الثالوثين تخلصوا من هذه الحماية إن لم نقل الوصاية الفرنسية لينطووا تحت جناح و حماية القنصل الانجليزي [578] و يعد ذلك انتصارا حققه القنصل الانجليزي في أواخر القرن 17م.

عندما تأتي بعثات رجال الدين حسب التنظيمات التي تنتمي إليها يتكفل القناصل باستقبالها و القيام بإجراءات و طلب مقابلة الداي ، و هذا ما نجده في كتب رجال الدين الذين حظروا إلى الجزائر للافتداء كما يتكفلون بإيوائهم و ذاك ما فعله القنصل الفرنسي دوران Durand عند مجيء الآباء لافاي La Faye و ماكار Mackar و آخرون في 1723[579] إذ يعطون تفصيلا و وصفا دقيقا عن منزل القنصل ، كما يقرضونهم بعض المال لأداء

---

574 -AE/ CC, Vol 45, Alger (1819-1821) : رسالة مولتيدو إلى بونابرت القنصل الأول

575- Tournier. op cit , p 216.

"لا يوجد في المدينة منزلا مليء بالطاعون كمنزلنا..."

576 -Marchika (Dr Jean). La peste en Afrique septentrionale, histoire de la peste en Algérie de 1363 à 1810 , Alger , 1927, pp 68-70.

577 -Tournier, op cit , p 169.

578 -Ibid , p 177.

579- La Faye jean de la et autres… op cit , pp 146-148.

واجبهم على أكمل وجه ، إذ أقرضهم القنصل دوران مبلغ 2400 قرش ، بالإضافة إلى قيمة رسم 3% الذي يدفع كرسوم جمركية عن نقود الافتداء[580] .

و هو نفس القنصل الذي افتدى الأسير صوران Saurin بـ 105 بياسترة على أنه فرنسي فر من الحامية الاسبانية بسبتة إلى مكناس ثم إلى وهران سنة 1728[581]، لكن بعد التحقيقات التي قام بها الأب بيقان ، فلم يجد اسمه ضمن قائمة الأسرى الفرنسيين.

بعد إتمام عملية الافتداء يقومون بتوثيق الإجراءات في موثقية القنصلية و إصدار الشهادات لنقل المحررين على متن السفن الراسية بالميناء [582] و كل واحد يحمل بطاقته البيضاء.

- مع الرعايا الاحرار

من المهام المنوطة بالقناصل و نوابهم في مختلف موانئ الإيالة هي حماية مصالح رعاياهم و الوقوف إلى جانبهم محاولين حل مشاكلهم خاصة مع إدارة الجمارك ، إذ ما حدث سوء تفاهم حول مسألة جوازات السفر و تطابقها كما حدث مع القنصل ألكسندر لومير Le Maire Alexandre مع مواطنه القبطان بلوري Beloury حسب ما جاء في تقرير موثقية القنصلية الفرنسية في 06 ديسمبر 1749[583] ، فقد أشرف القنصل على عملية التأكد من صحة جواز سفره بغرفة الأميرالية و الذي يثبت صحته.

قام هذا القنصل بدور مهم في دبلوماسية فرنسا في الجزائر فعند انتهاء مهامه ترك توصيات لخليفته ، فقد حذر بيرو Perou من القنصل الانجليزي S. Aspinwal الذي يكن الحقد و الغيرة لفرنسا [584] و يعمل دون كلل لمحاربة مصالحها ، أما قنصل الدانمارك بلوياس S. Ployas الذي يرى فيه أنه رجل شريف ذو تربية و تكوين راقيين ، رجل حذر و صديق للفرنسيين [585] ، أما قنصل السويد السيد بلاندرس S. Blanderis مثقف ،

580 -سعيدوني ناصر الدين و المهدي البوعبداللي ، الجزائر في التاريخ ، العهد العثماني ، ج 4الجزائر ، م.و.ك ، 1984) ، ص 78.

581 -Veronne , ch . De la : « un faux captif à Alger en 1728 » R.H.M N° 5, janvier 1976, pp 93-94.

582- Faye, jean de la et autre, op cit , pp 150-151.

583 -ACCM, Série J , 1365 , objet : journal du consulat (749-1756).

584- Chailou , op cit , p 11.

585 -Ibid , p 12

متواضع شريف و صريح صديق للفرنسيين (586) عكس صهره والد زوجته السيد ميشان S. Mechant .

كما تستدل بما قام به نائب القنصل الاسباني دون زيكلون Don Augustin Ziclona بعنابة مع قبطان سفينته (الطهارة purrification) الذي اتهم بالاستيلاء على سفينة جزائرية ، فوقف القنصل ضد قرار الأسر للقبطان و طاقمه ، فضمن القبطان و انتزع أوراقه إلى حين إظهار الحقيقة(587).

غير أن هذا البحار هرب بمساعدة الإرساليات الانجليزية ، فوضع نائب القنصل في قفص الاتهام إذ اعتقل – باعتباره الضامن – و نقل إلى مدينة الجزائر مكبلا و لم يطلق سراحه إلا بتدخل القنصل الانجليزي مقابل كفالة و بشرط آخر و هو إرجاع القبطان الأساسي الهارب و تقديمه للمحاكمة أو دفع 100.000 دورو(588).

و ما يلفت الانتباه في العديد من الملفات بالغ.ت.م و هي طلب رخص الإقامة لرعايا فرنسيين للإقامة في الجزائر و للعمل في القنصليات الأجنبية أو لإقامة التجار ، فالغرفة التجارية استفادت من مراسيم ملكية 1685 و صلاحيات مطلقة في الرفض أو السماح للرعايا الفرنسيين بالإقامة في الجزائر(589) ، فقد رخصت للبعض بطلب من القناصل الإقامة في الجزائر لممارسة التجارة كالترخيص للتاجر دومينيك Estain Dominique شريك

البيت التجاري ليوتو Liautaud المرسيلي في 19 أكتوبر من عام 1742(590) ، و الإقامة كانت بغرض العمل ، في هذا السياق أرسل المدعو باتيست مستور قزي Jean Baptiste Joseph Mestor Ghezzi للعمل كطباخ لدى القنصل العام لملك الصقليتين بمدينة الجزائر(591) ، و هذا إرسال آخر للسيد بلان M. Blanc من طرف نواب الغرفة لمرسيليا

---

586 -Ibid.

587 ابلازا دي ميقال ، تقرير حول العلاقات ... م سابق ، ص 94.

588 ابلازا ، ن م ، ص ص 94-95.

589- Devoulx A , archives aux .... Op cit , N° 11,26,36 , p 23,33,40 .
مرسوم 21 مارس 1731 و تحديد مدة الإقامة بعشر سنوات

590 -Ibid , 375.

591 -ACCM, MQ , 5.1/13 Objet : commerce international relation avec les pays étrangers en particulier rapport avec le levant et la barbarie, échelle d'Alger : رسالة 14 جانفي 1820 / رسالة 05 ديسمبر 1825

[592] للعمل لدى قنصل أمريكا السيد شالر Shaler بطلب من السيد باري Paret * كما طالب دوفال في السنة الموالية بضرورة منح جواز سفر للسيد أوليفي S. Olivier للانتقال و العمل كطباخ لدى القنصل الانجليزي.

بالإضافة إلى طلب القنصل فريزيني Fraisinet قنصل هولندا و النرويج من أجل أن يرسل له من مرسيليا طباخ و هو السيد مالي Mallet و قبله في 1792 كان طباخه أيضا فرنسيا السيد كادبير Cadiere الذي سمح له برخصة خاصة من القنصل بإحضار معه زوجته [593] و لم يمانع فريزيني في إيواء العائلة في بيته ، و الملاحظ هو كل القناصل الأجانب يطلبون طباخين فرنسيين قد يعود ذلك لشهرة المطبخ الفرنسي الراقي.

يبدو أن القناصل كان لهم دور في التخفيف من معاناة رعاياهم و لو كانوا خارج الإيالة ، ذلك ما جاء في مذكرات أسير سويدي في تطوان و استنجادهم بقنصلهم السويدي لوجي Logié بالجزائر سنة 1753، الذي أرسل إليهم مبلغا من المال و بعض المؤونة إلى حين الافتداء مشيرا إلى أن القنصل الفرنسي لم يقدم المساعدة للأسرى الفرنسيين بالمغرب[594] و يعود ذلك إلى أن المغرب لم تكن ترطبه بالسويد أية معاهدة في تلك الفترة.

كما يدافع القناصل عن رعاياهم حتى في القضايا الحرجة و الخطيرة ، فهناك قضية رجل دين اتهم بالتجسس على الإيالة و هنا إشارة إلى القس بيلو جون أنطوان M. Pillot الذي ألقي القبض عليه في 31 أكتوبر 1737[595] من نوبجية القصبة بتهمة التجسس و محاولة أخذ أو رسم مخطط القلعة و هنا جاء دور تايبوت Taibout في إنقاذ حياته من الإعدام لكنه لم ينج من الفلقة (80 ضربة) بأمر من الداي إبراهيم باشا.

---

592 -ACCM, MQ , 51/13 : 1817 رسالة 21 فيفري

*باري Paret : تاجر مرسيلي و شريك بيت جيمون التجاري بدا نشاطه بالجزائر مند 1787 تحصل من حكومته على امتياز إنشاء بيت تجاري سنة 1819 انظر

-Devoulx, A. Relevé des …op cit, pp 426-428.

593 -ACCM, Série J ,Art 1372 رسالة فالبير 24 مارس 1792.

594- Berg, Marcus. description de l’esclavage, op cit , p 26.

595 -Grammont H De, correspondance … op cit , p 242.

كل الهيئة القنصلية في خدمة الرعايا، حتى من خلال دور الموثقين في توثيق كل ما يتعلق بالقنصليات و الرعايا (زواج، ولادة، وفاة، عقود و صفقات...) كما يساعدون القناصل في أداء مهامهم و معالجة القضايا العالقة كما فعل جونفيل Jonville [596] في حل مشكل القبطان أوديبار Audibert القادم من الإسكندرية.

و تتواصل المراسلات القنصلية الدائمة بين القناصل في الجزائر و نظرائهم في محطات أخرى و ذلك للاطلاع على مجريات الأحداث أو خدمة لمصالح رعاياهم هنا و هناك فمن خلال رسالة القنصل بيول Piolle في 23 ماي 1686 إلى حكومته يشير إلى الرسالة التي تلقاها من نظيره في سالا* و هو قريلي Guerillier يطلب منه التوسط لدى باشا الجزائر لإطلاق سراح القبطان دوفال و طاقمه[597] و فعلا نجحت وساطة داي الجزائر الذي كاتب حاكم سالا لتحرير الأسرى الفرنسيين.

لم تكن العلاقة بين القناصل و رعاياهم دوما على ما يرام ، إذ تظهر مشاكل و خلافات بين القناصل و التجار المقيمين في الإيالة ، كالخلاف الذي وقع بين القنصل الانجليزي مارتان Martin الذي كان يحظى بثقة لندن إذ يشاد في التقارير بسلوكه و سياسته الحكيمة في حل المشاكل و مواجهة الصعوبات و رعاية مصالح الانجليز في الجزائر، كخلافه مع التاجر وليام بويتال William Bowtell الذي احتكر تجارة افتداء الأسرى التي حاول القنصل جاهدا جعلها تحت وصايته ، فقد وجه هذا التاجر العديد من التهم و الوشاية ضد قنصل بلاده لدى كاتب الشؤون البحرية صامويل بيبس Samuel Pepys [598] الذي تولى منصبه منذ 1673.

596- AE/ B1 116, cc Alger 1687-1692 مراسلة 25 ماي 1692

*سالا : عند مصب نهر بو الرقراق

597 -ACCM, Série J , Art 1352.

598- Fisher G , op cit , p ?

و تستمر الخلافات بين القناصل الانجليز و رعاياهم ، من خلال العلاقة السيئة التي كانت بين القنصل أسبنوال Aspinwal الانجليزي و رعاياه كل من التاجرين جيبسون Gibson و قيس Guise [599] اللذان يطمحان إلى أخذ مكانه.

هذا التاجر نفسه تسبب في عدة مشاكل مع أحد أعوانه جامس كروفتس James Crofts و الأضرار بتجارة انجلترا إذ تدين بمبلغ 30.000 جنيه و لم يسددها ، فقرر الداي منع تواجد التجار الانجليز في الإيالة.

من بين الخلافات التي طبعت علاقة القناصل برعاياهم هو الخلاف الحاد الذي حدث بين دارفيو D'Arvieux* و أرنو Arnaud مدير الباستيون الذي أراد أن يحل محله لافونت La fonte ، فكانت هذه المسألة من بين نقاط الخلاف بين القنصل الفرنسي و الداي بابا حسن الذي وقف إلى جانب أرنو Arnaud الذي مات فكانت فرصة لتنصيب لافونت La fonte محله[600]، غير أن هذا الأخير بتواطئه مع القنصل تسبب في تقييد أبناء المدير السابق للباستيون و بعث بهم إلى مرسيليا للمحاكمة الأمر الذي أغضب الداي و طرده لكل من لافونت أولا و القنصل ثانيا.

تتكرر هذه الخلافات في مناسبات عديدة كالخلاف الحاد الذي ظهر في منتصف القرن 18م بين القنصل الفرنسي لومير Le maire و التاجر نيكولاس برينجر Nicolas Berenger ** الذي تعود وقائعه إلى حادثة القنصل بريبو[601] Prepaud.

كما تذمر القنصل الفرنسي في اجتماع للأمة Assemblée de la nation في 26 مارس 1754 من وصول شكوى ضده إلى مرسيليا [602] على أنه لم يقم بدوره كما يجب لإنقاذ القبطان بريبو Prepaud غير أن غريمه كان مجهولا ، و عند تفحصه لوثائق الموثقية

---

599 -Chaillou , L . Texte … op cit , p 11.

*دارفيو : فترة قنصليته قصيرة من 1674-1675.

600 -Degen Maddy. op cit , p 34.

601- Devoulx A : « le capitaine prepaud, » R.A, pp 161-172.

* *نيكولاس برينجر : تاجر من منطقة أوباني Aubagne قدم الى الجزائر منذ 4 ماي 1749 الى غاية 1758 و هو يسير بيته التجاري أنظر :

Devoulx A : » Querelle entre consul et négociant », R.A, 1871, p 269.

602 -Devoulx A, querelle… op cit , p 261.

القنصلية عادت به الذاكرة إلى خلافه مع نفس التاجر الذي يعود إلى 8 مارس 1751 [603] حينما عارض التاجر قنصله لومير حينما دعا كل الفرنسيين المتواجدين في مدينة الجزائر لمرافقة و توديع قباطنة السفن النمساوية الذين كانوا في الجزائر، فعارض التاجر طلب القنصل و تحت وطأة الغضب طرده القنصل و هدده بعدم حضور الاجتماعات، و هو الأمر الذي دفع بالتاجر المغضوب عليه بكتابة تظلم إلى رئيس البعثة الدينية السيد بوسو M. Bossu و التي تم تسجيلها في سجل موثقية القنصلية تحت رقم (XXV, F° 221) بتاريخ 9 مارس 1751[604] و ذلك بشهادة جماعة من التجار الفرنسيين الحاضرين[605].

يبدو أن الخلاف يعود إلى أبعد من ذلك أي إلى شهر 1750 أي حينما رفض التاجر برنجر Berenger طلب القنصل الذي أراد أن يشحن على سفينة التاجر (Vierge de miséricorde) المؤجرة من قبل البايلك نحو مرسيليا (تتمثل الحمولة في الصوف ، القمح ، الاسكايول، الجلود ، تمور ، السروج...) أراد القنصل أن يشحن أربعة صناديق من الشمع الأصفر نحو مرسيليا و منها إلى مالطا [606] ، فكان نظام التاجر إلى ملك فرنسا لوضع حد لتعسف القنصل في استعمال السلطة و الصلاحيات ، و نظرا لكثرة الشكاوي و سجن القنصل من قبل الديوان في أكتوبر 1757 تمت إقالته و تعويضه ببوسو Bossu بموجب قرار ملكي 16 نوفمبر 1756 [607] و عين لومير قنصلا في جمهورية راقوزا Raguse.

ظهرت الخلافات و عدم الاتفاق حتى بين موظفين القنصلية لا سيما بين الموثق و القنصل و ذلك ما نستشفه من بعض المراسلات لحكوماتهم ، فهذا القنصل دولان Delane يشتكي تصرفات لومير Le maire و ناتوار Natoire [608] و يتهمهم بالتواطؤ مع الداي و مضايقته لأخذ منصبه في القنصلية الفرنسية بالجزائر.

ب -اطلاع حكوماتهم :

---

603 -Ibid, pp 262-263.

604- Devoulx , A . Querelle...op cit, p 263.

605 -التجار الشهود ، السيد أوربان بول Urbain paul دومينيك استان Dominique Estain جوزيف شارل دالست Joseph charles dallest.

606 -Ibid , p 268.

607 -Devoulx A , Relevé des ... op cit , p 378.

608 -Grammont, correspondance ... op cit , p 201.

من الواجبات الأساسية للقناصل و المبعوثين هي المصلحة الوطنية ، فمن بين الأدوار الخفية هو دور الجوسسة و اطلاع حكوماتهم بكل ما يتعلق بأمور الإيالة (السياسية ، العسكرية ، الاقتصادية و الاجتماعية) و ذلك ما سنتطرق إليه من خلال المراسلات و التقارير ; إذ تقوم البعثات الدبلوماسية بمتابعة كل ما يحدث في الدولة الموفدة إليها و إبلاغ حكوماتهم أول بأول و بأدق التفاصيل ، فكان هدفها الخفي هو التجسس من أجل معرفة قوة و ضعف الإيالة ، فبالنسبة لفرنسا قد أصدرت مرسوما ملكيا في 03 مارس 1781 الخاص بالقنصليات الفرنسية في المشرق و شمال إفريقيا ، إذ تنص المادة الرابعة عشر :

"بأن القنصل يجب عليه أن يحرر مذكرة في نهاية كل سنة حول البلاد التي يعين فيها و يرسلها إلى كاتب الدولة للبحرية يوضح فيها وضعية القنصل هناك ، و يبين الوسائل الكفيلة التي تجلب لتجارة فرنسا و بحريتها الفوائد ، التي تزيد من نفوذها"[609].

بذلك كان القناصل و هيئة الموظفين في القنصليات الأوروبية في الإيالة يقومون بدور مراقبة شؤون الجزائر الداخلية و علاقاتها الخارجية بواسطة قناصلها ، دون أن ننسى دور السفراء في اسطنبول[610].

كلفوا بإعلام حكوماتهم و اطلاعها بكل ما يتعلق بشؤون الإيالة ، و هنا يمكننا العودة إلى العديد من الملفات حول وضعية البحرية الجزائرية [611] وما حصل عليه البحارة من غنائم[612] بشيء من الدقة علما أن سلطات الإيالة كانت متشددة في مراقبة الميناء، أو ما

[609]-بنور فريد ، الجواسيس الفرنسيون في الجزائر 1782-1830 ، (الجزائر :مؤسسة كوشكار للنشر و التوزيع ، 2008) ، ص 59.

[610] -ACCM, Série J , Art 1875 :

رسالة السفير الفرنسي chaoiseuil gouffier إلى باريس 30 سبتمبر 1789.

[611] -ACCM, Série J , Art 1355

مراسلة 4 أوت 1698 معلومات عن القطع البحرية المتمثلة في 9 سفن كبيرة و ما بين 13 و 15 بينك

[612] -ACCM, Série J , Art 1351 :

رسالة 21 فبراير 1676 استحواذ قراصنة الجزائر على حوالي 1900 مسيحيا من جنسيات مختلفة أغلبهم برتغاليين.

-ACCM, Série J , Art 1364 : رسالة 30 أفريل 1753

- ACCM , Série J, Art 1379 : رسالة 22 أوت 1748

يتعلق بعلاقات الإيالة مع العالم الخارجي ، فهؤلاء القناصل الفرنسيين يعلمون وزارة الخارجية الفرنسية بوصول المبعوثين الأجانب للتفاوض كوصول الأسطول الانجليزي إلى ميناء الجزائر في 1681 و عدد القطع ما بين 12 و 14 سفينة [613] لتجديد المعاهدة.

يعد الملف J 1351 غني بالمعلومات الخاصة بأوضاع الإيالة الداخلية فالقنصل يطلع حكومته حتى بتجهيز الحملة ضد سلطان فاس[614] و التي ستنطلق بعد شهرين ، و الغرض من هذا الخبر أن القوى الأوروبية تستفيد من الأوضاع التي تمر بها الإيالة التي قد تخدم مصالحها و تركز مراسلة 15 سبتمبر 1747 عن حصار باي الغرب لمدينة تلمسان منذ شهرين أو ثلاث [615] على أن الحملة على المغرب تواجهها عدة مشاكل.

إن هذا الاطلاع الذي يدخل في أدبيات المذكرات و المراسلات إنما يندرج في خانة واحدة و هي مشروع أوروبا الاستعماري و محاولة القناصل و الموظفين أو حتى هؤلاء الرحالة التقصي و استكشاف مكان و نقاط ضعف الآخر من أجل السيطرة عليه ، و لا يخفى على من يطلع على مصادر تلك الفترة ما كانت تخفيه من أدق التفاصيل و لنا أنموذج في ذلك تقرير القنصل دوكرسي و إلا كيف نفسر العودة إلى المذكرات من أجل تنفيذ خطط الحملة الفرنسية على الجزائر في 1830[616].

و نجد تصريحات مباشرة للقناصل عن دورهم في اطلاع الحكومات ، و ذلك ما نستدل به من خلال رسالة 4 أوت 1698 :

"لا يمكن تفويت الفرصة دون اطلاعكم عما يجري
في هذا البلد، ربما تكونوا قد علمتم ممن سبقني موت

أصبح قراصنة الإيالة أكثر شراسة و قوة و هم يأتون يحصلون على غنائم معتبرة ، فقد غنموا في يوم 12 من هذا الشهر –أوت- 4 سفن برتغالية كبيرة أحدها محمل بالسكر ، الثاني برميل من الخمر ، الثالث بالملح و الرابع بالليمون و البرتقال و كان على متن هذه السفن 170 مسيحي بالإضافة إلى عدد من السفن الصغيرة التابعة للمايورقيين و الكتاليين.

[613] -ACCM, Série J , Art 1351 : 1676 رسالة 21 فيراير

وصول المبعوث الهولندي لطلب السلم الذي لم يتم ارضاؤه رغم الهدايا المعتبرة.

[614] -ACCM, Série J, Art 1351 : رسالة لوفاشي 20 جانفي 1682.

[615] -ACCM, Série L III, Art L 310.

[616]-مشروع دوكارسي De kercy (1782-1792)
مشروع ديبوا تانفيل 1801.
مشروع جون بون سانت أندري 1802.

الداي حاج عـمر، و تعين حسن شاوش و هـو رجـل
قوي و حكيم ، و يزعم أنه سيدفع بالبحرية الجزائرية
إلى الأمام ..."[617].

و لعل قراءة أولية للملف الموجود في الغرفة التجارية بمرسيليا تحت رقم (J 1879)[618] ، يعطينا نظرة و لو بسيطة عن المعلومات الدقيقة عن حركة السفن في ميناء الجزائر الداخلة و الخارجة من الميناء. و ضبط الرحلات من 1700 إلى 1776 عن عدد السفن ، نوعيتها و اتجاهاتها (حتى عن القافلة البحرية).

و هذا المبعوث الايطالي ستاندردي Standardi * الذي ترك تقريرا عن حكومة الجزائر زمن الداي محمد بن بكير** ، و يقدم المبعوث بيانات عن موارد الدولة و عن البحرية و جعل تقريره تحت عنوان "تجارة الجزائر"[619] هي معلومات ليست موجهة للسياسة بقدر ما نجعلها تصب في إطار الجوسسة.

اطلاع الحكومات ليس بشكل سري و خفي و إنما نجد بعض القناصل يصرحون به في مراسلاتهم و تقاريرهم كما فعل لومير Le maire فقد دون هذا القنصل كل ملاحظاته فيما سماه Journal d’Alger من ورقتين بشكل مفصل و إرساله إلى الوزير و بيان آخر إلى الغرفة التجارية تحت عنوان Nouvelles d’Alger[620] ، و في مرحلة لاحقة (19 مارس 1750) كتب :

"من واجباتي الأساسية اطلاعكم بكل ما يجري هنا ،
فحماية التجارة و ملاحة مرسيليا تتطلب اليقظة ...

---

617 -ACCM, Série J, Art 1355.

618 -ACCM, Série J , Art 1879 , objet : commerce de barbarie états de bâtiments français entiers aux ports d’Alger 1697-1776.

*ستاندردي : مبعوث و قنصل هامبورغ في الجزائر سنة 1749.

** محمد بن بكير : 1748-1754

619-بونوسلفاتور ، م سابق، ص 118.

620 -Chaillou . op cit , p 13.

لقد أرسلت للسيد بيمون Pigmon حالة القوة البحرية الجزائرية ، و معلومات أخرى عن الغنائم منذ مجيئي..."[621].

تعتبر الجوسسة نشاطا بديهيا في العمل الدبلوماسي ، فالقنصل لومير Le maire عند مغادرته للجزائر يترك توصيات لخليفته بيرو Perou بضرورة التقرب من العناصر النافذة (الداي الخزندار ، خوجة الخيل و الكتاب الأربعة) و ذلك بغرض معرفة ما يجري في اجتماعات الديوان و القصر إذ يجب أن يكون لديه عيون و جواسيس من خلال استعمال الأسرى المسيحيين الذين يعملون داخل القصر مقابل وعدهم بالافتداء و يوصيه باستعمال فئة أخرى و هم العرب الذين يقول عنهم أنهم أعداء الخفاء للأتراك [622] و ذاك هو شأن بقية القبائل.

و دائما في إطار العلاقة بين القناصل من مختلف المحطات القنصلية في المدن المتوسطية نجد الرسالة التي بعث بها لومير و هو في راقوزا بتاريخ 14 أوت 1763 [623] و هي عبارة عن نصائح للقنصل فاليير إذ يبين له "خطورة المنصب المليء بالأشواك".

لم تكن الإيالة بغافلة عن المراسلات السرية للقناصل مع حكوماتهم و عن دور الجوسسة الذي يقومون به ، و ذلك ما يدفعنا للقول أن هذا هو السبب في طرد القنصل بيرو Perou الذي اتهم بالتجسس لصالح أعداء الإيالة ، و نفس الشيء حدث للقس قروازال Groiselle في 1762 أثناء قيامه بمهام القنصل بالنيابة فقد واجهه الخزناجي بإحدى رسائله إلى جهة معينة[624].

و ما يبين دور الجوسسة الذي يقوم به القناصل عن أوضاع الجزائر الداخلية أن نفس القنصل أرسل معلوماته على دفعات و ليس مرة واحدة ، لقد أعطت التقارير القنصلية تصور عن

621 -ACCM, Série J, Art 1364 : André Alexandre le maire : « je serai obligé de diviser en deux paquets les de pèches que je prends la liberté de vous adressé… ».

هناك مراسلة أخرى تتضمن معلومات عن البحرية الجزائرية بتاريخ 12 فيفري 1751.

622 -Chaillou , op cit , p 10. "لكل قنصل أوروبي عيونه و أعوانه السريين..."

623 -Ibid. , p 13.

624- Ibid. , p 36.

مداخيل الجزائر البحرية و بالتالي إمكانية تقييم ثروات البلاد و كنوزها و هي التي سيبني عليها جيش الاحتلال التطلعات للبحث و الاستيلاء على كنوز مدينة الجزائر[(625)].

و في نفس السياق يتحدث القنصل الأمريكي طوبياس لير Tobias Lear في 1812 أنه تمكن من معرفة فحوى لرسالة التي بعث بها ولي العهد الانجليزي (ابن الملك جورج الثالث* George III) ملخصها :

"تأكيد انجلترا على صداقتها للجزائر و تعهدها بحماية عاصمة الإيالة باعتبارها سيدة البحار ، و عدم السماح لأعداء انجلترا بتعكير جو العلاقات بينها و بين الإيالة و عدم السماع للـ Calomnies ؟؟؟..."[(626)].

و في هذا دليل على أن القنصل الأمريكي كانت له عيون داخل القصر تطلعه بكل ما يجري حتى في ما يخص العلاقات الخارجية ، و بالتأكيد كان ذلك مقابل سخاء أمريكي.

تميز القنصل براندل بتقاريره الدورية ، و نقله لكل الأخبار عن الإيالة بالتفصيل (عن شخصية الداي محمد بن عثمان باشا و عن صراع الإيالة مع البندقية من 1762 إلى 1766) و هذا ما جعل حكومة السويد تعجل بإرسال الهدايا مع القبطان سيدروب Soderyp التي وصلت في شهر 1768 متمثلة في مواد خشبية و خاتم من الماس بسعر 500 ريكس دالر[(627)].

نتيجة لاطلاع الحكومات الأوروبية من خلال تقارير القناصل ، كانت تساهم في توجيه حركة الملاحة البحرية لا سيما أوقات الحرب كفترة الحروب النابوليونية إذ نجد في وثيقة أرشيفية تعليمات من قبل مجلس الدولة لولاية مصب الرون أن حماية المصالح التجارية تقتضي معرفة كل ما يدور في الجزائر و بناءا على ما وصلنا من المكلف بالأعمال

---

[625] -Belhamissi M, une lettre … op cit , p 69 :
تبين رسالة دوكرسي المكلف بشؤون فرنسا بمالطا الأموال الضخمة التي دخلت الجزائر في 1787 من خلال عمليات الافتداء التي قامت بها اسبانيا و نابولي لتحرير أسراهم و قدرت هذه الأموال بخمسة مليون جنيه توري.

*جورج الثالث : 1738-1820 فقدت في عهده انجلترا مستعمراتها في انجلترا تصدى للثورة الفرنسية

*جورج الثالث 1760-1820 ملك انجلترا في عهده استقلت الو م ا

[626] -Dupy, op cit , p 300.

[627] -المازري بديرة ، الجزائر و السويد ... م سابق، ص 49.

بالجزائر يوم 6 ديسمبر 1812 "أن الإيالة تنوي تنشيط قرصنتها في المتوسط و أنها لن تحترم الراية الايطالية[628] و عليه تحذر ملاحة البندقية و نابولي و جنوة بضرورة تجنب القراصنة الجزائريين" و في مراسلة أخرى يؤكد القنصل الفرنسي بتونس دوفواز Devoise [629] لنظيره بالجزائر تانفيل Thainville :

"أن سفينتيـن جزائـريتين لا زالتـا تجـوبان السـواحـل و في الحقيقة هي رد على رسالة تانفيل بضرورة مراقبة السفن الجزائرية ".

الجوسسة لم تكن اختصاصا فرنسيا فحسب ، إذ تشير الأستاذة مزاري إلى التقرير الذي رفعه سكرتير القنصلية السويدية جدا Jada سنة 1740 و المتعلق بقوة البحرية بالإضافة إلى تقرير قنصل السويد براندل لعام 1776[630] حول بحرية الإيالة.

ركزت جوسسة القناصل بالاعتماد على المادة الأرشيفية و مختلف الوثائق على معرفة كل ما يتعلق بالبحرية لأن القوى الأوروبية ربطت وجود الإيالة بأسطولها ، فكانت محل مراسلات بين المسؤولين في الأوساط الفرنسية مثل مراسلة المكلف للشؤون الخارجية إلى نواب غ.ت.م في 10 أوت 1820 :

"... لـي الشـرف أن أطلعكـم على مقطـع من رسالة وجهت إلي من المـكلف بأعـمال الملـك بالـجزائـر في 8 جـويلية الماضـي : أن وحــدة جزائرية خرجت للقـرصنة و دخلـت ميـناء الجـزائـر بعد 40 يوما ، جاءت بسفينتين كبيرتين من نوع بولاكر و أخرى مـن نـوع بومـبارد تقـدر هـذه الغنيمة بـ 600.000 ف و 3 سفـن

628 -ACCM, Série M.R , Art 46 . 1.4.1 objet : navigation transport maritime (guerre , course , corsaires barbaresques) تقرير 30 ديسمبر 1806.

629 -ACCM, Série M.R, Art : 46.1.4.1 مراسلة 31 جانفي 1807.

630 -مزاري بديرة ، الجزائر و السويد ... م سابق، ص 46 : //
// تتكون البحرية الجزائرية حسب تقرير 1736 من 6 إلى 7 سفن ذات 40 و 60 مدفع و اثنان منها ذات 15 و 60 مدفع و كذلك من 12 إلى 15 مركبا مقذافيا.

صغيرة توسكانية ذات حمولة ما بين 40 و 50 برميل محملة بمؤن صيادي المرجان بعنابة ، و هي نفس الوحدة التي ستنطلق بعد عيد البيرم ..."[631].

تعدى تتبع القناصل لشؤون الإيالة في المجال السياسي و العسكري ، إذ يخبرون حكوماتهم حتى عن الأوبئة التي تجتاح البلاد لأخذ التدابير و الاحتياطات لسفنهم ، فقد كتب القنصل الفرنسي عن وباء 1753 : "أنه كان يموت ما بين 60 و 70 شخصا يوميا فوصل عددهم في شهر جوان 1700 ضحية" [632] ، لتشتد وطأة الأوبئة مع أواخر القرن 18م إذ نجد القنصل دوكارسي De kercy يطلع حكومته عن إصابة المسيحيين بالوباء من الأسرى و التجار (13 مسيحي ، 1774 يهودي و 14334 مسلم)[633].

هذا حرصا على رعاياهم و تحذيرهم من عدم التردد على السواحل الجزائرية التي لا يطبق فيها نظام الأربعينية Quarantaine و هو الإجراء المطبق في الموانئ الأوروبية من قبل المكاتب الصحية ، ذلك تجنبا لعدم نقل عدوى الوباء نحو الموانئ الأوروبية و ذاك ما جاء في رسالة صولير خاييم المبعوث الاسباني (في مارس 1786) :

"... أن هناك وباء الطاعون و ننصح بأن يتجنب التجار و البحارة الأسبان الذهاب إلى الجزائر..."[634].

لا تتوقف تقارير القناصل مع الخارج ، فهذه رسالة بتاريخ 30 ترميدور العام الخامس 30 Thermidor an V :

"من واجبي اطلاعكم على مخططي الذي تمت مناقشته مع باري Paret : أنه من بين كل موانئ الإيالة ميناء

631 - ACCM, Série M.R 46.1.4.1/01 Objet : navigation (guerre , course , corsaire).

632 - Marchika Dr Jean. La peste en Afrique septentrionale, histoire de la peste en Algérie de 1363 à 1810 , Alger , 1927 , pp 100-101.

633- Belhamissi M, une lettre inédite … op cit , p 68.

634بوعزيز يحيى ، المراسلات الجزائرية الاسبانية ... م سابق، ص 76.

-ACCM , Série E , Art 53 , objet : pirates barbaresques , Alger , 1763-1732 :

يشير تقرير موثقية القنصلية الفرنسية السيد جرمان Germain عن وباء 21 جويلية 1752 الذي حصد ما بين 40 و 50 شخصا و عليه يجب الاحتراس من الذهاب إلى موانئ الشرق.

وهران الوحيد الذي يجد اليهود صعوبة في فرض أنفسهم
لأن باي وهران لا يحبهم و بالتالي فهم يلجأون إلى الحيلة
للسيطرة على المكان من خلال إقامة بيت تجاري جنوى ،
و إذا أقيم هذا البيت فستغلق وهران في وجوهنا ..."[635].

التقارير الدقيقة مست حتى المجال التجاري و إمكانيات الدول الأخرى ، فمن خلال رسالة 31 مارس 1825 للقنصل دوفال عن حالة التجارة و الملاحة للثلاثي الأول لـ 1825 ، يمكننا أن نستقرئ البعد في تحديد إمكانية الإيالة و الدول الأخرى المنافسة لفرنسا :

قدرت واردات البلاد بـ 1.230.000 ف منها 210.000 تجارة مرسيلية و نصيب الفرنسيين 6.000 ف في حين كان نصيب الجزائريين 150.000 ف.

كان نصيب التجارة الانجليزية 685.000 ف (من ليفورن ، جبل طارق و لندن) و المتمثلة في قماش الموسيلين الانجليزية و مواد المستعمرات و قدرت المواد القادمة من الموانئ العثمانية كأزمير بـ 350.000 ف.

أما صادرات الإيالة فقد ارتفعت إلى 775.000 ف ، كان نصيب مرسيليا 85.000 ف و 600.000 ف للانجليز وحدهم في حين قدر نصيب أزمير بـ 50.000 ف[636].

فمن أين لهذا القنصل جمع هذه الأرقام الدقيقة إن لم يكن له عيون خفية !!!.

قام هؤلاء القناصل بتمثيل دولهم في الخارج و الصفة التمثيلية هي التي تسبغ عليهم الوصف الدبلوماسي و على عاتقهم أعباء يجب الالتزام بها كل حسب دوره ، فالمطلوب منهم هو إعداد التقارير و إرسالها بشكل دوري ، من خلال تتبع الأحداث (سياسيا ، اقتصاديا...) في الدولة المتواجدون بها ، و إبلاغ دولهم بهذه المعلومات من خلال عيونهم و إن اقتضى الأمر بعناصر من غير جنسياتهم ، و هذا ما جعلنا نربط وظيفة الجوسسة بمهام القناصل.

[635] -ACCM, Série J , Art 1372.
[636] AE/ CC . Vol 46.

غير أن تلك التقارير المرسلة غالبا ما تكون مغرضة و تكشف عن الطابع العدائي لبعض القناصل و الدعوة إلى ممارسة القوة و الضغوطات العسكرية على الإيالة و ذلك ما نجده في مراسلة القنصل الفرنسي دوبرديو Dubourdieu في 27 جانفي 1672 [637] فبدلا من تدعيمه للسلم نجده يحرض دولته على إرسال قطع بحرية لتخويف الإيالة خاصة و أن الداي غير محب لفرنسا بسبب الاستيلاء على سفينتين جزائريتين من قبل الأميرال بول Paul و الدوق بوفور Duc Beaufort و مثلما أشير إليه أن جزائر القرن السابع عشر لا يجدي معها منطق القوة و لهم في القنصلين لوفاشي و بيول عبرة . فكم تضررت التجارة الفرنسية المتوسطية[638] بهذه السياسة.

يتلقى أعضاء السلك الدبلوماسي تعليمات من الجهات الوصية بضرورة الحفاظ على العلاقات مع الإيالة لا سيما في الأوقات الحرجة كظرفية الحروب إما لضمان حيادها أو استمرار عملية التموين ، و هذا ما نستشفه من خلال قراءة لمراسلة وزير خارجية فرنسا لقنصلها بالإيالة 10 جوان 1793 بضرورة التقرب من الداي و التوسط لديه بعدم التعرض للسفن الجنوية [639] التي تمون الموانئ الفرنسية ، و إن كان ذلك بتقديم هدايا معتبرة للديوان، كما يشددون عليه متابعة سياسة الإيالة عن كثب خاصة في علاقات الجزائر مع القوى الأوروبية ، ففي رد للقنصل على رسالة وزير خارجية فرنسا (03 ديسمبر 1793) [640] نجده يفتخر بأنه نجح في الحفاظ على السلم مع الجزائر و هو يشير إلى الهدنة مع البرتغال و هولندا.

لم يكن القناصل بمعزل عن حكوماتهم فالحاجة كانت دائمة و مستمرة في طلب الرعاية و العون كلما دعت الحاجة إليه ، فبعد قصف اكسموث Exmouth للمدينة سنة 1816 من الأماكن المتضررة مقر البعثة الدينية الفرنسية Hospice français مما اضطرهم إلى نقل ما تم إنقاذه إلى منزل صغير ملحق بالقنصلية الفرنسية ، فبعث القنصل

637 -ACCM, Série J, Art 1349.

638- ACCM, Série J, Art 1349 : مراسلة 16 سبتمبر 1672

639 -AE / CC 32 (1793-1795).

640- AE/ CC 32 (1793-1795).

بتقرير إلى حكومته [641] لطلب العون من أجل ترميم المقر بمبلغ إضافي 1500 ف لشراء معدات جديدة و ما تحتاجه لإحياء الحفلات الدينية.

لا شيء يقف أمام المراسلات الأوروبية مع حكوماتهم فحتى عندما تمنع السفن الأجنبية من الخروج من ميناء الجزائر عند تجهيز السفن للخروج إلى البحر، يتم إرسال الرسائل برا نحو عنابة أو القالة لنقلها إلى فرنسا [642] أو نحو وهران و منها إلى جبل طارق.

3- العلاقة بين القناصل :

يصعب تناول هذا العنصر من زاوية واحدة ، إذ تتداخل فيها العلائق المرتبطة بمصلحة كل دولة ، تتداخل فيها المجاملات و تبادل الزيارات مثلما تطرقنا إليها في مبحث سابق ، و كذلك الاحتكار المباشر و غير المباشر ، كما يمكن أن نطلع على المؤامرات و الدسائس التي كانت تحاك في الخفاء كما تقتضيه الدبلوماسية (فن المراوغة) و تضارب المصالح ، فقد كانت وسطا مشحونا !!!.

أ - علاقات المجاملة و التكافل القنصلي

كنموذج على العلاقات الطيبة و حسن الجوار في وادي القناصل La vallée des consuls و كما رأينا سابقا تلك الحفلات في مناسبات خاصة كتلك التي أقامها القنصل لومير Le maire سنة 1751 بمناسبة ميلاد الدوق بورقوني Duc De Bourgogne* حفلة دعا إليها

641- AE / CC Vol 46 , Alger 1822 F° 184 : تقرير 30 مارس 1825

كلفت نفقات الترميم 2500 ف ، كلف السيد مارتان M.Martin موثق القنصلية للاشراف على عملية الترميم ، و المطالبة من الحكومة مبلغ إضافي 1500 ف.

642 - Grammont. Alger … op cit , p 206.

المجتمع القنصلي و كل الأوروبيين في الجزائر[643] و في نفس السياق تلقى القنصل الفرنسي التهنئة من قبل الداي و بقية الموظفين ، كما تلقى في فترة لاحقة التهاني من قبل القناصل الأوروبيين عند ازدياد الدوق دوبري ** Duc De Berry [644] .

توحدت مواقف القناصل الأوروبيين في الكثير من المواقف إزاء سلطات الإيالة و ذلك ما نراه في اجتماع القناصل الأوروبيين في منزل قنصل السويد السيد براندر Brander و هم كل من (فالبير Valliere قنصل فرنسا ، فريبو Freboe قنصل الدانمارك، ألينك ايسان Ellunk Euysen قنصل هولندا ، و لبماتا Lapmata قنصل البندقية[645] و القنصل المضيف و ذلك لمناقشة تعسف الجزائر في اعتبار كل الجوازات مزورة و مع ضرورة تحديد النموذج الجديد ، علما أن مسألة الجوازات أخذت حيزا واسعا في العلاقات

الجزائرية الأوروبية ، فبعد استيلاء فرنسا على حصن سان فيليب St Philippe * على يد الأميرال قاليصونيار La Galissoniere في 20 ماي 1756 [646] و هزيمة الأميرال الانجليزي بينغ Bing ، وجد بهذا الحصن العديد من الجوازات البيضاء ، فكانت فرصة للفرنسيين لضرب مصداقية انجلترا لدى دول شمال إفريقيا و اتهامها بتزوير الجوازات ، كانت هذه المسألة سببا في إعلان الجزائر الحرب على كل السفن.

أسدى القناصل خدمات لبعضهم البعض ، كلما كانوا بحاجة للمساعدة ، عند اعتقال الرعايا الفرنسيين بعد الحملة الفرنسية على مصر (1798-1801) ، أرسلت النساء الفرنسيات و عددهن خمسة إلى منزل قنصل جمهورية بطافيا ** ، و لم تقطع اتصالات المعتقلين بالخارج ، إذ كان قناصل كل من بطافيا ، اسبانيا و الدانمارك يمدونهم بما هم في

*الدوق دو بورقتني : شقيق لويس السادس عشر و هو لويس جوزيف قزافي xavier ولد في 13 ديسمبر 1751 و توفي يوم عيد الفصح Pacques سنة 1761.

643 -Chaillou … op cit p 99.

** الدوق دوبري : هو لويس السادس عشر.

644 - Ibid , p 122.

645 - Berbrugger A, un consul … op cit , p 340.

* سان فيليب : بجزيرة مايورقة التي احتلتها انجلترا منذ 1708 أي بعد حروب الوراثة.

646-Berbrugger . Un consul …op cit , p341 .

** بطافيا : بعد الإعلان عن النظام الجمهوري في هولندا تغير اسمها .

حاجة إليه ، فقد وجه القنصل مولتدو Moltedo [647] عدة رسائل إلى حكومته عن طريق القناصل الأوروبيين و كذلك عن طريق اليهوديين باكري و بوشناق ، هذان اليهوديان اللذان سعا مع كل من الخزناجي و وكيل الخرج على التخفيف من ظروف الاعتقال و السماح لهم بالعودة إلى منازلهم و ذاك ما تم فعلا بعد شهر و نصف ، و حسب مراسلات موثق القنصلية سيلف Sielve على ضرورة البقاء في منازلهم و الخروج في الليل فقط ، لكي لا يراهم الناس[648] لأن هناك استياءا كبيرا من الناس ضد الفرنسيين بسبب حملتها على بلد إسلامي (مصر).

فعندما تأزمت العلاقات الانجليزية الجزائرية بسبب إيواء قنصل انجلترا لرعايا جزائريين (أنظر المبحث الخاص بالحصانة) ، كتب القناصل مذكرة احتجاج يستنكرون فيها سلوك سلطات الإيالة نحو مقرات القنصليات الأجنبية [649] و يدخل هذا في إطار تنسيق الجهود.

و في سياق العلاقات الحسنة و التكافل القنصلي نجد مرافقة القنصل شالر لسيدات و أطفال أسرة القنصل الانجليزي إلى الميناء و البقاء معهم حتى امتطائهم البارجة [650] و ذلك تحسبا لإعلان الحرب بين الإيالة و انجلترا ، و المشكل يعود إلى عدم احترام انضباط المدينة (أعرافها و عاداتها) و العودة في ساعة جد متأخرة (الثانية صباحا).

لقد تجنبت كل دولة أوروبية الشغور القنصلي إلا في حالات استثنائية ، و ذلك بترك من يسير شؤون رعاياها في الجزائر ، ففي حال رحيل أي قنصل خاصة عند تأزم العلاقات أو طرد القناصل يطلب من ينوب عنهم.

عند رحيل القنصل ماكدونال Mc Donell باتجاه لندن ترك مكانه قنصل الدانمارك هولستن M. Holsten [651] الذي أصبح منذ وقت قليل صهره ، كذلك عندما رحل قنصل ساردينيا

[647] -AE / CC Vol 34 Alger : رسالة 22 جانفي 1799

[648] -قنان جمال، العلاقات الفرنسية .... م سابق، ص 100 من خلال مراسلات سيلف موثق القنصلية الفرنسية.

[649]- شالر ، مص سابق ، ص 201.

[650] -شالر ، مص سابق، ص 203.

[651] - AE / CC. Vol 45, 1819-1821.

السيد كارون M. Carron [652] باتجاه توران Turin ناب عنه نائب القنصلية الانجليزية ، و هنا يمكن الإشارة إلى علاقات المصاهرة و توطيد العلاقات بين القناصل.

رغم الخلافات و تضارب المصالح بين الو.م.أ و انجلترا إلا أن القنصل الأمريكي شالر Shaler لم يتأخر عن التكفل بمهام القنصل الانجليزي و تكفل بإدارة شؤون القنصلية الانجليزية في غيابه بعد رحيله من الجزائر في 13 جانفي 1824[653].

نجد أن القنصل دوفال Duval الذي تلقى من السفير الفرنسي بمدريد المركيز طولورو Toluru في 25 مارس 1824 [654] رسالة يطلب منه تسيير شؤون القنصلية الاسبانية بالجزائر (بالنيابة) إلى حين تعيين قنصل اسباني جديد خلفا لأورتيز Ortiz ، كما يطلب من دوفال في نفس المراسلة السعي الحثيث إلى إعادة السلم بين اسبانيا و الجزائر.

كان هذا الشغور بسبب الديون التي كانت على Pedro Ortiz De Zugasti [655] و المترتبة عن القروض التي تحصل عليها من التاجر يوسف باكري بلغت قيمتها 1300.000 قرش اسباني و تعهدت الحكومة الاسبانية بتسديدها .

تورطت اسبانيا بهذه الديون و عجزت عن دفعها لأن اسبانيا كانت تمر بضائقة مالية منذ حروب نابوليون و كذلك الحرب الأهلية الاسبانية 1808-1812[656] ، هذا المشكل الذي أثر على العلاقات الجزائرية – الاسبانية نجده في التقرير الذي رفعته سكريتيرية وزارة الخارجية إلى الحكومة الاسبانية المؤقتة بقاديز Cadize في 17 جوان 1812 أثناء حرب التحرير ضد الملك جوزيف بونابرت Joseph Bonapart ، كما تتطرق الوثائق الفرنسية بأرشيف

---

[652] - AE / CC .Vol 45

[653]- Dupy , op cit , p 306 , 337:
عند رحيل القنصل سبنسر Spenser في 1824 كلف شالر القنصل الأمريكي بتولي شؤون القنصلية الانجليزية و كذلك العمل على إعادة السلم بين الطرفين، كما تولى القنصل السويدي Noderlurg شؤون القنصلية الأمريكية في غياب قنصلها لير طوبياس Lear T إلى حين وصول شالر Shaler .

[654]- AE / CC Vol 33 , Alger 1824-1826.

[655] -فكاير عبد القادر ، آثار الاحتلال الاسباني ، الرسالة ... م سابق، ص 288.

[656]ابلازا ميكال دي ،« تقرير حول العلاقات الاسبانية المغربية سنة 1812 »، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 4 ، جويلية 1975 ، ص 92.

خارجية فرنسا[657] إلى نفس القضية و تطورها ، و في هذا السياق يمكن الإشارة إلى الدعم الذي تلقته اسبانيا من قبل انجلترا لضرب نابوليون.

آخر محطة للعلاقة بين القناصل في إيالة الجزائر هو ذلك الاجتماع عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر، في حديقة جنان بن طالب [658] - في فحص مدينة الجزائر- الذي تم تأجيره بموافقة الداي لإيواء القناصل و عائلاتهم ، لكن دون رفع راية دولة أجنبية ، لكن حرصا على حماية هؤلاء الدبلوماسيين اقترحوا رفع الراية الأمريكية في حين غاب عن هذا الاجتماع المهم القنصل العام لبريطانيا الذي فضل البقاء مع عائلته في منزله الريفي[659].

الهدف من وراء هذا الاجتماع هو حمايتهم بالإضافة إلى ضمان حيادهم في النزاع الفرنسي-الجزائري ، حياد فرضته وظيفتهم الدبلوماسية في ظل التخوف المتزايد بعد نزول القوات الفرنسية بسيدي فرج.

فعند وصول الجنرال أشارد Achard إلى جنان بن طالب حيث يرفرف العلم الأمريكي و المحروس من قبل عناصر الانكشارية ، أين وجد القناصل مجتمعين مع عائلاتهم ، و عبروا له عن موقفهم المحايد[660].

لن يظهر القنصل الانجليزي في ظل كل هذه التطورات إلا يوم 04 جويلية رفقة مصطفى المكتابجي[661] للتفاوض باسم الداي.

ب- المؤامرات :

التطرق للعلاقات بين القناصل ليس دوما تلك العلاقات الحسنة و المجاملات و البروتوكولات ، بل الشيق فيها هو الشق الثاني و المتمثل في تلك الدسائس التي كانت تحاك

657 - AE / CC Vol 33, 1824-1826.

658 - Saidouni , la vie rural , op cit , p

659 - Berbrugger A, les consuls … op cit , p 58 :

حضر هذا الاجتماع : قنصل أمريكي هـ. لي H. Lee ، قنصل اسبانيا بابلو شاكون Pablo chacon ، قنصل الدانمارك كارستنسن J.A Carestensen ، قنصل السويد شولتز J. Fred Shultz ، قنصل نابولي ماقليلو G. Magiulo.

660 -Berberrugger ,A . Les Consuls… op cit , p 59.

661- Ibid .

في الكواليس لضرب القناصل ببعضهم البعض و بذلك ضرب مصالح الدول التي يمثلونها، مع إقحام الجزائر في تلك الصراعات الأوروبية باعتبارها شريكا متوسطيا.

كانت الجزائر المدار في سياسة الدول الأوروبية متوسطيا ، فبعد حصول فرنسا على الامتيازات و تقربها من الجزائر و الحصول على مبدأ الأسبقية نجد دخول دول أخرى تسعى إلى نفس الهدف من أجل الاستفادة من موانئ الإيالة تجاريا و استراتيجيا [662] ، و على رأس هذه الدول انجلترا و لو كان تحقيق ذلك باللجوء إلى المؤامرات.

فمن خلال التحالف العسكري الانجليزي – العثماني ، دعمت هذه الأخيرة الأسطول الانجليزي بإرسال عدد من القطع البحرية العثمانية في حربها مع اسبانيا من خلال حصار السواحل الاسبانية سنة 1589 و ما يسبب خسائر جسيمة لاسبانيا ، دون تجاهل مساهمة مراد ريس (الملقب بالقرصان العجوز) الذي منع سقوط مرسيليا بيد الأسبان و ذلك ما أشار إليه هنريش Henrich بإسهاب [663] كان عملا لا يقدر بثمن و ذلك ما جعل فيشر Fisher يرى أن سياسة اليزابيت الأولى Elisabeth I لا تختلف عن سياسة فرانسوا الأول François 1er و هنري الرابع Henri IV من خلال التقارب و التحالف مع الجزائر.

هذا التقارب سمح للقراصنة الانجليز ببيع غنائمهم في ميناء الجزائر و ذلك هو حال سفينة Mounshine الذي باع في 1586 غنيمة عبارة عن سفينة اسبانية بحمولتها[664].

و من خلال مذكرات الفارس دارفيو D'Arvieux يذكر أن القنصل الانجليزي و هو في نفس الوقت راعي و ممثل مصالح جنوة أنه في مقابلة سرية مع الداي و بإيعاز من الايطالي لوموليني Lomellini حاكم طبرقة قد تسبب في خراب الباسيتون [665] بهدف أن يتحول استغلال هذه الامتيازات إلى الانجليز مقابل دفع ما كانت تدفعه فرنسا و أكثر.

---

[662] Henrich pierre .op cit , p 168.

ما يبين ذلك أن سفينة النمر le tigre التي استعملها شكسبير Shakespeare في مسرحياته خاصة Macbeth ، كغيرها من السفن الكبيرة كانت تختار الجزائر كميناء قيد port d'attache (لموقع الجزائر الوسطي) و ذلك ما سجل منذ أول رحلة بحرية لسفينة النمر في 1583 إلى غاية 1587.

[663] -Ibid , p 164 , 168.

[664]- Fisher G , op cit , p 189.

[665]- Mémoire d'Arvieux … op cit , p 122.

استطاعت انجلترا أن تنتهز فرصة الخلاف و القطيعة مع فرنسا لتحل محلها في التقرب من الداي ، و يتجلى ذلك في استدعاء الداي بابا حسن للقنصل لوفاشي Le vacher بسبب التوتر و حالة الحرب مع فرنسا و أشار إليه ، إلى الأسطول المستعد للإبحار و الذي جهزه حديثا قائلا له : "انتهى عهد السلام مع بلادك و الويل لسيدك فخلال أيام سيقضي هذا الأسطول على بحريتكم"[666].

و لا يوجد فرصة أحسن من هذه ليستغلها القنصل الانجليزي للتقرب من الداي و عرض مشروع معاهدة سلام مع الإيالة ، معاهدة وصفها لوفاشي Le vacher " بأنها مخزية لبريطانيا" إذ استطاعت الجزائر في 1682 بموجبها من استرداد أسراها و تسلم كمية هائلة من عتاد الحرب[667].

و يظهر أن المؤامرات لم تكن في الكواليس فقط و إنما بتلك الملاحظات المسمومة حيث يحاول كل طرف إحراج الطرف الآخر أمام مرأى من سلطات الإيالة ، في هذا الصدد شكك القنصل الانجليزي في الماسة التي قدمها كليرومبولت Clairambault [668] على أنها غير حقيقية ، فاستدعى الداي الجواهرجي للتأكد من حقيقتها.

لم تكن الجزائر بمعزل عما يحدث في أوروبا ، إذ وسعت حرب الوراثة الاسبانية منذ مطلع القرن 18م دائرة الصراع بمحاولة جر الجزائر من خلال مساعي القنصل دوران Durand في إقناع الداي مصطفى* بالوقوف إلى جانبها ضد الائتلافية الأوروبية [669]، و اعترف القنصل بفشل مسعاه الرامي إلى جر الجزائر إلى الكفة الفرنسية لأنه وجد القنصل الانجليزي له بالمرصاد :

---

666 -نايت مولود بلقاسم ، ج الأول م سابق، ص 190.

667- Galibert L , op cit , p 227.

668- Plantet E , correspondance … T II , op cit , p 80.

*الداي مصطفى : 1791-1798

669 بليل رحمونة ، م سابق، ص 6.

"لأن الانجليز كانوا يمدون للجزائر و بثمن بخس بالبارود و الرصاص و المواد الأخرى المحظورة علينا نحن بيعها لها ..."[670] .

انتهت هذه الحرب بتغير موازين القوى الأوروبية من خلال ما ورد في معاهدة أوترخت Utrecht سنة 1713 التي أحدثت تغيرات جيوسياسية ، فقد تراجع دور اسبانيا و فرنسا لصالح بريطانيا التي دخلت بكل ثقلها مجال المنافسة في حوض البحر المتوسط الذي أصبح جبهة للمواجهات و في ذات الوقت منطقة للتبادل التجاري[671] .

لم يتوان القناصل الانجليز في مزاحمة فرنسا و محاولة الاستحواذ على امتيازاتها في شرق الإيالة ، فقد حاول القنصل الانجليزي سبنسر Spenser العديد من المحاولات لدى باي قسنطينة من أجل إقامة نيابة في عنابة [672] ، غير أن محاولته باءت بالفشل لأنه حسب المعاهدات الأولى لا يمكن أن يكون نائب قنصل لغير الفرنسيين في المدينة.

و يبقى ذلك مسعى السياسة الانجليزية حتى مع أواخر القرن الثامن عشر أي فترة الصراع الأوروبي الفرنسي بعد الثورة ، إذ حاولت جر الجزائر إلى القطيعة مع فرنسا مستغلة التوترات التي تحدث بين الحين و الآخر بين فرنسا و الجزائر.

كان الهدف من الدسائس التأثير على العلاقات مع الإيالة ، و من أهم المسرحيات التي تشير إليها المصادر هي قضية القنصل الانجليزي فالكون Falcon (1800-1802) [673] المتورط في قضية أخلاقية و طرده من قبل الديوان مما تسبب في شغور قنصلي انجليزي في الجزائر

670 قنان جمال ، معاهدات الجزائر ... ، م سابق، ص 147.

671- Abdelkader sid ahmed , les flux d'échanges en méditerranée . (Tunis : Ed Elif , 1996) , p 12 , 35.

672 -ACCM, Série L Art 313.

673 -Playfair , op cit , p 233.

*المزوار : كان في العهد الموحدي يقوم مقام المحتسب ... لكن مع أواخر القرن الثامن عشر غدت وظيفته غير مستحبة لما أنيطت به من مراقبة نساء الدعارة ... كان يعرف أيضا بقائد الليل و تحت أوامره مساعدون يلقبون بالحرس ، و مساعده الأول يدعى "باشا ساقجي" لعل المحتسب المعين في قضية فالكون القنصل الانجليزي هو حمدان الجربي المزوار 1804 أو الحاج محمد العبابسي 1801 أنظر :

غطاس عائشة . الحرف و الحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830. مقاربة اجتماعية اقتصادية. (الجزائر : منشورات ANEP، 2007) ص ص 72-73 .

لمدة أربع سنوات أي إلى حين تعين القنصل الجديد بلانك لاي Balnckley في 1806 ، لكن يجب التعامل بحذر مع هذه القضية إذ هناك الوجه الظاهري و الخفي.

تعود حيثيات القضية إلى أن المزوار* و أعوانه وجدوا في (20 أفريل 1802 على الساعة 11) امرأتين تركيتين في منزل القنصل الذي حاول إخفاء وجودهما ، لكنهما احتجزتا بعدها و سلطت عليهما عقوبة الزنا [674] (500 جلدة و أعدمتا بالرمي في البحر) ، فقد صرحت المرأتان بعلاقتهما بالقنصل و كاتبه و أكد ذلك خادم القنصلية ، في حين اتهم فالكون Falcon بعض خدمه بإدخال المرأتين إلى منزله ، بذلك يكون القنصل قد تجاهل تقاليد البلد المضيف و هي سلوكيات منافية لأخلاقيات المهنة.

لكن السؤال يطرح نفسه كيف للقنصل أن يتجاهل ذلك و هو يدرك أبعاد هذا العمل و يعلم الأحكام التي ستفرض عليه أقلها الطرد و التأثير على علاقات بلده بالإيالة ، لكن إذا تناولنا الموضوع من زاوية أخرى قد تكون مؤامرة و دسيسة دبرتها أطراف أخرى لضرب مصالح الانجليز بالجزائر ، هناك احتمالان : الأول أن الخادمين اللذين تم استجوابهما من قبل المزوار داخل منزل فالكون فرا عند القنصل الفرنسي تانفيل Thainville [675] و الاحتمال الثاني هو التدبير اليهودي كما ذهب إليه غرامون Grammont [676] ، و رغم محاولات بريطانيا لدى الداي مصطفى باشا* إلا أنه رفض إعادته إلى منصبه[677].

هذه الحادثة تجعلنا نتوقع أي شيء من شأنه أن يضرب مصالح الدول المتنافسة فيما بينها ، ما يجعلنا نؤكد المؤامرة الفرنسية ضد القنصل الانجليزي هو الدور الذي قام به القنصل تانفيل في التأثير على الداي و عدم قبوله لقنصل انجليزي جديد ، فبالرغم من الاستقبال الحسن الذي حظي به الأميرال نلسون Nelson رفقة المبعوث كقنصل جديد كارترايت

---

674 -زكية زهرة ، م سابق، ص ص 50-51.

675 -زكية زهرة ، مهمة القنصل ... ، م سابق، ص 51.

676 -Grammont H De , H . Gle …. Op cit , pp 361-362.

*الداي مصطفى باشا : 1798-1805.

677 -Playfair , op cit , p 235 :

أرسل فالكون مع الأميرال كيث Keith على رأس 9 قطع بحرية من الأسطول الانجليزي في 15 فيفري 1804 للضغط على الداي لكنه فشل أنظر كذلك :

- الزهار ، ن مص ، ص ص 78-79 : "... بعث له الانكليز و قالوا له إننا لا نبدل القديم ، و إن لم تقبله فإن العداوة تكون بيننا فأرسل إليهم يقول : إننا لا نقبله و افعلوا ما شئتم ... ثم بعد ذلك وقع الصلح من غير قتال ، و غير الانكليز القنصل و قبلوا الشروط و أطفأ الله نار هذه الفتنة..."

Cartwright في 03 فيفري 1805 [678] ، إلا أن الداي لم يستجب لمطالب الانجليز بقبول اعتماد القنصل الجديد ، بذلك نستنتج الحروب السرية و ما يجري في الكواليس فالقنصل الفرنسي لم يدخر جهدا من خلال مراسلته لوزير خارجية فرنسا في الوقوف أمام التواجد الانجليزي في الجزائر.

قد تكون الغيرة و المنافسة سببا في الخلافات و الحساسيات التي تنشب بين القناصل ، فدوفال Duval الذي كان غالبا على علاقات سيئة مع الكثير من القناصل الأوروبيين ، إلى جانب خلافاته مع نظيره الانجليزي نجد خلافه المستمر مع قنصل سردينيا السيد كارون M.Caron و قنصل اسبانيا السيد أورتيس M. Ortis [679] التي حاول تجاوزها و حل الخلافات عن طريق الوساطة و هذا وجه آخر للعلاقات بين القناصل.

كثرت الدسائس لا سيما الفرنسية و التدخل بطريقة غير مباشرة و تأثيرها على علاقات الإيالة مع الدول الأوروبية في التعليمات التي تلقاها القنصل في 1749 [680] في عرقلة المفاوضات التي جاء من أجلها السيد قوفريت S. Govrete نائب مدينة هامبورغ Hambourg و التأثير على مسارها ، حاول هذا الأخير استمالة السيد فور S. Fort لكن مهمته كانت صعبة في التوصل إلى اتفاق مع الجزائر إلا في حالة واحدة و هي القطيعة مع الدانمارك و هذا أمر صعب للغاية خاصة أن الدانمارك قد أوفت التزاماتها بتقديم المعدات الحربية التي جاء بها هوقلن M. Hooglant على متن فرقاطة عسكرية (مزودة بـ 40 قطعة مدفعية)[681] بالإضافة إلى هدايا خاصة بالداي و موظفيه ، دون أن تتغافل عن تبادل التهم ما بين الفرنسيين ، الانجليز و الهولنديين في تلك الاعتداءات التي كانت تتعرض لها

---

678 -زكية الزهرة ن م ، ص 52 .بالاعتماد على الأرشيف الدبلوماسي مراسلة تانفيل الى تاليران :
AE/ CC, vol 37.
"شعادة الوزير أتمنى أنني لم أهمل و لم أدخر أية وسيلة لإبعاد و منع عودة أي ممثل انجليزي إلى الجزائر"
رسالة أخرى لتانفيل في 20 نوفمبر 1806 : "وقاحة الجزائر المدعومة من قبل الانجليز الذين قدموا هدايا كثيرة من قبل القنصل الجديد ، حين تتلقون رسالتي هذه من المحتمل أن أكون تحت قيود السلاسل...".

679 -AE / CC , Vol 45 Alger 1819-1821 : رسالة 31 نوفمبر 1821

680 -Chaillou,L . op cit , p 81.

681 -تتمثل المعدات (26000 كور ، 200 بومبة ، آلاف القناطير من البارود ، السواري ، الحبال و 40 Grelins ...) بالإضافة إلى العديد من الساعات و القماش...

السفن الجزائرية في البحر المتوسط ، على أن البحارة الانجليز و الهولنديين يهاجمون السفن الجزائرية باستعمال الراية الفرنسية.

يتخوف نفس القنصل الفرنسي من بلانكلاي الذي سيلعب الدور الأساسي في تحويل المؤسسات و الامتيازات الفرنسية في الشرق لصالح الانجليز و يتضح ذلك من خلال مراسلة تانفيل المؤرخة في 20 نوفمبر 1806 لوزير الخارجية المذكورة في الهامش الأول ، يعلن فيها عن قلقه إزاء نشاط القنصل الانجليزي الذي كان له السبق في تحقيق التفوق ، تدعم هذا التقارب بالسفارة الانجليزية برئاسة باجي أرتور Arthur Paget لدى الباب العالي في نوفمبر 1807 (682) للتعبير عن حسن العلاقات مع إيالة الجزائر.

ستعرف هذه الفترة اشتداد التنافس بين فرنسا و انجلترا ، فمقابل تراجع النفوذ الفرنسي لصالح الانجليز و ذلك من خلال معاهدة 8 جانفي 1807 (683) المتضمنة العديد من البنود من شأنها نسف حقوق فرنسا المتمثلة في احتكار الانجليز لتجارة (الصوف ، الشمع ، الجلود و المرجان) في موانئ الشرق (684) مقابل 50000 دولار لمدة عشر سنوات . حدث كل ذلك في ظل التغيرات السياسية التي عرفها البحر المتوسط و انعكاسها على العلاقات الجزائرية خاصة بعد هزيمة الأسطول الانجليزي – الاسباني (685) في معركة الطرف الأغر Trafalgar 1805 من قبل الأميرال نلسون Nelson .

ت ـ الجوسسة :

يبدو أن القناصل لم يتورعوا عن استعمال مختلف الأساليب و العيون للجوسسة عن بعضهم البعض ، فمنذ أن وطأت أقدام روزالم Rosalem الجزائر في 14 سبتمبر 1753 (686)،

682 -Playfair , op cit , p 242.
683 -playfair . op cit , p 239.
684- Primaudaie , le commerce …op cit , p 54.
-Emerit Marcel, l'ancienne capital…, p 64.
685- Pirenne jacque , op cit , p 148.
686 -ACCM , Série J , Art 1365 :
سيقوم القنصل السويدي باستضافة روزالم مدة اقامته و ابنه في الجزائر ، فقد سمح له الداي بالاقامة شرط أن يكون تحت حماية أحد القناصل الأوروبيين ، أنظر كذلك :
ACCM, Série J, Art 1364 : رسالة 20 سبتمبر 1753

هو و ابنه متنكرين في زي تاجرين بندقيين قدمهما القنصل السويدي لوجي M. Logié مع بضاعته لتصريفها في الجزائر ، لكن في حقيقة الأمر أن هذه البضائع ستقدم كهدايا للداي و الموظفين الكبار ، إذ كان روزالم قد جاء متنكرا و في مهمة سرية للبحث عن فرصة لتوقيع معاهدة سلام مع الإيالة ، لكن القنصل الفرنسي لومير Le maire استطاع أن يكشفه بفضل عيونه و جواسيسه.

ما يدل على دور القناصل و الاعتماد على الجوسسة في الحصول على المعلومات الدقيقة ، عن ما تدخل به سفن الغنائم ، و هذا مؤشر على أنه كانت لهم عيون في الميناء ترصد و تسجل ما يطلب منهم ، فعلى سبيل المثال :

"هذا القرصان محمود الذي أحضر في 26 جوان سفينة ماريا محملة بـ 24 برميل D'indigo (نيلة)* 24 بالة من الورق ، 4 أطنان من السكر ، حبال جديدة و كميات من الكور موجهة إلى قادس Cadis ، غنيمة بقيمة 50.000 جنيه ..."[687].

لم يختلف قناصل القرن 18م عن قناصل القرن 17م في دور الجوسسة لصالح حكوماتهم فهذا لومير الأول الذي يصرح في رسالته إلى الحكومة الفرنسية في 11 ديسمبر 1690 :

"... رسالتي هذه هي لإخباركم عن أحوال الجزائر و لم أضيع فرصة واحدة في تقصي الأخبار... و ذلك لخدمتكم..."[688].

في إطار الخلافات بين القناصل اتهم القنصل الانجليزي لوجي وليام بالتجسس لصالح الداي و إخبار قراصنة الجزائر عن أماكن تواجد السفن الأمريكية في البحر المتوسط من خلال تقرير المستر سلون Mr Slown المقيم في فترة المفاوضات مع الو.م.أ [689] و يقول نفس

*النيلة : نبات النيلة يستعمل في التلوين (اللون الأزرق) نقول أيضا اللون نيلي .

687- ANP / AE, B1, 120 : رسالة القنصل بوم في 26 جويلية 1717.

688 -ACCM, Série J, Art 1354 (René Le maire 1690-1697).

689 -اسماعيل العربي ، العلاقات الأمريكية ... م سابق، ص 92.

التقرير أن المعلومات التي قدمها لوجي سمحت للجزائريين بالاستيلاء على أكثر من 10 سفن في غضون شهر واحد.

3- علاقتهم باليهود :

تميز اليهود في حكم الشريعة الإسلامية و تواجدهم في الجزائر بوضعيتهم القانونية كطائفة من طوائف أهل الذمة التي سمح لها بالإقامة في دار الإسلام ، حمايتها و حريتها مقابل جزية يدفعونها سنويا عن طريق مقدم الطائفة اليهودية ، الذي ينسق مع المحكمة اليهودية في تطبيق أحكامها المتعلقة بالشؤون الداخلية للطائفة. [(690)]

لقد سبق تواجدهم في مدينة الجزائر وصول الأتراك ، هنا إشارة إلى اليهود الأهالي الذين تواجدوا منذ القدم[(691)] بالإضافة إلى هؤلاء الفارين من الأندلس منذ 1391 و الذين تزايد عددهم بعد سقوط غرناطة 1492 [(692)] فقد تم طرد 800.000 يهودي من اسبانيا[(693)] باتجاه شمال إفريقيا و بذلك أصبحت الجزائر المدينة مركزا جديدا لليهود في إفريقيا الشمالية. تزايد عدد اليهود على مر السنين لا سيما مع القرن 18 م بتوافد طائفة يهودية جديدة و هم الليفورنيون الذين هاجروا من مختلف الشواطئ الأوروبية خاصة من ناربون Narbone

[690]- بن حموش مصطفى أحمد ، المدينة و السلطة ... م سابق، ص 162.
[691] -العربي اسماعيل ، دور اليهود في الدبلوماسية الجزائرية في أواخر عهد الدايات ، مجلة التاريخ و حضارة المغرب ، العدد 12 ، ديسمبر 1974 ، ص 37.
"أطلق على هؤلاء عدة تسميات كالتوشابيم و الشيكلين نسبة الى الشيكلة و هي صفيحة معدنية يعلقها اليهود على أعناقهم."
[692] - Chouraqui A. Histoire des juifs en Afrique du Nord. Paris, 1952, p 164.
[693]- Haddey. op cit, p 9.

و ليفورن باتجاه الجزائر ، كان يطلق عليهم اليهود الأجانب Juifs Franc [694] بحثا عن الاستغلال التجاري ، الثورة ، الجاه و النفوذ السياسي.

تزايد نفوذ هذه الفئة لدرجة أن الحاخام الأكبر لم يعد يختار من قبل الفئتين الأولى و الثانية إلا في حالات استثنائية. تميزت فئة الليفورنيين بصلاتها الوثيقة ببني جلدتهم من يهود أوروبا في مرسيليا ، ليفورن ، فلورنسا و غيرها من المدن الأوروبية بالإضافة إلى معرفتهم باللغات الأوروبية ، و قضايا العملات و المعاملات التجارية و خلقهم لنظام من القروض و الضمانات بفوائد خيالية[695].

كان اليهود الليفورنيون تحت حماية القنصل الفرنسي و أمورهم الإدارية تتم في القنصلية الفرنسية و يتم توثيقها في الموثقية ، فحينما اختير باكري مقدما للطائفة اليهودية أدى اليمين بحضور الأحبار اليهود و أمام القنصل دوفال Duval [696] و ذلك في تاريخ 24 ماي 1823.

إن العلاقة مع اليهود ضرورة حتمية فرضتها أوضاع البلاد ، فالمعاهدات المبرمة بين الإيالة و الدول الأجنبية تنص على حق القناصل في أن يكون لهم سماسرة Sensal و غالبا ما يكونون من اليهود الليفورنيين ، فهم الواسطة بين الأوروبيين و الإيالة إذ يتقاضون ½ % من كل جانب[697] أي 1% عمولة عن كل عملية ، كما اتخذت منهم جمهورية راقوزا Raguse * قناصلها لا سيما عائلة بوشعرة Bouchara [698] و هو في نفس الوقت سمسار يعمل لصالح الداي.

أ- الدعم المالي :

694- Tassy . op cit, p 56.
Eisenbeth . Op cit, p 156.
Boyer. La vie quotidienne … op cit, p 173.

695 -دادة محمد ، م سابق، ص 96.

696- AE/ cc Vol 46 : Alger 1822-1824. N° 123.

697- Eisenbeth , op cit , p 352.

* راقوزا Raguse : تعرف بعدة أسماء ، دوبرو فنيك ، دوبره ، دوبر بندت ، هورهنك أو راكوزا . مدينة قديمة محصنة تقع على ساحل بحر الأدرياتيك جنوب دالماسيا Dalmatia أسست في أواسط القرن السابع ميلادي ، أصبحت مدينة تجارية يؤمها التجار و السفن و هي تحت حماية سنجق أو راية الدولة العثمانية . أنظر : المغارب في العهد العثماني ، سلسلة ندوات و محاضرات ، ص 37، 39.

698- Eisenbeth , op cit , p 370.

اختص اليهود في استعمال نظام الكمبيالة (السفتجة) ** في المعاملات التجارية لا سيما مع أوروبا[699] ، و هم مـن يقوم بدور الوسيط الذي يقدم القرض بسعر فائدة 3% في الشهر أي بفائدة 36% سنويا[700] و لنا أن نتصور حجم الأرباح من وراء هذه الصفقات المصرفية.

لم يقتصر نفوذ اليهود على الأسواق المالية و التجارية ، بل امتد إلى المجال السياسي عن طريق التدخل في الشؤون الداخلية إضافة إلى توسع نشاط الأخطبوط اليهودي إلى الشؤون الدبلوماسية.

لقد أثرت الأوضاع الداخلية للقوى الأوروبية على شؤون القنصليات في الخارج (الجزائر) ، مما جعلها تعاني مشاكل مالية عويصة حتى في تسيير شؤونها الداخلية كدفع مرتبات موظفي القنصليات أو أجراء الصفقات ، مما دفعهم إلى اللجوء إلى العنصر اليهودي في العديد من المناسبات و بناءا على ما سبق نود التطرق إلى طبيعة و مظاهر العلاقة بين القناصل و اليهود في الجزائر.

أمام تزايد نفوذ اليهود في الإيالة و مختلف مناطق البحر المتوسط تخوفت الأوساط التجارية الأوروبية و لا سيما الفرنسية من تزايد النشاط التجاري و المنافسة اليهودية القوية مما دفع بقناصلة فرنسا بدق ناقوس الخطر منذ بداية القرن 18 م بتقديم تحذيرات و توجيهات لحكوماتهم بعرقلة حركة اليهود و لا سيما إلى غ.ت.م التي نجد في أرشيفها ملف يحمل رقم G5 تحت عنوان les juifs à Aix et Marseille يحتوي مختلف رسائل القناصل مع غ .ت. م حول اليهود ، كمراسلة القنصل بوم Baume في 1718 الذي يطلب من نواب غ. ت. م أخذ التدابير اللازمة لمعاقبة يهود فرنسا الممارسين للتجارة " [701] و تحذيرهم من خلال مراسلة 18 أفريل 1717 من يهود الجزائر الممارسين للتجارة في مرسيليا[702].

** السفتجة : احدى المعاملات البنكية السائدة في الاوساط التجارية بيد اليهود و الاوربيين بصفة شبه مطلقة الدين لهم وكالاء و ممثلين في كل المدن الاوربية تهدف الى نقل الاموال دون التعرض الى مخاطر نقلها

699- Masson, p . H. des …… op cit , p 55.

700- Jacque Taib. Etre juif au maghreb à la veille de la colonisation. (paris :ed El bine michel , 1994) , p 46.

701-Hanoune J. Aperçus sur les Israelites Algériens et sur la communauté d'Alger .(Alger : Ed Bastide Joudan , 1922) , p 16.

702- Grammont , H D . correspondance … op cit , p 140 , 150.

فقد تحايل هؤلاء اليهود لممارسة نشاطهم في فرنسا باستعارة أسماء تجار فرنسيين للتهرب من دفع الرسوم الجمركية ، و يظهر هذا من خلال الوثائق تورط بعض موظفي القنصلية الفرنسية كالموثق ناتوار Natoire [703] مع نفتالي بوشناق الجد في 1737 ، تفاديا لذلك طلب قضاة مرسيليا معاقبة الفرنسيين الذين يعيرون أسماءهم لليهود لأن ذلك يضر بتجارة فرنسا.

بتزايد خطر اليهود و وقوفهم حجر عثرة أمام الفرنسيين تراجعت التجارة الفرنسية مع الجزائر ، فصدرت العديد من القوانين لطردهم من مدينة مرسيليا [704] بإيعاز من قناصلها في الجزائر.

لم تتوقف تعليمات القناصل الأوروبيين لحكوماتهم عن خطر اليهود و لا سيما الفرنسيين من أجل وضع حد لهؤلاء ، تهديد من شأنه أن يعيق تجارة فرنسا و ذلك من خلال توجيهات لموثق القنصلية جونفيل Thomas Jonville [705] في 6 مارس 1734 :

"أبحر ثلاثة تجار يهود على متن سفينة سويدية ، و كان القبطان الفرنسي بران Brun قد رفض سفرهم على متن سفينته فما كان عليكم إلا مصادرة بضائعهم لوضع حد لنشاطهم..."

و هنا يبدو أن الفرنسيين قد تناسوا المرسوم الملكي للويس الرابع عشر Louis XIV في 26 فيفري 1665 الذي يرخص لليهود الاتجار تحت الراية الفرنسية في محطات المتوسط [706] لتبدأ سنوات بعد ذلك المطاردة و المضايقات التجارية ضد التجار اليهود في مرسيليا[707].

703- Grammont , H D . correspondance … op cit , p 241.

704 -ACCM. Série B/ 80 objet : juifs Marseille, lettres des barbaresques.

رسالة الكونت بورتشارتن portecharterain وزير الدولة من فرساي في 22 أفريل 1711 : " ... كلفت بأن أمركم بإخراج و طرد اليهودي المسمى فيليب أسبر philippes esper من مرسيليا بعد عودته من الجزائر ... دون المساس بمصالح تجار المدينة إن كان في شراكة معهم..."

أنظر كذلك :

ACCM. Série G article : les juifs à Aix et Marseille 1672-1773 :

مراسلة برتشارترن 28 مارس 1711 يأمر فيها نواب غ ت م بالتعجيل بطرد اليهودي أنطوان لوبيز Antoine Philippes Lopes لما يشكله من خطر و تهديد للمصالح التجارية المرسيلية.

705- ACCM. Série J. art 1377. Objet thomas jonville chancelier.

706- Eisenbeth . Les juifs en Algérie , op cit p 352.

707 - Ibid , p 355 :

في حين هناك قناصل آخرين دفعتهم فرص الربح إلى التعاون أو الشراكة مع اليهود كالمصالح التي ربطت بين اليهودي إسرائيل سبورتاس Israël Sportes و القنصل الفرنسي فاليير Valliere cesaire philippe [(708)] و تواصلت الشراكة حتى بعد مقتل بورتاس في 1805 و خلفه ابنه شالوم chaloum.

كان اليهود المنفذ للقناصل و مخرج النجاة للخروج من الأزمات المالية إما عن طريق القرض المباشر أو عن طريق نظام الكمبيالات ، ففي 1728 (02 مارس) استفاد قنصل فرنسا دوران من كمبيالة بقيمة 460 بياسترة من قبل اليهودي إسرائيل سلمون Salomon Israël de Tunis [(709)] مقابل موقف القنصل في إنقاذه من حكم الإعدام لما كان عليه من ديون للداي و بعض موظفي الديوان.

كان اليهود بمثابة المصرف الذي يلجأ إليه القناصل كلما احتاجوا إلى الأموال تفاديا لمضايقات الإيالة ، و دفع ما عليهم من مستحقات بالاضافة إلى القيام بدور الوسيط المالي في الجزائر بين اليهود في الجزائر و بعض الأشخاص في أوروبا و يظهر ذلك من خلال طلب القنصل الانجليزي كول روبار Cole Robert بالجزائر من السادة صامويل وارلين و طوماس بينس من ليفورن أن يتلقوا من السيد إسرائيل دي تونس مبلغ 680 بتاك أسبر التي تداينها من عند إيزاك و دافيد أوراس [(710)]

فمن خلال التقرير الذي وضعته سكرتيرة وزارة الخارجية إلى الحكومة الاسبانية بقاديز Cadiz * (أثناء حرب التحرير ضد الملك جوزيف الأول بونابرت**)[(711)] يكشف عجز القنصلية الاسبانية عن أداء مهامها كتقديم الهدايا كبقية القناصل أو عن طريق دفع أجور

رسالة القنصل جون بوم Baume 1714 الذي أراد إبعاد أي شخص عن التجارة في الجزائر :
« les juifs , écrit- il embrassent tout le peu de négoce qui se fait en cette place , ils sont même armateurs des corsaires… et avare à l'excès ».

[708] -Haddey, op cit, pp 84-85.

[709] - Ibid, p 23.

[710] AOM. 45 Mi 2. 1 A 1 à 16 (1704-1735).

* قاديز Cadiz : ميناء اسباني يقع في الجنوب الغربي من اسبانيا في مقاطعة الاندلس.

** جوزيف الأول بونابرت : 11768-1844ملك نابولي في 1806ثم اسبانيا من 1808إلى .1813 أخ نابوليون بونابرت لقب بجوجو الزجاجة

[711] -ميكال دي بلازا ، تقرير حول العلاقات الاسبانية المغربية سنة 1812 ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 4 ، جويلية 1974 ، ص ص 91-96 ، هذه الوثيقة موجودة في أرشيف الخارجية الاسبانية ملف الجزائر (1811-1814) Argel.

الموظفين ، مما دفع بالإيالة إلى ملاحقة السفن الاسبانية و ذلك بسبب الحرب الأهلية التي كانت تعيشها اسبانيا و المتمثلة في خلع الملك شارل الرابع Charle IV * و الحرب الأهلية ما بين 1808-1813 ، بالإضافة إلى ضياع و فقدان اسبانيا لإمبراطوريتها الاستعمارية في أمريكا اللاتينية[712].

هذه الظروف دفعت بالقنصلية الاسبانية بالجزائر اللجوء إلى اليهودي باكري لاستدانة مقابل فوائد من أجل تسديد أجور الموظفين و نفقات القنصلية.

قدرت القروض التي قدمها بيت باكري للقنصلية الاسبانية عام 1809 بـ (55.783 قرش قوى) بالإضافة إلى قرض آخر لمدير المستشفى الاسباني Joseph Novola (R.P) بـ 28.030 قرش قوي[713].

و في نفس السياق أي تقديم اليهود للأموال التي يحتاجها القناصل ، نجد أنه عندما طلب الداي الحاج علي من القنصل الأمريكي لير Lear دفع مبلغ 27000 دولار لقاء جزية البضائع المستحقة و لم تكن لديه الإمكانيات المالية لذلك و هدده الداي بالطرد مع جميع الأمريكيين إن لم يدفع في ظرف ثلاثة أيام مع عقوبة الاسترقاق ، فما كان أمام لير Lear من مخرج سوى اقتراض المبلغ من أحد أشقاء باكري رغم الفائدة المرتفعة 25 % و تم إبحار الأمريكيين في 25 جويلية 1812 [714] و عندما غادر القنصل الأمريكي الجزائر ترك شؤون القنصلية في عهدة القنصل السويدي.

و كلما تأخر القناصل في دفع الهدايا أو الإتاوة للإيالة ، و خشية من تذمر الداي من الأمريكيين ، رأوا بأنه لا وسيلة لتفادي هذه المشاكل سوى وساطة البنك اليهودي "باكري بوشناق" [715] اللذان كانا على رأس شبكة لعبت دورا أساسيا في دبلوماسية البحر المتوسط.

* شارل Charle IV : ملك اسبانيا من 1748-1818 تنازل عن العرش لنابليون الدي نصب اخاه جوزيف ملكا على اسبانيا

[712] ميكال دي بلازا ، تقرير حول ... ، م سابق، ص 92.

[713] -Eisenbeth ...op cit , p 376.

[714] -لويس رايت ، الحملات الأمريكية على شمال ... م سابق، ص 345.

[715]- لويس رايت ، الحملات الأمريكية ... ن م ، ص 61.

ب- الوساطة الدبلوماسية :

قام اليهود بدور الوسيط بين القناصل و الإيالة و بين القناصل و قباطنة السفن في الأوقات الصعبة التي كانت تمر بها الإيالة كفترات الوباء حين يمنع ممثلي البعثة الدبلوماسية عن الخروج أو الانعزال في إقامتهم الريفية ، و يوضح القنصل لومير Lemaire في مراسلته مع غ.ت.م[716] المصاريف التي أنفقها من جراء اعتزاله و عدم اتصاله المباشر بسكان الجزائر أثناء فترة الوباء.

لم تقتصر علاقة اليهود بالأوروبيين في الجزائر فقط و على رأس القناصل خاصة بعدما تزايد عددهم و نفوذهم خلال القرن 18 م بل توطدت علاقاتهم ببني جلدتهم في أوروبا و لا سيما مرسيليا و ذلك ما يتطرق إليه لومير Lemaire في رسالته :

" تواجد اليهود عن طريق الوكلاء في مرسيليا ليس كتجار فقط ،
بل كجواسيس ، و الحصول على المعلومات للبحارة حول حركة
و نشاط الملاحة البحرية"[717].

فكان اليهود المصدر الأساسي في تسريب المعلومات و إخبار الدول حول شؤون الإيالة و عن القرصنة [718] لصالح القناصل الأجانب و السلطات التوسكانية إما عن طريق الرواية الشفهية أو الرسائل.

و ما يؤكد الصلة الوثيقة بين اليهود و القنصل الأمريكي أن أفرادا من عائلة باكري (مردوخي ، دافيد و كوهين) حضروا مأدبة غذاء في منزل السفير الأمريكي دونالدصون Donaldson و العمل على إعداد الهدايا بالرغم من أن ذلك كان يوم عيد يهودي فعقب كاتكارت عن ذلك :

---

716 -Devoulx A. les archives du consulat… op cit , N° 63 , p 57:
" تم دفع 34 بتاك شيك (40.50 ف) إلى الناس الذين يعلموننا سرا عن عد موتى الوباء و الذين تم إخراجهم من أبواب المدينة ، و 42 ب.ش (50.40 ف) لليهودي عن الخدمات التي قدمها أثناء فترة الوباء فكان الوسيط بين قباطنة السفن الفرنسية و القنصلية الفرنسية و توزيع الرسائل..."

717 -ACCM .Série G, art 5.

718 -Fillipini , les juifs d'Afrique du Nord … op cit , p 60.

"اليهـود الجزائريـون متمسكـون بالمناسبـات الدينيــة أكثر مـن اليهود فـي بلد آخـر في العالم ، و لكن مصلحة اليهودي الجزائري تجعله ينسى إلهه ، و تجعله يتغاضى عن جميع الامتيازات الإنسانية و الإلهية معا ..."[719].

كان اليهود عنصرا ضروريا لجأ إليه القناصل الأجانب في الإيالة لخدمة مصالحهم و يزيد ذلك الترابط مع أواخر القرن 18 م أي بعد تزايد النفوذ اليهودي في الإيالة و تدخلهم في الشؤون الداخلية للإيالة لا سيما بوشناق و باكري ليشمل تأثيرهم حتى الشؤون الدبلوماسية.

أصبح هؤلاء يستقبلون الوفود الدبلوماسية الأجنبية باسم الدايات كما فعل بوجناح مع قناصل الدانمارك ، السويد و هولندا في 1801 ، و هو من كان يتسلم الهدايا التقليدية التي تدفعها حكوماتهم إلى السلطات الجزائرية [720] ، كما استقبل المبعوثين البرتغالي لازار و جوزيف دي يرتيبو [721] و تمثلت مهمتهما في التفاوض بشأن التوقيع على معاهدة السلام بين البرتغال و الجزائر.

هذان المبعوثان جاءا في مهمة التفاوض بشأن الصلح ،هذا السلم ساهمت انجلترا إلى حد كبير في التوصل إليه و ذلك بحكم التحالف الانجليزي – البرتغالي ضربا للمصالح الفرنسية – الأمريكية في الجزائر ، لكن هذا النجاح لم يكن لينجح لولا استغلال القنصل الانجليزي لنفوذ و تأثير باكري على الداي و انتهى الأمر إلى عقد معاهدة صداقة و سلام بين الجزائر و البرتغال في 14 جوان 1813 [722] ، تورطت البرتغال في الصراع الانجليزي – الفرنسي كما انشغلت بمواجهة المخططات الاسبانية الفرنسية الرامية إلى تقسيم أراضيها و الاستحواذ على مستعمراتها ، غير أن الحلف الدولي المعادي لنابليون و المعروف

---

719 -كاتكارت ، مص سابق، ص 183

720 -كاتكارت ، ن مص ، ص 183.

دادة محمد ، م سابق، ص 169

721 -دادة محمد ، ن م ، ص 169.

722 -سعيدوني ناصر الدين ، دراسة أندلسية... م سابق، ص 208.

أورد شريف الزهار في مذكراته حول هذه المعاهدة : "كان البورد قيز قد جاءوا سنة سبع و عشرون لعقد الصلح بعد أن توسطت ... ، فانعقد الصلح و دفع مليونين ، فرق الأمير على العسكر دراهم الصلح عشرة دورو لكل واحد".

الزهار ، ن مص ، ص

سعيدوني ، دراسات اندلسية...(المعاهدة مع البرتغال) ، ص ص 220-224 ص 227.

بالائتلاف الدولي الرابع 1806[723] الذي أعاق المخطط الفرنسي الاسباني و أدخل البرتغال في دوامة الصراع ، و كانت معاهدة فونتان بلو Fontaine bleu بين اسبانيا و فرنسا 07 أكتوبر 1807 بداية تدخل فرنسا في شؤون البرتغال خاصة بعد ما رفضت هذه الأخيرة إغلاق موانئها في وجه التجارة الانجليزية. و عندما نقضت البرتغال السلم مع الجزائر كاد القنصل الانجليزي أن يدفع حياته ثمنا لولا تدخل باكري لدى الداي و حصوله على العفو لصالح قنصل انجلترا.

لم يجد القنصل الاسباني مخرجا لحل الخلاف الاسباني مع الجزائر بعدما أعلن وكيل الخرج سنة 1803 أن اسبانيا بلد عدو [724] سوى اللجوء إلى بوشناق ذو التأثير القوي على الداي مصطفى باشا.

كان للوساطة اليهودية دور في نجاح القنصل السويدي شولدر براند Mattias Skoldebrand في تخفيض قائمة الطلبات الجزائرية المتمثلة في إقرار هدية السنتين و هدية سنوية تتمثل في الأسلحة في حدود 21.000 ريال و هبة فورية بـ 200.000 ريال بالإضافة إلى الهدايا التي لم يسددها من كان قبله[725] ، كما نجح الممثل السويدي في التوصل إلى إبرام معاهدة جديدة في 25 ماي 1792 تم التأكيد فيها على ضرورة الالتزام بمعاهدة 1729 و ذلك بفضل مساعي و جهود اليهودي باكري و بعض أقرباء الداي [726] و ذلك مقابل مبالغ مالية كبيرة تقدر بـ 10.000 ريال.

عندما ساءت العلاقات بين الجزائر و فرنسا بسبب حملة نابليون على مصر ،انعكست بصفة مباشرة على الفرنسيين في الجزائر ، و هنا سخر كل من كوهين باكري و بوشناق قوتهما المالية و تأثيرهما السياسي في التأثير على الداي و التخفيف من عبء سجن القنصل الفرنسي مولتدو Moltedo و إطلاق سراحه من سجنه منذ 10 سبتمبر 1798 و توجد هذه

---

[723] -سعيدوني ناصر الدين ، دراسات أندلسية... ، م سابق ، ص 209.
يتألف الائتلاف من انجلترا ، روسيا ، النمسا و السويد.
[724] -اسماعيل العربي ، دور اليهود الدبلوماسيين... ، م سابق، ص 52.
[725] -المازري بديرة ، السويد و الجزائر ... ، م سابق، ص ص 56-57.
[726] -المازري بديرة ، الجزائر و السويد... ، ن م ، ص 58.

المساعي في تقارير موثقية القنصلية الفرنسية (رسائل أنطوان سيالف Antoine Sielve Chacelier)[727].

كما ساهم بيت باكري التجاري في تموين جيش الحملة الفرنسية على مصر (1798-1801) مشروع كان يهدف إلى ضرب مصالح انجلترا في مستعمراتها بالهند[728]. و أعلم القنصل الانجليزي بالجزائر الأميرال كايت Keit بذلك فبدأت المراسلات الانجليزية مع الباب العالي بهدف طرد اليهود و أمثالهم [729] و يظهر هنا دور الانجليز في قطع العلاقات العثمانية مع فرنسا.

و بعد قطع العلاقات بين الجزائر و فرنسا و إعلان الحرب في 24 جانفي 1801 [730] و طيلة غياب القنصل تانفيل عن مدينة الجزائر كانت التقارير تصله عن كل ما يحدث في الجزائر عن طريق بوشناق ، هذا إن دل على شيء إنما يدل على أنهم وكالة مخابرات فقد كانوا المصدر الأساسي لتسريب المعلومات حول شؤون الإيالة السياسية و الاقتصادية و عن القرصنة[731] لصالح السلطات التوسكانية و للقناصل الأجانب إما عن طريق الرسائل أو الرواية الشفهية.

برع اليهود في الوساطة الدبلوماسية و تقديم الخدمات و تسهيل مهام المفاوضين لمن يدفع أكثر ، إذ كانوا في علاقة مباشرة مع ممثلي مختلف القوى الأجنبية و هو الوسيط الثمين الذي لا يمكن الاستغناء عنه في إجراء الصفقات أو في المفاوضات لكن دون تجاهل الرشوة و شراء الذمم.

إن أهم حلقات التأثير اليهودي دبلوماسيا نجدها خلال الحروب النابوليونية ، إذ لم يتمكنوا من تحديد تجاه تحالفهم و اللعب على الحبلين و يتجلى ذلك من خلال تقرب الانجليز منهم للتوسط لدى الداي ليضع حد لتصدير الحبوب إلى الحكومة الفرنسية [732] بهدف تجويع

727 -ACCM .Série j.
728 -Castelo André. Bonaparte T. II (Switzerland, Ed : librairie académique perrin, 1967), p 259.
729 Eisenbeth , op cit , p 375.
730 Grammont, H. d’Alger … op cit, p 357.
731 Fillipini . Les juifs d’Afrique du Nord …, pp 60-61.
732 -Grammont, H. D. H d’Alger … op cit , p 51.

الشعب الفرنسي ، لكن الداي رفض الطلب الانجليزي رغم المحاولات المتكررة للقنصل الانجليزي ، و لكي تمنع فرنسا خطر التقارب الانجليزي مع يهود الجزائر لجأت إلى تجميد الأموال اليهودية بفرنسا[733] فقد كتب في هذا الشأن وزير خارجية فرنسا دولاكروا De La Croix إلى وزير المالية بضرورة اتخاذ إجراءات التجميد.

"... باحتفاظنا بالمبالغ المستحقة لليهوديين ... بهذه الطريقة سنمنعهم من التحول عن مصالحنا و نضطرهم إلى التزام تحفظ أكبر في طرق تعاملهم مع الانجليز... إلا أن وجودهم في شمال إفريقيا يثير في نفوسهما الأمل في تحقيق أرباح أخرى..."[734].

لقد جنوا من وراء الوساطة الدبلوماسية أموالا طائلة مقابل الخدمات المقدمة ، و ليس لهم تحيز معين و لكن الولاء لمن يدفع أكثر. إذ تبين لنا التقارير التي بعث بها وزير الحربية الأمريكي أوليفيي سكوت Olivier Scott إلى الرئيس الأمريكي في 14 جانفي 1794 فحواه المعاهدة التي بعث بها المفاوضون الأمريكان بالجزائر على أن الصلح مع الجزائر و التوقيع على السلم مع الإيالة سنة 1797 كلفهم حوالي مليون دولار[735] و قد نال اليهود كرشوة و عمولة عن خدماتهم و وساطتهم لدى الديوان 30.000 دولار.

و في السنة السابقة كان بارلو Barlow قد وعد باكري بـ 18000 دولار كهدية إن توسط له و نجح في الحصول على مسعاه (التوقيع على المعاهدة) [736]، و في الحقيقة أن هذه الهدية ما هي إلا رشوة مقابل تدخله لدى الداي لتأجيل مهلة الدفع ، و كان من نتائج الوساطة اليهودية إطلاق سراح الأسرى الأمريكان و إرسالهم إلى فرنسا بعد دفع الفدية التي جعلها

733- Esquer G, la prise d'Alger , p 24.
734- Plantet E, correspondance … T II , p 463.
-Grammont, H. D, H d'Alger … op cit , p 356.

735 -اسماعيل العربي ، العلاقات الدبلوماسية الأمريكية .... م سابق ، ص 118.
736 -اسماعيل العربي ، العلاقات الدبلوماسية ... ن م، ص 110 :
" لقد صرح الداي بأنه اذا لم يتلق المبلغ المطلوب ، سيعلن الحرب على الو.م.أ بعد 30 يوم من المهلة يشرع في الاستيلاء على السفن الأمريكية"

باكري قرضا 400000 دولار من ليفورن و 200000 دولار من ليشبونة و قسطان آخران من عند باكري بالجزائر[737] و قدم جزءا من هذا القرض إلى القنصل الأمريكي هامفري.

تعاظم دور اليهود مع أواخر القرن 18 م حتى غدا باكري و بوشناق لا يتركان الداي يتحدث مع القناصل على انفراد[738].

من خلال ما سبق يتضح أن اليهود أصبحوا الأداة الضرورية لتحقيق مشاريع السلم مع الإيالة و يظهر ذلك في تقرير القنصل الفرنسي دوقواز Devoise إلى وزير الخارجية تاليران : Tallyrand

> "إذا أرادت حكومة الدركتورا Directoire إقامة صلح مصنع مع الجزائر عليها بباكري ، لأن هؤلاء اليهود لهم تأثير كبير على شؤون الإيالة ، لما يتمتعون به من خطوة لدى وزراء الداي ..."[739].

و بذلك يتبين أن الأوساط الدبلوماسية و المجتمع القنصلي أصبح يدرك قوة التأثير اليهودي على العناصر النافذة في الإيالة و ذلك بشراء الذمم بالأموال و اللعب على الحبلين و ذلك ما يعبر عنه القنصل الفرنسي سانت أندري J.B St André [740] استياؤه الذي عبر عنه في رسالته لوزير الخارجية بتاريخ 19 جرمينال العام الخامس 19 Germinal an V أنه لم يتمكن من الحصول على ما دار من مفاوضات بين قنصل انجلترا و الداي [741] و لم يتوصل على أية معلومة لا من باكري و لا من بوشناق رغم أنهما حضرا المفاوضات ، لكن على ما يبدو "أنها حول إلزام بريطانيا بعدم التعرض للسفن الجزائرية في البحر إذا كان رياسها يحملون رخصة من القنصل الانجليزي" ما عدى ذلك فهو سر.

يبين ذلك مدى قوة تأثير اليهود على الداي حسن باشا ، هذا الإدراك جعل القنصل الانجليزي يستعين بأرون كاردوسو Aron Cardoso * في 1805 لانجاز مهمة لدى باي الغرب؟؟؟ ،

737- اسماعيل العربي ، العلاقات ... م سابق، ص 111.
738 -الترعزيز سامح ، م سابق، ص 410.

739 -Esquer , G . La prise d'Alger ... op cit , p 26.
740- Grammont H.De. H d'Alger ... op cit , p 356.
741- AE /CC, Vol 33, Alger (1796-1797).

من أجل تموين الحامية الانجليزية بجبل طارق ، و فعلا تم تسجيل في 16 أكتوبر 1805 دخول فرقاطة انجليزية بقيادة رومان Roman محملة بالبارود مقابل شحن 200 ثور و 100 كبش من وهران باتجاه جبل طارق[742].

رغم التأثير اليهودي على الدبلوماسية الجزائرية و حاجة انجلترا إلى هؤلاء ، إلا أنه من خلال المعطيات و الأحداث السابقة يبدو أنهم تعاملوا معهم بحذر بالرغم من التواصل في التعامل معهم ، فلا يمكن الاستغناء عنهم في تموين القواعد و الحاميات الانجليزية في البحر المتوسط ، و يزداد هذا التقارب على حساب فرنسا خاصة بعد معركة الطرف الأغر Trafalgar في 21 أكتوبر 1807 [743] هذه المعركة التي أعطت السيطرة المطلقة لانجلترا بحريا.

من هنا يبدو التراجع الفرنسي على الصعيد الخارجي ، فيتخلى نابليون عن مشاريعه الاستعمارية الكبرى بسبب انجلترا التي وقفت حجر عثرة أمامه ، خاصة بعد فشل حملته على مصر سنة 1801 [744] " إذ يقوم ببيع لويزيانا للو.م.أ بمبلغ 80 مليون ف" و هذا دليل على الضائقة المالية التي كانت تعانيها فرنسا.

نتيجة للعلاقات التي كانت تربط اليهود بالقناصل الأجانب في الجزائر نجت قصور و فيلات باكري و بن زعمون اليهوديين من النهب الذي أصاب اليهود بعد أحداث 1805 التي عرفتها مدينة الجزائر و مقتل نفتالي بوشناق[745] ، فقد استفاد يوسف بكري من الحماية و اللجوء إلى القنصلية الاسبانية و كذلك الأمر بالنسبة لأخيه دافيد بكري الذي استفاد من حماية قنصلي الو.م.أ و السويد [746] ، كما قدم القنصل الانجليزي فالكون Falcon مبلغ 500 بياسترة لإنقاذ شاب يهودي[747].

*أرون كاردوسو : هو رئيس الطائفة اليهودية بوهران و هو المكلف بشؤون و أعمال الباي بجبل طارق.

742 -Block Isaac. op cit , p 11.

743- Pirenne jacque , les grands courants de l'histoire universelle , T IV (de la révolution française aux révolution de 1830) Suisse (Neuchâtel) Ed : de la Baconniere , 1948 , exemplaire N° 1405 , p 150.

744- Ibid, p 148.

745 -الزهار أحمد شريف ، مذكرات ... مص سابق، ص

- Eisenbeth, op cit, p 376.

746- Eisenbeth (M). op cit, p 376, 378.

747- Ibid, p 366.

أعرب القناصل الأجانب في الإيالة دائما عن تذمرهم و قلقهم إزاء النفوذ اليهودي المتزايد مما دفعهم إلى تحاشي أي صدام معهم من شأنه أن يهدد مصالحهم ، و يذكر سامح التر أن الانجليز و الهولنديين أصبحوا يقدمون إليهم الهدايا بدلا من الداي.

و لم يتورع اليهود عن إلحاق الضرر بالشخصيات الأوروبية إذ شكلت خطرا على مصالحهم إذ كاد القنصل كليرمبولت Clairaumbault أن يقتل بعد الفتنة التي أثارها ضده اليهود و كذلك القنصل تايبوت Tailbout لمؤامرة دبرها ضده بوشناق [748]، أو عن طريق إبعاد بعض القناصل بالتآمر مع عناصر أخرى و ذلك ما نجده في رسالة القنصل تانفيل Thainville إلى وزير الخارجية دي فيسانس :

> " اضطررت إلى مغادرة الجزائر في 19 أكتوبر بسبب قضية السفينة جيوسبينو Giossppino و ضرورة تعويضها بمبلغ 114.300 قرش ، كما ألح الداي على ضرورة تسديد ديون فرنسا السابقة ... غير أن إبعادي كان بمؤامرة انجليزية- يهودية و ليس لشخصي..."[749].

قام اليهود في العديد من المناسبات بتعكير الجو و توتر العلاقات بين الجزائر و إحدى الدول الأوروبية بسبب تشابك العلاقات الاقتصادية و لا سيما الديون ، كمطالبة الإيالة من اسبانيا ضرورة تسديد ديون قنصلها لورثة كوهين باكري ، إذ حكمت المحكمة العبرية على أن ترد الديون لشركة العائلة و لصالح الإخوة باكري الأربعة بالجزائر [750] و قد أرفق القنصل دوفال Duval الوثائق بمراسلته المؤرخة في 24 أوت 1824 للكونت أوزاليا C^{te} Osalia .

و ما يلاحظ في هذه العلاقة الغريبة بين اليهود و القناصل ، تسابق الانجليز و الفرنسيين في استمالة اليهود لخدمة مآربهم السياسية أو التجارية.

748- Ibid, p 311.
749 AE / CC. Vol 42, 1815-1816.
750- AE / CC Vol 33, 1824-1826.

يتجلى الدور الذي لعبه اليهود في خدمة مصالح فرنسا في أواخر عمر الإيالة و تهيئة الظروف التي مهدت للاحتلال و المقصود بذلك قضية الديون إذ يحوي أرشيف خارجية فرنسا كي دورساي Quai d'Orsay ملفا خاصا بباكري و تطور المديونية [751] قد يكون ذلك انتقاما لما حدث لليهود سنة 1805 ، فالمثل يقول : " الانتقام طبق يؤكل باردا".

و لا يمكن تجاهل الترحيب و التهليل الذي خصه اليهود لجيش الاحتلال و الهتاف "تحيا الفرنسيون" [752]، و استعان الفرنسيون قبل وصولهم إلى الجزائر بيهود مرسيليا الذين أقاموا بالجزائر سابقا ليكونوا أداة اتصال بالأهالي لإتقانهم اللغة العربية و بعد الاحتلال تحصلوا على مناصب هامة.

[751] -AE /cc vol

[752] -سعد الله أبو القاسم ، م سابق، ص 227.

IV-**الفصل الرابع**: دور و مهام القناصل

1. دور القناصل في افتداء الأسرى
2. دورهم في حماية التجارة:
3. دورهم القضائي

IV- دور و مهام القناصل

1- دور القناصل في افتداء الأسرى :

أ - تجارة الأسرى :

إن ظاهرة الأسر و الاسترقاق حقيقة و ظاهرة تاريخية عرفتها منطقة البحر الأبيض المتوسط في إطار الحروب البحرية التي استمرت من القرن السادس عشر إلى مطلع القرن التاسع عشر.

لقد شكلت القرصنة كما يحلو للبعض تسميتها أساس المواجهة الإسلامية – المسيحية على حد تعبير عبد المجيد قدوري[753] ، في حين حاولت الأسطوغرافيا الاستعمارية إلصاق القرصنة بالمسلمين عموما و بشمال إفريقيا خصوصا إذ تصورها على أنها الوكر الذي تنطلق منها السفن للقرصنة.

و قد أجمل قدوري خلاصته و نظرته الفلسفية للمسألة على أن : "المواجهة العسكرية كانت حاضرة في علاقات المغرب مع الدول الأوروبية، غير أن هذه المواجهة لم تكن في حقيقة الأمر إلا امتدادا لمواجهة أخرى أعمق ، إنها المواجهة بين ذات الأنا و ذات الآخر..."[754].

و ذلك ما جسده الأستاذ مروش في كتابه من خلال الخطاب الرسمي للإيالة في الفترة قيد الدراسة، أن الجزائر المحروسة هي دار الجهاد من خلال البعد الديني ، المجد الاجتماعي، الطموح السياسي و أبعد من ذلك ظهور عبارة دار الجهاد حتى في المراسلات الدبلوماسية في عهد الداي شعبان خوجة[755] فشكلت هذه المسألة تأثيرا على التجارة و العلاقات الأوروبية.

753 -قدوري عبد المجيد. سفراء مغاربة في أوروبا 1610-1929، الرباط، 1995، الطبعة الأولى، ص 51.
754 -قدوري عبد المجيد . سفراء....، ن م، ص 52.
755 -مروش المنور ، م سابق ،ص ص 45-47.

لعبت الآلة الدبلوماسية سواء عن طريق القناصل أو المبعوثين أو المفاوضين[756] دورها في فك أسر الأوروبيين في الجزائر إما عن طريق التفاوض أو التبادل أو تحديد الأسعار.

كما انتشرت أسواق بيع الأسرى في أوروبا و العالم الإسلامي على السواء في كل من البندقية جنوة ، ليفورن ، الجزائر، طرابلس ، سالا و تطوان. و لعل أهم أسواق بيع الأسرى في شمال إفريقيا هي الجزائر ، و كان العبيد من جنسيات مختلفة (أسبان ، هولنديين ، دانماركيين ، صينيين ، برازيليين و غيرهم...)[757]

و لا يمكننا إعطاء أرقاما محددة و إنما إحصاءات تقريبية و ذلك بالعودة إلى المصادر الأوروبية عبر مختلف المراحل ، و إن كانت لا تخلو من المبالغة في بعض الأحيان.

فعندما تصل الغنائم إلى ميناء الجزائر تخضع لإحصاء من طرف وكيل الخرج ، فيحصل الداي على 12 % من مجموع البضائع و الأسرى و يؤخذ 1 % لصيانة أرصفة الميناء، و أصحاب السفينة و الريس يحصلون على النصف و النصف الآخر يوزع على البحارة[758]

أما في ما يخص الأسرى و توزيعهم ، يحصل الداي على الثمن 1/8 و يساق البقية إلى سوق البادستان Badistan [759] حيث يخضعون للبيع الأول عن طريق المزاد ، ثم البيع الثاني عن طريق عملية الافتداء التي تتم بعدة طرق كالوساطة اليهودية أو على يد رجال الدين و تكون إقامتهم في السجون [760] الحكومية منها أو السجون الخاصة.

---

756 -مروش المنور ، م سابق، الجزء الثاني ، ص 209.

757- Jao , Esclave à Alger , op cit , p 34.

ACCM, série 1354 , art : « consulat d'Alger : le vacher 1675-1683

جاء في رسالة فاشي لحكومته في 21 فبراير 1676 :

أسر قراصنة الجزائر في السنة الفارطة 1900 مسيحي من مختلف الجنسيات أهمهم برتغاليون....، أنظر كذلك :

Grammont , H. D , Histoire d'Alger… op cit , pp 157-175.

758 -محمد الأمين : " القرصنة و شروط افتداء الأسرى الأسبان في الجزائر في القرن 18 "، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، ص 27.

759 -Comelin (P.P.F). op cit

كما ورد تعريفها عند بارادي Paradis على أنها السوق الرئيسية التي تجري فيها عملية بيع الأسرى بمدينة الجزائر ، أنظر Paradis , op cit

760 -Yacine , T : « les bagnes d'Alger d'après Cervantès » revue d'histoire maghrébine. N° 21-22 , avril 1981 (pp 87-91).

كانت عملية الافتداء عملية صعبة و معقدة ترتبط بطبيعة العلاقات بين الجزائر و الدول الأوروبية و الحصول على الأموال اللازمة لذلك . و لم تكن مدينة الجزائر وحدها مختصة في ذلك ، بل هناك موانئ أخرى تخصصت في تزويد الإيالة بالأسرى ، فقد كان ميناء المرسى الكبير بعد تحرير وهران الأول 1708 على يد الباي مصطفى بوشلاغم * يستقبل الغنائم يوميا تقريبا و كان سجن قصبة وهران مليء بالأسرى[761].

و بالاستناد إلى قوس Gosse هناك مؤسسات تكونت في كل من الجزائر و تونس هدفها العودة بالبضائع الحية[762] التي يتم تسويقها و تصديرها نحو مراكز التجارة الأوروبية لا سيما مالطا Malte التي تعد عاصمة القرصنة المسيحية و كذا ليفورن Livourne التي تعد أكبر المخازن و الأسواق المتوسطية لتصريف غنائم القرصنة و تجارة الأسرى ، فقد سمح الدوق التوسكاني** بسجن الرقيق إلى أن تتم إجراءات التحرير[763]، بالمقابل عن هذه الخدمات و هو الأمر الذي دفع برئيس طريقة سان إتيان St Etienne إلى تقديم شكاوي إلى جميع حكام و ملوك أوروبا ضد الدوق لأنه سمح لليهود بممارسة مثل هذه التجارة[764].

استفادت عناصر كثيرة داخل الإيالة من هذه التجارة البشرية و هم جماعة الأندلسيين و الثغوريين الذين استفادوا من مداخيل القرصنة فكانت تجارة مربحة ، فالاستناد إلى بعض المصادر الأوروبية و لا سيما الاسبانية :

*مصطفى بوشلاغم :على يده تم فتح وهران الاول في 1708

761- Fey Leon. Histoire d'Oran avant pendant et après la domination Espagnole. Oran, 1858 , p 140.
Belhamissi . M : « une lettre inédite sur Alger au XVIII° siècle », archive Nle , N° 6 Vol 1 , 1977 , p69 :

يبرز المقال أهمية وهران في تزويد الإيالة بالأسرى ، إذ يشبهها القنصل الفرنسي دي كرسي De Kercy في تقريره : "وهران كالمشتلة ، إذ تزود بالأسرى بصفة دائمة ، فخلال سنة تلقى الباي محمد الكبير 150 هارب من الخدمة الاسبانية بالإضافة إلى وجود 900 أسير برتغالي..."
و يتأكد ذلك من خلال مذكرات القنصل الفرنسي فالبير.

762 - Gosse , ph .Histoire de la piraterie. Traduction de l'anglais par Teillac,(Paris : Ed payot, 1933) p91.

**الدوق التوسكاني : الذي أوجد أبائه النظام الصليبي سان ستيفان و في هذه السوق كان سعر الأسير المسلم بـ 154 بياسترة لينخفض إلى 130 ثم إلى 100 بياسترة سنة 1690.

763 - Mathiex .Trafic et prix ... op cit , p 157.
وولف ج ، م سابق، ص 214.

764- Grammont. H, d'Alger,... op cit , p
التر عزيز سامح . م سابق، ص 409.

" أن هؤلاء عاملوا الأسرى الأسبان معاملة جد سيئة و قاسية"[765]

إذ توجد قصص و روايات أوروبية تشير إلى سوء معاملة القساوسة من قبل الموريسكيين[766] الذين تخصصوا في تجارة الفداء و الذين ما زالت ذاكرتهم تحتفظ بسوء معاملة محاكم التفتيش.

ارتبط انتعاش اقتصاد الإيالة بانتعاش البحرية و بارتفاع عدد الأسرى ، فقد قدر عددهم سلفاقو Salvago في 1624 بـ 25000 أسير و أراندا Aranda في 1640 أنهم يتراوحون ما بين 30000 و 40000 أسير و هو نفس الرقم التقريبي الذي يرجحه هيرو Herault [767] على أن عددهم يقدر بـ 20000 أسير.

كانت مرحلة 1580-1650 هي مرحلة الثراء و التفوق بالنسبة للبحرية الجزائرية ، ففي 1617 نهب القراصنة جزيرة ماديرا Madere * ، حيث تم أسر 1200 شخصا مرة واحدة و أخذت أجراس الكنائس[768] ، فقد أصبح بحارة الجزائر خلال هذه الفترة سادة البحر المتوسط.

و في ما بين 1628-1634 استولى بحارة الجزائر على ثمانون سفينة فرنسية و بيع 1336 أسير فرنسي في سوق العبيد ، كما خسرت بريطانيا وحدها 470 سفينة و هي المرحلة المتعارف عليها بالعصر الذهبي للبحرية الجزائرية ، و إن كان عدد الأسرى قد سجل تراجعا خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر مقارنة بالقرنين السابقين (16 و 17). و يمكن أن نستدل ببعض ما ورد في دفتر التشريفات * و إن كان يمثل مرحلة التراجع من خلال الجدول التالي[769] :

765 - Haedo , Histoire et topographie… , op cit , p 68.
766 - Brahimi , Denise , op cit , p 42.
767- Boyer pierre : « Alger en 1645 d'après les notes du R.P.Herault » , ROMM, 1975 , p 25.
*ماديرا Madere :جزيرة برتغالية في الأطلسي.
768 -Courtinat Roland, la piraterie …. Op cit , p 40.

** دفتر التشريفات : هو السجل الرسمي الذي كانت الإدارة التركية ترسم فيه أعمالها و مذكراتها العامة ، يتولى الباشا كاتب تسجيل ما يستحق الرسم فيه كهدايا الباشا لاسطنبول و الأسرى . أنظر

1795	1799	1802	1811	1813	1815	1816
630	1050	937	1494	1645	1487	1065

و من خلال الجدول نستشف أن عدد الأسرى يتضاعف و يتناقص حسب حالة الحرب مع الدول الأوروبية ، فالحرب مع البرتغال و قبل التوقيع على الصلح أدت إلى ارتفاع العدد من 40 أسير سنة 1795 إلى 95 أسير سنة 1799 ، ثم ارتفع العدد إلى 366 أسير سنة 1802[770] بعد الانتصار الباهر الذي حققه الريس حميدو ، أما في 1811 فكان عددهم 360 تم تحريرهم بعد التوقيع على معاهدة الصلح مع البرتغال[771] و بذلك لا نجد أي برتغالي في سجون مدينة الجزائر بعد 1813.

طرق الافتداء :

إن إطلاق سراح هؤلاء الأسرى يتم عادة بواسطة دفع الفدية و ليس بواسطة القوة ، فتلجأ الجهات الأوروبية إلى عدة أساليب : عملية التحرير تتم عن طريق الافتداء إلى جانب نفقات أخرى تحددها قوانين الدولة و يتم الافتداء بعدة طرق إما عن طريق التجار اليهود بما لديهم من وكلاء في أهم المدن التجارية الأوروبية كمرسيليا ، أمستردام و ليفورن و في الغالب هم وكلاء للدفع[772] ، و إما عن طريق رجال الدين القساوسة الذين كانوا منتدبين

المدني أحمد توفيق ، محمد باشا داي الجزائر 1766-1791 (سيرته ، حروبه ، نظام الدولة و الحياة العامة في عهده) ، (الجزائر م.و.ك ، 1986)، ص ص 150-152.

769-Devoulx, A, Tachrifat … op cit , p 87.

770 - Devoulx A , un exploit en 1802 … op cit أنظر كذلك:
Devoulx A , le Rais Hamidou (notice biographique sur le plus célèbre corsairealgérien du XIII° siècle de L'hégire) (Alger : Ed. G.A.L, 2005).

771 -سعيد وني ناصر الدين دراسات أندلسية....م سابق ص 217

772 - Sagerdotti , op cit , R.A 1949 , pp 135-137 :

للفداء، فكانوا يشرفون على جمع الأموال اللازمة للعملية برمتها ، بالإضافة إلى أموال أولياء الأسرى الميسورين[773]، و كان جمع هذه الهبات و الصدقات من مختلف البلدان المسيحية.

❖ دور رجال الدين في الافتداء :

لقد ساهمت عدة تنظيمات دينية في هذه العملية الخيرية كتنظيم الثالوث المقدس St Trinité. [774] و هو تنظيم فرنسي بالدرجة الأولى ، و كذلك تنظيم الرحمة La Merci المؤسس في 1232 و هو تنظيم ايطالي- اسباني استمر إلى غاية القرن السابع عشر حيث حلته ماري دي مديتشي Marie de Medicis [775] ، بالإضافة إلى جمعية الماثوريين Mathurins [776] نسبة إلى القديس ماثور ، و تمكن هذا التنظيم من تحرير 37720 أسير أوروبي[777].

كان لهذه التنظيمات الخيرية تاريخ طويل في تحرير الأسرى المسيحيين في البلاد الإسلامية في المشرق و شمال إفريقيا من خلال جمع التبرعات عبر القرى و المدن الأوروبية ، و تجمع الكتابات و المصادر على عظمة نشاط رجال الدين في سبيل تحرير الرقيق الأوروبيين و لو كان ذلك على حساب أنفسهم ، فالمادة الرابعة من الرغبات[778] تجبرهم عند الالتحاق بالسلك الديني على وضع أنفسهم كرهائن.

و بوصول هؤلاء القساوسة إلى ميناء الجزائر هم محل ترحيب من قبل الأسرى على أمل الخلاص من قيود الأسر ، و يتم الاتصال مباشرة بقناصل دولهم كما تشير إليه المراسلات

"لقد لعب اليهود دور الوساطة في افتداء الأسرى بين البايلك و جمعية الثالوث المقدس ، و هم يأخذون عمولة على ذلك تقدر بـ 14 % ".

[773]-الأمين محمد ، القرصنة و شروط الافتداء ...، م سابق، ص ص 29-30.

[774]الوسلاتي الهادي : "المستشفى الترينتاري الاسباني بتونس و وثيقة من أرشيفه عن حملة العثمانيين بالجزائر في 1756 على تونس" ، المجلة التاريخية المغربية ، عدد 21-22 ، سنة 1981، ص 167.

تأسس هذا التنظيم في 1198 على يد جان دي ماتا St Jean de Matha و تمكن هذا التنظيم من افتداء 500000 أسير طيلة 6 قرون ، من أهم الأسرى الذي افتدوا من طرفهم سنة 1580 الروائي الشهير سرفاتاس Mignel de Cervates.

[775] -وولف ج ، م سابق، ص 215.

[776]ا-لعربي اسماعيل ، العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب و الولايات المتحدة الأمريكية 1776-1816 (. الجزائر، ش.و.ن.ت،)1978، ص31 : "يعرف أعضاؤها بالماثوريين ...، تميزت هذه الجمعية بتقسيم المهام فكانت فروعها بمقاطعات اسبانيا و البرتغال تهتم بافتداء الأسرى من المغرب و فاس و مكناس ، في حين تتولى مقاطعات فرنسا و كتالونيا افتداء الأسرى من الجزائر ، تونس و طرابلس...."

[777] - Grammont , H-De . H .gle .... Op cit , p 134.

[778] - grammont .H Gle ... op cit , P134.

من أسماء القرن 17 م الذين لقوا حتفهم عند زيارة الجزائر و تونس نتيجة الوباء كل من :

François de Foual , Pierre Antoine , Ignas Tavares , Antoine de la Croix.

القنصلية [779] و بوصول بعثة الآباء الأسبان لافتداء الأسرى من مقاطعتي أراغون Aragon و كتالونيا Catalogne يلعبون دورهم في الوساطة للأفراد[780] و هو الأسلوب الغالب.

تعتبر عملية الافتداء صفقة تجارية تتطلب دفع مجموعة من الحقوق و الرسوم ، فعلى كل 10 بوجو* تدفع لخزينة الدولة 1 بوجو أي 10 % على وصل الافتداء Quittance [781] ، و بالنسبة لأسرى البايلك تدفع نفس الحقوق غير أن الدفع لا يكون بالبوجو بل بالريال و يكون تقديم الوصل من قبل أعضاء الديوان للياياباشي و لقائد المرسى.

هناك هدايا إلزامية Etrennes يدفعها رجال الدين و تقدر بألف صائمة** عن كل أسير، و يدفع عن النقود المجلوبة للافتداء 3% [782] كرسم للجمارك ، و يعكس لنا ذلك أن هذه العملية هي فرع من فروع تجارة الإيالة إذ يدفع للبايلك 5 ريال (3ف) و لكل 100 ريال (60ف) و لن تستعمل النقود إلا بعد دفع كل الرسوم ، كما يدل ذلك أيضا على حزم إدارة الجمارك.

و لن تتوقف المستحقات عند هذا الحد بل هناك مستحقات أخرى فللداي 2 ريال من الحجم الكبير عن كل أسير و لخوجة الدفتر و الكاتبين 1 ريال و لقائد المرسى 1/2 ريال و كاتب البحرية 1/8 ريال و يدفع للمترجمين الانجليز و الفرنسيين 1 ريال و لمترجم الباشا 1/8 ريال[783] و بعد الاتفاق على السعر تدفع رسوم أخرى تعرف بحق الباب[784] و هي كالتالي :

---

779 - ACCM , série j , art 1364.

780 - Verrone , ch De la : « un faux captif à Alger en 1728 » R.H.M N° 5 , janvier 1977 , pp 93-94.

*بوجو : يعادل 1 ف و 80 سم ، هي عملة فضية محلية.

781- Devoulx , A, Tachrifat … op cit , p 58.

** الصائمة : تعادل 36 فرنك.

782- Tassy , laugier .op cit , p 174.

783-Ibid , p 168.

784 -Devoulx , A . Tachrifat ….op cit , p 59 :

ورد في التشريفات المزيد من الهدايا التي يدفعها رجال الدين عند الافتداء على كل أسير (اليياباشي 1 ريال ، الروكامجين و هو الكاتب الرابع للديوان 1/4 ريال و كاتب الغنائم 1/4 ريال و للجنود المرافقين المكلفون بالسهر على حراسة رجال الدين المسيحيين أثناء أداء مهمتهم 1/4 أيضا…).

Estry , Stephen . p 113.

- 45 بياسترة تدفع للداي و تعرف بحق قبطان الباشا.
- 4 بياسترة للكتاب الكبار.
- 7 بياسترة لقبطان الميناء.

و لا يجب الاعتقاد بأن نشاط رجال الدين يتم بمعزل عن الهيئة القنصلية إذ كان القنصل الفرنسي هم الحامي غير الرسمي للقساوسة، كان الواجب الأساسي للقناصل الأوروبيين هو الافتداء المباشر للأسرى أو التدخل لدى السلطات الجزائرية نيابة عن المقبوض عليهم من أبناء وطنهم(785)، فهناك وثيقة تحت عنوان "جواز سفر منحه محمد باشا ملك الجزائر إلى مجموع الآباء الترينيتاريين من مقاطعتي الأندلس Andalousie و قشتالة Castille "(786) بتاريخ 1162 هـ الموافق لـ 19 جانفي 1749 ، تبين هذه الوثيقة شروط الافتداء و الهدايا التي يجب تقديمها و تحويل العملات من الاسبانية إلى الجزائرية ، كما أن هناك تنسيق بين رجال الدين و القناصل في إتمام إجراءات الافتداء و الإشراف عليها ، و يظهر ذلك من خلال المراسلات الرسمية للقناصل فعلى سبيل المثال مراسلة 18 سبتمبر 1750 لموثق القنصلية الفرنسية السيد جرمان Jean Baptiste Germain (787) التي تبين دور الهيئة القنصلية في حماية الأسرى و الدفاع عن حقوقهم.

❖ دور القناصل :

لا يتم الافتداء عن طريق رجال الدين فحسب ، بل هناك دور القناصل المباشر في الإشراف على هذه العملية لتحرير بني جلدتهم من قيود و أغلال الأسر، فكل يهتم بجاليته و مواطنيه حسب ما تنص عليه المعاهدات ، فمن ضمن واجباتهم الأساسية حماية الرعايا في الإيالات العثمانية.

قد يتولى قنصل أي أمة مسألة التفاوض من أجل تحرير مواطنيه مباشرة مع الرياس مثل الدور الذي قام به القنصل الانجليزي بتحرير 7 أسرى انجليز بمبلغ 700 بياسترة ،

---

785 سبنسر وليام ، م سابق، ص 131.

786 ACCM . Série E , Art E 54.

787 - ACCM , série j , art , 1381 ://

// يقول الموثق : "علي الاستعلام على العمليات التي يقوم بها رجال الدين من تنظيم الثالوث المقدس و الرحمة ، من أجل إيداع الأوراق الخاصة بتحرير أسرى الداي أو البايلك..."

بالإضافة إلى المبلغ الذي دفعه دارفيو D’Arvieux أثناء تواجده بالجزائر 100 بياسترة لقرصان سالا لتحرير أسير فرنسي[788]. كانت مسألة الأسرى الشغل الشاغل للقناصل بضرورة حماية رعاياهم و يتجلى ذلك من خلال مراسلة القنصل الفرنسي بوم Baume في 28 ديسمبر 1719 [789] الذي وجد نفسه في مأزق بين ضرورة حماية المصالح التجارية بالدرجة الأولى أو فدية الأسرى الفرنسيين مما أضطره إلى الاقتراض من أحد اليهود بفائدة 3% شهريا ، كما افتدى نفس القنصل اثنان من الأسرى الأسبان و طلب في تقريره لنواب الغرفة التجارية بمرسيليا بضرورة تعويضه بـ 125 بيستول Pistoles [790].

كما ورد في تقرير القنصل لنواب غ.ت.م بتاريخ 25 جويلية 1750[791] أنه أنفق 90 بدقة شيك و 5 ثمن من أجل إطلاق سراح فرنسيين أسرا على متن سفينة اسبانية و يعمل أحدهما كطباخ لدى قنصل مالقة Malagua * فيعكس لنا ذلك طبيعة العلاقة بين الإيالة و القوى الأوروبية التي لم تكن تربطها معاهدة سلام مع الإيالة باسبانيا و البرتغال و بذلك كانت سفنهما عرضة للقرصنة. و ما يقال عن دور القناصل الفرنسيين - كنموذج- في الإشراف عن قرب على تحرير مواطنيهم يقال عن بقية قناصل الدول الأوروبية خاصة تلك البعيدة التي لم تكن ترسل بعثات دينية (كانجلترا ، هولندا ، الدانمارك...).

لقد أرسلت انجلترا السيد بريستان Bristan [792] سكرتير الملك كمبعوث ديبلوماسي على رأس أسطول إلى الجزائر للتعاون مع قنصلهم من أجل شراء كل الانجليز في الإيالة ، باستثناء الذين كانوا تحت خدمة دول أخرى ، غير أنه في فترة ملوك الاستوارتيين الأولى لم يقوموا بفداء الأسرى مبررين ذلك بحجة أن إنقاذهم للرعايا الانجليز لا يشجع سوى النهب[793] لدى القرصنة البربرية، أما مع أربعينيات القرن السابع عشر فقد فرض البرلمان

788 - Mémoire d’Arvieux … op cit , p 121.
789- ACCM , série j , art 1875.
790- ACCM , série j , art 21.
791 - ACCM , série j , art 1364.
* مالقة Malagua : ميناء اسباني في مقاطعة الاندلس منطقة مشهورة بانتاج العنب و الزبيب
792 -ACCM , série j , art 1350. تقرير 16 جانفي 1675
793 -وولف ، ج ، م سابق، ص 218.

الانجليزي ضريبة قدرت ب 1% ثم خفضت إلى 0,25 % على تجارة افتداء الانجليز[794] و لم يذهب خلال هذه الفترة سوى بعثة انجليزية واحدة إلى الجزائر لافتداء أسراهم.

نظرا للدور الذي يقوم به القناصل فقد كانوا عرضة للمضايقات، ففي إطار الجهود المبذولة من قبل هذه الفئة ، فقد تعرض القنصل بارو Barreau [795] للسجن لعدة أسباب من بينها إجباره على تسديد ديون التجار ، و بسبب الدعم الذي قدمه إلى آباء الرحمة من أجل تحرير الأسرى ، لقد ساهم هذا القنصل في افتداء 1126 أسير و نقلهم إلى مرسيليا.

و هذه عينة أخرى من رجال الدين و القناصل الذين لعبوا دورا في التخفيف من آلام الأسرى و معاناتهم و ضمان الحصول على مبالغ الافتداء، و في هذا السياق يشيد القس أودوان P.Audoine [796] بالأب لوفاشي Le Vacher و هو يمارس مهامه كقنصل في الجزائر :

Jamais consul n'avait procuré autant

d'honneur au roi , ni servir les intérêts

de France avec autant de zèle….

و هذا نموذج آخر ، عن دور القنصل البندقي السيد كبرياتا Capriata الذي تفاوض مع سلطات الإيالة مباشرة في 12 أوت 1764 [797] و توصل إلى تحرير ثلاثون أسيرا بقيمة 30 ألاف سوكين جزائري* أحضرها إخوة تنظيم الثالوث المقدس (فرع ايطاليا).

و مقارنة بنشاط الدول في تنظيم عملية الافتداء الرسمي ، تأتي الأراضي المنخفضة في مقدمتهم ، إذ يعد البرلمان الهولندي أول سلطة أوروبية تقوم بتنظيم الفداء بعقد معاهدة تنص

---

[794] وولف ، ج ، م سابق، ص 218.

[795]- Plantet , E , consuls de France…. Op cit , p20.

[796]- plantet .les Consules de … op cit , p 45.

[797] -ACCM , série j , art 1383 , objet : consulat d'Alger : Benezet Armeny , chanclier 1762-1767.

تقرير موثق القنصلية أرميني 1762-1767.

*سوكين جزائري : أو السلطاني بمختلف أجزائه اختلف في قيمته و وزنه حسب الظرفية السياسية يزن 1,80غ بقيمة 8,90 ف

على دفع إتاوة[798] و هو عمل اعتبره الانجليز و الفرنسيون مهانة و مدعاة للخجل ، غير أن الهولنديين قرروا شراء الحماية أرخص من فرضها بواسطة السفن الحربية.

أما تحرير الأسرى الأمريكان فلا نجد دورا للجمعيات الدينية بل بدأت مسألة تباحث موضوع الاسترقاق عن طريق المفاوضين و القناصل الأمريكان و ذلك منذ استيلاء الجزائر على سفينتين أمريكيتين سنة 1786 [799] فحل بالجزائر أول مفاوض أمريكي و هو جون لامب Jhon Lamb بهدف إطلاق سراح الأسرى و إبرام معاهدة سلام و صداقة بين البلدين.

غير أن قضية الأسرى الأمريكيين تعود إلى القرن السابع عشر حين استولت البحرية الجزائرية على سفينة الوحدة الأمريكية Unity في 24 جانفي 1680 [800] و أسر من فيها من بينهم هاريس وليام Harris William **.

نظرا لأهمية المسألة بالنسبة لأمريكا و مصالحها التجارية ، إذ يبحر في مياه البحر المتوسط و المحيط الأطلسي ما بين 80 و 100 سفينة أمريكية يعمل على متنها 1200 بحار[801] ، و كانت هذه السفن عرضة للقرصنة المغاربية ، و لم تكن تربط الولايات المتحدة بدول شمال إفريقيا معاهدة الصلح تضمن لها مصالحها.

رغم أن المعاهدات المبرمة بين الو.م.أ و الدول الأوروبية تحوي بنودا تخدم مصالحها مع الجزائر، لذلك أرسلت أمريكا 12 مفاوضا في الفترة ما بين 25 مارس 1786 إلى 3 سبتمبر 1795.

وقعت الو.م.أ مع فرنسا معاهدتين الأولى في 1776 و الثانية في 1778 تنص فيها المادة الثامنة بتدخل فرنسا لدى البلدان المغاربية خاصة الجزائر ، و هناك معاهدة مبرمة بين

798-وولف ج ، م سابق.

799-لويس رايت ، الحملات الأمريكية على شمال إفريقيا.... ن م ، ص 46.

السفينتين المأسورتين هما ماري Mary و دوفين Dauphine تم الاستيلاء عليها في جويلية 1785.

800 -تابليت علي:،« القنصل الأمريكي الأول في الجزائر (1796-1797) جويل بارلو » ، حوليات جامعة الجزائر ، العدد 9 ، ج الأول ، 1995 ، ص 48.

**هاريس وليام : مؤسس ولاية Rhode Islan إحدى الولايات الثلاثة عشر الموقعة على تأسيس الاتحاد الأمريكي في 8 فيفري 1778.

801 -تابليت علي ، القنصل الأمريكي... ، ن م ، ص ص 47-48.

أمريكا و هولندا سنة 1782 ينص البند الثاني عشر على تدخل هولندا لدى الجزائر لصالح أمريكا ، بالإضافة إلى معاهدة 1783 مع بريطانيا التي خصصت المادة العاشرة بتوسط بريطانيا لدى الجزائر ، و معاهدة 1785 مع بروسيا و تخصيص المادة الرابعة و العشرين، و مع اسبانيا معاهدة 1795 [802] و خصصت المادة السادسة عشر لنفس الغرض و بذلك تتجلى أهمية الجزائر بالنسبة للو.م.أ في المجال الدولي.

لقد كان التنافس بين القناصل حتى في مجال تحرير الأسرى و يمكننا أن نستدل على ذلك من خلال الرسالة التحليلية التي بعث بها القنصل الفرنسي سانت أندري J.B.St André في 15 فنديمبر العام 15 Vendémiaire an V بشأن المفاوضات التي قام بها قنصل اسبانيا لتحرير أسرى وهران ، كما يشير إلى مساعي كل من قنصلي أمريكا و نابولي لتحرير أسراهم "و بالتالي و حفاظا على هيبة فرنسا و هيبتي بين القناصل يجب أن نعمل على تحرير أسرانا..."[803] .

❖ تبادل الأسرى :

إلى جانب الافتداء (عن طريق الأموال) بواسطة اليهود و رجال الدين و القناصل هناك أسلوب آخر و هو تبادل الأسرى دون فدية ، فلا يفوتنا أن تحرير الرقيق هو من أولويات الاهتمامات للدول المسيحية و يتجلى ذلك في حجم المراسلات بين القناصل و حكوماتهم ، فهذه مراسلة دارفيو D'Arvieux و في 16 جانفي 1675[804] في إطار إطلاع حكومته بكل ما يجري في هذه الإيالة من نشاط القناصل الآخرين ، و في نفس السياق

يراسل لوفاشي Le vacher حكومته في 20 نوفمبر 1680 [805] مستفسرا عن عدم الرد على مطالب الإيالة بهدف تبادل الأسرى مقابل الأتراك و الجزائريين المأسورين في مدينة

---

802 تابليت علي ، القنصل الأمريكي ... ، م سابق، ص 48.

803 -A/E .CC Alger, 1796-1797 , vol 33.

804- ACCM, série j, art 1350, objet : consulat d'Alger, le chevalier d'Arvieux 1675.

805 - ACCM, série j, art 1351, objet lettre de père le vacher (1675-16) :

- مراسلة 22 ماي 1681.
- مراسلة 6 سبتمبر 1681.
- مراسلة 12 جويلية 1684.

مرسيليا ، و يكرر الموضوع في العديد من المناسبات، إذ نجدها لاحقا في فترة القنصل ماركادي Barthelemy Mercadier [806] الذي يريد استغلال الوضع الجديد في الإيالة و التوقيع على معاهدة سلام مع الإيالة في 1689 من أجل تبادل الأسرى.

لقد أثر هذا التماطل و عدم الاستجابة لمطالب الإيالة على طبيعة العلاقة بين البلدين مما أدى إلى نقض المعاهدة و القطيعة بحجة عدم إطلاق سراح الأسرى إلى الجزائريين و في هذه الحالة يكون وضع القناصل جد حساس إذ عليهم مراعاة مصلحة بلدهم من جهة دون استفزاز الإيالة فذلك يعرضهم إلى صعوبات كثيرة.

ساهم هذا الأسلوب في تحرير العديد من الأسرى ، ففي عام 1755 أطلق سراح 107 من الجزائريين كانوا على متن سفينة حجزتها عمارة بحرية تابعة للبابا[807] مقابل تحرير عدد مماثل من المسيحيين كانوا في الجزائر.

و يمكن أن يطلق سراح بعض الأسرى المسلمين في إطار المجاملة الدبلوماسية لبعض الشخصيات النافذة في الإيالة ، فقد كتب قائد الأسطول الجزائري في 1570 إلى دوق توسكانيا يلتمس منه إطلاق سراح شخص مامي[808] كان أسيرا في مدينة فلورنسا Florence*.

كما نجد أنه بعد عودة سيدي عمر من سفارته من لندن رفقة قائد الأسطول الانجليزي كليفلان الذي جاء بدوره في مهمة محددة[809] ومحملا بالهدايا القيمة للموظفين السامين [810] و مقابل ذلك تم تحرير 13 أسيرا انجليزيا و تكريمه باستضافته للغذاء في حدائقهم.

806- ACCM, Série j, art 1353 :

- مراسلتين : 27 سبتمبر 1689.
- 16 نوفمبر 1689.

807 سلفاتور بونو ، م سابق ص 116.

808 -سلفاتور بونو، ن م ، ص 116.

*فلورنسا : مدينة ايطالية و عاصمة توسكانيا حكمتها أسرة ميدتشي القرن الرابع عشر إلى القرن الثامن عشر

809 - ANP . AE/ B1 130 رسالة 9 ماي 1762

تتمثل مهمته في تزويد الايالة بـ 24 مدفع ،1645 بومبة ، 30 صندوق من البارود.

810- AE/B1 130

تتمثل الهدايا في ساعات دقاقة Pendules ، ساعات ذهبية و فضية و أقمشة فاخرة.

و في نفس السياق نجد أنه عند رحيل القنصل كليرمبولت Clairaumbault عن الجزائر يذكر خليفته بوم Baume أنه أخذ معه خمسة أسرى فرنسيين ليتم تبادلهم بخمسة أتراك :

"و قد غادر في جو من التصفيقات الحارة من قبل عناصر الإيالة و كذلك الأوروبيين خاصة الأسرى..."[811]

كما يجرنا موضوع تبادل الأسرى و تحريرهم إلى تعدد أطراف الوساطة الديبلوماسية ، فقد توسط السلطان المغربي محمد بن عبد الله** بطلب من اسبانيا [812] في شأن تبادل الأسرى مع الجزائر و بعد محاولات عديدة نجح رئيس البعثة المغربية أبو العباس الغزال في المحاولة الثالثة و الذي حضر إلى الجزائر على متن سفينة اسبانية :

"و أنزل من أسرى المسلمين ألفا و ستمائة نيفا، فأخرج
أهل الجزائر من أسرى النصارى مثلهم، ألف و ستمائة
و نيفا أيضا ن و بقي عندهم من أسرى النصارى فضلة
ففداها الاصبنيول بالمال، و انفصلوا و رجع الباشدور
و من معه إلى حضرة السلطان ، و كتب الله اجر ذلك
في صحيفته"[813].

نرى أن أسبانيا استغلت توقيع المعاهدة مع المغرب الأقصى في 1784[814] في محاولتها تطبيع العلاقات مع الجزائر، كما يشير ذلك أيضا إلى حسن العلاقات المغربية - الجزائرية

---

[811] ANP.AE/B1 120
رسالة 25 جانفي 1716

** محمد بن عبد الله : تولى الحكم بعد وفاة المولى عبد الله بن إسماعيل في 1171هـ/1757 و توفي في 1204هـ/1789 عن كتاب الاستقصاء ، ص 9 ، 53 .

[812] الناصري أحمد بن خالد ،كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، الجزء السابع ، تحقيق و تعليق أحمد الناصري،الدار البيضاء : مطبعة النجاح الجديدة ، 2001 ، ص 52 :
كتب طاغية الاصبانيول إلى السلطان يقول : أنه لم يبق ببلادي أحد من أسرى ايالتكم و لم يبق عندي إلا أسرى أهل الجزائر الذين عندهم أسرانا و طلب منه مع ذلك أن يتوسط له عند صاحب الجزائر في المفاداة بينه و بينه ، و كانت أسرى الاصبنيول تزيد على أسرى الجزائر بكثير، و طلب أن تكون هذه المفاداة على يديه أعني على يد السلطان رحمه الله ، الرئيس بالرئيس و البلوط بالبلوط - كلمة فرنسية تعني pilote- و الياكنجي بالياكنجي و البحري بالبحري ، فالبحري بخمسمائة ريال و الريس بألف..."

[813] الناصري أحمد بن خالد ، الاستقصاء...، مص سابق ، (ج7) ، ص 53.

في هذه الفترة، فعندما أرسل محمد الكبير* (باي معسكر) كاتبه ابن هطال التلمساني إلى جبل طارق لشراء الأسلحة حمله رسالة و هدية إلى السلطان محمد بن عبد الله و استوصاه به خيرا[815] فسهل السلطان مهمته إذ تمكن من شراء 250 قنطار من البارود و كمية من الأسلحة، غير أننا نميل إلى أن اسبانيا و ملكها كارلوس الرابع إنما طلب الوساطة المغربية نتيجة للضغط العسكري على وهران : من 1780 إلى 1791 [816] من قبل الباي محمد الكبير.

كما احتل موضوع الأسرى حيزا كبيرا في التفاوض و بنود المعاهدات المبرمة بين الجزائر و الدول الأوروبية و التي تأتي في مقدمتها فرنسا التي عقدت مع الإيالة حوالي 60 معاهدة ، فعلى سبيل المثال لا الحصر معاهدة 1619 [817] التي نصت على التحرير الفوري لأسرى الطرفين و كذلك المادة الرابعة من معاهدة 1684 التي حاول بموجبها المفاوض الفرنسي دوسو Dussault إدخال المعاهدة حيز التطبيق و إتمام السلم مع الجزائر بإطلاق سراح المجذفين في السفن الجزائرية و كذلك الأمر بالنسبة للمعاهدة التي عقدت مع البندقية في جوان 1763 و ما يهمنا هو البند المتعلق بالهبة Don للداي و المتمثل في : "إطلاق سراح الجزائريين مقابل امتناع السفن الجزائرية عن دخول بحر الأدرياتيك"[818].

و لم يتوان ديوان الجزائر في الاحتجاج لدى الدول الأوروبية و المطالبة بالأسرى عن طريق الضغط و التهديد ، فالحرب التي أضرت بالتجارة الفرنسية قبل التوقيع على معاهدة 1619 أجبرت فرنسا على إطلاق سراح أربعين أسيرا جزائريا جاء بهم أخ القنصل دوفياس M.Devias إلى مدينة الجزائر مع بداية 1617 كما تتضح لهجة التهديد في مواقف أخرى

814 بوعزيز يحيى ، وساطة السلطان محمد بن عبد الله بين الجزائر و أسبانيا 1768-1784" . أعمال الذكرى الألفية لتأسيس حاضرة وجدة 1994 (تنسيق أعمال الندوة : المصطفى مولاي رشيد) . ، ص ص 85-86.

*الباي محمد الكبير : 1779-1797.

815 بوعزيز يحيى ، وساطة السلطان...، م سابق، ص ص 87-88 كذلك :
الراشدي ،ابن سحنون ، ثغر الجماني، ن مص ، ص ص 250-251.

816 -بليراوات بن عتو ، معاهدة الصلح بين الجزائر و اسبانيا سنة 1791 ، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية ، العدد 3 ، ص 184 .

817-معاهدة 1619 موقعة في مرسيليا بين سنان باشا و الدوق دوقيز De Guise .

818 - Belhamissi M , les captifs .... Op cit , p 69.

في رسالة سبتمبر 1694 [819] من الداي الحاج حسين إلى السيد دوسو Dussault المبعوث فوق العادة و محافظ الملك.

شكل موضوع الأسرى المحور الأساسي في جدول السفارات باتجاه أوروبا و ذلك ما نستشفه من خلال سفارة محمد الأمين إلى باريس في 1690 [820] و أمام تماطل فرنسا يلح الداي شعبان في مراسلاته على ضرورة تحرير الأسرى و هذا مقتطف من رسالة الداي شعبان إلى الوزير بوتشارتون Poutchartrain في 29 أكتوبر 1691 :

"بعثنا إلى جلالتكم مذكرة بها أسماء و كنيات و علامات إخواننا
المساكين المسلمين ، هم بحوزتكم و عددهم 257 منهم 61 بحار في
سفينة الريس والي الذين أسروا أثناء فترة السلام... و هؤلاء
الواحد و الستين يجب إعادتهم كما أعدنا الأسرى الفرنسيين ، و إنما
التفاوض هو بشأن الباقين و عددهم 196..."[821].

و قد أورد بلانتي Plantet [822] أمثلة أخرى عن المراسلات التي أوردت مسألة تبادل

الأسرى التي يشرف عليها القناصل.

و إذا كانت جل الكتابات و الدراسات الغربية من مؤلفات رجال الدين[823] و قصص الأسرى[824] التي كتبوها بعد عودتهم إلى بلادهم و تقارير الدبلوماسيين [825] و الرحالة[826]

---

819 - Plantet E , correspondance ….T.I , p 94 :
« surtout … donnez vous ….. de venir sans nous emmenez nos gens de guerre , car si vous en venez sans eux, à la fin vous en portez la peine… »

820 - ANP/ Marine B7 214 (levant et barbarie).

821- Plantet E, correspondance…op cit , p 344.

822- Plantet E, correspondance…op cit , p 364 :
رسالة دوسو Dussault الى بونتشارترن في 12 مارس 1692 و إشراف القنصل لويس Lemaire على عملية التبادل.

823 -Dan R.P.H , ministre et supérieur du couvent de la sainte trinité et rédemption des captifs (inédit), paris , 1637.
-de la motte , op cit

824 -Cervantes , de miguel

، عالجت مسألة القرصنة و الاستعباد في شمال إفريقيا التي هي من عمل المسلمين ، كما صوروا حالة البؤس و الشقاء التي يعاني منها هؤلاء ، لكننا لا نجد دراسات حول الأسرى المسلمين في الدول الأوروبية ، فأين هـي مذكرات الأسرى المسلمين بعد عودتهم إلى أوطانهم ؟؟؟ و إن وجدت المادة عن هذه الفئة فهي شحيحة للغاية ، و يستدل بانزاك Panzac [827] في مقاله عن شهادات و نماذج عن ما تعرضت له السواحل الجزائرية من اعتداءات القراصنة المسيحيين.

فهذا اعتراف كونترراس Alenzo Contreras المعروف بصياد الأسرى و الغنائم الذي يفتخر باعتداءاته للسواحل المغاربية و الشرق الأدنى و في هذه العبارة نجده يتباهى أمام قراصنته :

"غنمنا غنائم كثيرة يطول إحصاؤها ، فقد أصبحنا أغنياء..."[828].

و هذا جون راي Jean rey قائد سفينة La ciota الذي جاب السواحل الجزائرية فخطف عشرون شخصا في سنة 1753 [829] و باعهم في أسواق جنوة و استمرت هذه الاعتداءات طيلة القرن السابع عشر من قبل فرسان نظام سان إتيان St Etienne ، نجد هجوم 1607 على عنابة و اختطاف ستون شخصا ، و في 1611 قامت سفن تابعة لنظام المركيز سانت كروز St Cruz [830] بحرق مدينة جيجل و اختطاف عشرات الأشخاص.

-pananti
-Thedenat
825 - Paradis venture .Alger au XVIII° siècle, paris : Ed sindbad , 1983.
-tassy , laugier , op cit
826 -Peysonnel et desfontain , voyage dans la régence de Tunis et d'Alger , paris : Guide , 1983.
-Esquer gabriel , Boutin de kercy , Thainville , reconnaissance des villes , ports et batteries d'Alger (1791-1808) paris, 1927.
-Sharw Dr , voyage dans la régence d'Ager , traduit de l'anglaise par Mac Carthy , (tunis : Ed Bouslama (S.D).
827 Panzac daniel : l'esclavage en méditerranée » , revue cahier de la méditerranée , vol 65 , 2002.
828 -Hubac p , op cit pp 161-162.
829 -Masson paul , les galères de France (1481-1781). paris , 1938 , p 128.
830 Feraud , histoire de Gigeli , p 128.

كما تعرض الجزائريون لأسر و هم في عرض البحر ، فعلى سبيل المثال نجد أن سفينة من نوع بريقانتان Brigantin برئاسة محمد بيبي [831] محملة بالشعير قادته من طرابلس في أكتوبر 1689 حولت عن مسارها و رست في بالما Palame بركابها الأربعة و السبعون بحجة التعرف على الأعلاج و محاكمتهم بسبب ردتهم.

ت- الأسرى المسلمون في البلاد الأوروبية :

خصصت الكتابات الأوروبية حيزا هاما لظاهرة القرصنة ، جعلت منها أساس أنشطة الإيالة ، و حملت الجزائريين مسؤولية التوتر و انعدام الأمن في البحر الأبيض المتوسط. ألا يحمل ذلك طرحا ضمنيا في تبرير التحركات الأوروبية و الأهداف الاستعمارية ضد الجزائر؟؟؟ و تحريض الرأي العام الأوروبي للقضاء على وكر القراصنة ، متجاهلين على أنها رد فعل على الاختناق الاقتصادي الذي عانت منه دول البربارسك أو دول شمال إفريقيا، و ذلك باحتلال سواحلها منذ مطلع القرن السادس عشر كوهران و المرسى الكبير.

و عندما أصبح ميزان القوى لصالح أوروبا تضايقت من البحريات الإسلامية ، و سعت للحد من نشاط القرصنة الإسلامية ، فعلى حد تعبير عبد المجيد قدوري ابتكرت "حق الانتقام" [832] و أصبحت تستعمله لردع قراصنة شمال إفريقيا :

"جوهر هذا المبدأ أن يكون من حق ربان كل سفينة تعرضت سفينته للقرصنة ، أن يستعيد ما ضاع من أية سفينة التقى بها

على أن تكون تابعة للبلد الذي ينتمي إليه القراصنة..."[833].

و ما يؤكد هذا الاتجاه هو الحماية و الدعم الأوروبي لنظام مالطا ، و ما يؤكد ذلك تقرير المسؤول عن مصالح فرنسا في مالطا سنة 1790 :

831- Bennasser Bartholomé , Bennasser Lucile . Les chrétiens d'Allah , l'histoire extraordinaires de renegats XVI°-XVII° siècle , (paris , Ed perrin , 1989) , p 471,478,480.
و هؤلاء الأعلاج هم كل من : Miguel Martos , Allias Robacoles , Lior polze

832-قدوري عبد المجيد ، المغرب و أوروبا ما بين القرنين الخامس عشر و الثامن عشر ، بيروت ، 2000، ص 349.

833 -Coindreau .... Les corsaires de salé , p 14.

"... تجارة مرسيليا تولي اهتماما خاصا بنظام مالطا ، و هو من
أولوياتنا في منع الأتراك من شحن بضائعهم على سفنهم
الخاصة بها ، و إبقائهم تحت تبعيتنا..."[834].

سعت الدول الأوروبية إلى ضرب السفن المغاربية لكسر قوتها البحرية ، لعل ذلك ما يفسر كثرة الحملات[835] على السواحل الجزائرية و بالأخص مدينة الجزائر و ذلك حتى بالنسبة للدول التي تربطها علاقات تاريخية و معاهدات سلم و تجارة مع الجزائر ، فقد شجعت قناصلها في أسواق الأسرى (جنوة ، ليفورن و مالطا) و كلفتهم بالتزود بما تحتاجه من الأسرى بل كانت تحمي القناصل من مزاحمة الأفراد و يتبين ذلك من مراسلة كولبير Colbert لأحدهم :

"إنني أبعث لك بالمرسوم الملكي الذي طلبته و يؤكد
على الفرنسيين شراء المسلمين ، حتى تتمكن من شراء
دوما ما تشتري بأرخص ثمن لمراكب الملك..."[836].

و السؤال الذي يطرح نفسه كيف كانت معاملة هؤلاء الأسرى ؟؟؟ .بالنسبة للأسرى الأوروبيين المادة جد متوفرة ، لكنها شحيحة بالنسبة لأوضاع الأسرى المسلمين في البلاد الأوروبية ، و إنما هي شظايا معلوماتية مبعثرة هنا و هناك يصعب الإلمام بها ، كما يتبادر إلى أذهاننا سؤال آخر و تصعب الإجابة عليه ، لماذا لم يدون أسرانا مذكراتهم بعد عودتهم إلى ديار الإسلام و يصفوا لنا ما عانوه من اضطهاد في ديار الحرب؟؟؟.

عندما تفحصنا ما تزخر به الخزانة الحسنية بالرباط وجدنا في فهرس المخطوطات البعض من السفارات لفك الأسرى ، و ما لفت انتباهي هي ثلاث مخطوطات بعضها محقق :

[834] -Valensi lucette , Le maghreb avant la prise d'Alger , (paris , Ed : Flammarion , 1969), p63.

[835]-الحملات الاسبانية :. 1505, 1509, 1510, 1516, 1519, 1531, 1535, 1541, 1775, 1783, 1741 .
الحملات الفرنسية: 1617, 1664, 1682, 1687, 1688, 1830
الحملات الانجليزية: 1620, 1655, 1672, 1816, 1824
الحملات الهولندية: 1620, 1622, 1624, 1824
الحملات الدانماركية: 1770

- [836]-بلفريج أحمد ، أسرى المسلمين في أوروبا ، مجلة المغرب ، السنة الثالثة ، نوفمبر 1934 ، ص 3.

- رحلة محمد بن عثمان المكناسي إلى أوروبا[837].
- رحلة الغزال[838].
- رحلة محمد الغساني الأندلسي[839] و هو الوزير المغربي الذي أوفده السلطان مولاي إسماعيل* في مهمة دبلوماسية إلى البلاط الاسباني في عهد الملك كارلوس الثاني** و في جعبته مطلبان أساسيان[840] :

- تحرير مكتبة من المخطوطات العربية تقدر بخمسة آلاف مخطوط و هي موجودة لحد الآن في مكتبة اسكوريال.
- إطلاق سراح خمسمائة أسير مسلم في إطار الحروب التي لا تنقطع مع الأسبان[841] فقد طالب مولاي إسماعيل تحريرهم دون تمييز.

و قد نتعرف على أحوالهم من خلال مراسلات بعض الأسرى سواءا مع دايات الجزائر[842] (أنظر الملاحق) أو مع سلاطين المغرب كما ورد في كتاب الاستقصاء أن الأسرى المسلمين باسبانيا كتبوا مكاتب عديدة إلى سيدي محمد بن عبد الله : "يعلمونه بما هم فيه من ضيق الأسر و ثقل الأسر و ما نالهم من الكفار من الامتهان و الصغار و كان منهم من ينسب للعلم و يقرأ القرآن..."[843].

---

[837] - المكناسي محمد بن عثمان ، الإكسير في فكاك الأسير ، تحقيق محمد الفاسي ، الرباط ، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ، 1965 ، مخطوط موجود في المكتبة الحسنية بالرباط رقم 765.

[838] - الغزال أحمد بن المهدي ، نتيجة الاجتهاد في المهادنة و الجهاد ، تحقيق إسماعيل العربي ، الجزائر ديوان .م.ج. ، 1984 .

[839] الأندلسي محمد الغساني ، رحلة الوزير في افتكاك الأسير 1690-1691 ، تحقيق و تقديم نوري الجراح ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر (د.س).

*مولاي إسماعيل : 1672-1723

** كارلوس الثاني : 1690-1691 فترة حكمه.

[840] أحمد المكاوي ، الرحالون المغاربة و أوروبا ، الرباط ، جذور النشر ، 2007 ، ص 12.

[841] -المكاوي أحمد ، الرحالون المغاربة...، ن م ، ص 152.
بلفريج أحمد ، الأسرى المسلمين ....، م سابق، ص 1.

[842]-ACCM série G/ B88 , lettre de juin 1696.

سلفاتور بونو.م سابق ، ص 115.
"نتيجة لأعمال العنف و التعصب كتب خوجة بسجن ليفورن في 1698 إلى داي الجزائر يطلب منه أن يقوم بأعمال انتقامية ضد العبيد المسيحيين الموجودين بتلك المدينة..."
أنظر كذلك قنان جمال . نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830 ، طبعة خاصة وزارة المجاهدين ، ص ص 186-192.

[843] الناصري ، مص سابق، ص 100 (ج4).

لقد عان المسلمون كثيرا في دار الحرب ، ففي اسبانيا كان يباح قتل الأسرى و بيعهم و هتك عرض زوجته أمامه و يذكر لافيس معلومات عن الأسرى المسلمين في البحرية الفرنسية :

"يعطى لهم كل سنة قميصان و سروالان و طربوش من الصوف الأحمر تسمى كسوة الملك L'Habit du roi "[844].

و لا يسمح لهم بلبس النعال و الحذاء إلا لمن اعتنق المسحية. و يرى نفس الكاتب أن المعاملة جد قاسية و لا نجد لها مثيلا في تاريخ الرق.

كما أشار السفير المغربي "الغزال" إلى واقع الأسرى بما فيهم الجزائريون بقرطاجنة، و هو كشاهد عيان عندما قال :

"...هؤلاء الأسارى ضعفاء مساكين و مستفاد ما يخدمون به غير كاف لهم بما يقوتون به أولادهم لغلاء الأسعار ، و مكثوا مدة من السنين في الوهن ، و هم في أشد تعب و ضنك من الأسر المحض..."[845].

كما تزودنا الوثائق الأرشيفية بالمعلومات عن ظروف وقوع الجزائريين في الأسر وسط البحر بتشجيع من الحكومات الأوروبية ، و ذلك ما توضحه رسالة القنصل الفرنسي في مالقة Malgua :

"تعرضت سفينة جزائرية بقيادة الريس بوستانجي متجهة نحو مصر و على متنها 130 راكب لتأدية فريضة الحج من قبل الانجليز..."[846]

و في نفس السياق أسر ثمانية حجاج جزائريين على سفينة انجليزية من قبل قراصنة فرنسيين[847] . و حتى الكتابات المغاربية تشير إلى تشجيع الأوساط الحكومية الأوروبية

---

844 بلفريج أحمد . م سابق، ص 3 .

845 - الغزال أحمد بن المهدي ، نتيجة الاجتهاد...، ن مص ، ص ص 186-187 و في صفحة أخرى 153 يقول :
"لقد وجدت الكثير منهم -أي الأسرى المسلمين- مثقلا بالسلاسل و الأكبال..."

846-ANP .Marine B7/6. 47, lettre du consul de France.

الاعتداء على المسلمين و ذلك من خلال ما دونه لنا بعض سفراء المغرب الأقصى حول تشجيع البابوية :

"...إن رؤساء مالطا ...الذين لهم في إذاية المسلمين... و شاع خبرهم بجميع البلاد ، و حمل النصارى مسيرتهم و استحسنوا فعلهم ... و أعطاهم البابا الإذن في أن يلبسوا الثياب البيض شعارا لهم، ثم سمت حواظرهم بما انعقدت عليه من الخبث ضمائرهم ، بأن يثوروا على المسلمين..."[848].

و بذلك نرى أنه حتى سفن الدول القوية التي تربطنا معها معاهدات سلام لم تحم الحجاج من الوقوع في الأسر، و قد تؤكد فكرة التواطؤ و التنسيق بين الدول المسيحية لضرب البحرية الجزائرية ، فهذه البولاكرة Polacre بقيادة القبطان برتول Claude Bertole تتعرض في 1777 إلى اعتداء من الفوقاطة الاسبانية Vierge Carmes [849] و اقتيدت السفينة الفرنسية و على متنها حجاج جزائريون إلى قرطاجنة بدل من ذهابها إلى الإسكندرية. لقد كان التعاون بين الحكومات الأوروبية سرا و علانية ، فبالاستناد على مقال أ. بلحميسي :

" إن التحالفات الأوروبية حرمت البحرية الجزائرية من رياسها و وحداتها ، ففي 1709 أسر فرسان مالطا سفينة جزائرية و على متنها 650 بحار و 146 أسير مسيحي... بعد معركة بحرية ضارية مات فيها 200 تركي و مسيحي و الباقي وقع في الأسر..."[850].

ث ـ الأسرى المسيحيون في الجزائر :

847- Plantet E , correspondance …. Op cit, p 263. رسالة 30 نوفمبر 1690

848 المكناسي ابن عثمان ، البدر السافر لهداية المسافر لفكاك الأساري من يد العدو الكافر .مخطوط بالخزانة الحسنية الرباط 12523 ورقة 46-47.

849- Plantet E , correspondance….. op cit , pp 349-350.

850 -Belhamissi M « course contre course , on comment les algériens sont tombé dans l’esclavage XVI° siècle » revue cahier de la méditerranée , vol 65, 2002 , p…

وزع الأسرى في الجزائر على مجموعة من السجون أطلق عليها اسم البانيوهات أو الزندانات [851] و يذكر دولا كروا Petit de la Croix على أن عددها أربعة في حين يذكر كورتينة Courtinat في دراسة أن عددها في 1634 كان 6 سجون لينخفض إلى 4 سجون سنة 1675 و لم يبق سوى 3 سجون سنة 1830[852]. و يبدو أن ذلك مرتبط بقوة نشاط البحرية الجزائرية و بالتالي تطور عدد الأسرى.

❖ السجون :

لعل أكبر السجون هو سجن البايلك المعروف بسجن الملك Bagne du roi الواقع بشارع باب عزون[853] و الذي كان من أشهر أسراه باننتي Pananti . يصف كاتكارت* الأسير الأمريكي هذا السجن و شكله المستطيل ، إذ يقدر طوله بـ 140 قدما و عرضه 60 قدما و يتكون من ثلاثة طوابق بارتفاع 50 قدما[854] ، و يدير الأسرى المسيحيون الحانات الموجودة في الطابق السفلي مقابل إيجار و الحصول على رخصة لبيع الخمور و المأكولات، كما سمح لنا وصف كاتكارت بالتعرف على أنواع الآلات الموسيقية[855] التي كانت تعزف الألحان وسط السجن.

السجن الثاني و هو سجن القاليرا و يعرف بسجن المجذفين[856] لأنه كان ينزل به الأسرى الموجهين للتجذيف في سفن البحرية الجزائرية . و يرى الأستاذ تابليت [857] أن معظم نزلاء

[851]- Marcel Emerit . **Un mémoire par petit de la croix** . 1695, p 19.
[852]- Courtinat , op cit , p 50.

[853] -Pananti signor . op cit , p 68 : « it was the great bagno ».
-Plantet E, correspondence …. T.I , op cit , p 123.

*كاتكارت : أمريكي أسر في جويلية 1785 عندما استولى الجزائريون على سفينة "ماريا بوسطن"، أصبح كاتبا في قصر الداي ما بين 1787-1788 و كوسيط بين الداي و القناصل الأجانب حين يعجز هؤلاء عن الحصول على مقابلة مع الداي ، ثم عمل ككاتب في سجن القاليرا لمدة ثلاث سنوات، و من خلال تسييره للحانات أصبح ثريا و بعد اقتداءه أطلق سراحه و عين قنصلا في طرابلس ، ... و من مؤلفاته « the captivs » أنظر مذكرات كاتكارت ، ص 9.
[854]-كاتكارت ، مص سابق ، ص 57 :
يحتوي الطابق السفلي للسجن على حانات تؤجر للأسرى ، كما يوجد وسط السجن بئر يستخرج منها الماء و صهريج يمتد على طول السجن.
[855]كاتكارت ، مص سابق ، ص 57.
من الآلات المذكورة : الدربوكة ، السنيطرة ، قيتارة تركية ، الماندولين و القيتارة الاسبانية .
[856]-كاتكارت ، ن مص ، ص ص 59-60.
[857] -تابليت علي ، الأسرى الأمريكان... ن م ، ص 196.

هذا السجن في أواخر عمر الإيالة هم من الأسرى الأمريكان ، و يتكون هذا الزندان من طابقين كما يحتفظ بهذا السجن في طابقه الأرضي بأقفاص الأسود و النمور.

السجن الثالث هو سجن سيدي حمودة و هو أصغرها ، و يذكر كاتكارت في مذكراته أنه كان يملك به حانة بالإضافة إلى حانته في سجن قاليرا[858] فكان العبيد يديرون الحانة الأولى لحسابه و يدفعون إليه بالمال.

و يجدر الإشارة إلى أن إدارة الخمارات لا تسير إلا من لدن المسحيين كما أشار إلى ذلك الأب دان Dan [859] و بشهادة كاتكارت و هو أسير فإن وضعه المالي جعله في وضع أفضل من رفقائه الأسرى ، حتى أنه كان يخفف عنهم آلامهم ، و ظروف الإقامة فيه أفضل من بقية السجون.

❖ مظاهر من حياة الأسرى المسيحيين بالجزائر :

تصعب المقارنة بين الأسرى المسيحيين في الجزائر و الأسرى المسلمين في الدول الأوروبية المجموعة الأولى كانت أوفر حظا ، و يتجلى ذلك في التسامح الديني و الحرية في ممارسة الشعائر الدينية[860] ، و ذلك من خلال الممارسة العادية كقداس الأحد و الأعياد

الدينية مما أثار تعجب حتى الأسرى [861] أمثال سرفانتس Cervantes*، فقد تمتع هؤلاء بالراحة أو العطلة بمناسبة الأعياد الدينية الإسلامية كعيد الفطر "العيد الصغير" لمدة ثلاثة

858-كاتكارت ، ن مص ، ص 130.

859-المجلة التاريخيـة المغربية ، العدد 107-108 ، جوان 2008 ، ترجمة المؤلف الأب دان ، ص 261.

860 -Temimi Abdeljelil : « Pour une histoire de la grande mosqué d'Alger » , **Revue d'histoire maghrébine , 1980 , p182.**

861 -Yacine T , les bagnes d'Alger d'après Cervantès .

يدعم الأستاذ ياسين فكرته بمقتطف من كتاب سرفانتس و هو حوار بين الأسرى : "أن هؤلاء الكلاب معدومي الإيمان يسمحون لنا بالحفاظ على ديننا و يتركون لنا حرية إقامة قداسنا..." و يمكن العودة إلى :

Cervantes (M. DE). les bagnes d'Alger, traduction Genoun Pierre , paris , Ed Seuil , 1971 , p 48.

*سرفانتس دي ميقال : صاحب رائعة الدوتكوشت ، أسر هو و أخوه رودريقو Rodriguo من طرف الريس مامي أرناووبا ، كانا على متن سفينة الشمس في 26 سيتمبر 1575 ، بقي في الأسر خمس سنوات من 1575 إلى 1580 ، افتداه حد الآباء خوان سيسيل تم تحريره بـ 500 ايكو و من مؤلفاته :

الحياة في الجزائر (La vie à Alger) و سجون الجزائر (les bagnes d'Alger) أنظر :

عمورة عمار . الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962 ، الجزء الثاني ، الجزائر ، دار المعرفة ، 2006 ، ص 232.

أيام بالإضافة إلى تمتعهم بنشاطات متعددة كممارسة التجارة التي تدر على أصحابها أرباحا هائلة[862] كتسيير الحانات.

- ✓ -**الكنائس :**

الامتياز الممنوح للجمعيات الدينية سنة 1551 سمح لهم بإقامة الكنائس داخل أو جوار الزندانات ، و كانت أول كنيسة Iglisia de santa cruz [863] تلك التي أقيمت في السجن الكبير من قبل راهب من جمعية الثالوث المقدس و هو Sebastian del Puerto في حين يذكر وولف بأن المؤسس الأول هو الأب ديبور Duport [864] مع الاتفاق على تاريخ امتياز 1551.

و يبدو أن أكبر الكنائس هي كنيسة سجن الملك التي كانت تحت إشراف رجال الدين الثالوثيين ، لكن بمجيء لوفاشي وضعها تحت إشراف الصليب المقدس[865] تمييزا لها عن كنيسة المستشفى.

و حسب شهادة هايدو Haedo الذي عاش أسيرا في الجزائر (ما بين 1579 إلى 1582) أن الطقوس كانت تمارس بشكل منتظم ، و ذكر أنه وجد 62 راهب وسط الأسرى ، و أن الكنائس كانت تكتظ أيام الأعياد و أعياد الفصح و أعياد الميلاد و عيد الخمسين أو عيد العنصرة Pentcost [866].

و من مظاهر التعايش و التسامح هو سماح مالكي الأسرى لهم بحضور القداس و يرخص للأسرى مرتين في السنة حرية الخروج من السجون لحضور الاحتفالات الدينية[867] فقد كانت هذه المناسبات فرصة لتبادل التهاني و الزيارات بين الأوروبيين

---

862 -المازاري بديرة ، حياة اللهو و خدمات الخمارات و المقاهي و الملاهي في الجزائر في أوائل القرن الثامن عشر ، <u>الحياة الاجتماعية في الولايات العربية</u> ، ص 99.

863-تابليت علي ، الجزائر في القرن السادس عشر ...، م سابق، ص 336.

864وولف جون ، م سابق ، ص 234 ، كما نجد نفس المعلومة عند :

-Tournier le vache. op cit , p 175.

865 - Tournier . Op cit , p 166.

866تابليت علي ، الجزائر في ...، م سابق ، ص 338.

867- Blavin . Op cit , p 38.

الأحرار والأسرى ، بالإضافة إلى تبرعات الأهالي لصالح المؤسسات الدينية من شموع و زيوت الإنارة.

و الملاحظ هو كثرة رجال الدين الكاثوليك و قلة البروتستانت ، لأن أراضيهم كانت بعيدة عن الغارات، و ما يدل أيضا على الحرية في ممارسة الشعائر الدينية أنها كانت تقام بشكل منتظم طوال السنة بالإضافة إلى كثرة الكهنة من مختلف المذاهب المسيحية إذ نجد القنصل الانجليزي يمارس البروتستانتية في الكنيسة المقامة في بيته ، كما وجد باباس Papas يوناني لممارسة الأرثودكسية في أحد السجون[868].

كما قد تحدث مشاداة و مشاجرات بين الأسرى نتيجة المنافسة على من يسير هذه الكنائس إذ يتحدث أرندا Aranda عن الشجار الذي حدث في كنيسته بسجن الديوانة الذي كان يشرف على قداسه أسرى برتغاليين :

"في 15 أوت 1645 بمناسبة عيد Notre Dame (السيدة القديسة) كان الهيكل مزين بالعبارات التالية escaltat humiles et disponit superbos و هي أن الله يرفع المتواضعين و يضع المتكبرين و المتعجرفين"[869] فاعتبرها الأسرى الأسبان أن العبارة موجهة لهم ، فكانت سببا في اندلاع شجار داخل السجن بين الأسرى الأسبان و البرتغاليين، و يبدو أن حقيقة الصراع كانت أكبر من هذه العبارة و يظهر ذلك من خلال الرغبة في السيطرة على تسيير شؤون الأسرى و التنافس بين التنظيمات الدينية، إذ اصطدم لوفاشي Levacher في محاولته الإشراف على مستشفى سجن القاليرا بآباء الثالوث المقدس[870] ، فدام صراعه معهم حوالي عشر سنوات، لدرجة أنهم تخلصوا من وصاية القنصل الفرنسي ليضعوا أنفسهم تحت حماية القنصل الانجليزي[871] و بذلك وضعوا أيديهم على مفاتيح صندوق أموال المستشفيات.

868- Paysonnel . op cit , p 254.
869 - El Hassar – zeghari latifa , op cit ,p 181.
870 - Tournier .op cit , p 167.
871 - Ibid, p 177.

كما كان للمسيحيين في الجزائر (أسرى و أحرار) مقبرة خارج باب الواد[872] حيث يمكن دفن موتاهم بالقرب من المقبرة اليهودية.

✓ **المستشفيات :**

و دائما في إطار المقارنة بين وضعية الأسرى المسلمين في السجون الأوروبية و الأسرى المسيحيين في زندانات الجزائر، نجد أن هذه الفئة كانت تتمتع بوضعية أحسن إذ توفرت لهم المارستانات أو المستشفيات التي لعبت دورا أساسيا و اجتماعيا، فالمستشفى الاسباني كان يمثل اسبانيا على المستوى الدبلوماسي [873] عكس الدول التي كانت لديها تمثيليات أو قنصليات في الجزائر كفرنسا و انجلترا و دول أخرى.

يظهر من خلال المصادر أنه كان بمدينة الجزائر أربع مستشفيات للمسيحيين و لكل مستشفى كنيسة[874] حيث تقام العبادات بكل حرية ، إذ يقام 15 قداسا يوميا تقربا لله ، و الأبواب كلها مفتوحة أمام المسيحيين لا سيما الأسرى ، و يتم استهلاك 20 ربع Arrobes* من الشمع[875].

تتوفر هذه المستشفيات على أسرة ، حلاق و رجال الدين و كذلك ممرض و طباخ أو جراح يؤتى بهم من اسبانيا ، إذ نجد أن آباء جمعية مسا داريان Mercedarians عندما حلوا بالجزائر للمرة الثانية سنة 1724 استقدموا معهم جراح كان المستشفى بحاجة إليه[876].

يبدو أن عدد المستشفيات كان خمسة ، اثنان في سجن الباشا و الثالث في سجن الديوانة و الرابع في سجن شلبي و الخامس يعرف بمستشفى القديسة كاتالينا Sainat Catalina [877]

[872] -دان الأب، مص سابق، ص 261.

- وولف جون ، م سابق، ص 235.

[873] الوسلاتي الهادي ، المستشفى الترينتاري ... ، ص 170.

[874] -Jao . op cit ,p 71.

*الربع Arrobe : قياس اسباني عربي يتراوح ما بين 12 و 15 كلغ.

[875]- Ibid . p 74.

[876] تابليت علي ، الجزائر في القرن 16... م سابق، ص 331.

[877] Berbrougger , A : Charte des … P 136.

و تدفع أجور القائمين عليها من صدقات الأسرى و صدقات الحكومات الأوروبية ، و كان الإشراف عليها و على الصيدليات من اختصاص رجال الدين و الجمعيات الدينية لا سيما تنظيمي الثالوث و الرحمة[878] ، و مثلها كان للجمعيات الدينية دور في افتداء الأسرى ، كان لها دور في إنشاء المستشفيات بهدف التخفيف عن هؤلاء الأسرى لا سيما في النصف الثاني من القرن السابع عشر ، لكن بالاعتماد على هايدو الذي يذكر أنه خلال القرن السادس عشر كان هناك مستشفى واحد و هو الذي أنشأه حسن باشا في 1549 [879] و يبدو أن هذا الماريستان كان خاصا بالمسلمين.

استفاد تنظيم الثالوث المقدس من امتياز 1551 لتأسيس موريستان في السجن الكبير حسب ما أورده الأب سلفستر Silvester ، كما قام الراهب الاسباني بيدرو Pedro de la conception [880] بدور كبير في إقامة مؤسسات علاجية في سجون الجزائر لفائدة الأسرى ، لقد قضى هذا الراهب ثلاث سنوات متنقلا ما بين اسبانيا و العالم الجديد لجمع التبرعات و الهبات المالية لهذه المستشفيات ، في حين يرى بربروغير Berbrugger أن الفضل في إقامة المستشفيات يعود إلى بدرو قاريدو Pedro Guarrido [881] الذي خصص أموال فدية لبناء المستشفيات بدل من تحرير نفسه.

كانت معظم التبرعات تأتي من اسبانيا[882] كما استفادت البعثة المسيحية خلال القرن الثامن عشر و التي تزامن تواجدها في الجزائر مع تواجد بايصونال Peysonnel من الهبة التي تركتها الدوقة ايقيون La duchesse Aiguillon [883] و المقدرة بأربعة آلاف (4000 ليرة) لمساعدة الأسرى في الجزائر و تخفيفا لمعاناتهم.

---

[878] وولف ، م سابق، ص 235.

[879] -Haedo H.De . Topographie et … op cit p193.

حسب هايدو : "يتكون هذا المستشفى من خمس غرف ، اثنان في الطابق السفلي و ثلاث في الطابق العلوي و هو لا يحتوي لا على أسرة و لا أجهزة للمرضى..."

[880] تابليت علي ، الجزائر في القرن... م سابق، ص ص 330-331 :

تتوفر هذه المستشفيات على ممرض ، طبيب أو جراح ، طباخ و صيدلية توجد في السجن الكبير.

[881] -Berbrugger : « la charte des hôpitaux à Alger » , R.A , 1864 , pp 135-139.

[882] -Ernest Marcel , un mémoire par petit de la …. P 19.

[883]- Peysonnel . Op cit, P 253.

استفادت هذه المستشفيات من مساعدات الإيالة و إن كانت بطريقة غير مباشرة و ذلك بإعفائها من الغرامة[884] بالإضافة إلى ما تدفعه السفن الأوروبية عند الإرساء لصالح المستشفى الاسباني ، ففي ميثاق المستشفيات لمدينة الجزائر ، قد أوكل الداي شعبان إلى الأب جوزيف كرالت Joseph Queralt سنة 1551 مسؤولية جمع الضرائب عند إرساء السفن الأوروبية التي تقدم 4 وحدات نقدية لمستشفيات مدينة الجزائر[885] ، كما كانت تتدعم بضريبة تطوعية على البضائع المباعة من قبل التجار الأوروبيين و هي التي أصبحت إجبارية بمرسوم الداي شعبان سنة 1694[886] و تتمثل في ما يلي :

- دفع 2 بيزوس عن كل سفينة مسيحية ترسو بالميناء.
- 2 ريال عن كل نوتين (حمولة) ينزل إلى البر.
- 2 ريال خاص بكل أسير معتوق.
- منح الإيالة للمستشفى 6,5 بيزوس عن كل بوتاث Botas * من الخمر.

يبدو أن نفقات المستشفيات قد ارتفعت بازدياد عدد الأسرى الأسبان خاصة بعد استرداد وهران من اسبانيا ، فقد وصلت النفقات إلى 21.881 ريال في ظرف سبعة أشهر.

و من خلال ما كتبه مونروي Monroy سنة 1612 "أن الأتراك و الجزائريين كانوا غالبا ما يذهبون إلى المستشفى للعلاج..."[887] و مع القرن الثامن عشر زاد تردد الجزائريين على هذا المستشفى للعلاج فيه.

خلاصة نرى أن موضوع الأسر هو موضوع تقارب و تنافر ، فقد تبادلت الأطراف الأوروبية و الإسلامية التهم حول أصول و محاور القرصنة، و إن كان برودل Braudel الذي اتخذ موقفا مغايرا الذي يخلص على أن القرصنة ظاهرة عالمية و ليس نشاط خاص

---

[884] تابليت علي ، الجزائر في القرن... ، ن م ، ص 332.

[885] -Berbrugger ,A . La charte des….. op cit , p 139.

[886] ولف جون ، م سابق، ص 234.

*بوتاث Botas : بمعنى برميل.

[887] ولف جون ، م سابق ، ص 235.

بضفة دون أخرى من ضفاف المتوسط ، لكنها ارتبطت دوما بالظرفية التي نشأت فيها و البيئة التي ترعرعت فيها.

و كأن التاريخ يعيد نفسه بظهور الإسلامفوبيا Islamo-phobie و اتهام العالم الإسلامي بظاهرة الإرهاب ، علما أنه لا جنس و لا لون و لا دين له.

كما احتلت مسألة الأسرى حيزا هاما في علاقة الإيالة بالقوى الأوروبية و ذلك بالتوقيع على المعاهدات و كانت المحور الأساسي للمفاوضات فكانت إحدى محركات العلاقات الدولية ، و إن كان الأهم و الأولى فيها هو المحرك الاقتصادي و الامتيازات التجارية.

2- دورهم في حماية التجارة

لم يقتصر عمل القناصل على رعاية مصالح الرعايا و افتداء الأسرى و إنما هناك ما هو أهم في السياسة الأوروبية الخارجية و هو حماية المصالح التجارية باستعمال كل الوسائل و الأساليب.

يصعب تناول هذا المبحث كعنصر منفرد إذ يتداخل مع مباحث أخرى في إطار المنافسة و العلاقات بين مختلف العلاقات إما عن طريق التقرب عن طريق الهدايا أو اللجوء إلى الدسائس و المؤامرات، فالمراسلات القنصلية تعكس لنا هذا التداخل.

أ - حماية التجارة

ساهم نشاط الحركة التجارية المتوسطية منذ النصف الثاني من القرن 15م بسبب العلاقات مع العالم الجديد في تطور الطبقة التجارية الأوروبية (مؤسسات و رجال أعمال في شكل شراكة تجارية كشركة ديدي Didier و لينش) [888]، إذ دفعت الضرورة إلى البحث عن

[888] -شويتام أرزقي ،«التنافس الدولي في البحر المتوسط خلال القرنين 18-19 و موقف الجزائر منه » ، حولية المؤرخ ، العدد 3-4 ، 2005 ، ص 165.

مراكز تجارية في سواحل شمال إفريقيا إما لاستغلال موارد البلاد أو استغلالها كمحطات توقف لتزويد السفن بالماء و المؤن أو كقواعد عسكرية، و من هنا يمكن القول أن الجزائر تتمتع بهذه المميزات ما جعل الدول الأوروبية تتنافس عليها و يتدعم ذلك بآراء إيتون قنصل الو م أ بتونس : " إن كل ما تستطيع الدول فعله هو متابعة سياسة دفع الجزية مع الجزائر"[889] فكثرت و انتشرت الأساطيل البحرية الأوروبية ، سيطرت فيها الأساطيل الانجليزية على التجارة البحرية ، فرفع تجارها شعار :

"من أجل ضرب الاحتكار بكل الطرق و الوسائل"[890].

فأسست شركات تجارية عالمية (كشركة الهند الشرقية 1600 ، و الشركة البربرية أو كما عرفت بشركة الشرق Levant compagny 1585 [891] ، لتخرج هولندا (الأقاليم المتحدة) و دول جديدة لتزاحم انجلترا في البحار من خلال إتباع نفس الأسلوب و تأسيس الشركات (شركة الهند الشرقية الهولندية 1619) توسع نشاطها في وقت وجيز مما جعل البعض يقول عنها "بأنها أصبحت لا تعرف حاجزا و لا يعرف حدودها إلا العلي القدير"[892].

لن تبقى فرنسا مكتوفة الأيدي أمام الدول المزاحمة لها تجاريا ، إذ تظهر فرنسا بمشروع كولبير وزير لويس Louis XIV خاصة في الفترة 1662-1683 و المتمثل في تأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية ، فكان وراء تكوين الأسطول الحربي المتكون من 276 سفينة و عرف عهده بالنظام الكولبيري Colbertisme [893] المبني على القوة السياسية و العسكرية و الاقتصادية و الذي يتحدد بما للدول من أموال و بالتالي ضرورة الحصول عليها مهما كان الثمن باسم المركنتيلية.

---

[889] رايت لويس . الحملات الأمريكية ... م سابق ، ص 142 .

[890] قدوري عبد المجيد ، المغرب و أوروبا ... م سابق ، ص 292.

[891] -Geodfrey , op cit , p

[892] -قدوري ، المغرب و أوروبا ... ن م ، ص 292.

- فكاير عبد القادر ،« علاقات الجزائر مع هولندا خلال الفترة العثمانية » ، مجلة المواقف ، العدد 1 ، 2007 ، ص 188 : منذ 1585 أصبحت أمستردام مركز الحياة الاقتصادية الهولندية عندما انتقل اليها التجار من مدينة أنفارز Anvers في 1598 انطلقت ثمانون سفينة هولندية نحو عدة وجهات.

[893] -Harsin paul , Doctrine monétaire et financières en France du XVI° à XVII° Siècle , paris , 1929 , pp 11-15.

سعى هنري Henri IV ا حفاظا على مصالح فرنسا في شرق الجزائر، إلى تنشيط آلية الدبلوماسية المتمثلة في شخص سفيره بالقسطنطينية السيد برافز M. Breves الذي ينجح في تجديد معاهدة الامتيازات سنة 1604[894] غير أن ديوان الجزائر لم يحترم الاتفاق الفرنسي – العثماني ، إذ في نفس السنة يتعرض الباستيون للتخريب.

ما يبين أهمية الباستيون بالنسبة لفرنسا هو كثرة المبعوثين و المفاوضين ما بين فرنسا و الإيالة أو ما بين فرنسا و الباب العالي للحصول على المزيد من الضمانات لامتيازات فرنسا بالشرق و الجديد المطروح في معاهدة 07 جويلية 1640 من قبل المفاوض جون باتست دي كوكيل Coqueil هو تحصين الباستيون في البند الثالث من المعاهدة المذكورة[895] :

"و يسمح له بإقامة مبان في هاذين المكانين : باستيون مسكاريس وفي الرأس الحمراء للدفاع عن نفسه ضد الأجفان الاسبانية و فرقاطات سارديبيا و ماجوركا ومينوركا ... أو بسبب مطاردة الأعداء لها و من أجل الدفاع عن نفسه كذلك ضد الأهالي العصاة"[896].

منحت معاهدة استغلاسابقل الباستيون تسهيلات واسعة للفرنسيين باحتكار تجارة بعض المواد و ترخيص الإيالة ببناء مساكن و مخازن لإيواء العمال أو تخزين السلع و المرجان. كما سمح لهم في البند الرابع في نفس المعاهدة "أن يبني نقطا للحراسة عند مدخل الموانئ". و تشير المعاهدة إلى نقص المادة الوثائقية المتعلقة بالباستيون ما قبل 1640 بسبب التخريب الذي تعرض له حصن فرنسا و ذلك ما ورد في البند الواحد و العشرين :

"بسبب الخراب الذي حاق بالباستيون ، و ضياع السجلات
و الإيصالات و كل وثائق المعاملات التي كانت تجري مع

894- Degen Maddy , Le Bastion de France , Algérianiste , N° 17 , mars 1982 , p 20.
895- Deggen Maddy. Op cit .p20
896 قنان جمال، معاهدات الجزائر... م سابق ، ص 273.

تجار مدينتي بونة و القل ، فإن المتعهد معفى و بريء الذمة
من كل تعهد وقع في الماضي مع تجار المدينة"[897].

من خلال رصد هذه البنود يمكن استنتاج الخطر الكبير على الجزائر من خلال هذه المعاهدة إذ تتملص فرنسا و تتهرب من أي تجاوزات أو أخطاء أو التزامات في الفترة السابقة للمعاهدة.

لم تستنكر فرنسا لدور قناصلها التسع و الخمسين الذين توالوا إدارة مصالحها في إيالة الجزائر من 1580-1827 ، فبعد الاحتلال تكريما لجهودهم حملت العديد من الشوارع و الأحياء أسماءهم كشارع دوفال في القصبة ، شارع القنصل بيول بباب الواد ، و لم تنسى فرنسا حادثة القنصل لوفاشي و بيول إذ نقلت المدفع الملقب La Consulaire أخذ إلى برست Brest من قبل الأميرال دوبري Duperré [898].

حاولت الدول الأوروبية حماية مصالحها التجارية عن طريق قناصلها باستغلال الامتيازات التي طبعت العلاقات العثمانية – الأوروبية و التي تحصلت عليها في فترات زمنية مختلفة ، و التي ترى فيها أ. بلعربي أنها جعلت من الموانئ العثمانية و إيالاتها مفتوحة أمام التجارة الغربية [899] و التي تجسدت في التوقيع على العديد من المعاهدات غير المتكافئة بين الطرفين عمليا.

اختلفت درجة رعاية مصالح الأمة من قنصل إلى آخر فهذا القنصل مارتان Martin الذي استطاع كسب ود العناصر النافذة في الإيالة لدرجة أن منافسه التاجر بويتال Bowtell يذكر في مذكرة اتهاماته أن مارتان أصبح عضوا في ديوان الإيالة [900] ، لدرجة أنه أثار إعجاب منافسه دارفيو D'Arvieux الفرنسي رغم كبريائه فاعترف بأنه كان يتمتع بكفاءة وكياسة دبلوماسية.

---

897 قنان جمال ، معاهدات ... ، ن م ، ص 276 عن :
ANP / Marine B7 520.

898- Boulard , les consuls … op cit.

899 -Belarbi Louba : « le régime libéral des capitulations le cadre juridique de l'expansion du capitalisme européens dans le marché de l'empire ottoman au 19° siècle » , Cahier maghrebin d'histoire , N° 7 , juin 1990 , p 87.

900 -Fisher , op cit , p 330.

كما تمكن نفس القنصل بسبب العلاقات التي تربطه بالداي رغم إعلان الحرب مع انجلترا في 1677 من إطلاق سراح أحد التجار الانجليز و ترحيله إلى لندن و هو طوماس سلاواي Thomas Slawey و الذي سيحمل الرسائل إلى ملك انجلترا ليخبره بإعلان الحرب.

حرصت انجلترا على حماية مصالحها و علاقاتها مع دول شمال إفريقيا لا سيما الجزائر و ذلك ما نستشفه من خلال المرسوم الملكي في 22 أكتوبر 1628 الذي يأمر بحارته بعدم مضايقة البحارة و السفن الجزائرية ، التونسية ، التطوانية و السلاوية [901] ، و بعد هذا التصريح الرسمي من انجلترا في احتفاظها بعلاقاتها مع هذه الدول ، و يتجلى ذلك في الاستقبال الحسن و الوداع الخاص الذي حظي به سفير الجزائر إلى لندن من قبل الملك شارلز.

ازداد هذا الاهتمام مع أربعينيات القرن 17م و اتساع نشاطها التجاري مع موانئ جديدة في الإيالة كعنابة[902].

لكن الغريب هو ظهور حزب معادي [903] لدول شمال إفريقيا في مجلس النواب الانجليزي و الذي يطالب بشن حرب على كل قراصنة شمال إفريقيا ، اقترح البعض إرسال أسطول ضخم لسلب و غنم أي سفينة بربرية في حين اقترح البعض الآخر فرض حصار طويل عليها . يبدو أن انجلترا وسعت نطاق هذا الحزب المعادي إلى تحالف دولي مع المدن الايطالية ، ففي ماي 1641 وصل السفير البندقي إلى لندن يحمل في طيات أوراقه الموافقة بالسماح للسفن الانجليزية بحصار سواحل البربرسك (شمال إفريقيا)[904] بغرض التضييق عليها و نهب كل السفن الآتية منها أو المتجهة إليها.

غير أن منطق القوة – كما أشرنا سابقا – خلال هذه الفترة لا يمكن إلا أن يضر بمصالح انجلترا التجارية ، و هي تدرك ذلك خاصة و أنها خسرت ما بين 1629-1636 (53 سفينة انجليزية) هو ليس بالرقم الهين ، و لنا بذلك أن نتصور حجم الخسائر إذا ما

901- Fisher. Op cit , p 276.
902- Fisher. Op cit ,p 279.
903 -مثل هذا الاتجاه المعادي كل من : روي Roe ، بول بندار Paul pindar ، وولستهولن John wolstenholn.
904 -Ibid , p 282.

استمرت الحرب البحرية التي دفعت بالملك شارلز إلى إصدار مرسوم ملكي lettre patente في 1646 يسمح بجمع التبرعات من كل الكنائس لأهداف خيرية بهدف افتداء الأسرى بعدما ارتفع عددهم في سجون الإيالة.

كما يمكن الإشارة و في نفس السياق إلى تلك الضريبة التي فرضت في انجلترا و المعروفة بضريبة الجزائر « impôt d'Alger » [905] يذهب ريعها إلى افتداء الأسرى أو لتغطية نفقات الحملات الموجهة إلى المشرق و بلاد شمال إفريقيا.

لم تتوان الدول الأوروبية في استعمال كل الوسائل و الأساليب لحماية تجارتها حتى و إن كان تزويد الإيالة بالمعدات الحربية عن طريق التهريب كما فعل الانجليز و مقابل ذلك رفعت الإيالة عن المواد المهربة الرسوم الجمركية ، إذ نجد أن الشركة الانجليزية نشطت في التهريب مما أثار انزعاج منافسيها و يذكر بيول Piolle [906] في مذكراته أنه وصلت إلى ميناء الجزائر في 03 جويلية 1687 سفينة محملة بالمدافع.

في نطاق التوسع التجاري ، لم تكتف فرنسا بمراكزها التجارية على الساحل الشرقي، إذ فكرت في توسيع نفوذها ، في أن تكون لها قاعدة بحرية بشكل دائم و يتجلى ذلك في مشروع لويس Louis XIV .

من خلال حملة الدوق بوفور Le Duc Beau fort على مدينة جيجل [907] في23جويلية 1664 حملة باءت بالفشل بفضل شجاعة الحامية التركية رغم قلة عددها و تعبئة الأهالي لصد الهجوم ، و استمرت المقاومة أسبوعا كاملا بالإضافة إلى وصول الإمدادات من مدينة الجزائر[908] و كلمة (جيجري) Gigery عند الفرنسيين أي جيجل هي رمز للعار حتى قيل فيها :

---

905 - Fisher. Op cit, p 282.

906 -AE / B I 116 (mémoire de piolle).

907 -شويتام أرزقي ، دراسات و وثائق ، م سابق، ص 78.

-Roy J. J. E , histoire de l'Algérie depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours , tours , 1859 , p 141.

908 -قنان جمال ، معاهدات الجزائر ... ، ن م ، ص 77.

خسر بوفور Beau fort 1500 قتيل و 500 أسير و كل المدفعية و المعدات عن : ANP / Marine B7 49

"... الأطفال يقذفوننا بالحجـارة و الرجـال و النساء يهددوننا
سوى بجيجري ، إنهم يقولون و يكررون : إياك و جيجري
فإن الرؤوس تقطع هناك بالمناجل و هذه العبارات يترنمون
بها في شكل أغنية يرددونها باللغة الفرنكاوية و بلغة البلاد...
يجب أن ترى سخرية الأسبان التي لا تحتمل في الواقع..."[909].

يدخل مشروع الحملة في إطار التوسع الفرنسي على سواحل الإيالة و كذلك في إطار التنافس الفرنسي – الانجليزي حول المراكز التجارية خاصة بعدما تمكنت انجلترا من السيطرة على طنجة المغربية – البوابة بين المحيط و البحر المتوسط – بعد الزواج السياسي بين ولي عهد انجلترا و أميرة البرتغال.

تنافس أصبح على أشده مع بداية القرن 18م ، خاصة أمام التفوق الانجليزي و سيطرتها على جبل طارق سنة 1704 ثم ماهون ، و بعد إنهاء حرب الوراثة الاسبانية و التوقيع على معاهدة أوترخت Utrecht في 11 أفريل 1713 [910] التي تمنح ميورقة لانجلترا ، فما كان على فرنسا إلا أن تعمل على التقرب من الجزائر أكثر من أي وقت مضى، خاصة و أن أوروبا عرفت شتاءا قاسيا خلال سنتي 1708-1709 برد قضى على الحبوب قبل نمو السنابل مما أدى إلى ارتفاع أسعار القمح فتراوح قمح بلاد المغرب ما بين 25 و 29 ليرة في فترة ماي و سبتمبر 1709 ليرتفع إلى 30 ليرة في فترة أكتوبر إلى جويلية 1710 [911] قساوة هذا الشتاء ضربت التجارة و الإنتاج الصناعي الأوروبي ، فحتى مصانع الصابون في جنوب فرنسا تأثرت فكان عليها أن تضمن استيراد الزيوت من شمال إفريقيا (تونس ، طرابلس و الجزائر)[912] .

---

909 -قنان جمال ، نصوص و وثائق ... م سابق، ص 133.
شويتام أرزقي ، التنافس الدولي ... ، م سابق، ص 169.

910- Shefer Charles . Mémoire historique sur l'ambassade de France à constantinople , par le Marquis de Bonnac publié avec un précis de ces négociations à la porte Ottomane. (paris : Ed Ernest leroux , 1893) p XVIII.
الدول الموقعة على المعاهدة : الولايات العامة ، هولندا ، بريطانيا ، دوق سافوا و البرتغال.

911 -Miège ,Louis. Les céréales en méditerranés . Histoire économie , Anthropologie. Actes de la table ronde de la chambre de commerce de Marseille. Rabat , 1994, p 69, 76.

912 -Carrière Charle. Richesse du passé Marseillais . le port mondial au XVIII Siècle . Marseille , 1979 , p 48.

من خلال الاطلاع على وثائق غ.ت.م الخاصة بالشركة الملكية الإفريقية في مجموعة (L) بمختلف أعدادها يتبين دور القناصل و الموثقين و مدراء المؤسسات في حماية مصالح فرنسا التجارية لا سيما فاليير Valliere و العمل على حل المشاكل التي كانت تواجهها المؤسسات الفرنسية ، لنا مقتطف من إحدى مراسلاته إلى الدوق براداان Duc de pradin في 06 فيفري 1765 :

"قمت بعدة مساعي مع الداي من أجل حل مشاكل المؤسسات المتعلقة بتوقف شراء الصوف من عنابة و طلبت منه ضرورة توجيه أوامر صارمة لباي قسنطينة من أجل احترام معاهدة الامتيازات للمؤسسات الفرنسية ، على أن يعطيني رسالة توصية تسلم مباشرة للباي دون المرور بكاتبه الذي يعرقل نشاطنا..."[913].

و بعد ثلاثة أشهر يشيد القنصل في رسالة له في تاريخ 14 ماي 1765 ، بأنه تمت الاستجابة لمطالب مدير الشركة الملكية السيد أرميني Armeny [914] ، خاصة بعد زيارة الباي لمدينة الجزائر في إطار أداء الدنوش الكبرى ، و تقديم الهدايا و استعادة تجارة الصوف التي تحتاجها مصانع منطقة البروفانس Province.

توحدت جهود أرميني مدير الشركة الملكية مع موثق القنصلية الفرنسية السيد جرمان Germain في فترة سابقة من أجل استعادة تجارة الأصواف المهددة من قبل الانجليز و السويديين التي يشحنونها من مينائي ستورة و بجاية [915] ذلك باستغلال كل الفرص المتاحة خاصة الهدايا للباي وحاشيته.

يبدو العمل حثيثا في حماية التجارة الأوروبية لا سيما تلك التي تتمتع بامتيازات تجارية في استغلال موانئ الشرق [916] و حرصهم الشديد على تجديد و تثبيت المعاهدات المبرمة لا

[913] ACCM ,Série L III art 313 , objet : compagnie royale d'Afrique , lettre de J-A vallière.
[914] ACCM , Série L III art 313.
[915]- ACCM , Série J , Art 259 , objet : compagnie royale d'Afrique (lettre de J. B Germain agent à Alger 1749-1751).
رسالة 10 أكتوبر 1749.
[916] -تتمثل هذه الموانئ في : القالة ، القل ، عنابة ، ستورة.

سيما تلك الخاصة (بالتجارة) كما أكد القنصل فالبير Valliere في رسالة إلى نواب غ.ت.م أنه :

"لن يدخر جهدا في حماية مصالح الشركة الملكية الإفريقية"[917].

تجسيدا لعمله تم إقرار المعاهدة الخاصة بالباستيون الأولى سنة 1767 بمساعدة مايفرن Meifrum وكيل الشركة الملكية في تاريخ 10 جوان 1768[918].

و يذكر وكيل الشركة الملكية أنه أخذ على عاتقه و هو في مدينة الجزائر أن القنصل فالبير حمل أعباء التكفل و الإنفاق على أسيرين (323 بطاق شيك) تركهما في عهدته الحاج عمر و هو صهر باي قسنطينة (لأنه كان على سفر نحو أزمير) [919] ، هذه الخدمات و إن كانت تبدو ثانوية لكنه يسعى من ورائها إلى تحقيق التقرب من عناصر بايلك الشرق.

كما يؤكد موثق القنصلية إستوان سيالف Astoine Sièlve *أنه سيعمل جهده بمعية القنصل لاستعادة مكانة المؤسسات باستغلال مساعدة الخزناجي عند قدوم باي قسنطينة إلى مدينة الجزائر و المطالبة بالحصول على 806 قفيز من القمح[920].

السباق كان عموما بين القناصل في حماية مصالح الأمة التجارية بإبعاد كل من يشكل خطرا على مصالحهم ، فهذا دوكارسي De kercy يشرح لحكومته كيف أنه نجح في إبعاد اليهود و بعض الأجانب (ذوي العلاقات مع باي قسنطينة) عن تجارة الحبوب ، و قد وعده الداي بأنه سيكاتب هذا الباي - صالح- ليمنعه من بيع الحبوب للأجانب غير الفرنسيين [921] ، من بين اليهود الذين حظوا بثقة باي الشرق دارمون ماردوخي Mardochee Darmon الذي كان في خدمة الباي إبراهيم منذ 1772.

---

917 -ACCM , Série L 4 art 259 , objet : compagnie royale d'Afrique , lettre de valliere 7 avril 1767.

918 -ANP / Marine B 7 538.

919 -ACCM , Série L III art 259 : رسالة مايفرن 30 أوت 1768

*إستوان سيالف : عين موثقا في القنصلية الفرنسية بالجزائر في 1 ماي 1790 خلفا للسيد باري و هو في ذات الوقت ممثل للوكالة الإفريقية.

920 Devoulx , A. La régence d'Alger … p 250.

921 -ACCM , Série L III art 315 : مراسلة 13 ماي 1784

في أكثر من مناسبة حققت سياسة الهدايا التقارب مع العناصر النافذة في الإيالة حماية للمصالح التجارية للدول الأوروبية – كما أشرنا إلى ذلك في عنصر سابق – أو تسهيلا لتجديد المعاهدات و ذاك ما نلاحظه من خلال توصيات موريباس Maurépas للقنصل دوران Durand في 10 ماي 1724 :

"من اللائق تقديم هدايا إلى الداي الجديد (شراشف) و كذلك لباي وهران تسهيلا لمهمة السفن الفرنسية لشحن البضائع من موانئ بايلك الغرب ..."[922].

سيطلب القنصل فاليير موافقة وزير الشؤون الخارجية دي فورقاس Deforgues [923] بضرورة تخصيص الهدايا للداي بمناسبة انتقاله إلى منزله الجديد على غرار ما فعله بقية القناصل ، لا سيما و أن ذلك استعدادا للتوقيع على معاهدة 1793.

لقد مرت فرنسا ما بين 1793-1794 بمرحلة عصيبة إذ كان عليها مواجهة قوى التحالف المعادية للثورة الفرنسية ، كما كان عليها مواجهة المعارضة الداخلية و الأكثر وطأة هو نقص المواد الغذائية ، فكان على فرنسا أن تحمي و أن تضمن التموين من الجزائر، و ذلك بإيفاد مبعوث و هو دوشي لتنظيم عملية شراء الحبوب [924] ، و تمكن المبعوث الفرنسي بمساعدة القنصل النجاح في مهمته إذ نجح في الحصول على تسهيلات لشراء الحبوب و المواد الأخرى التي كانت فرنسا في حاجة إليها بالإضافة إلى قرض (50.000 قرش اسباني لتسديد ثمن مشترياته) [925] و إعطاء الفرنسيين جوازين جزائريين لتأمين نقل هذه الحبوب إلى فرنسا.

تكفلت الوكالة الإفريقية 28 أوت 1794 [926] بتنظيم الخدمات المستمرة لهذه السفن ، كما تقرر بموجب قرار المؤتمر الوطني 27 بلفيوس العام الثاني[927] تحديد ألوان العلم الفرنسي

---

922 ACCM, Série J , Art 1881 , objet : commerce de Barbarie , Alger affaires diverse 1620 -1728.

923 -AE / B I 120 : رسالة وزير الخارجية إلى القنصل فاليير 19 أوت 1793 تتمثل الهدايا في زوجين من الستائر الفاخرة.

924 -قنان جمال ، معاهدات ... م سابق، ص 187.

925 -قنان جمال ، معاهدات ... ن م ، ص 188.

926- Garrot H , H. Gle ... op cit , p 599.

927 -Ibid.

الجديد (الأزرق- الأبيض- الأحمر) و قد أعلم الداي بهذا التغيير من خلال رسالة المواطن دي فرقس Defergues وزير الشؤون الخارجية إلى الداي سيدي حسن :

"إن ممثلي الأمـة الفرنسية ارتأوا تغـيير الرايـة الفرنسـية ،
إننـي مكلف من الحكومة الجمهورية بإعلامكم بهذا التغيير
لكي لا يحدث أي خطأ بين السفن الفرنسية و الجزائرية..."[928].

كان القناصل في سباق مع منافسيهم و مع الزمن أيضا من أجل حماية المصالح التجارية فقراءة أولية لرسالة القنصل الفرنسي بتاريخ 30 ترميدور العام الخامس V تعكس لنا ذلك :

"إذا أقيم البيـت التـجاري اليهـودي تحـت ستار بيت جنوى،
إن وهـران ستغلـق فـي وجوهنا ، و عليـه يجـب أن نسبـق
اليهود هذه السنة و ذلك بشراء أكبر كمية ممكنة من الحبوب
المتوفرة في وهران..."[929].

لم يدخر القناصل جهدا في التقرب و كسب ود و صداقة الإيالة لدرجة أن انجلترا حاولت إدراج الجزائر في الصراع الأوروبي من خلال إحداث القطيعة مع فرنسا ذلك أثناء فترة الحروب النابوليونية ، فقد حاول القنصل الانجليزي استعمال ورقة تحالف فرنسا مع اسبانيا الأمر الذي يشكل خطرا على الجزائر خاصة بعد التوقيع على معاهدة كامبو فورميو[930] ، ألح القنصل في إثارة مخاوف الداي على أن أنظار فرنسا تتوجه نحو الجزائر، و وعده بأن حكومته من جهتها ستسانده بإرسال سفن حربية معبأة بالمواد الحربية [931] المهم هو الوصول إلى إعلان الجزائر القطيعة مع فرنسا.

إن حماية المصالح التجارية للدول الأوروبية خاصة الدانمارك و السويد كانا وراء تعطيل توقيع الو م أ لمعاهدة الصلح مع الجزائر فهما تعتبران التجارة الأمريكية تهديدا دائما لمصالحهما الخاصة إذ أن جزءا رئيسيا من تجارة الدانمارك يتألف من "السمك القديد" الذي

---

928 -Plantet, E , correspondance T II , op cit , pp 438-439.
929 -ACCM , Série J , Art 1372.
930 -قنان جمال ، العلاقات الفرنسية .. م سابق ، ص 74.
931 -قنان جمال ، العلاقات ... ن م ص 75.

كان يلقى رواجا في أسواق أوروبا الجنوبية و لم يتقبلوا مزاحمة تجار الأسماك "النيو انجلنديين" new england[932] .

لم تقتصر المساعي على مستوى الإيالة ، بل طرحت مصالحها حتى على مستوى الباب العالي من خلال دور السفراء في الأستانة خدمة لمصالح دولهم في الجزائر بالحصول على تعهدات و التأثير من أجل الضغط على ديوان الجزائر و ذلك ما نستشفه من مراسلة السفير الفرنسي قوفي Choiseuil gouffier من القسطنطينية في 30 سبتمبر 1789 [933] و أرسل لذلك الغرض حسين أفندي زاده سعيد باي إلى الجزائر.

أصدق مثال لدور القناصل في حماية المصالح التجارية الانجليزية ما قام به القنصل بلانكلاي Blanckley منذ أن وطأت أقدامه الجزائر، الذي تجسدت مهمته الأساسية في استرجاع الانجليز لمكانتها في الجزائر، ساعدته الظروف التي وصل فيها إلى الجزائر و هي فترة الفتور بين الجزائر و فرنسا بسبب امتناع هذه الأخيرة عن تقديم الهدايا الإلزامية [934] كما رفض الداي أحمد مطلب فرنسا في اعتبار النابوليين رعايا فرنسيين و الأمر الذي أصدرته سلطات فرنسا [935] باحتجاز بضائع الجزائريين بفرنسا.

نجح هذا القنصل في الحصول على احتكارات تجارية في الحلول محل فرنسا بشرق الإيالة و الحصول على ما عجز عنه سابقيه منذ نهاية القرن 16م (1580) و فشل مسعى أول قنصل انجليزي جون تيبتون J. Tipton [936] ، لأنه لم يكن لفرنسا أن تتنازل عن مؤسساتها و احتكاراتها ، فالقنصل المحظوظ الذي يصل في الظروف المناسبة و يمكن القول أن بلانكلاي خدمته ظروف بداية القرن 19م .

---

932 رايت لويس ، الحملات الأمريكية ... م سابق، ص 141 .

933- ACCM , Série J , Art 1875 :

« Malgré les obstacles multiples devant moi , pour le désir de troubler les utiles opérations d’un commerce qui existe la jalousie de nos rivaux , j’ai obtenus messieurs de la porte ottomane les preuves les plus certains des sentiments qu’elle conserve à la nation française ».

934- Devoulx A , les archives du … op cit , p 144.

935 - Plantet E , correspondance T II, op cit , pp 508-513.

936 -زكية الزهرة ، م سابق ، ص 53.

حين عرضت الاحتكارات الفرنسية على القنصل الانجليزي بهدف إعطاء دفع جديد للعلاقات الجزائرية – الانجليزية ، تمكن هذا القنصل من سحب البساط من تحت أقدام الفرنسيين، و لو كان بمضاعفة مبلغ الإتاوة لديوان الجزائر، فقد منحت الامتيازات للانجليز ابتداءا من 02 جانفي 1807 مقابل 50.000 قرش اسباني ما يعادل (2715000 ف) عن كل سنة لمدة 10 سنوات[937].

بذلك يكون القنصل قد نجح في حماية مصالح بريطانيا و ضمان تموين قاعدتها العسكرية لمدة عشر سنوات ، لقد أتت معاهدة جانفي 1807 أكلها في الحصول على ما تريده إذ تم شحن من ميناء أرزيو 400 بقرة و 70000 قفيز من القمح باتجاه جبل طارق سنة 1814.

ب- المنافسة التجارية :

يشكل مبحث التنافس التجاري بين القوى الأوروبية محور العلاقات الدبلوماسية و الاقتصادية ، فهناك تداخل و لا يمكن فصل المصالح التجارية عن الأساليب و الأدوار الدبلوماسية الأوروبية . كانت الامتيازات Capitulaiton 1535 الأرضية لهذا التنافس و التي حرصت الدول المعنية بها الحفاظ عليها بشتى الطرق و الوسائل (كإبرام المعاهدات أو عن طريق الدسائس).

فبناءا على معاهدة الامتيازات [938] و التحالف الفرنسي – الجزائري سمح للتاجران المرسيليان طوماس لنش و كارلان ديدي Carlin didier بالاستقرار في الجزائر و تأسيس ما يعرف بالباستيون Bastion de France [939] و تكوين شركة لصيد المرجان [940] دون أن نتجاهل تجارة القمح حتى أن الصراع التجاري اصطلح عليه في المتوسط بحرب القمح :

---

937 -الزبيري العربي ، التجارة الخارجية ... م سابق، ص ص 231-323 عن :
ACCM , dossier Algérie avant 1830 , Marseille 1807 :
جاء في رسالة والي مصب الرون Bouche du Rhône إلى نواب غ.ت.م : "علمت أيها السادة أن داي الجزائر انتزع من البوم صيد المرجان و تجارة الحبوب التي كانت تقوم بها مؤسساتنا ، و أعطى هذه الامتيازات لانجلترا ...".

938 -ANP / (معاهدة)

939- Dan P , op cit , p 60.

940 -مهمة دفتري رقم 35 ، حكم رقم 314 ، صحيفة 122 ، تاريخ 986 : //

"... تجارة القمح تفتح المجال لسلسلة من التسهيلات
و الأفضليات ... وسيلة لصنع الامتيازات ، قد يخلق
المآسي بسبب فيضانات الشتاء أو جفاف الصيف ...
و تحدث تقلبات في الأسعار..."[941].

أمام هذه الامتيازات الأحادية ، دخلت انجلترا مجال الاستغلال للامتيازات بعد توقيعها لمعاهدة الامتيازات مع السلطان العثماني مع أواخر القرن 16م (1578)[942] حيث سمحت لتجارها بالتردد على شواطئ الجزائر.

أثارت الامتيازات الفرنسية و الانجليزية و المحطات التجارية على سواحل الإيالة اهتمام دول جديدة ستدخل حلبة المنافسة ، ألا و هي هولندا التي تزامن توسعها التجاري و البحري مع حربها مع اسبانيا ، ستبدأ محاولاتها بوصولها إلى شواطئ شمال إفريقيا مع 1590 [943] فقد حاولت منذ القرن 17م إجراء اتصالات متكافئة مع دول شمال إفريقيا 1604 مع الجزائر، 1610 مع تونس و 1626 مع طرابلس الغرب :

كان مشروع هولندا يهدف إلى فتح موانئ شمال إفريقيا أمام الملاحة الهولندية ، لكن هناك ما هو أهم و هو حماية سفنها المرتبطة بتجارة الشرق الأقصى (طريق الحرير و التوابل) . و إبرازا لحسن نواياها و رغبتها في الصلح مع إيالة الجزائر و دول شمال إفريقيا ، أفرجت هولندا في 1605 عن عدد من الأسرى المسلمين المغاربة [944] و ذلك أثناء تحرير مدينة سلوس الهولندية من يد الأسبان ، لكن شراء سلام مع الجزائر يكلف غاليا (عن طريق الهدايا) و قد توصل مجلس الأمة (فيجانت ده كايزار wijnant de keyser 1616)[945] إلى تعيين قنصلا و ممثلا لهولندا في الجزائر.

// "تقدم الكفرة الفرنسيون بعرض حال للحصول على إجازتنا الهمايونة ... بشأن السماح لهم بصيد المرجان ... حيث سبق للكفرة الجنويين كانوا يصطادون المرجان هناك من ذي قبل و عليه فقد أمرنا : حال وصوله السماح للكفرة الفرنسيين بصيد المرجان... و عدم التعرض لهم في سبيل ذلك شريطة عدم إقامة أي قلعة ... و شرط أدائهم ضريبة العشر على المرجان الذي يصطادونه " ترجمة محمد داود التميمي.

941 -Braudel F, la méditerranée … T II , p 269.

942 -Fisher G , op cit , p 169.

943 -نيقولاوسن فان دام ، م سابق، ص 50.

944- نيقولاوسن فان دام ، ن م ، ص 50.

945 -فكاير عبد القادر ، علاقات الجزائر مع ... م سابق ،ص 196.

لم تكن الجزائر بعيدة عن مسرح الأحداث بأوروبا من تباعد أو تقارب ، إذ كانت تتأثر به من قريب أو بعيد ، لا سيما الحروب التي عرفتها خلال القرن 17م و 18م كالحروب الأوروبية [946] ، ما نتج عنها التوسع و التفوق الانجليزي و احتلالها لمواقع إستراتيجية لاتخاذها كقواعد عسكرية إستراتيجية فقد احتلت انجلترا جبل طارق في 1704 و هي نفس السنة التي أقامت بها فرنسا نيابة قنصلية Vice – consulat في وهران أثناء الاحتلال الاسباني ، إذ عين نائب قنصل من قبل قنصل أليكانت Alicante بعد توحيد التاجين الاسباني و الفرنسي بعد اعتلاء فيليب Philippe V العرش [947] ، و بعد الإستراتيجية الفرنسية واضح و هو الوقوف في وجه المنافسة الانجليزية ، فوهران تحتل مكانة متميزة في الحوض الغربي للمتوسط في تصدير الحبوب ، فبعد تحرير وهران الأول سنة 1708 [948] صدر الانجليز نحو جبل طارق ما بين 7000 و 8000 طن من القمح، و في ذات الوقت انعكس إيجابا على الجزائر من خلال تنشيط المبادلات التجارية للموانئ الجزائرية[949].

أدركت الإيالة هذا التنافس باستغلالها هي الأخرى نقطة التنافس بين القوى الأوروبية في تحرير أسراها و إن كنا قد تطرقنا إلى هذا العنصر سابقا – في مبحث الافتداء – فقد استغلت الإيالة نقطة الضعف في العلاقات الفرنسية الانجليزية للمطالبة بأسراها ، و ذلك ما نستقرأه من خلال رسالة الداي الحاج شعبان إلى الكونت بونتشارترن Pontchartrain في 29 أكتوبر 1691[950].

---

946 -حرب الثلاثين سنة : 1618-1648 أنظر :
الساحلي خليل ، الصراع بين قراصنة تونس و الجزائر و البندقية في القرن السابع عشر ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 4 ، جويلية 1975 ، ص 105 .
حرب السبع سنوات : 1757-1763 التي أثرت سلبا على العلاقات الفرنسية الجزائرية ، إذ تراجعت الملاحة الفرنسية لصالح التوسكانيين و الراقوزيين.
Emerit , M . Essai d'une … op cit , p 367.

947- Fisher , op cit , p 374.

948- Ibid :
في 1708 تلقى قائد قواتنا للبحرية تعليمات تتمثل في أن أكبر الخدمات التي يمكن أن يقدمها لبلاده هي تأمين الحصول على الحبوب من الجزائر التي تحتاجها قواتنا و تعرقل فرنسا في الحصول عليها ...".

949 -العربي الزبيري ، التجارة الخارجية ... ، ن م ، ص .

950 -ANP / Marine B7 214 (Levant et Barbarie) :
Les anglais nous font part de leur amitié , et la raison pour laquelle nous les traitons bien… le général de la flotte anglaise amena à l'improviste à Alger tous les Turcs qu'il avait pris et en fit présent au

نظرا للعداوة التقليدية بين القوتين ، سمح لويس الرابع عشر للبحارة الجزائريين باستعمال ميناء برست Brest * كقاعدة لضرب السفن الانجليزية و الهولندية [951] من خلال مراسلة ساينلي Seigneley إلى الداي الحاج شعبان في 30 أكتوبر 1689.

هذه الأهمية دفعت بالمفاوضات إلى الأمام بين الأطراف المنافسة (فرنسا ، انجلترا ، هولندا) و التي كانت تسعى جاهدة إلى كسب ود عناصر الإيالة لضمان التموين و لضرب مصالح المنافسين لهم ، و هذا ما يمكن استخلاصه من إحدى مراسلات القنصل دوران Durand إلى وزير البحرية بونتشارترن Pontchartrain : يطلب فيها المزيد من الهدايا تكون في مستوى الهدايا التي يقدمها القنصل الانجليزي[952] .

دون أن ننسى العشرية الأولى من القرن 18م (1701-1710) و العسيرة بالنسبة لفرنسا ، إذ كان الجنوب الفرنسي يعاني القحط و المجاعة و هي الفترة التي كانت تباشر فيها شركة هيلي 1701-1713[953] – التي جاءت على أنقاض عقد الانجليز لاستغلال القالة ما بين 1684-1694– [954] فقد حذر أعضاء الشركة بأقصى العقوبات في حالة عدم احترام المصلحة الوطنية و يتجلى ذلك من خلال مراسلة المراقب العام إلى محاسب البروفانس في 29 جوان 1709 :

"بما أن الشركة لم تعد تقدم أعمالا ايجابية في ما يخص
القموح ، يجب إبلاغ مسيريها أنـه فـي حالـة الاشتباه أو

---

divan. Il demanda quartier et la paix … même l'année passée cinq de nos algériens , s'étant sauvés des galères de Rouen abordèrent en Angleterre. Le prince orange les fit habiller en cap et leur donna deux cent écus pour faire leur voyage. Et les huit vaisseaux de guerres anglais qui vinrent à Alger et les y amenèrent et nous les remirent entre les mains. أنظر كذلك

-Plantet , correspondance … T I , op cit , pp 356-357.

*برست Brest : ميناء فرنسي على المحيط الأطلسي في مقاطعة بروتاني Bretagne و هي اليوم قاعدة عسكرية.

951 -Plantet , correspondance … op cit , p 179.

952-Ibid , p 380.

953 -Masson paul , H , des … op cit , p 263.

954 -Garrot H , la colonisation maritime … op cit , p 121.

اكتشاف تحويل القمح نحو مناطق غير البروفانس ، ما
عليهم إلا انتظار أقصى العقوبات..."[955].

إلا أن الربح جعل أعضاء الشركة لا يلتزمون بالتعليمات و ذلك من خلال تصدير القموح خارج منطقة البروفانس كالتي صدرت إلى اسبانيا من قبل مديرها شافينو Chavignot[956] و هذا ما أثار مخاوف المسؤولين في مرسيليا.

يبدو أن السباق كان عموما من أجل الحصول على حبوب الإيالة لا سيما من غرب الإيالة مع انجلترا خاصة بعد تحرير وهران من الأسبان سنة 1708 ، فقد نجح بايكو [957] بمهارة من انتزاع صفقة تصدير الحبوب نحو المحطات الانجليزية (جبل طارق و ماهون) و ضياع الفرصة على فرنسا.

كل تقارب فرنسي بين الجزائر و انجلترا هو مصدر قلق لفرنسا ، و ما يعكس لنا ذلك هو حجم المراسلات القنصلية حول المنافسة الحادة التي تتعرض لها مصالح فرنسا في الجزائر عبر مختلف المراحل ، هذه مراسلة كليرومبولت Clairaumbault إلى وزير البحرية و هو يتفق مع من سبقه.

"إذا أرادت فرنسا تعكير جو العلاقات الجزائرية -
الانجليزية ، ما عليها إلا أن تزيد من حجم الهدايا
و هو نفس ما تقوم به انجلترا في مضاعفة الهدايا..."[958].

سيشتد التنافس وطأة بدخول قوى جديدة إضافة إلى القوى السابقة ستبحث عن مجال لربط علاقات مع الإيالة ، ذلك بعد 1725، ليتدعم بتوقيع السويد على معاهدة سلم سنة

955 -Romano , op cit , p 34.
956- Ibid , p 34 :
"يجب اتخاذ إجراءات ضد هذه الشركة لمنعها من بيع القموح خارج مارسيليا ، لتكون وسيلة نافعة وقت الحاجة..."
957 -Fisher G , op cit , p 375.
958 -Plantet , correspondance ... T III, p 36.

1729[959]، فكان ذلك خطرا على مصالح دول أخرى لا سيما من كان لديها مؤسسات في شرق الإيالة و المساس بمبدأ الأفضلية في احتكار تجارة القمح[960].

اشتكى القناصل الفرنسيين من نظرائهم الانجليز و لم يستطيعوا مجاراتهم حتى في تقديم الهدايا إلى الدايات و كبار الموظفين ، إذ يكتب القنصل الفرنسي لحكومته :

"...كانت هدايانا دائما قليلة مقارنة بما قدمه القنصل الانجليزي حيث قدرت هديته بـ 500 بياسترة (قرش)..."[961].

بالإضافة إلى أن انجلترا و قناصلها لم يلتزموا بالبراءات البابوية [962] إذ استمرت في تزويد الإيالة بالمواد المحظورة المتمثلة في المواد الحربية و يطالب القنصل بوم Baume في رسالة 25 جويلية 1719 باريس بضرورة وضع حد لانجلترا :

"... يجب منع الانجليز من تقديم البضائع المحظورة على الفرنسيين ، و باستعمال السفن الفرنسية ... فالانجليز يتقدمون على حسابنا ..."[963].

ما يلاحظ في علاقات الجزائر مع دول أوروبا هو ازدياد حجم المنافسة كلما دخلت قوى جديدة هذه الحلبة مع أواخر القرن 18م و بداية القرن 19م (اسبانيا ، الو.م.أ و البرتغال) لا سيما تلك التي فقدت مستعمراتها في العالم الجديد ، فانجلترا ألقت بكل ثقلها فأقنعت الجزائر بضرورة الهدنة مع البرتغال [964] و بذلك فتح المجال أمام البحرية و القرصنة الجزائرية في المحيط الأطلسي.

959- Panzac Daniel , les corsaires barbaresques … op cit , p 33.

960- ACCM , Série L III Art 85 (1756-1776) Alger et Tunis :
رسالة 30 سبتمبر 1773 : ... تم الاستيلاء على كميات من القمح من قبل اليهود الجزائريين و المهربين الذين رخص لهم الداي عملية الشحن... و كتبوا من ليفورن أنهم ينتظرون شحنة من قمح عنابة أي حوالي 5000 قفيز ...".

961 -Grammont H , De , correspondance … p 120.

962 -Ibid pp 154-155.

963 -Belhamissi M, Alger ville … op cit , p 73

964 -شويتام أرزقي ، التنافس الدولي في المتوسط ... ، م سابق، ص 174.

بعد أحداث الثورة الفرنسية الكبرى ، نشطت القنصلية الفرنسية في الجزائر للحصول على ما يمكن الحصول عليه من القمح المتوفر في الإيالة لسد حاجيات فرنسا أمام التحديات الجديدة ، إذ نلاحظ السعي الحثيث للقنصل دوكارسي De kercy من خلال مراسلته في 10 أكتوبر 1789 التي يشير فيها إلى التقرب من سلطات الإيالة [965] بهدف الحصول على أكبر كمية ممكنة من الحبوب و إبعاد الأطراف الأخرى ، ففي هذه الفترة حسب تقرير نفس القنصل أن الجزائر سمحت لحوالي خمس إلى ستمائة سفينة من صقلية و نابولي بصيد المرجان في سواحلها خاصة في موسم الصيف و بذلك سيطر الايطاليون على أكب كمية من المرجان [966] ، و لم يتمكن موظفو الشركة الإفريقية إلا بصعوبة من ملء صندوقين بالمرجان الجيد لتقديمه للداي [967] كما هو معمول به ، فلا يمكن عزل التجارة عن السياسة و لا عن العلاقات الدبلوماسية الأوروبية فقد حاولت انجلترا جاهدة من خلال مساعي قنصلها إحداث شرخ بين الحكومة الفرنسية و الداي :

"... إن القوة المتواجدة هنا ، تدفعنا باسم الصداقة أن نخرق
معكم المعاهدات التي تربطنا و نعلن عليكم الحرب ..."[968].

لما فشل مسعاها لجأت إلى أسلوب آخر ، المتمثل في وساطتها لإبرام صلح مع البرتغال حتى يتسنى لبحريتها منع وصول الحبوب الآتية من الضفة الجنوبية إلى موانئ فرنسا.

تميزت انجلترا بالنفس الطويل بعد مساعي و مؤامرات على المدى الطويل إذ تمكنت من افتكاك جوهرة فرنسا على سواحل إفريقيا و هي امتياز استغلال المؤسسات بالسواحل الشرقية ، إذ أصبحت سيدة الموقف مع 1807 و احتكارها لاستغلال المرجان ، كما تحصلت

965- ACCM , Série L III art 86.

966 -Poirret Abbé , voyage en barbarie **ou lettre Barbarie** .(Paris : Ed Sucorme, 1980).p 18.

967 -بنور فريد ، المخططات الفرنسية تجاه الجزائر ، ص 82 عن :
Raynal G ,T .Histoire philosophique et politique des établissements et du commerce des européens dans l’Afrique septentrionale T II 1816 , p 95.

968- Plantet , correspondance … T II, p 445.

شركة انجليزية سنة 1824 على حق استغلال المرجان في كل السواحل الجزائرية (حتى الغربية) مقابل إتاوة سنوية تقدر بـ 10000 قرش قوي بالإضافة إلى 100 رطل من المرجان [969] من النوعية الرفيعة بقيمة 80 قرش للرطل كهدايا للإيالة ، و ذاك ما اعتبره الفرنسيون اغتصابا لحقوقهم ، و تكون انجلترا قد وجهت ضربة قوية للمصالح الفرنسية كنتيجة أغلقت الورشات الفرنسية [970] ، في حين تضاعفت الورشات في المدن الايطالية (نابولي ، جنوة و غيرها) ، كما كانت لها علاقات مع مختلف مناطق العالم عن طريق اليهود.

لم تتخل فرنسا عن فكرة التوسع التجاري خلال القرن 19م ، فقد اقترح القنصل الفرنسي دوفو Deveaut في 1815 :

> "إقامة مراكز تجارية تابعة للشركة الإفريقية في غرب الإيالة و لا سيما بوهران التي ستكون ذات أهمية بالغة لفرنسا ..."[971].

ج - آفاق التوسع التجاري و البعد الاستعماري :

❖ التوسع التجاري

ارتبطت حماية المصالح التجارية الأوروبية خاصة (الفرنسية و الانجليزية) بالتوسع التجاري عبر مختلف موانئ الإيالة و استغلال إمكانيات الإيالة سواءا من قبل التجار أو المؤسسات ، فكان على القناصل الإشراف على حماية هذه المصالح و إقامة نيابة للقنصليات في أهم المدن كعنابة و وهران ، و تظهر آفاق التوسع التجاري تماشيا مع التوسع الرأسمالي الأوروبي بهدف الحصول على كميات متزايدة مما تنتجه الإيالة[972] من خلال تحقيق توسعات جديدة تضاف إلى امتيازاتها بشرق الإيالة [973] ، و البيوتات التجارية في

---

969 -Playfair … op cit , 1879 , p 461.
970- Garrot, la colonisation … op cit , p 126-128.
971-ACCM, Art J 1880, Objet : Commerce de Barbarie
972 -Fisher, G. op cit … p 374.
973 -الزبيري ، العربي. التجارة الخارجية ... ، م سابق

عاصمة الإيالة [974] و التوسع نحو الغرب في وهران التي تتمتع بمكانة متميزة في حوض البحر الأبيض المتوسط و تصدير الحبوب لا سيما بعد تحرير وهران و حصول بريطانيا على امتيازات خاصة بها.

فكيف لهذه القوى أن تهمل هذه المنطقة ، فحبوبها تمون مناطق الجنوب الفرنسي ، و ميناء التفريغ مرسيليا وكذلك بالنسبة للمرجان الذي يوزع من مرسيليا باتجاه المدن الأوروبية [975] حيث توجد معامل صقل المرجان.

تتجلى المشاريع التوسعية التجارية الفرنسية خاصة في القرن 18 م إذ يستمر التواجد الفرنسي في وهران حتى أثناء الاحتلال الاسباني الثاني 1732 تحت حماية نيابة القنصلية الفرنسية و يتجلى مشروع فرنسا التوسعي في غرب الإيالة من خلال مشروع بيار برات Pierre prat [976] لصيد و استغلال المرجان الأحمر بالسواحل الغربية فكان من الضروري التنسيق مع القنصل العام بمدينة الجزائر من أجل الحصول على اعتماد من الداي ؛ فتم اكتراء المقرات و المخازن بمستغانم لاستغلالها لغرضين : لصيد المرجان و القيام بعمليات المبادلات التجارية مع سكان المنطقة تحت إشراف باي معسكر أو خليفته.

تريد فرنسا من خلال آفاق التوسع أحداث تفوقها في المنطقة خاصة اتجاه الانجليز الذين مثلت لهم موانئ غرب الإيالة محطة توقف أساسية لطرقها التجارية و لتموين قواعدها العسكرية. كما أن التوسع الفرنسي تجاريا لا يقتصر على بايلك الغرب فحسب بل امتد إلى مناطق أخرى : إلى منطقة القبائل و ذلك حسب ما ذكره ماصون Masson :

[974] -ACCM. Série M.Q .1/13 .

طلب التاجر باري Paret من غ.ت.م رخصة الإقامة بالجزائر و الإشراف على البيت التجاري إيني L'ainé.

-ACCM. Série J. Art 1878 :

رسالة الكونت موريباس من فرساي بتاريخ 21 سيتمبر 1742 إلى نواب غ.ت.م : "تلقيت رسالتكم في السابع من هذا الشهر و أوافق على منحكم رخصة الإقامة للسيد بول paul مسير شؤون ليوتو Liautaud التاجر المرسيلي ..."

- ACCM . Série J. Art 1875.
- ACCM . Série J. Art 1884.

أفراد عائلة جيمون Gimon و علاقتها مع مؤسسة الإخوة بورتوري la porterie.

[975]- Masson , P. H. des ….. op cit , p 584.

[976] -Pestemaldjoglou , A. Le consulat d'Oran … op cit , p 222.

"كوكو التي يطلق عليها المرسيليون إسم كوك ،مملكة صغيرة بعيدة عن الجزائر يرتادها الكثير من البروفانسيين و التجار المرسليين ، يقومون بنشاط تجاري لا بأس به ... تجارتهم الأساسية تتمثل في الحبوب و الزيتون، الزيت و العسل ..."[977].

منطقة بهذه الإمكانيات ، تشجع الطموح الاستعماري و الرغبة في التوسع لدى الكثير من القوى و في مقدمتها فرنسا ، و يظهر من خلال تقرير غ.ت.م و مراسلة وزير البحرية في 1789 لاقتناعه بفكرة التوسع و استغلال إمكانيات الإيالة :

"إن الدلائل و المؤشرات تبين أن تجارة الجزائر ستكون ذو أهمية ، إذ لها إمكانيات ضخمة ستؤدي إلى إيقاظ الشعوب التي تسكنها ، و الدليل على ذلك هو قدوم العرب و اليهود إلى مرسيليا لبيع بضائعهم..."[978].

❖ البعد الاستعماري

لم تخف الأوساط الأوروبية نواياها و أبعادها الاستعمارية ، من خلال سياستها التوسعية تجاريا لا سيما فرنسا ، و ذلك من خلال المشاريع التي تكشف عنها تقارير القناصل بضرورة احتلال الجزائر، التي ترتبط حتما بالخسائر التي منيت بها فرنسا من جراء حروب لويس الرابع عشر و النفقات التي أرهقت الخزينة ، مما جعلها تتمسك بمؤسساتها و امتيازاتها في إيالات شمال إفريقيا التي أصبحت تعتبر"مستعمرات تجارية"[979] لاسيما القالة ،عاصمة الامتيازات الإفريقية إذ قدر بها عدد الفرنسيين المقيمين في 1780 بـ 224 شخصا بالإضافة إلى 265 من الصيادين (80 منهم كورسيكيين و 185 بروفانسيين)[980]

977- Masson , P. H. des Etbls.... Op cit , p 315.
978 -ACCM. Série J. Art 20 . (cahier manuscrit de la chambre de commerce).
979 -Charle , Roux. op cit , p 211 :
كان بها منزل لمدير المؤسسات و آخر للمفتش ، مستشفى ، كنيسة ، مقبرة ، مساكن لصيادي المرجان ، طاحونة ، فرن ، قصابة ، ورشات ، مخازن و إسطبلات و كان للقالة حاميتها العسكرية تظم (80 جنديا).
980- Masson ,P. Marseille ... op cit , pp 132-133.

تتوفر هذه المستعمرة الصغيرة حتى على مستشفى [981] بالإضافة إلى كنيسة و مساكن و حتى حامية يصل عددها إلى 80 جندي[982] .فأصبحت فرنسا تعطي لنفسها الأولوية و الأحقية في التعامل معها.

مع أواخر القرن 18م تدخل إسبانيا مجال المنافسة متأخرة فقد تخلت عن سياستها العدائية بمجيء فلوريدا بلانكا Florida Blanca و التوقيع على معاهدات مع الإيالة لأول مرة سنة 1786 الخاص بحرية التجارة في سواحل الإيالة [983] ، فقد حاولت إسبانيا الاستقرار اقتصاديا بالسواحل الغربية بدلا من حالة الحرب الدائمة التي كلفتها الخسائر المادية و البشرية.

لقد أقام الإسبان بيتا تجاريا في أرزيو و هو بيت Barbarie et Rigal دون ترخيص من الداي مما تسبب في مشاكل بين الجزائر و إسبانيا فمنع الداي بيع الحبوب للإسبان[984].

فتكفل القنصل الإسباني لاس هيراس Las Heras [985] بضرورة حماية مصالح التجار الإسبان من خلال إعادة النظر في المعاهدة ، فقد اهتم رجال المال الإسبان بالسوق الجزائرية لوفرة الإنتاج و القرب من إسبانيا ، فقد عوضت إسبانيا جنودها في وهران و المرسى الكبير بتجارها لتثبت أقدامها ، و يتدعم موقفها بشركة كامبانا Campana التي كانت امتيازاتها أوسع من الامتيازات الفرنسية في الشرق ، عمل كامبانا نائب القنصل الإسباني بوهران على تحقيق أهدافه ، فقدم إلى وهران في 29 فبراير 1792 حيث استقبله الداي محمد الكبير[986].

---

981 -سعيدوني ، ناصر الدين . دراسات و أبحاث ... م سابق ص 125 : "المستشفى الفرنسي بحصن فرنسا بالقرب من القالة تشرف عليه الوكالة التجارية الفرنسية...".

982- Charle , Roux. Op cit . p 211.

983 -Delinguila , Louis cara. Les espagnols en Afrique . les Relation politiques et commerciales avec la régence d'Alger de 1786 à 1830 Thèse pour le Doctorat 3° Siècle , université de Bordeaux III , 1974 p 32 : « Todos los negocientes espagnoles en puertos y costas des Reyno de Argel ».

984 -فكاير عبد القادر ، آثار الاحتلال الإسباني على الجزائر خلال العهد العثماني (10-12هـ/ 16-18م). رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث. جامعة الجزائر ، 2008-2009 . ص 282.

985 -Delinguila Louis.op cit, p 35.

986- Dellinguila, op cit, p 66 :

قدم كامبانا إلى محمد الكبير و حاشيته هدايا بقيمة 50.000 ريال بيون ، و كذلك هدايا إلى الداي و 19 من حاشيته بقيمة 120.000.

لم يكتف كامبانا بالمحطة التجارية بل أقام مشروع مصنع الصابون في وهران فكان هذا تنفيذا لسياسة فلوريدا بلانكا Floride Blanca الإفريقية و تشكيل نواة مستعمرة اسبانية تظم حرفيين إسبان (60 عامل يعملون في مجال البناء) لإعادة بناء المدينة بعد الزلزال.

كما أن الأوساط الفرنسية لم تخف أبعادها الاستعمارية إذ تكشف تقارير القناصل عن رغبتهم في الإيعاز و دفع الحكومة الفرنسية إلى احتلال الجزائر، هذه الأطماع التي تعود جذورها إلى المشاكل ذات الطابع المالي المتراكمة على فرنسا و التي تعود إلى الخسائر التي عرفتها فرنسا منذ حروب لويس الرابع عشر Louis XIV و النفقات الكبيرة التي أرهقت الخزينة الفرنسية ، فسياستها اتجاه شمال إفريقيا بالأخص الجزائر بعد حرب السبع سنوات تطبيقا لمشاريع كولبير و من جاء من بعده ، فتواجدها بهذه المنطقة جعلها تعتبر الإيالات مستعمرات تجارية[987] ، فهي تعطي لنفسها الأولوية و الأحقية في التعامل معها ، و في فترة لاحقة يكشف القنصل دوكرسي De kercy عن الخطة التي يمكن إتباعها لاحتلال الجزائر :

"إذا جاء أي تقسيم لتركيا ، يسهل الاستيلاء و الحفاظ عليها ، و سيكون ما نستولي عليه مصدرا للثروات ..."[988].

يأتي هذا التقرير تأييدا لما ذهب إليه القنصل لومير Le Maire في تأييده للنظرية الاستعمارية من خلال مراسلاته منذ العقد الأول من القرن 18م من خلال الدعوة إلى الهجوم و استعمال القوة ضد الجزائر : "إن ثمن الإبقاء على 07 أو 08 فرقاطات ذات 56 أو 70 مدفعا لن يكون أكثر من الثمن العادي في الإبقاء على الأسطول البحري ، و في نفس الوقت يجعل البحارة يتدربون و يجلب الاحترام لأعمال الملك فمن الواضح أنه كان ممتعضا من القوة البحرية الجزائرية ..."[989].

الأوساط المرسيلية لا تتردد في الاختيار بين مصر و الجزائر، و مع 1830 تكشف لنا البعد الذي يتخذه احتلال الجزائر و اتخاذها منطلقا لتوسعات جديدة ، و لهذا البعد التوسعي

---

[987]- Fisher, G. op cit, p 378.
[988] -Masson, P. Marseille … op cit , p138.
[989]-Masson. Marseille …op cit , p 138. .

الاستعماري علاقة بدور غ.ت.م التي عرضت أمام محكمتها التجارية الدعاوي لما اشتدت الأزمة الجزائرية- الفرنسية بسبب أزمة الديون[990].

كان لهذه المؤسسة مكانة في الشؤون الفرنسية ، منذ عهد موريباس Maurepas إذ كان يؤخذ برأيها في العلاقات الجزائرية- الفرنسية ، فلا يستبعد أن يكون للمرسيليين حسب ماصون Masson ضلع في الخلاف المالي مع الجزائر فمسألة الجزائر احتلت الصدارة في مداولات غ.ت.م طيلة سنوات الحصار 1827-1830.

اشتدت و تعالت الأصوات مع مطلع القرن 19م للقضاء على إيالة الجزائر بحجة وضع حد للقرصنة البربرية التي تهدد الملاحة المتوسطية و التجارة الأوروبية من خلال تبني حرب إبادية و القضاء عليها ، دون إخفاء أبعادها الاقتصادية نظرا لأهمية الإيالة وغناها :

> "حان الوقت ليكون هذا البلد الذي يسمح له موقعه بأن
> يتحول إلى مركز تجاري هام ، و وضع حد على أن يكون
> ملكا لهؤلاء البرابرة أعداء المسيحيين و الحضارة ..."[991].

فالقضاء عليها سيكون عبرة لبقية إيالات شمال إفريقيا و تجسيدا لمشروع الإمبراطورية الفرنسية ، فالسيطرة على المنطقة و التمسك بالامتيازات سيمهد لفرنسا السيطرة على كامل شمال إفريقيا لما تتمتع به الإيالة من موقع استراتيجي وسطي بين مالطا و جبل طارق القاعدتين الانجليزيتين.

تبنت فرنسا أطروحتها الاستعمارية و أحقيتها في الجزائر على أساس تاريخي و هي أسبقية نشاطها في الجزائر الذي يعود إلى القرن 15م ، فقد أورد لنا قنان جمال بالاعتماد على أرشيف خارجية فرنسا هذا نصه (بالتصرف) :

---

[990] -Julien, Ch A. Marseille et la question … op cit , p19.

[991] -Chatekain , Chevalier. Mémoire sur les moyens à employer pour punir et détruire la piraterie des puissances Barbaresques , paris , 1828 , PPIX-X.

"قبل استقرار الأتراك في الجزائر و تونس ، كل هذه البلاد كانت فيها قبائل عربية مستقلة ... و عند نهاية القرن 15م تنازلت قبائل المعزول و النوير عن أراضيها الواقعة على ساحل البحر و التي تمتد من غرب وادي سبوس قليلا إلى رأس الحمراء و على عمق عشرة فراسخ* في الداخل للفرنسيين لقد أقام هؤلاء بعض القلاع و التحصينات و ابتدوا في صيد المرجان ... لم يحدث أي تغيير ذو أهمية بعد غزو الأتراك ، حيث استمر الفرنسيون في استغلال ممتلكاتهم مقابل دفع إتاوة سنوية للإدارة التركية برسم حسن الجوار ... أما الفرنسيون فإنهم كانوا يضيفون من حين لآخر تحصينات لقلاعهم القديمة ، بفضل التشجيعات التي كانوا يقدمونها للقبيلتين ، فإن الفرنسيين كانوا يرسلون ما يزيد عن مائتين حمولة سفينة من الحبوب سنويا إلى مرسيليا..."[992].

جعلت فرنسا لأطماعها الاستعمارية في الجزائر قاعدة شرعية ، خاصة في عهد القنصل دوفال Duval الذي حاول أن يضفي على الامتيازات بشرق الإيالة طابع الشرعية أي حق الملكية على أساس أن الالتزام الذي تحصلت عليه فرنسا بموجب معاهدة 1604 الموقعة مع الباب العالي فأصبح و كأنه حق أبدي. قد أوصل دوفال فكرته إلى ديوان الجزائر على أنه في حالة ما قررت الجزائر سحب الالتزام من فرنسا فإن هذه الأخيرة ستحتفظ بالباستيون (القالة) و بحقها في صيد المرجان دون دفع أي إتاوة لأنها أحق بملكيتها للامتيازات و ستحتفظ بحقها في حماية العرب الفرنسيين[993] ، كما قام القنصل في العام الموالي بمراسلة المتعاملين بالامتيازات يطلب منهم التعامل بمعاهدة 1818 أورد فيها :

*الفراسخ : قياس انجليزي يعادل ثلاثة أميال ، و الفرسخ المتوسطي يعادل 1250 م و في عرض البحر 6000 م.

[992] -قنان ، جمال . العلاقات ... ن م ، ص ص 355-356 عن محفوظات خارجية فرنسا / مراسلات القنصلية و التجارية (46).

[993] -قنان ،جمال. العلاقات ... م سابق ، ص 360 عن :
م.خ.ف / م.ق.ت . الجزائر- باريس ديسمبر 1819.

"ستتعرفون على حقوقنا الأولى و الامتيازات الناجمة
عنها ... لقد اكتسبنا هذه الحقوق الأولى من العرب
قبل مجيء الأتراك ..."[994].

من خلال ما سبق نرى البعد الاستعماري الأوروبي بصفة عامة و الفرنسيين بصفة خاصة لمنطقة شمال إفريقيا عامة و الجزائر خاصة ، فجعلت من هذه الامتيازات قاعدة ترتكز عليها ، لتبني عليها مطالب الحق الأبدي في ملكية الامتيازات و من احتكار التجارة بالشرق ، و الأحقية دون سواها من الدول الأوروبية ، و تعمل فرنسا على تحقيق هذا الحلم وجعله حقيقة و واقعا في 1830.

3 - دورهم القضائي :

إن تناول موضوع القضاء القنصلي في الجزائر يرجعنا إلى معاهدة الامتيازات capitulations التي تعد القاعدة التي ارتكز عليها النظام التجاري ، الاقتصادي والقضائي، فمعاهدة 1535 والمؤلفة من 16 بندا خصصت بعضها للقضاء الخاص بالأجانب في الدولة العثمانية وايالاتها والتي على منوالها ستنسج معاهدات الجزائر مع الدول الأوروبية . وكانت معاهدة فرنسا والدولة العثمانية سنة 1535 فاتحة عهد لمعاهدات و امتيازات مماثلة بين الباب العالي والدول الأوروبية الأخرى : انجلترا 1583 ، هولندا 1613 ، النمسا1718 ، السويد 1737، مملكة الصقليتين 1740 و توسكانيا 1747[995] .

من أهم الامتيازات التي تحصل عليها الأوربيون في البلاد الإسلامية هي استقلالية القضاء المسيحي عن القضاء الإسلامي ، وأول من تمتع به هو القنصل الفرنسي من خلال معاهدة الامتيازات الموقعة بين السيد لافوري La foret سفير فرانسوا الأول بالقسطنطينية والباب العالي حيث صدر خط شريف أهم بنوده مفصلة:

البند الرابع:

994 -قنان ،جمال. العلاقات ... ن م ، ص 352 عن
م.خ.ف / م.ق.ت . الجزائر 46 (رسالة دوفال إلى السيد دوبير قنصل الملك للامتيازات).
995 -المحامي فريد بك مص سابق . ص ص 223-230

" لا يجوز سماع الدعاوي المدنية التي يقيمها الأتراك ضد التجار أو غيرهم من رعايا فرنسا أو الحكم عليهم، ما لم يكن مع المدعي سندا بخط المدعى عليهم أو حجة رسمية صادرة عن القاضي الشرعي أو القنصل الفرنسي... [996]

البند الخامس:

" لا يجوز للقضاة الشرعيين أو غيرهم من مأموري الحكومة

العثمانية سماع أي دعوى جنائية... ضد رعايا وتجار فرنسا ... أن يدعو المتهمين بالحضور بالباب العالي محل إقامة الصدر الأعظم..." [997]

البند السادس:

" لا يجوز محاكمة التجار الفرنساويين و مستخدميهم فيما يختص بالمسائل الدينية أمام القاضي أو السنجق بيك* أو الصوباشي** بل تكون محاكمتهم أمام الباب العالي....... [998]

وسعت هده المعاهدة الصلاحيات القضائية للقنصل الفرنسي إلى غاية 1573 إذ تمتع قنصل فرنسا بامتياز الوصاية في حماية مصالح الرعايا الأوروبيين الذين ليس لهم قناصل يمثلونهم[999] مقابل استخلاص الحقوق المعروفة باسم الحقوق القنصلية، إذ له الحق في الفصل في المنازعات وكيفية معالجتها مثلما سيوضح لاحقا فقد وضعت هده المعادلة أسس العلاقات بين الدولة العثمانية ممثلة العالم الإسلامي والدول الأوربية بشكل سلمي ، وبذلك تكشف لنا هذه المعاهدة عن سياسة الحوار والتعايش الديني السابقة لعصرها بين شعوب تختلف في أديانها ، لغتها وثقافتها كما تعكس لنا قبول العالم الإسلامي لخصوصية حرية

996 -المحامي فريد بك .ن.م.ص 225
997 -المحامي فريد بك ..م سابق.ص 225
* السنجق :أو المتصرفية هو الحاكم المدني لمركز إداري،ويعني أيضا العلم أو الراية.
* * الصوباشي : المحتسب أو مدير الشرطة.
998 -المحامي فريد بك .ن.م.ص 225
999 قنان جمال . معاهدات ... م سابق، ص 69 .

الممارسة الدينية والقضائية للرعايا الأجانب المقيمين في الدولة العثمانية وإيالاتها كالجزائر، وفي هذا إشارة إلى العلاقة مع أهل الذمة.

أ - مفهوم أهل الذمة:

عرف الفقه الإسلامي هدا الاصطلاح بأنه يطلق على من يجوز الذمة معهم من أهل الكتاب كاليهود والنصارى في ديار الإسلام مع دفع الجزية مقابل حماية الإسلام لهم.

ويجب أن تكون يد المؤدى " الذمي " أسفل ويد القابض أعلى حسب قوله تعالى:"حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون" (1000).

ويعرف المسؤول عن(الطائفة الذمية اليهودية) في المشرق بالوكيل أما في الجزائر فيعرف بالمقدم ، يرتبط الذمي من خلال المجموعة الدينية التي ينتمي إليها وهي مجموعة قائمة بذاتها داخل الدولة لها ما يميزها عن أهل البلاد (الزي ، الامتناع عن ركوب الخيل...) وتنسب إلى ميثاق عمر.

لا تمانع إيالة الجزائر في خصوصية الشرائع لأهل الذمة المقيمين بترابها مع مراعاة مصالح الرعايا والتجار الأوربيين ، فالقناصل يتمتعون بسلطة قضائية ، إذ لا يحق للقاضي (الحنفي أو المالكي) أن يفصل في نزاع وقع بين مسلم وأوربي إلا بحضور مترجم القنصلية، لقد ورثت الجزائر الوضع الذمي من النظم الإسلامية فكان من الشروط المستحبة على الذمي أن يلبسوا ما هو مخالف للون أو لباس المسلمين وألا تعلوا أصوات نواقيسهم...

ب- الفصل في المنازعات :

تتألف المحاكم القنصلية من الأعضاء التاليين القنصل أو نائبه في حالة غيابه ، وجهاء التجار الكبار المقيمين في الإيالة إلى جانب رجال الدين(1001). من منظور الفقهاء والمشرعين القانونيين يجب التمييز بين الأشخاص الطبيعيين les personnes physiques وهم

1000-سورة التوبة، الآية 29

1001- Devoulx . A . Les archives .... Op cit .

الرعايا الأجانب وبين الأشخاص الاعتباريين les personnes morales كالمؤسسات والبيوتات التجارية كما نجد أن الامتيازات والمعاهدات ميزت بين مختلف الحالات التي يمكن أن يقع فيها الأجانب:

1 -إذا كان الأجانب من دولة واحدة.

2 -الحالة الثانية إذا كان المتداعون من جنسيتين مختلفتين .

3 -إذا كان الخلاف بين الرعايا الأجانب ورعايا الإيالة جزائريين أو أتراك.

ونستدل من خلال هذه الحالات على المعاهدات المبرمة بين إيالة الجزائر والقوى الأوروبية.

❖ الإجراءات الخاصة بالأشخاص:

- وتتمثل في الوضع القانوني للرعايا الأوروبيين في علاقتهم العامة مع سكان الإيالة ، فقد منحت الحماية للأجانب(أهل الذمة) والمتمثلة في (حماية الأشخاص ، الأموال ، حرية التنقل وحصانة منازلهم ، والإعفاءات من الرسوم الجمركية بالنسبة للعاملين في السلك الديبلوماسي). [1002]

وتناولت المعاهدات مختلف الحالات بالنسبة للرعايا الأجانب كالظروف الصعبة التي يمكن أن يمروا بها كحالات الغرق على السواحل المغاربية إذ يجب إنقاذهم وتقديم المساعدة وذلك ما نلحظه من خلال البند الثالث عشر من معاهدة 24 أفريل 1684 مع فرنسا . [1003]

كما تنص المعاهدات على حماية التجار الأوربيين في حالة نقض السلم بين الايالة وإحدى الدول الأوربية ، لاسيما الفرنسيين وذلك لقدم معاهدتها مع الجزائر والتي على منوالها نسجت بقية المعاهدات, فالتجار هم تحت حماية الديوان ما بين 3 إلى 6 أشهر وهي الفترة

[250]-ANP/AE B3 322

بموجب معاهدة الدانمرك والجزائر 1746 تقرر في البند 17 ما يلي:
إن قنصل الدانمارك يعيش في امن وسلام... له حرية الذهاب والإياب والسفر على أي سفينة يريد
ونص البند21 على : " كل المواد الضرورية الموجهة للقنصلية أو لمنزل القنصل معفية من كل الرسوم الجمركية..."

[1003]-ANP/B7 527
اذا اضطرت السفن الفرنسية اللجوء إلى السواحل الجزائرية وتعرضت للملاحقة من قبل أعدائها أو بسبب العواصف ، يتوجب مساعدتها بكل ما يحتاجونه والعمل على انقاذ الحمولة ان أمكن مع دفع أجور من يتولى دلك.....

المقررة للإقامة المؤقتة لهم بالجزائر[1004]، كما نصت المعاهدات (مع فرنسا على سبيل المثال) بالحق العام في حماية رجال التنظيمات الدينية في الجزائر وذلك ما نجده في معاهدة 1689 بين الجزائر وفرنسا في بندها الخامس والعشرون:

" إن الأب القائم بمهمة القسيس البابوي في الجزائر يستطيع مع زميله القيام بمساعدة الأرقاء...ويعتبر أفراد الإرساليات من أية جنسية يكونون هم بمثابة رعايا إمبراطور فرنسا الذي يضفي عليهم حمايته، وبهذه الصفة فإنه لا يجوز مضايقتهم تحت أي مبرر كان بل يرعون ويساعدون من طرف القنصل كالفرنسيين.... [1005] .

وهذه الحماية استفاد منها كل الأجانب ورعايا الدول الذين ليس لهم قنصلهم يمثلهم في الجزائر كاليهود الليفورنيين شرط أن يسكنوا خارج الفندق الفرنسي لكن بإمكانهم التردد على منزل القنصل الفرنسي[1006].

❖ حماية أملاك التجار في حالة نقض السلم وإعلان الحرب :

بما أن فرنسا لديها مؤسسات في شرق الايالة ووجود أعداد من الفرنسيين في المدن التي تستغل فيها امتيازاتها (القل،عنابة،القالة), وعليه تطالب فرنسا بحماية موظفيها في المؤسسات من قبائل المنطقة، فرغم التوتر في العلاقات الفرنسية- الجزائرية في 1679 فالجزائر وفقا لمبدئها القديم " عدم الخلط بين القضايا العامة وقضايا الخواص وشؤون الدولة بشؤون التجارة " فقد تم التوقيع على معاهدة خاصة بالباستيون مع دوسو dussault في (11 مارس)[1007] ، فقد منع بموجبه الارتياد على حصن فرنسا على كل موظف ما لم يكن

[1004] - Boutin . op cit ,p 584

ذلك ما نصت عليه المعاهدة الجزائرية الاسبانية في 17 شعبان 1200 هـ الموافق ل 14 جوان 1786 من خلال البند 6 إذا اشرف مركب اسباني على الغرق قرب السواحل الجزائرية أو لاحقه الأعداء... لا يطالب بدفع مكس او اتاوة على السلع التي أفرغت الا اذا بيعت او كان يقصد بيعها في المملكة" ...أنظر يحي بوعزيز. المراسلات الجزائرية.... ن.م ص40

[1005] - قنان جمال .معاهدات.....م سابق ص340

[1006] Boutin . op cit , p 585.

[1007] -قنان جمال نصوص ووثائق... ن.م ،ص 176:

ذلك من خلال معاهدة السلم المئوي 1690 (امتياز استغلال الباستيون) في البند التاسع :"...إذا حدث بيننا وبين فرنسا تجاوزات وأدت هاته إلى بتر السلم بيننا لا قدر الله لايجوز إقلاق و إزعاج الفرنسيين المقيمين في الباستيون بأية طريقة كانت....

مزود برخصة خاصة من الديوان وتشمل الحماية حتى من الأجانب إذا ما تم شحن البضائع من الموانئ الشرقية، بالاستناد إلى معاهدة دومارل De Marle مع باي قسنطينة في (15 جويلية 1734)[1008] .

كما يستفيد الأوربيون من الحرية المنصوص عليها في المعاهدات بشقيها:حرية الذهاب والإياب والسفر والمتمثلة في التنقل وكذا الاتجار مع موانئ الايالة وإرساء السفن قصد شحن المواد الضرورية لكن يجب أن يكون ذلك برخصة تسمى "التذكرة"[1009] تختم من الداي وتسمح لهم بتصدير المواد المشحونة نحو الموانئ الأوروبية.

كما تشمل حقوق الأوروبيين على حق الوصاية في حالة موت ؟أحد التجار فمن حق القنصل تولية شؤون الورثة مثل ما هو منصوص عليه في المعاهدة مع الدانمارك (على سبيل المثال) سنة 1746 في بندها ا لثالث عشر [1010] ونفس الشيء بالنسبة للرعايا الفرنسيين بالاستناد إلى البند العشرين من معاهدة 24 افريل1784 :

"إذا ما توفي فرنسي في هذه البلاد فإن أمتعته تسلم للقنصل الذي يحتفظ بها على ذمة من لهم الحق فيها، نفس الإجراء يرعى بالنسبة لأتراك مملكة الجزائر المتوفين في فرنسا "[1011] .

و تتضح المسألة بتفسير أكثر من خلال البند الثالث من معاهدة الجزائر و البندقية 23 جوان 1768 :

[1008] قنان جمال نصوص ووثائق ... م سابق .ص 211 :

البند الثامن: " لا يسمح لأي مركب مهما كانت جنسيته ، حتى ولو كانوا مسلمين بشحن القمح والشعير والفول في مدينة بونه أو في تكوش أو في الأماكن الأخرى المشار إليها تحت أي مبرر كان".

[1009]-Paradis , op cit p246:

إن السفن التي تذهب إلى أرزيو او أي مكان أخر للشحن ، مجبرة على الذهاب إلى الجزائر لأخذ التذكرة... "انظر كذلك يحيى بوعزيز . المراسلات .... ن م ، ص 43 :"... إن هذه الرخصة كانت إجراء جمركي إداري يفرض على الدول إذ لا يمكن للمراكب الاسبانية أن تقصد مراسي جزائرية خارج العاصمة لكي تفرغ أو تشحن حمولتها إلا برخصة من حكومة الجزائر كما هو معمول به في جميع الدول الأخرى " .

[1010]-ANP/AE B3 322

[259]- قنان جمال معاهدات ...ن.م.ص299.

" إذا توفـي تاجـر أو شخـص تابـع لجـمهوريـة البندقية بالجـزائـر أو أي مــكان آخــر تابـع للإيالة ، فـلا أحــد مـن رجالات الـدولـة أو أي شخص يحـق له أن يستولي بأي طـريقة كانت على أمـوال المتوفى أو أملاكه و متاعه، أما إذا ظهر أحد الورثة أمام البـاخرة فلا أحـد غيـره يستطيـع أن يطالـب و لـو بالجـزء اليسير مـن تلك الأموال أو الأمتعة الأخـرى ... إن تنفيذ الوصية للشخص المعين من طرف المالك يستوجب على هذه الأخير وضع كشاف بأموال و أمتعـة المالك ليحتفظ بها و ليتم بعد ذلك تسليمـها إلى صاحـب الإرث الشرعــي... و فـي صـورة عدم حـضـور أي شـخص لـه صفـة شرعية الـوراثة فـإن قنصل الـبندقية يضـع كشاف ... على أن يحتفظ بها إلـى حيـن ظهـور أحـد أفـراد عائلتـه أو أحـد الورثة الشرعيين"[1012].

وهنا تتضح مسؤولية القنصل القانونية في الإشراف على ممتلكات المتوفى وتحويلها إلى الورثة بعد عملية الجرد والإشراف على تنفيذ الوصية إن وجدت[1013]

كما يستفيد قانونيا وامتيازا كبقية القناصل من حرية ممارسة الشعائر الدينية (حرية المعتقد)، حـق استفاد مـنـه كل القناصل وليس فقـط الفرنسيـين بالنظر إلى البـند 18 مـن معاهدة 1689 [1014]

" يستطيع القنـصل القيام بشعائـر الديـن المسيحي منـزلـه وبكل حرية هـو وكـل مسـيحي الـذين يريدون مشاركته..."

ويتمتع هؤلاء الأجانب بحماية وحصانة الإقامة ، وهي تندرج ضمن الحرية الشخصية ، إذ لم يكن لسلطات الإيالة الحق خرق فندق الأجانب والتعدي عليهم بالإضافة إلى حصانة المقرات القنصلية الفتي أشرنا إليها في مبحث سابق.

[1012] - التميمي عبد الجليل . معاهدة السلم الممضاة... مرجع سابق ، ص ص 119-120 .

[261]- Boutin . op cit, p 596.

[262]-قنان جمال معاهدات ...ن.م.ص.312

❖ المسؤولية الفردية :

ولا يؤخذ بجريرة الآخر من خلال ما تنص عليه المعاهدات فعلى سبيل المثال البند العشرين من معاهدة 24 أفريل 1684 :

"لا يلزم القنصل المعني بتسديد ديون التجار الفرنسيين ما لم يتعهد بدلك كتابيا...."[1015]

ولا يمكن أن تعاقب الطائفة الأجنبية لما اقترفه أحد الرعايا فهذا يندرج ضمن المسؤولية الفردية "... إذا فر المذنب بنفسه في حالة قتله لأحد المسلمين، فإنه لا القنصل البندقي ولا أحد رعاياه المقيمين في الجزائر يعاقبون مكان الشخص الفار"[1016].

وما يتعلق بالأمور الجنائية ينطبق أيضا على المخالفات الخاصة بديون التجار فالقناصل غير ملزمين بتسديد ديون التجار ما لم يتعهدون بذلك كتابيا. في هذا السياق تعرض القنصل بارو Barreau إلى الاعتقال بسبب مديونية تاجرين فرنسيين و هما كل من فابر Fabre الذي فر مخلفا ديونا ثقيلة (12000 إيكو) وتاجر آخر رابيو Rappiot فتعهد القنصل بتسديد 25000 قرش مقابل إطلاق سراحه[1017] .

ارتكزت فرنسا على هذا المبدأ في المعاهدات السابقة كمعاهدة 17 ماي 1666 في البند الثامن عشر: " لا القنصل ولا تاجر من رعايا جلالة الملك ملزمين بدفع ديون فرنسي آخر" .

[1015] فنان جمال .معاهدات ... م. سابق ص.313

[1016] ANP/ AE . B3 322

قنان جمال . معاهدات ... ن م ص 313 :

من خلال البند 24 لمعاهدة 24 سبتمبر 1689 :

"إذا ما اعتدى فرنسي على تركي أو أحد من الأهالي فغنه لا يتم معاقبته إلا بعد استدعاء القنصل ليتولى الدفاع عنه و في حالة فراره فإن القنصل لا يعتبر مسؤولا عن جنايته ..."

[1017] Grammont , H- De . H. d'Alger … op cit p 204.

فالمشكل الذي واجه القنصل لانڤواز دولافالي la vallee كان بسبب جريرة التاجر الفرنسي* crest ومديونيته الضخمة التي قدرت بـ 193.479 ليرة[1018] التي طالب بها باي قسنطينة وبعض الجزائريين .

التاجر الثاني Parriot الذي شحن سفينة بالبضائع من ميناء الجزائر نحو ليفورن دون دفع ثمنها فأرسل ST Vincent الأب لوفاشي بالذهاب إلى ليفورن من أجل مصادرة السفينة والشحنة ومن هناك بعث بالمبلغ إلى الايالة و أطلق سراح القنصل.

وإن كانت هذه المسائل تؤدي في الواقع إلى تأزم العلاقات بين الجزائر والدول الأوروبية كالنزاع مع اسبانيا في 1822 لدرجة القطيعة وانسحاب القنصل الاسباني[1019] وتصعب الأمر لدرجة تدخل فرنسا لحل المشكل وكم تكررت قضايا الديون مع التجار الأسبان مما استدعى تدخل الداي لدى الملك الاسباني أو الوزير الأول يطالبهما بالتسديد[1020]

أخطر مشكلة ديون التي كانت على التاجر بدرو اورتيز Ortiz pedro التي حصل عليها من يوسف باكري والتي بلغت قيمتها 1300.000 قرش اسباني[1021] وتعهدت الحكومة الاسبانية بتسديدها في 1814.

كما لا يعتبر القناصل الأجانب مسؤولين عن فرار الأسرى المسيحيين على متن السفن الأوروبية الراسية في الموانئ الجزائرية ، إذ على سلطات الإيالة أخذ التدابير اللازمة كحراسة شواطئها و منع فرار الأسرى لأنه بمجرد وصول الأسير إلى السفينة و الصعود على متنها لا يحق استرجاعه للحصانة التي تتمتع بها السفن و في ذلك تشابه مع حرمة مقر القنصلية [1022] غير أن الواقع غير ذلك لأن الأمر يقع على وطأة القناصل .

---

* كرست Crest : طبيب فرنسي سجل تواجده بموثقية القنصلية الفرنسية بالجزائر منذ الفاتح أوت 1757 أشرف على تسيير شؤون البيت التجاري رافو Raffeau غادر الجزائر في 1777 عن :

Devoulx . Relevé … op cit P 384.

[1018] -Casenave. Un consul françai… op cit p109.

[1019] قنان جمال العلاقات ...م سابق.ص341

[1020] فكاير عبد القادر آثار الاحتلال...ن.م.ص283.

[1021] فكاير عبد القادر آثار ...ن.م ص288 .

[1022] Boutin op cit , p 592.

كانت هذه المسألة فرصة لاحتجاج القناصل ، إذ بعد فرار اثنا عشر أسيرا اسبانيا من بينهم واحد يعمل لدى القنصل الاسباني ، ألقي عليهم القبض فاحتج القنصل و طلب بعدم معاقبتهم بحجة أن القنصل ليس لديه مترجم [1023] ، في الحقيقة هي حيلة استعملها القنصل لأنه رفض كل المترجمين .

ت-النزاعات بين الرعايا الأوربيين :

القناصل هم القضاة وهم من يتولى حل الخلافات والفصل فيها (إذ له صفة رسمية في مواجهة السلطات المحلية في المنازعات التجارية ومسائل الأحوال الشخصية). هذه المسالة تناولتها تقريبا كل معاهدات السلم بين الجزائر والدول الأجنبية حتى في البند 15 من معاهدة 1684 مع انجلترا :

"إن الرعايا الانجليز لا تتم محاكمتهم إلا من قبل القنصل " [1024]

وهو نفس البند الذي نصت عليه معاهدة سابقة (1662) في بندها الثالث عشر:

"النزاعات التي تنشب بين رعايا جلالة الملك فلا يتم الفصل فيها إلا من قبل القنصل... " [1025]

مسالة استقلالية القضاء الأجنبي في فض النزاعات تؤكد عليه المعاهدات حتى بالنسبة للدول التي دخلت في علاقة مع الجزائر في فترة متأخرة كالسويد في معاهدتها مع الجزائر من خلال البند الخامس عشر : " إذا كان الخلاف بين رعايا السويد فلا يفصل فيه سوى القنصل السويدي" [1026]

ث-النزاعات بين الجزائريين و الفرنسيين:

[1023] بوعزيز يحيى . المراسلات ... م سابق ص 174 ، 179 .

[1024] -ANP/B Marine B7 525(levant et Barbarie)

[1025] -ANP/B Marine B7 523(levant et Barbarie)

[1026] المازري، بديرة. الجزائر....م سابق ص43 .

انظر كذلك إسماعيل العربي علاقات الو.م.ا ....ن.م.ص 108 أو قنان جمال . معاهدات ....ن.م. عن :

528.ANP B7/ Marine

يستطيع الإمبراطور الفرنسي المعني الاستمرار في اعتماد قنصل له لمساعدة التجار الفرنسيين ... إن القنصل المعين يكون له حق السبق على غيره من القناصل ، و له كل الصلاحيات القضائية للفصل في المنازعات التي قد تنشب بين الفرنسيين و لا يحق للقضاة الجزائريين التدخل في ذلك.

في هذه الحالة ضمنت لهم المعاهدات أنه لا تتم محاكمتهم في المحاكم العادية بل تنظر القضايا أمام الداي بحضور قناصل دولهم و المترجمين و ذلك ما نراه في معاهدة [27 أفريل 1684] التي فصلت في الشؤون القضائية إذ احتوت على 5 بنود تحدد مهام الفصل في الشؤون القضائية. (1027) من خلال البنود التالية 16، 17، 19، 20 و 22. أو ما نراه في البند 24 من معاهدة لاحقة (1689):

" إذا ما اعتدت فرنسا على تركيا أو على واحد من الأهالي فإنه لا يتم معاقبته إلاّ بعد استدعاء القنصل ليتولى الدفاع عنه، وفي حالة فراره فإن القنصل غير مسؤول عن جنايته". (1028)

من خلال هذا البند يتضح أن القنصل لم يعد القاضي للقنصل في القضايا بل تحول إلى محامي للدفاع أمام الداي أو الديوان عن رعيته(1029)، و إذا انعكست المسألة و نجد أن التركي أو الجزائري هو من ضرب الفرنسي فالبند 14 من معاهدة 1767 (1030) ينص على معاقبة الجاني حسب الجرم و حسب قانون الإيالة.

ج -الإجراءات الخاصة بالمؤسسات:

يمكننا في هذه النقطة الإشارة إلى نزاع فرنسي إنجليزي حول منزل عنابة الذي تعود وقائعها إلى تاريخ 1807م حينما سحبت الإمتيازات من فرنسا و منحت إلى انجلترا (إخراج الوكيل الفرنسي) (1031) لمدة عشر سنوات(1032). ركز القنصل الفرنسي تانفيل Thainville جهوده في المطالبة بمقر (منزل عنابة) حسب رأيه أنه يتعلق بالشرف الوطني الفرنسي.(1033) فحتى بعد غيابه عن الجزائر في إجازة 1809 كلف نائبه بمتابعة القضية من

1027- Rouard de card .op.cit p-49

1028 قنان جمال. معاهدات ...م.سابق ص 313

1029- Anonyme .H. des états B . op . it . p112

1030- Boutin . op . cit. P 596

1031 قنان، جمال، العلاقات ...... ن.م. ص 334

1032 - Primaudaie . E . Op. Cit. p 54
- émerit, M . l'Ancienne capital ...... op.cit. p 64

1033 قنان ، جمال، العلاقات ..... م سابق ص 334

أجل استرجاع المنزل الذي أصبح يسكنه وكيل انجلترا اسكيديرو Escdero ، حيث أحيلت المسألة على محكمة عنابة التي أصدرت حكمها في مارس 1810 لصالح الوكالة الإفريقية للأسباب التالية على أنّها أملاك فرنسية منذ أمد بعيد و بحكم طول مدة الإستغلال باسم " شهرة حيازة التصريف"[1034] غير أن حكم محكمة عنابة لم يدخل حيز التنفيذ و لم ينفذه الداي [1035] إذ بقي الوكيل الإنجليزي بمنزل عنابة إلى غاية 1877.

و يعاد إثارة مسألة منزل عنابة في فترة القنصل دوفال Duval محاولا إثبات حق الملكية و يبدو أن الوثيقة التي اعتمد عليها القنصل الأخير مزورة كما يذهب إليه أ. قنان " لأنه يصعب تصور اجتماع قنصلي فرنسا و انجلترا في عنابة بطلب من الباي و أغا نوبة عنابة ، لأن الدولتين كانتا في حالة حرب"، و الرسالة التي وجهها وزير خارجية فرنسا الدوق **مونمرنسي** يبين أن الظروف التي مرت بها فرنسا قد أدت إلى ضياع وثائق الملكية الفرنسية لمنزل عنابة"[1036] في حين يحمل دوفال مسؤولية ضياع وثائق الملكية للإدارة الجزائرية.

و قد أعيد المنزل لفرنسا بعد[1037] تأزم العلاقات الجزائرية – الإنجليزية 1824، رغم محاولات القنصل الأمريكي شالر إقناع سلطات الإيالة بالعدول عند قرار التسليم للفرنسيين باعتباره المشرف على شؤون القنصلية الإنجليزية في غياب قنصلها.

[1034] قنان ، جمال، العلاقات ... ن. م ص 335

[1035]- Plantet , E . Correspondance ... T. II op cit p 548

" إن الفرنسيين أصدقاؤنا و كذلك الإنجليز، فليس من اللائق أن أسيء إلى هذا أو ذاك، و ليس بإمكاني أن أسحبها من الإنجليز فعليكم أن تكاتبوا انجلترا بهذا الشأن ...."

[1036] قنان، جمال، العلاقات .... ن م . ص 336 يمكن العودة إلى ملف

AE /CC . Vol 46 . Alger 1822 - 1824

[1037] قنان ، جمال، العلاقات ... ن م ، ص 341

V - **الفصل الخامس**: مسألة التجاوز و عدم التكافؤ الدبلوماسي

1. تعريف الدبلوماسية و مصطلحاتها
2. عوامل عدم التكافؤ
3. خصائص الدبلوماسية الجزائرية
4. السفارات الجزائرية و الأوروبية:

V- مسألة التجاوز و عدم التكافؤ الديبلوماسي

شكلت الدبلوماسية الأداة الأساسية للقوى الأوروبية في سياستها الخارجية منذ القرن 16 م لتحقيق التوسع التجاري و امتداد النفوذ في منطقة البحر المتوسط ، غير أن ارتباط الجزائر بدول شمال المتوسط وجدت قبل أن تكون الجزائر ولاية عثمانية[1038] أي منذ القرن 14 م عندما أبرمت مرسيليا معاهدة تجارية مع ملك بجاية "خالد بن زكريا" نتجت عن مراسلة مرسيليا و قنصلها في بجاية جوردان Jordans peyre ، و نجدها أقدم بالنسبة للعلاقات مع المدن الايطالية التي نشأت منذ عهد ناصر الحمادي و البابا قريقوار خلال القرن 11 م (1076م).[1039]

تسابقت الدول الأوروبية على ربط علاقات متنوعة مع الجزائر ، غير أن السؤال الذي يطرح نفسه ، هل كان للجزائر كإيالة عثمانية عبر المراحل المختلفة آلة دبلوماسية كرست ما جاء في المعاهدات من تمثيل دبلوماسي ؟؟ و لماذا بقي التمثيل من طرف واحد فقط ؟؟.

1 -تعريف الدبلوماسية و مصطلحاتها :

أ- تعريفها :

ترمز الدبلوماسية إلى فن الحوار و التفاوض في التوصل إلى أكبر قدر من المكاسب الإستراتيجية على حساب الخصم ، و كثيرا ما يستشهد في العربية "بشعرة معاوية" كوصف للدبلوماسية حيث وصفها معاوية بن أبي سفيان علاقته بالناس و كأنه بينه و بينهم شعرة إن هم أرخوا شدها معاوية من جانبه و إن هم شدوا أرخاها معاوية.

و هي في الأصل هي كلمة يونانية مأخوذة من كلمة دبلومة Diploma تعني الوثيقة المطوية التي تعطي حاملها امتيازات خاصة، تطور مفهومها خلال القرون الوسطى للدلالة على

[1038] -نايت ملود قاسم ، م سابق، ج1 ، ص 8.
-Devoulx A, Les archives …. Op cit , p p 1-2.

[1039] -نايت ملود قاسم ، ن م ، ص 87.

دراسة الوثائق، ترتيبها و حفظها[1040] إذ تبنتها اللاتينية العلمية Diplomaticus [1041] و مع القرن 18 م استعملت في اللغة الفرنسية Diplomatique الذي يهتم بالدبلوماسات و العقود Les chartes [1042].

و مع القرن 19 أخذت كلمة الدبلوماسية Diplomacy معناها المتعارف عليه خاصة بعد مؤتمر فيينا حيث ظهرت كوادر دبلوماسية ، و هي في الواقع أداة تنفيذ السياسة الخارجية و تحقيق أهدافها في حماية مصالح الأمة و الرعايا في الخارج كما تعمل على توصيل المعلومات للحكومات ، فقد حدد ابلازا Eplaza أدواتها و هي المعاهدات، السفارات، القنصليات و التجارة[1043].

اكتسبت العلاقات الدبلوماسية قواعد ثابتة ترسخت بمرور الزمن و كما أشرنا سابقا إلى جمهورية البندقية و دورها في نشأة الدبلوماسية الحديثة بإيفاد دبلوماسيين مقيمين إلى القسطنطينية كما عمدت إلى نشر الفتن و حبك الدسائس بواسطة مبعوثيها ، و استمر هذا الأسلوب حتى أن بريطانيا حظرت على أعضاء البرلمان سنة 1653 التحدث إلى الدبلوماسيين الأجانب.

فالدبلوماسية و إن كانت تعني في عمومها ما يهتم بدراسة العلاقات الخارجية و صيانة المصالح المتبادلة بين الدول و يرجع مسؤولية نجاحها إلى من يقوم بهذا النشاط من مبعوثين و قناصل ، فإلى أي مدى يمكن التطرق إلى الدبلوماسية الجزائرية خلال الفترة قيد الدراسة و مقارنتها بالدبلوماسية الأوروبية ؟؟

ب- مصطلحات الدبلوماسية :

من خلال الإطلاع على الوثائق بمختلف اللغات (الفرنسية ، الانجليزية ،العربية و العثمانية) في الأرشيف نجد بعض المصطلحات المرتبطة بالدبلوماسية الجزائرية و

1040 -بركات جمال ، م سابق، ص 17.
1041 -التازي عبد الهادي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب ...م سابق ، ج 1 ، ص 37.
1042 التازي عبد الهادي ، م سابق، ص 37.
1043- Eplaza , Intérêts espagnols , op cit p 159.

الأجنبية كالقنصل ، السفارة أو الباشدور. فقد عرف ابن زيدون القنصل أو كما ورد في الوثائق المحلية قنصلو[1044] أنه :

" موظف تعينه إحدى الدول في البلاد الأجنبية ...
و لا سيما في الثغور، لحماية رعايا دولته المقيمين
و العابرين..."[1045].

يرجع أصل الكلمة "قنصل" إلى اللغة اللاتينية و معناها مستشار، استخدمت لأول مرة في العهد الروماني أعقاب انهيار النظام الملكي عام 509 ق.م لتعيين الحاكم ، أطلقت على الحكام الذين جاءوا إثر ثورة النبلاء على الملك تراجان ثم أخذت تطلق على عدد من القضاة الذين ينظرون في المنازعات بشؤون التجارة أو الملاحة [1046] ، فظهرت تعابير مثل القاضي Judge ، تاجر Marchand ، قنصل Consul مع القرن 13 م ظهر تعبير جديد القناصل المختارين Consul Hospites [1047].

و الأكثر شيوعا هو تعبير القناصل القضاة أو القناصل التجار في العصور الوسطى و تتمثل مهمتهم مرافقة السفن التجارية و الإشراف على شؤون البحارة و التجارة و الفصل في منازعاتهم فأطلق عليهم قناصل البحر Consuls de mer [1048] فقد تم تعيين هوق برقونيون Hugues Borgonion (التاجر المرسيلي)قنصل على متن السفينة سان جاك في عام في 1268 في رحلته إلى بجاية[1049] . و غالبا ما يكتب في الوثائق العثمانية في الجزائر بالسين

[1044] المكتبة الوطنية.مجموعة 3190

[1045] -قدوري عبد المجيد ، المغرب و أوروبا ... م سابق ص 306 عن :
- ابن زيدان عبد الرحمن ، العز و الصولة في معالم نظم الدولة ، الرباط ، 1961.

[1046] عطا محمد صالح زهرة ، م سابق ، ص 92.

[1047] عطا محمد صالح زهرة ، ن م ، ص 92.

[1048]- Watbled Ennest : « Aperçus sur ... op cit , p 20 :
-Mas Laterie , traité de paix et de commerce des chrétiens avec les arabes , p 91.

[1049] - La Primaidaie Elie . L’Algerieavant l’occupation française.(Bejaia : Ed Lumieres Libres, 2010).p49.

قنسلو[1050] و أحيانا تكتب بالصاد [1051].

دخلت هذه الكلمة الأجنبية التداول العربي ، غير أننا لم نجد إقامة أو تمثيل دائم للإيالة في المدن الأوروبية و الإقامة إما في عواصمها أو موانئها و مدنها التجارية عكس ما نجده من تمثيل في الجزائر بالنسبة للقنصليات الأوروبية في عاصمة الإيالة أو نياباتها في كل من عنابة[1052] و وهران[1053].

غير أن الإشكال الذي يصعب الإجابة عليه إلا من خلال احتمالات و فرضيات ، حتى أن الأوساط الرسمية الفرنسية تتساءل لماذا لا تستغل الإيالة ما تخوله لها المعاهدات من خلال مراسلة سارتور S. Sartur :

" أريد أن أعرف أنا أيضا الأسباب التي منعت الجزائريين من الاستفادة من الامتيازات التـي تخولها لهم المعاهدات..."[1054].

و هنا يمكننا أن نستدل بمعاهدة 1619 كقاعدة ارتكز عليها مبدأ تبادل القناصل إذ اتفق البارون دالماسي بعد وصوله إلى الجزائر 1618 مع سلطات الإيالة بإرسال وفد إلى مرسيليا مزود بصلاحيات التفاوض، و بعد مدة تم إرسال وفد جزائري إلى مدينة مرسيليا[1055] و الاجتماع مع حاكم مقاطعة بروفاس توجت المفاوضات بالتوقيع على معاهدة 21 مارس 1619[1056].

1050- المكتبة الوطنية بالجزائر ، مج 3190 ، ورقة 406 : "تسليم جملة اثني عشر ألف و خمسمائة ريال بجة على يد قنسلو فرنسيس من الباستيون".

1051 المكتبة الوطنية بالجزائر ، مج 3190 ورقة 419 : "الحمد لله هذه تذكرتنا بيد حاملها قنصل الفرنصيص على أنه دفع لنا ثمانية آلاف ريال من قبل مرسيات عنابة على حسب العادة كتب عن إذن الفقير لربه إبراهيم خوجة الخليفة ، أوائل شوال عام 1239".

1052 -ACCM Série J , art 1881. مراسلة مورسياس 10 ماي 1724

1053- Pestemald joglon A : Le consulat France d'Oran de 1732 à 1754 », R.A , 1942 , p 323.

1054 -ACCM Série G , art 6.

1055-كانت مدينة مرسيليا la cité phocéenne تتمتع بامتياز تسيير شؤونها بنفسها .

1056 -قنان جمال ، المعاهدات بين الجزائر ...م سابق ص ص 55-56.

ما يهمنا من هذه المعاهدة هو الاتفاق على مبدأ تبادل التمثيل القنصلي فالجزائر سوف تبعث بشخصين من الأعيان للإقامة في مدينة مرسيليا لسماع شكاوي بخصوص التجاوزات التي تحدث لهذه المعاهدة من أجل إخطار الباشا و الديوان بذلك في الحين(1057).

لكن أين هذا المبدأ من أرضية الواقع و ما مجالات تطبيقها ؟؟ أين هو مبدأ المساواة و التعامل بالمثل ؟؟ لقد رفضت الأوساط المرسيلية استقرار وكيل جزائري في مدينتهم ، فيكشف ذلك عن عجز الآلة الدبلوماسية للإيالة التي لم تتمكن من أن يكون لها نفس المستوى الدبلوماسي و من هنا تأثير فكرة التجاوز و التفوق الأوروبي دبلوماسيا.

هذه الألقاب يمكن أن تتغير بتغير الظروف السياسية كالثورة الفرنسية التي أضحت تطلق على ممثليها "القائم بالأعمال" Chargé d'affaire في الجزائر ابتداء من القنصل تانفيل (1058) أو نجد في بعض الرسائل المواطن Le Citoyen.

و من بين المصطلحات الواردة و التي تطلق على القناصل ، ما كان يستعمل في المراسلات الانجليزية خلال القرن 16م و بداية القرن 17م ، ففي رسالة روبير سيسيل Robert Cecile 29 سبتمبر 1609 إلى القنصل الانجليزي بالجزائر يذكره بأن واجبه الأساسي باعتباره "وزير الأمة في هذه المدينة" ministre de nation en cette place(1059) هو حماية التجار و السفن الراسية في ميناء الجزائر إما للتزود بالمؤونة أو للتجارة.

بالنسبة للدول الأوروبية استعملت آلتها الدبلوماسية للتوغل داخل العوالم الأخرى ، و كان القنصل أداة لإدراك ذهنية النخبة الحاكمة بحكم الاحتكاك ، و التعرف على الإيالة سياسيا عسكريا اقتصاديا و اجتماعيا كنموذج يمكن الاستدلال بمذكرات كل من القنصلين دوكرسي و تانفيل(1060).

1057 -قنان جمال ، المعاهدات ... م سابق، ص 56.
1058 -M.R. 46. 1. 4. 1. Objet : navigation , transport maritime Guerre , course , corsaire barbaresque.
1059 -Fisher G ,op cit , p 189.
1060 -Esquer ,G . Mémoire de Esquer , Thainville....op cit

بالإضافة إلى مصطلح آخر لكنه لا يرد إلا نادرا و هي كلمة "بشدور" و هي كلمة دخيلة على العربية من الأصل الأجنبي Ambassadeur ، هنا إشارة إلى السفير المقيم مثل ما هو الشأن إلى سفراء أو "بشادورات" الدول الأوروبية في القسطنطينية أو المغرب الأقصى و إنما إلى من يكون على رأس سفارات باتجاه أوروبا (لفترة مؤقتة و لغاية محددة) و مصطلح السفير في اللغة العربية يعني الرسول و جمعها سفراء ، ففي حديث علي لعثمان (رضي الله عنهما) :

"أن الناس قد استفسر وني بينك و بينهم ، أي جعلوني سفيرا و سفرت بيني القوم إذ سعيت بينهم في الإصلاح"[1061].

و ذلك ما استنبطناه من خلال رسالة الريس أحمد إلى سليمان بلوكباشي : " يتولى نشره ليد سليمان بولكباشي بشدور في بلد الفرنسيس يقال لها البريز..."[1062].

و لا يمكن أن نتجاهل الموثقين chancelier هم موظفين في السلك الدبلوماسي و هم يقومون بدور الكتاب ، و الموثقين ، و محضرين[1063] حسب قوانين وزارة البحرية الفرنسية المادة (20-24-25) لسنة 1681 و قوانين 1728 و 1781 ، و أهم المهام التي أوكلت لهؤلاء الموثقين هي الحفاظ على سجلات و عقود القنصليات[1064].

و إن كنا نجد القناصل و نوابهم الأوروبيين يتعاقبون في الجزائر فإننا لا نجد تمثيل قنصلي جزائري دائم في الدول الأوروبية، في حين نجد وكلاء وممثلين للإيالة في مناطق العالم الإسلامي ، إذ نجد ممثلين للداي و ممثل باي قسنطينة في تونس مهمتهم الإشراف و تسيير شؤون الجزائر سياسيا و اقتصاديا في تونس كما نجد لأول مرة القنصل البريطاني مادر

[1061] -قدوري عبد المجيد ، المغرب و أوروبا ، م سابق، ص ص 305-306.
[1062] المكتبة الوطنية بالجزائر . مج 319 ، ورقة 404 : سبب تحرير حروف الكتاب و موجب تسطير الخطاب ما يذكر حالا بأول شهر ربيع الأول سلطان الغرب تعين بشادور سماه سيد أحمد مبعوث لأوجاقنا".
-قنان جمال ، نصوص ... م سابق، ص 183-184 عن :
ANP / Marine B7 220.
[1063] -Feraud Giraud (L.J.D) **. De la juridiction française dans les échelles des levant et de Barbarie** (paris :Ed A. Durand, 1859) , p 241.
[1064]- Ibid, p 243.

Mader يطلق عليه تسمية القنصل الجزائري بتونس [1065] و عند الإطلاع على مراسلات بلانتي Plantet كثيرا ما نجد مصطلح القائم بالأعمال [1066] و ذاك ما يستعمله أيضا حمدان خوجة أي القائم بالأعمال و كذلك وكيل الجزائر أو وكيل قسنطينة [1067] و يضيف أن من يريد أن يعين وكيلا في تونس ما عليه إلا أن يقدم الهدايا لأهم الشخصيات في بلاط الجزائر.

2 -عوامل عدم التكافؤ :

حاولنا جمع جملة من العوامل ذات الطابع التاريخي ، السياسي و الاقتصادي للإجابة عن عدم التكافؤ و عن أسباب عدم تطبيق الجزائر لبنود المعاهدات الخاصة بتبادل التمثيل الدبلوماسي :

- ❖ لا يمكن أن نبعد عن الذاكرة ما حدث للوفد الجزائري بقيادة سنان باشا في ما يعرف بـ"مذبحة مرسيليا" ، هذه الحادثة التي أدت إلى اندلاع الحرب بين البلدين ، حرب كلفت تجارة مرسيليا خسائر بالغة مما دفع بتجار المدينة إلى رفع عريضة إلى الملك لويس الثالث عشر Louis XIII يطلبون فيها بذل مساعي لإنهاء الحرب و إقرار السلم مع الجزائر و لو بإطلاق أو تبادل الأسرى بين الطرفين :

> " إذا رددنا لهم العبيد الأتراك الموجودين في أجفانكم مقابل العيش في حالة سلم جيد و حسن التفاهم مع رعاياهم...
> و رد كل أسراكم من المسيحيين ... و الذي يفوق عددهم ستة آلاف هم أساسا من مدن مالو، هافر، قراش ، روان..."[1068].

و استجاب لويس Louis XIII لهذا المطلب و أخطر تجار مرسيليا بأنه قد أرسل مبعوثا إلى الجزائر و هو صانصون نابولون Sanson Napollon ، نستنتج الضغط الشعبي و تأثيره

1065 -الندوة الوطنية حول الأرشيف الخاص بتاريخ الجزائر و المحفوظات بالخارج (الجزائر 16-19 سنة 1998) مطبوعات الأرشيف الوطني الجزائري رقم 11 / 2000 ، ص 60 .

1066 Plantet E . Correspondances ... T II , op cit p 478.

1067 -حمدان خوجة . مص سابق ، ص 164 .

1068-قنان جمال ، نصوص و وثائق ، ... ن سابق , ص 181 عن ANP/ Marine B7 49

على سياسة الحكومات الخارجية فالمحرك في العلاقات هو المصالح التجارية و ما تبادل الأسرى إلا أداة من أدوات دبلوماسية القرن 17.

- و المؤكد أن امتناع و ليس تمنع الأطراف الجزائرية عن إقامة القناصل في أوروبا يعود لأسباب خفية سنحاول التركيز على الجانب الفرنسي بحكم القدم و الأسبقية و حجم العلاقات بين البلدين.

فقد تم الاعتماد على وكلاء و ممثلين لمصالحهم من اليهود ، و مع القرن 18م بدأت الأوساط المرسيلية و الباريسية تدق ناقوس الخطر أمام تزايد التجار الجزائريين بمدينة مرسيليا ، و ذلك باتخاذ التدابير لحماية التجارة الفرنسية من أي منافسة أجنبية قادمة من شمال إفريقيا ، فقد عبر نواب غ.ت.م في 25 مارس 1771 :

"... التخوف الكبير من هؤلاء البربرسك الذين يقومون منذ مدة بنشاط تجاري بمرسيليا فلماذا لا تمنعونهم ..."[1069]

و في نفس السياق يأتي رد حكومة باريس : "... أنه يستحيل منعهم ، لكن سنعمل على الحد من عددهم ، فما السبيل لتفادي ذلك..."[1070]. الرعايا الجزائريون لم تكن لهم نفس الحريات في الدول الأوروبية و لا الامتيازات كتلك التي يتمتع بها الأجانب "أهل الذمة" في إيالة الجزائر التي تضمنها لهم المعاهدات، و لم تكن تتوفر للمسلمين مرافق كالمسجد لتأدية شعائرهم ، كما ورد في مذكرة محاسب البحرية :

"... الأتراك ليس لهم مسجد هنا ، لكن لهم مكان حيث يقومون بصلاتهم و تم اعتقال قاضيهم في السنة الماضية بسبب سرقـة و كل الديانات تعاقب على ذلك..."[1071].

[1069] -ACCM Série J .Art 1874.
[1070] -ACCM Série J. Art 1874.
[1071] -ACCM Série G, Art 6 RIR .Musulmans (1685-1775).

كان مشكل المرافق – المسجد و المقبرة – موضوعا للمراسلات بين الدايات و ملوك فرنسا و إبراز المضايقات التي يتعرض لها المسلمون من تجار و أسرى في ممارسة شعائرهم ، عكس ما يتمتع به المسيحيون من حريات دينية.

هنا نعرض كنموذج مراسلة الداي علي باشا لكاتب الدولة للبحرية في 12 ديسمبر 1760 (4جمادى الأولى 1174هـ) و بعد الديباجة المعتادة بين الداي يشير إلى :

" المعاملة السيئة التي يتعرض لها المسلمون و يشير خاصة إلى قضية تهديم مسجدهم الذي كان يجتمعون فيه لأداء الشعائر و يطلب من الملك أنه بمجرد وصول هذه الرسالة في يديه أن يباشروا بإعادة بنائه"[1072] .

لكن من خلال وثائق غ.ت.م [1073] أنه لم يكن للمسلمين مسجدا و إنما مجرد مقبرة و هي في نفس الوقت المكان لأداء الشعائر. لقد وصل الأمر بمسؤولي مرسيليا و طولون إلى اتهام المسؤولين بالسرقة فقد كتب محاسب البحرية في 19 فبراير 1761 :

"... إن القاضي المسلم وضع في الأغلال و حكم عليه بتهمة السرقة و كذلك شرائه للمواد المسروقة و ذلك عمل سيعاقب عليه ..."[1074] .

و يبدو أن ظاهرة التطرف المسيحي و معاداتهم للمسلمين نجد له أثرا في القرن السابق (القرن 17م) ، من خلال مراسلة الداي الحاج شعبان للملك لويس الرابع عشر Louis XIV في 23 جويلية 1691 مذكرا إياه :

" إن للمسيحيين مقبرة في الجزائر لدفن موتاهم بينما لا نجد مقبرة للمسلمين الذين يدفنون موتاهم على شاطئ البحر ، كما يندد بالعمل البشع عند وفاة أحد أعضاء السفارة الجزائرية (سفارة محمد الأمين) بطولون ، إن محاسب البحرية حدد لهم مكانا لدفنه لكن جماعة من الغلاة أخرجت الجثة من القبر و أحرقتها ، و هنا في – الجزائر- يموت حوالي 20 أسيرا

1072- Plantet . Op Cit, T. II, p 259.

1073 -ACCM Série G , Art 6 . طولون 19 فيفري 1761.

1074 ACCM. Série G Art N° 6.

و يدفنون في مقبرتهم وفقا للشعائر المسيحية ، فإذا وصل خبر هذه التصرفات إلى سكان الجزائر قد يفعلون مثلما فعل سكان طولون بجثة ذلك المسلم"(1075).

و يتجلى موضع الاستياء في أن حكام المدينة لم يقوموا بالتحقيق و الاستفسار في الأمر،و هنا نتساءل عن الجو الذي يعيشه المسلمون في فرنسا إذ كان هذا هو حال أحد أعضاء البعثة فما هو حال التجار أو الأسرى المسلمين؟؟؟.

و الأخطر هو مساهمة القناصل في تذكية التخوف داخل فرنسا من الجزائريين و إلا بماذا نفسر مراسلة القنصل بوم Baume في 25 جويلية 1719 :

"... إنني أكرر أنه لا شيء أهم من منع أي يهودي ، يوناني أو عربي من شحن البضائع من فرنسا نحو الجزائر..."(1076).

أو تلك التوجيهات التي أرسلها وكلاء الشركة الملكية الإفريقية إلى غ.ت.م و موثق القنصلية مايفرن Meifrun في 21 أكتوبر 1781 بهدف عرقلة نشاط التجار الجزائريين بمدينة مرسيليا :

"... يكون الأمر خطرا ليس فقط على الشركة بل حتى على مصالح التجار الفرنسيين في مدينة الجزائر إذا دخل مشروع الحاج عمر* حيز التنفيذ ، فهو يريد تسويق حمولاته من القمح بنفسه لحساب باي قسنطينة ، حاولوا منعه ،أو امنعوا الداي من منحه الرخصة..."(1077) .

و هنا إشارة إلى المحاولة النهضوية في مجال التجارة و التخلص من أية وساطة و القيام بالعمليات التجارية مباشرة . و مما سبق نتساءل أين هي الظروف و المحفزات لاستقرار قنصل جزائري بصفة دائمة لحماية مصالح رعاياه في محيط كله استفزازات !!! و في هذا تجاوز بين أوروبا و إيالة الجزائر و التفوق الدبلوماسي كما تدل على عجز مؤسسات الإيالة

1075 -Plantet T .I , p 314.

1076 -Grammont H. De . Correspondance... , op cit ,p 154.

* الحاج عمر : هو صهر صالح باي الذي تولى بايلك الشرق من 1771 إلى 1791.

1077 -ACCM. Série LIII art 85 .

في مسايرة الواقع و التطور الذي تعرفه أوروبا و ربما شأنها شأن بقية العالم الإسلامي استنادا إلى ما يقوله هشام جعيط :

"نجاح أوربا في فرض نوع العلاقات التي ارتبطت بها مع العالم الخارجي جعلها تنتعش و تتغذى بعطاءات الثقافات غير الأوروبية ، مما جعلها تفرض أسلوبها و سيطرتها على العوالم الأخرى..."[1078].

❖ عدم وجود الترجمان لدى الجزائريين في الدول الأوروبية ، و إنما الاكتفاء باستعمال اللغة الفرنكية Langua Franca [1079] و هي ذلك المزيج من الإيطالية و الاسبانية و الفرنسية و البرتغالية ، في حين تتمتع القنصليات بوجود مترجمين.

نظرا للارتباط الوثيق بين الدبلوماسية و التجارة الأوروبية نلاحظ التوسع الجغرافي على طول السواحل الجزائرية من خلال السيطرة على المحطات التجارية Les échelles لا سيما بعد تحرير وهران الأول 1708 و محاولة موريباس تمتين العلاقات مع داي الجزائر و باي وهران (مصطفى بوشلاغم) عن طريق الهدايا [1080] و استغلال منتوجات بايلك الغرب بشكل مكثف و ذلك ما تكشف عنه السجلات التجارية بـ غ.ت.م و السفن التي وصلت مرسيليا قادمة من وهران لحساب كل من مارتان لافبر Martin Lavabre و نيكولاص صليكوفر Nicolas Solicofre [1081] ، و نعود إلى نفس الإشكالية المطروحة أين هو موقع التجار الجزائريين من التجارة البحرية الأوروبية ؟؟ أو ليس هذا مظهرا من مظاهر التجاوز و التفوق الأوروبي ؟؟.

فبالرغم من المعاهدات المبرمة بين الجزائر و فرنسا كمعاهدة 23 ديسمبر 1719 [1082] و التي تحمل في طيات بنودها – البند الثاني – أن رعايا الطرفين يمكنهما الاتجار في البلدين

1078 -Djait Hicham .L'Europe et l'Islam. Paris, 1978, p10, 29.
قدوري عبد المجيد، أوروبا و المغرب... م سابق، ص 309.

1079 -El Hassan Zeghari Latifa, op cit , p 37.

1080 -ACCM Série J, art 1881, objet , Alger affaires Diverses : رسالة موريباس 10 ماي 1724

1081 -ACCM Série I art 6 , objet 13 mai 1719 – sept 1729 .
-ACCM Série I art 7, objet 7 sép 1730 – 1736.

1082 -ACCM Série I art 58 , objet : article et condition de paix , denis dessault consul et envoyés de Louis XV à Dey.

على أساس المساواة ، لكن أين هي مجالات التطبيق ؟؟ ففي الوقت الذي تحصلت فيه أطراف فرنسية على بيوتات تجارية في بايلك الغرب و استغلال بايلك الشرق عن طريق المؤسسات الفرنسية عبر مختلف المراحل[1083].

- ❖ نجد أن تواجد التجار الجزائريين انحصر تواجدهم في مرسيليا و طولون و انتقال الجزائريين إلى الموانئ و المدن الفرنسية مرتبط برخصة مرور خاصة Autorisation de circuler رخصة لا تمنح لأي كان[1084] و هذا ما يفسر قلة عدد التجار في البلاد الأوروبية كما يشير ماصون Masson من خلال وثيقة مؤرخة في 1777 : " أن الجزائريين نادرا ما يذهبون إلى انجلترا أو هولندا ... و غالبا ما يأتون إلى مرسيليا..."[1085] نجدهم ملاحقين بمضايقات متعددة الأشكال.

مقارنة بالتجار و التجارة الأوروبية نجد محاولات محتشمة إذ حاولوا أن يطوروها خلال القرن 18م ، غير أن الأوساط السياسية الأوروبية لم تتجاهل هذه المحاولات فالقنصل الفرنسي نيكولاس روزالم في البندقية يقول في مذكرة له سنة 1754 :

> "يقوم المسلمون بالتجارة في ليفورن و الشرق
> و هم يستعملون سفن تحمل رايات الدول الصديقة
> لنقل و شحن بضائعهم..."[1086].

إن السياسة العدائية التي تبنتها الدول الأوروبية تجاه الإيالة كان هدفها ضرب البحرية الجزائرية في العلن و الخفاء ، فقد تحالفت بعض القوى و على رأسها فرنسا مع نظام مالطا

[1083] -تتمثل هذه المؤسسات في :
مؤسسة ديدي ولانش 1560
مؤسسة هيلي1694 -1713
الشركة الإفريقية 1719 -1714
شركة الهند الشرقية 1719-1730
الشركة الملكية الإفريقية 1741-1794
الوكالة الإفريقية1894-1807

[1084] Amine Med . Commerce extérieur et commerçant d'Alger à la fin de l'époque Ottoman. thèse de doctorat sous la direction de Pr André Noushi , T I ,Université de Aix en Provence , 1998

[1085]- Masson, p .H . Des Etbs… Op Cit, p 585.

[1086]- Emerit marcel : « Essai d'une marine marchande barbaresque au XVIII Siècle » , **les cahiers de Tunisie** , N° 11 , 1955, p 366.

لحماية التجارة الأوروبية من أي منافسة للتجارة الإسلامية في البحر المتوسط التي من شأنها أن تقف حجر عثرة أمامهم ، و نستشف ذلك من خلال تقرير المشرف على مصالح فرنسا في مالطا سنة 1790 :

"تولـي مرسيليا اهتماما خاصا بنظام مالطا ، و مـن أولوياتنا منع الأتراك من شحن بضائعهم على سفنهم الخاصة ، و ضرورة إبقائهم تحت تبعيتنا..."[1087].

و لم تكن الجزائر بغافلة عن التحالفات السرية بين الدول الأوروبية ، فعند استعادة الأسبان لوهران سنة 1732 كانت بمساعدة فرنسية و ندعم ذلك بمراسلة الداي إبراهيم باشا إلى الكونت موريباس Maurepas في 6 فيفري 1734 الموافق لـ 6 رمضان 1146 :

"... واضح مثل النهار أن الانتصار الذي حققه الأسبان في وهران التي فاجئوها لم يحققوه سوى بفضلكـم عن طريق القوات و الذخائر التي زودتموهم بها . إن الصداقة المعلنة مقترنة بعداء مضمر لا تبشر بخير... ساعدتموهم بأربـعة أو خمسة ألـف رجل مسلح... هـل هذا الـنوع مـن التصرفات نصت عليها معاهدتكم ؟؟ لقد أخذنا عددا من الأسرى في وهران و تبين أنهم فرنسيون..."[1088].

و يبدو أن التحالفات الأوروبية ضد الإيالة و ضربها عسكريا إنما كانت بهدف الانتقام من الجزائريين و القضاء على بحريتها و على حد تعبير بنانتي Pananti أن الهدف القضاء على القرصنة و تحضير إفريقيا[1089].

لقد ركزت الدول الأوروبية في ضرب إيالات شمال إفريقيا على الجزائر و جعلتها في بؤرة اهتماماتها ، و هنا تبدو أهمية الجزائر مقارنة بباقي الإيالات و هنا تفوق للجزائر،

[1087] -Valenci lucette. **Le Maghreb avant la prise d'Alger**. (Paris : Ed Flammarion ,1969), p 63.

[1088] قنان جمال ، نصوص و وثائق ، م سابق ، ص 224 عن :

ANP/Marine B7 321.

[1089] -Pananti , op cit , p 414.

فأي دولة تريد إبرام سلام مع هذه الإيالات أو مع المغرب الأقصى ، فلن يكون ذلك إلا إذا نجحت في الحصول عليه مع الجزائر أولا – دليل على قوتها – و هي التي تسعى إلى تسهيل المفاوضات فعلى سبيل المثال المعاهدة مع جنوة أو المعاهدة الأمريكية مع الجزائر[(1090)].

3- خصائص الديبلوماسية الجزائرية :

إن التغير الداخلي الذي حدث في الجزائر بعد أزمة 1671 و تغير نظام الحكم من الأغاوات إلى الدايات قد استفادت منه فرنسا بتثبيت أقدامها و مؤسساتها بالموانئ الشرقية، في حين نجد تحسر انجلترا من عدم استفادتها من الوضع الجديد بعدم طرد الأسبان من مناطق الاحتلال وهران و المرسى الكبير- و بعض المناطق المغربية كسبتة و مليلية- في إطار المشروع الذي اقترحه شارل لنقلد Charles Longlaud قنصل انجلترا في ليفورن في مراسلة إلى باديلس Badi ley في 4 أكتوبر 1656[(1091)] بضرورة إنشاء قاعدة عسكرية بوهران للسفن الانجليزية.

و تتضح مسألة التهديد الدبلوماسي ليس فقط عن طريق القوة بل حتى من خلال المراسلات فهذه مراسلة ملكة انجلترا اليزابيت الأولى Elizabeth I لباشا الجزائر تطلب منه المعاملة الحسنة لرعاياها خاصة من قبل قراصنة الجزائر ضد العدو المشترك (اسبانيا) و إلا ستمنع رعاياها من ممارسة التجارة مع الجزائر[(1092)] ارضاءا لبريطانيا أرسلت الإيالة سفارة جزائرية لإظهار النوايا الصادقة لاستمرار السلم.

و إن كانت لغة التهديد لا تجدي ، إذ غالبا ما تنعكس سلبا على الدول الأوروبية و تكون نتائجها عكسية خلال القرن 17م و ذلك ما رأيناه بعد مذبحة مرسيليا و هجوم دوسكين Duquesne و دي تري D'Estrées [(1093)] و خسائر انجلترا بعد حملة مانصل Mancel[(1094)] فبعد انسحابه تمكنت البحرية الجزائرية من الاستيلاء على 40 سفينة

[1090] -Ghazali maria , la régence de Tunis et l'esclavage à la fin du XVIII° Siècle . CMMC , université de Nice , sophia Antopolis.
[1091] -Fisher , op cit , p305.
[1092] -Fisher, op Cit ,p 191.
[1093] بوعزيز يحيى . الموجز في تاريخ ... م سابق ص 57 .
[1094] -Playfair ... op cit , p

انجليزية مثلما تضررت التجارة الفرنسية بعد 1620 ، و قد أدرك السفير الانجليزي بالقسطنطينية روي Roe الذي أدرك فيما بعد أن مصالح و سياسة الشركة الشرقية لا تتماشى و السياسة المعروفة "بالنار و السيف" ، استعمال القوة من قبل بريطانيا يتكرر على الجزائر كحملة 1661 و التي جاء ذكرها عند ابن رقية التلمساني :

"سنة إحدى و سبعين و ألف في دولة رمضان بولكباشي
أتت عمارة الانكليز بثلاث و عشرين سفينة كبارا و أراد
يجدد الصلح الذي بينهم و بين أهل الجزائر و شرط شروطا
... مكث اللعين منتظرا الجواب يوافق غرضه ثلاثة و عشرين
يوما ، فحين أيس اللعين ... شرع بالرمي إلى الأبراج و إلى
المدينة..."[1095].

جاءت هذه الحملة كرد فعل على رفض لندن لمعاهدة 1660 [1096] التي اعترفت للبحرية الجزائرية بحق تفتيش السفن الانجليزية و الاستيلاء على بضائع الدول الأجنبية.

و هذه إشارة إلى حملة الكونت دوساندويتش Conte De Sandwich [1097] ، حملة فاشلة ، انتهت بالتوقيع على معاهدة 23 أفريل 1662[1098] وقعها عن الملك الانجليزي شارل الثاني Charles II الأميرال السيرجون لوسن Sir John Lawson ، و قد وردت إشارة عن ذلك في ما كتبه كاتب الدولة موريس إلى سفيره بالقسطنطينية في 16 جوان 1660 :

"ذهب اللورد ساندويتش إلى المتوسط على رأس 14 أو 15 سفينة لتقديم اقتراحات سلم مع الجزائر ، تونس و طرابلس و في حال رفض هذه الإيالات لشروط السلم المقترحة يمكن عقابها و الهدف الأساسي هو عدم تفتيش السفن الانجليزية و إذا ما تم مساءلتكم عن ذلك في القسطنطينية يمكن طمأنة

[1095] ابن رقية التلمساني ، مص سابق ، ص.
قنان جمال ، نصوص و وثائق ... م سابق، ص ص 113-114.
[1096] Fisher G . op cit , p 306.
[1097]- Playfair , R , Episode … op cit , pp 401-402.
[1098] - ANP/ Marine B7 523.

السلطان بأن جلالة الملك لا ينوي قطع علاقات الصداقة و إنما فقط عقاب هؤلاء القراصنة ..."[1099]

و يعاود هذا الأمير الكرة سنة 1664 بسبب استيلاء البحرية الجزائرية على السفن الانجليزية و سجن القنصل الانجليزي لتجدد المعاهدة في 30 أوت 1664[1100] هي كلها بنود تناولت مصالح انجلترا أو الرعايا الانجليز في الجزائر دون التطرق إلى المعاملة بالمثل بالنسبة للطرف الجزائري (أنظر الملحق).

يبدو أن انجلترا و معها هولندا قد أدركتا مع أواخر القرن 17 م أن التلويح بالقوة لا يخدم مصالحهما [1101] و أن التقارب هو الوسيلة الأنجع من خلال العطايا و الهدايا لعناصر الأوجاق و محاولة المساس و التأثير على العلاقات الجزائرية الفرنسية ، و هذا ما جعل بالسيد ساينلي M. Seignelay إلى تغيير سياسة الهجومات و الحملات على الجزائر[1102] ، فأمر المبعوث الفرنسي إلى الجزائر بإحياء ذلك التحالف التقليدي بينهما ، فأتت هذه السياسة ثمارها إذ نجح كل من مارسيل M. Marcel و دوسو Dussault في التوقيع على معاهدة سلام في 25 سبتمبر 1689 [1103] ، رغم المحاولات الانجليزية لعرقلة التوقيع على المعاهدة و ذلك بإنفاق ما يزيد عن 25000 قرش قوي لكن دون جدوى.

يبدو أن سياسة الجزائر الخارجية في عقدها للمعاهدات مع القوى الأوروبية كانجلترا ، فرنسا و هولندا هو ضمان حيادها إزاء حربها و صراعها مع اسبانيا .

و يتبين عمل القوتين فرنسا و انجلترا في سياستهما مع دول شمال إفريقيا على تحقيق التفوق البحري في المتوسط ، فسياسة كروموبل Cromwell * تتمثل في إبقاء أسطول بصفة دائمة و الزيارة المستمرة لسفنها للمحطات التجارية على ساحل شمال إفريقيا ضمانا لحسن

[1099] Fisher G . op cit , p 306.

[1100]- Playfair , op cit , p 402.

[1101] Salvator Bono. Les corsaires en méditerranée, (paris : Ed la porte, 2000) , p 35 :
فشل حملاتها و توقيعها لمعاهدة 1679 ، أجبرتها الايالة من خلالها على تزويدها بالمعدات البحرية و الذخيرة."

[1102] Grammont .Un épisode diplomatique …. Op citP 131.

[1103]- Ibid.
-ANP . 45 M/1 (تتكون من 23 بند)

*كروموبل أوليفر Cromwell : 1599-1658 برلماني انجليزي معارض لسلطة الملك ، انتصر على تشارلز الأول و أعدمه سنة 1649 ، أخضع ..... و حل البرلمان و حكم ديكتاتوريا سنة 1653.

العلاقات بين انجلترا و دول البربرسك ، بذلك نرى أن البحرية لعبت دورا عسكريا و دبلوماسيا.

يبدو أن الدبلوماسية الجزائرية تميزت بقوة القرار و التصلب خلال القرن السابع عشر ، و تلهف العديد من الدول الأوروبية البحرية إلى ربط العلاقات السلمية مع الجزائر لحماية أساطيلها و تجارتها المتوسطية ، و كانت التجارة محطة أساسية و وراء المناورات أثناء المفاوضات.

و تسهيلا لذلك وضع الملك تحت تصرفه 400 جنيه إسترليني عند القنصل "أهل ستروم" في لندن [1104] و إذا ما وجد الاستعداد للتفاوض و قبول المعاهدة يعلم الوزير المفوض الذي ستبعث به السويد و إن نجح في مهمته سيكون أولى من غيره أن يعين قنصلا سويديا في الجزائر.

التحق الوزير المفوض جوهن فون أوتفال Johan Von Utfall ، و بعد مفاوضات صعبة توصل الطرفان إلى معاهدة 16 أفريل 1729 و التي وقعها الملك فريدريك الأول Frederik I في 4 نوفمبر 1729[1105] ، معاهدة أقل ما يقال عنها أنها كانت لصالح الطرف السويدي إلى أبعد الحدود (من خلال بنودها 22 كحرية الملاحة لسفنها و إعفاءها من التفتيش) و لا سيما البند العاشر :

"إذا جاءت السفن الحربية السويدية إلى أحد الموانئ الجزائرية بغنيمة فيكون لها الحرية الكاملة في التصرف في غنيمتها بالبيع أو غيره..."[1106].

في المقابل استفادت الجزائر من الهدايا الثمينة المتمثلة في المواد الحربية التي بعثت بها حكومة ستوكهولم عام 1730 مع القائد بول غرون هافن Paul Gronhaven على متن

1104 -المازري بديرة ، الجزائر و السويد ... ن م ، ص 38 :
"المبلغ موجه لشراء مجوهرات لإهدائها إلى الداي و الموظفين الكبار ، و تقديم هدايا لكل من يمكن أن يقدم مساعدة للوجي".
1105- ANP / Marine B7 537.
1106 -ANP / Marine B7 537.

السفينتين بوصاليون و طاكستيس Göth lejour , Taxetis ، بلغت قيمتها 20.980 ريكس دالر[1107] رد عليها الداي بهدية[1108].

فكم ألحت السويد و أرسلت العديد من المفاوضين للتوصل إلى التوقيع على المعاهدة بدءا بالمبعوث هنريك أزيفيدا Henrik Azeveda و هو من أصل يهودي على متن سفينة فونيكس phoenix السويدية سنة 1667[1109] لكن محاولته باءت بالفشل لتعاود الكرة بإرسال باكمان beckman سنة 1669 بهدف إبرام معاهدة تجارة و سلام و تفشل المحاولة الثانية.

و تماشيا مع السياسة التجارية السويدية الجديدة المنافسة لانجلترا سن البرلمان السويدي Riksdez سنة 1720 قوانين ليبرالية و ضغطت الأوساط التجارية على الحكومة السويدية لتأمين تجارتهم في المتوسط و تطبيقا لذلك أعد البرلمان سنة 1723 مشروع معاهدة سلام و صداقة و تجارة مع دول المغرب[1110] ، وتكفلت بهذا المشروع اللجنة الملكية للقوافل البحرية لأجل وضع حد لحالة الحرب بين البلدين فتم اختيار القبطان جورج لوجي George Logié* الذي أرسل إلى الجزائر في 1727 حاملا تعليمات ملكية (1اوت 1727) وكان عليه أن ينجح في إقناع الحكومة الجزائرية بالفائدة التي يمكن للجزائر أن تجنيها من عقد السلم مع السويد[1111] من خلال الهبة السنوية التي ستدفع للإيالة و الحصول على المعدات الحربية (أسلحة،ذخيرة و سلع أخرى)[1112] بأسعار منخفضة و اقل بكثير من أسعار البلدان الأخرى و بجودة عالية[1113].

1107 -المازاري بديرة ، الجزائر و السويد ، م سابق، ص 44.
1108 -تتمثل هدايا الداي عبدي باشا في أسدين ، قط وحشي و ثلاثة ضباع و عبدا.
1109 -المازري بديرة ، الجزائر و السويد ن م...، ص 35.
1110-المازري بديرة ، الجزائر و السويد ...م سابق، ص 35.
*لوجي جورج : من أصل اسكتلندي و جنسية سويدية.
1111المازاري بديرة ، الجزائر و السويد ، ن م ، ص ص 36-37.
- 1112-المكتبة الوطنية مج 3190 ورقة 452 :
سنة ألف و مائتين و تسعة ورد دنيمرك بالمهمات بيانها.
ورد الأشياء بيانها : 250 قراطل بارود.
بلانجات رصاص 68 قناطير.
مسمار 34 قناطير.
كابليات أربعين.
لوح كبير للقراطيل الكبار عدد 5000.
لوح للقراطيل الصغار عدد 5000.

ومن جملة التعليمات التي زود بها لوجي أيضا هو أمر الملك في النقطة السادسة التي يأمره فيها بالعمل على تمتين العلاقات الودية مع الداي و المقربين منه .

التلويح بالتهديد و استعمال منطق القوة ضد الإيالة تكرر في العديد من المناسبات، اشتدت وطأتها منذ القرن 17 م و القرن 18 م، هذه حملة الدانمارك على الجزائر سنة 1770[1114] بقيادة الأميرال هوغلاند hoogland بسبب رفض الجزائر لهدية السنتين لعام1769 لأنها لم تكن قيمة و مطالبة الجزائر بالاعتذار[1115]، غير أن الحملة باءت بالفشل لتطلب السلم بعد سنتين (15 ماي 1772) سلم كلف الخزينة الدانماركية مبلغ 270.000 غولدن هولندي كما تعهدت الدانمارك بشراء كل الأسرى الدانماركيين بالجزائر مقابل سعر خاص ذلك بالاستناد إلى التقرير الدوري الذي أعده القنصل السويدي براندل Brandel إلى حكومته في 20 فيفري 1773[1116] و يبدو أن هذا الصلح كلفها ثمنا باهضا حسب ما ذكره الزهار[1117] في تقاييده.

نشير في نفس السياق إلى الحملة الانجليزية بقيادة الأميرال دونيز Denise للضغط على داي الجزائر محمد بن عثمان باشا* و حكومته بقبول عودة القنصل الانجليزي فريزر Chambel Frazer الذي طرد سنة 1772 و يحمل رسالة من الملك الانجليزي الذي يعبر عن امتعاضه من قرار الطرد ، لكن جواب الداي كان واضحا و هذا ما يجعلنا نؤكد على قوة القرارات التي لا رجعة فيها تحت أي ضغط . أليس في ذلك تحدي للدول الأوروبية مهما كانت قوتها ؟؟؟ هذا التحدي التي حاولت القوى الأوروبية كسره و ما يبين ذلك هو كثرة

لوح التبطين.
لوح روبلو...

1113- ANP/ Marine B7 209 (commerce de holland 1680).

إذ قدمت هولندا سلع أقل جودة من نظيره السويدي ، نظرا لتعبئته في براميل صغيرة و الرطوبة داخلها.

1114 -ابن رقية التلمساني ، مصر سابق، ص ص 23-25 :

"في سنة أربع و ثمانين و مائة و ألف يوم الأحد ، ثامن يوم من ربيع الأول و هو اليوم العشرون من شهر الرومي ، جاء صاحب الناظور من بوزريعة بأنه رأى إحدى عشر جفنا بسنجاق دنيمرك ... و كان مدة مكثه ثلاثة عشر يوما . بعده بعث اللعين من مملكتهم أناسا أعطوا هدايا كثيرة و حللوا كثيرا...".

1115-المازاري بديرة ، الجزائر و السويد ، ن م ، ص 52.

1116 -لمازاري بديرة ، الجزائر و السويد ، م سابق، ص 52.

79 -الزهار ، مصر سابق، ص 25 :

"... لم يرض الباشا بالصلح معهم إلا بمشقة كبيرة ، و اشترط عليهم شروطا ، منها ثمن الصلح ، و مصروف القيرة و مقداره زوج ملايين و نصف مليون دورو ، و منها أنهم يدفعون الغرامة كل سنة ، فقالوا أن بلادهم بعيدة ، لكنهم يدفعون كل سنتين ... و وقعت المهادنة و أنزلوا القنصل ... و دفعوا العوائد لمستحقيها ...".

*محمد بن عثمان الباشا : داي الجزائر من 1766-1791.

الحملات مع النصف الثاني من القرن 18 م ، لا سيما تحالفات الدول المعادية (اسبانيا ، البرتغال ، مالطا و نابولي).

للتعرف أكثر على خصائص الدبلوماسية الجزائرية نتساءل هل كانت الإيالة بمعزل عن الأحداث الأوروبية بعد الثورة الفرنسية ؟؟.

فقد حاولت الإيالة استغلال حالة الحرب و المطالبة من بعض الدول المزيد من المداخيل بعد تراجع عدد القطع البحرية الجزائرية مع أواخر القرن 18 م[1118] ، بالمزيد من الطلبات كما فعل الداي حسن مع السويد بوضع قائمة جديدة للطلبات و عند عدم الاستجابة تم إعلان الحرب و طرد القنصل براندل Brandel و تعيين قنصل جديد و هو طوماس شولدبراند Thomas Skoldebrand الذي حمل على عاتقه مهمة إعادة العلاقات إلى طبيعتها و بالتأكيد على معاهدة 1729 فقد وافق الداي على نية عقد المعاهدة وفقا لمتطلبات جديدة أهمها دفع ضريبة سنوية [1119] و يمكن إجمال متطلبات الداي في ما جاء في تقرير براندل Skol debrand ، و حسب تقرير ذات القنصل أن السلم الموقع مع الجزائر في 25 ماي 1792 رغم تكاليفه الباهضة إلا أنه في صالح السويد لأنه يفتح أفاقا جديدة لتجارة السويد المتوسطية ، كما يمكن اعتبارها أكثر حظا من دول أخرى وقعت معاهدة سلام مع الإيالة كاسبانيا و التي كلفها مبالغ ضخمة 500.000 ريال نقدا و الحصول على 103 مدفع مع لوازمها و كذلك مع الو. م . أ التي كلفها السلام مع الإيالة 642.500 دولار كفدية لمائة أسير و هدايا لحكومة الجزائر مع التزامها بجزية سنوية مقدارها 12000 سوكين جزائري ما يعادل (21600 دولار)[1120].

[1118] -أنظر سعيدوني ، ورقات جزائرية .

[1119] -المازري بديرة ، التجارة و السويد ... م سابق، ص 57 : تتمثل متطلبات الداي فيما يلي :

- إقرار هبة السنتين.
- هدية سنوية من الأسلحة و الذخيرة قيمتها 10.000 ريال.
- هبة فورية بـ 20.000 ريال.
- بقية الهدايا التي لم يسددها القنصل السابق.
- حمولة سفينة من الأسلحة و الذخيرة بمناسبة وصول الداي إلى الحكم.
- هدية من الملك السويدي الجديد.
- هدية من القنصل الجديد.

[1120] -سبنسر وليام ، م سابق ، ص 155.

في إطار المحافظة على توسعها التجاري كان عليها أن تختار إما أن تدفع ثمن سلمها مع الجزائر و إيالات شمال إفريقيا أو مواجهة خطر القرصنة و مواجهة الدول التجارية ، و رغم وجود السفن الحربية الانجليزية و المالطية ... إلا أن هذا لم يمنع البحارة الجزائريين من الاستيلاء على غنائم الأوروبيين فاقترح القنصل ثلاث احتمالات لحماية التجارة و السفن السويدية في المتوسط :

1) فرض حصار على مدينة الجزائر و ذلك أمر مستحيل و يستدل في ذلك بفشل الحملات الأوروبية السابقة(1121).
2) إنزال عسكري و القضاء على مدينة الجزائر و ذلك لن يكون له من نتيجة سوى زيادة حماس الجزائريين و يفشل أي محاولة جديدة.
3) و أخيرا إمكانية هجوم دولة كبرى و قوية و القضاء على مدينة القراصنة.

و بما أن الاحتمالات الثلاث لا تجدي ، طرح فكرة جديدة و هي إرفاق القوافل التجارية Caravane Maritime * بسفن حربية ، غير أن ذلك يرفع من التكاليف بحيث تكون أكبر من الهدايا و الضرائب التي تدفعها للجزائر و التي تزايدت بشكل ملفت للانتباه (1122) ، و عليه ينصح القنصل السويدي حكومته بقبول طلبات داي الجزائر(1123) ، فذاك فيه حماية للتجارة السويدية.

إن الارتباط الوثيق بين التجارة و الدبلوماسية الأوروبية ، دفع اسبانيا إلى تغيير سياستها العدائية تجاه الجزائر مع نهاية القرن 18م ، هذا التغيير حركته المصالح الاقتصادية و التجارية و العسكرية خاصة بعد فشل حملاتها الأخيرة على مدينة الجزائر كحملة أوريلي O'Reilley سنة 1775(1124) التي سخرت لها كل الإمكانيات المادية و البشرية و حملتي

- 1121 من أهم حملات القرن 18 م الدانماركية – الاسبانية.

* القوافل البحرية هي حركة ملاحية للسفن الأوروبية تتعدد فيها المحطات و الموانئ التجارية ، من الجزائر باتجاه الإسكندرية ، ليفورن ،تونس ، أزمير و محطات أخرى. أنظر :
ACCM , Série J . Art 1879.

1122 -قدرت في ما بين 1791-1801 بـ 698.904 ريكس دالر و ما بين 1781-1790 بـ 30.842 ريكس دالر.

1123- المازري بديرة ، السويد و الجزائر ...، م سابق، ص ص 60-62.

1124 -ANP/ Marin B7 433 :
تتمثل في جملة من الرسائل و التقارير للقنصل فاليير لكاتب الدولة دوسارتين De Sartine وزير البحرية خاصة يذكر أن الأسطول الاسباني يتكون من 130 سفينة.

الدون أنطونيو الأولى 1783 و الثانية 1784 و ضياع وهران سنة 1791 ما كلف الخزينة خسائر كبيرة ، تكاليف دفعت بالوزير فلوريدا بلانكا Florida Blanca ** بالتقشف في الميزانية العسكرية و يذهب دي ابلازا De plaza إلى تأثير التيارات الإيديولوجية التي أثرت على الحكومة الاسبانية بالتخلي عن السياسة العدائية ضد المسلمين و سياسة تبناها الملك شارل الثالث Charles III [(1125)].

لتعود الدول الغربية إلى منطق العنف و استعمال دبلوماسية الحرب لتحقيق مصالحها مثلما هو الشأن بالنسبة للو.م.أ التي لوحت بالقوة للتوصل إلى معاهدات و ضمان استمرار السلم معها مما شجع الدول الأوروبية المجتمعة في مؤتمر فيينا في 1815 و استعمال نفس الأسلوب ، فالأميرال سيدني Sidney يطرح نظريته باسم الإنسانية و بضرورة حماية المسيحيين من قراصنة شمال إفريقيا و تمكن من تأسيس جمعية محاربة القراصنة [(1126)] هدفها الحصول على الدعم الأوروبي من أجل أي تحرك عسكري.

السؤال الذي يطرح نفسه ما هي عوامل التحول في السياسة الانجليزية تجاه إيالة الجزائر؟؟ علما أنها خالفت البراءات البابوية و مونت الجزائر بالمعدات الحربية مخالفة بذلك الضمير الأوروبي و المسيحي ، و يتجلى هذا التناقض في مذكرة فرانكلين Franklin التاجر الانجليزي إلى كاتب الشؤون الخارجية ليفنقتون Rib . Levington و أفضل هنا أن أترك العبارة كما جاءت :

"There were no Algiers , It would be worth England's while to buld one " [(1127)]

**فلوريدا بلانكا : الوزير الاسباني الأول عن :
فكاير عبد القادر ، آثار الاحتلال الاسباني على الجزائر خلال العهد العثماني (10-12هـ / 16-18 م).

[1125] -Eplaza Mikel De , Intérêts Espagnoles et Intérêts de la Turquie et de ses allies Maghrebins dans la diplomatie Hispano- Musulmane du XVIII Siècle , studio Islamica , Ex Fascicubo LVII , paris , pp 155-156.

[1126]- Dupy , op cit , pp 316-317 :
من الشخصيات البارزة لهذه الجمعية Vicomte De château briand صاحب فكرة القضاء على الرق الأبيض (الأوروبي) و مراسلته لملوك أوروبا بضرورة مباشرة مفاوضات مع ايالات شمال إفريقيا لوضع حد لتجارة الأسرى.

[1127] -Ibid . p 317.

يتجدد منطق دبلوماسية الحرب لدى الو.م.أ من خلال مراسلة الرئيس الأمريكي ماديصون S. Madison james و تكليفه للكومودور دي كاتور [1128] بالتفاوض من أجل تجديد المعاهدة و إرساء دعائم سلم لكن باستعمال التهديد ، و ما يؤكد منطق القوة هو رفض الكومودور اقتراح الداي عمر باشا بإجراء المفاوضات على أرض الجزائر، على أن تتم على متن السفينة الحربية La Guerrière ، فكلف قائد الميناء و قنصل السويد بالتوجه إلى السفينة الأمريكية حيث فرض الطرف الأمريكي شروطه التي اعتبرتها الإيالة مساسا بكرامتها (كتبادل الأسرى و عدم دفع الإتاوة السنوية) ، و في نفس اليوم نزل وليام شالر إلى الجزائر ليمارس مهامه كقنصل عام للو.م.أ حيث حظي بكل مراسيم التشريفات.

بالرغم من الأصوات المتعالية للقضاء على قرصنة شمال إفريقيا ، حتى من خلال كتابات القرن 19م [1129] ، إلا أن بعض الأطراف سعت لتقسيم وجهات النظر لأن قرصنة شمال إفريقيا تخدم مصالح انجلترا ما دام أنها تضرب مصالح أعدائها و هذا ما عبرت عنه بعض الصحف الانجليزية مثل صحيفة Edinburg و صحيفة Quaterly [1130] التي رأت أنه ليس من مصلحة انجلترا المشاركة في حلف ضد البربارسك ، و إن كان عليها فعل ذلك فالأولى هو القضاء على قراصنة الصين الذين يقفون حاجزا أمام تجارتنا في الشرق الأقصى... و من السهل علينا حماية ملاحتنا التجارية في المتوسط[1131].

مع ذلك تكرست الفكرة بحملة اللورد اكسموث Exmouth سنة 1816 ضد الجزائر التي كانت لها أهداف أخرى غير وضع حد للرقيق الأبيض و هي فرض على الجزائر حصول ساردينيا و نابولي على معاهدات صلح [1132] كتلك التي تحصلت عليها اسبانيا لتقف في وجه

[1128] -الوفد المفاوض تكون من دي كاتور Decatur , Stephen و باينبريدج Bainbridge و شالر Shaler أنظر :
-Ibid, p 310 :
" لقد أمليت شروط المعاهدة بأفواه مدافعنا ، و لم يتقبلوها إلا بعد الخسائر التي منيو بها ... و دعوني أقترح أنه لا بد من وجود قوة في البحر المتوسط لتضمن المراقبة الدائمة للملاحة".

[1129] -Chatekain chevalier . Mémoire sur les moyens à employer pour punir et détruire la piraterie Barbaresques , paris , 1928.

[1130] -Dupy , op cit , p 318.

[1131] - Ibid , pp 318-319.

[1132] -خط همايون عد 22486 ، تاريخ 1231 : "تقرير عمر باشا أمير أمراء الجزائر و الأوجاق و الضباط : " يطالب اللورد اكسموث بأن تعقد الصلح مع بعض الأجناس الكافرة ... رغم عداوتها لنا من قديم الزمان ، و قد تم الاتفاق مع الأوجاقين و إبرام الصلح مع الأجناس المذكورة دون تقييد و بدون دراهم ... و أراد جازما و مصمما فك الأسرى الموجودين منذ زمن بعيد في الجزائر ...".

المصالح الفرنسية ، دور الوسيط الذي لعبه اكسموث في الجزائر لم يكن ليرضي الدول الأوروبية التي اتهمته بالضعف عند لقاءه الأول مع الداي .

كان لهذه الحملة انعكاسات سلبية على البحرية الجزائرية و على تحصينات المدينة ، كما تخربت أجزاء من المدينة و هناك تفصيل عن هذه الحملة في الوثائق المحلية و المتمثلة في عرض حال قدمه داي الجزائر إلى السلطان العثماني [1133] ، و ما يبين الخسائر العسكرية الفادحة التي تعرضت لها الإيالة و هي طلب المساعدة من الحضرة الهمايونية :

"... جميعهم متـجهون إلـــى مولاهم و بادشاهــم حضرة السلطان المعظم ... طامعين في أعطاف كرمه الملوكاتية و آملين في إمــدادات و إحسانات شاهنية... بإعطـــاء الاحتياجات اللازمة كلها من جنود و عساكر و بارود أسود ... و قطعتين من السفن..."[1134].

وردت هذه الحملة في بعض المخطوطات المحلية من منطقة توات و التي تصف جسامة الخسائر لدرجة أنه يذكر - سقوط الجزائر- و حرق السفن في مرساها :

"أحرق جميع سفن الجزائر و هي أربعة عشر سفينة كبار جدا فثلاثة عشر أحرقها حتى لم يبق لها أثر و الرابعة عشر بقي شيء منها ... عظم فيها الكرب و الهم و الغم فوق ما يوصف و لا يخطر ببال و لا يقدر على الحقيقة شاعر و لا عاقل و لا فقيه و لا مداح و لا فصيح يصف هذه الواقعة..."[1135].

1133 -خط همايون ، العدد 22486 تاريخ 1231.
خط همايون ، العدد 22556 تاريخ 1231.
1134 -خط همايون ، العدد 22486.
- 1135 التنلاني ، الشيخ سيدي عبد الرحمن بن إدريس ، رحلة إدريس التنلاني ، مخطوط بخزانة كوسام أدرار ، (سيدي عبد الله البلبلي) ورقة رقم 7.

كما يتحدث عن الشروط التي فرضها الانجليز على داي الجزائر المتعلقة بالأسرى ، "أولها أن يرد إليه كل أسير عنده و هم محبوسون عنده في زمامه ثلاثة عشر ماية أسير و اثنين و ثلاثين أسيرا منها من قبيلة كذا كذا كذا..."[1136].

كما يتناول المخطوط خسائر المدينة و المتمثلة في خراب جامعها المالكي – الجامع الأعظم– و موت ثلاثمائة و إحدى و أربعين رجلا و سبعة و أربعين أكلهم البارود و الكور ، " و شاهدت في الجامع الكبير يوم التاسع بعد القتال رأس رجل و كتف آخر و كرش آخر بمصارينه كانوا ينقلون خراب الجامع ... الله تعالى يرحم جميعهم و نعم الموت "[1137].

إن أهم ما نتج عن هجوم اللورد اكسموث يتجسد في المذكرة العامة Général Mémorandum [1138] و التوقيع على السلم بعد التحية المدفعية (21 طلقة) .

تعددت مظاهر التجاوز الأوروبي و التفوق في إطار اختلال التوازن خلال القرن 19م خاصة بعد انتهاء الحروب النابوليونية بعد مؤتمري فيينا 1815 و اكس لاشابيل 1818 ، في هذا السياق ، وجدنا مذكرة للقنصل دوفال Duval في أرشيف خارجية فرنسا عن وصول قطع بحرية مشتركة انجليزية- فرنسية في 07 ديسمبر 1819 لإخطار الداي بقرارات اكس لاشابيل Aix – Lachapelle الخاصة بوضع حد للقرصنة في البحر المتوسط [1139] فقد طلب الأميرالين جوريان Jurrien و فريمانت Freemente جوابا خطيا و قطعيا من الداي الذي رفض طلبهما و أكد على مواصلة الحرب على الدول التي لا تربطه معها معاهدات.

و في هذا دلالة على التجاوز و التفوق و استعراض القوة البحرية على الجزائر باسم القرارات الدولية بشأن الملاحة الدولية.

قوة القرار السياسي الذي تميزت به دبلوماسية الجزائر في القرن السابع عشر من خلال المراسلات ، فقد أعطى الداي الأول مهلة لملك انجلترا شارلز إلى غاية نوفمبر 1674

[1136] -التنلاني ، ن مص ، ورقة 7.

[1137] ا-لتنلاني ، ن مص ، ورقة 9.

[1138]-Pananti , op cit , p 392

[1139] -ANP. AE / B3. 322. (précis des traits entre la rance et Alger et des expéditions).

بوضع الاتفاق – معاهدة 1662 – حيز التنفيذ إما أنه يتعهد بحياد سفنه في صراع الجزائر مع دول أوروبية أخرى أو أنه يباشر شراء الأسرى الانجليز (200 أسير) بمبلغ 5000 جنيه[1140]، وجه الملك مبلغ الافتداء مع Narborough قبل انقضاء المهلة لمنع أي قطيعة مع الجزائر.

حول هذه القضية علق سفير البندقية في لندن على تلك المهلة على أنها شكل من أشكال التهديد الدبلوماسي ، غير أنها مطلب شرعي رغم الصيغة الغليظة التي طرحت بها [1141] و لا طالما اعتبر مساسا بهيبة التاج البريطاني ، دون تجاهل تمسك الإيالة بنقطتين أساسيتين لضمان العلاقات مع انجلترا و هي مسألة الحياد و كذلك جوازات السفر.

إذا كان كولبير Colbert قد ميز السياسة الخارجية لفرنسا ، نجد أن بابيس Pepys قد لعب نفس الدور في مجال البحرية الانجليزية و العلاقات الخارجية ، فإعلان الحرب على الإيالة منذ أكتوبر 1677 كلف انجلترا خسائر جسيمة : (إذ خسرت 157 سفينة ، 3000 بحار و قيمة 300.000 جنيه) فكان على انجلترا أن تدفع ثمن عدم وفاءها للعهود بالإضافة إلى حرمانها[1142] من امتياز كانت تتمتع به و هو افتداء أسراها وفق سعر بقيمة الأمم و ليس بسعر شرائهم الأول ، و رأت فرنسا في الموافقة و الرضوخ الانجليزي أنه وصمة عار[1143].

أهم ما ميز الدبلوماسية الجزائرية هي احترامها للمواثيق و المعاهدات من أجل الإبقاء على العلاقات الحسنة بين الدول ، و إن كانت بعض الكتابات تدعي عكس ذلك خاصة الفرنسية ، و حسن معاملة الرعايا الأجانب من خلال شهادة الآخر و من مر بها من الانجليز في طريقه إلى الشرق[1144].

1140- Fisher , op cit , p 334.

1141 -Ibid , p 335.

1142 -Fisher .op cit , p 346.

1143- Grammont , H … op cit , p 247.

1144 -نماذج من الشهادات : لورانس ألدرسيقو Laurence Aldersegos زيارته الممتعة للجزائر سنة 1586 ، مرور وليام بيدولف William Biddulph بالجزائر 1598 في طريقه الى حلب للعمل كقس ، و طوماس دالام Thomas Dallam الذي حمل هدية الملكة إلى السلطان العثماني و هي عبارة عن أرقن كبير Grand Orgue.

و نجد في هذا السياق على سبيل المثال لا الحصر تصريح فرانسيس نايت Francis knight : "إنني متأكد أن آخر معاهدة سلم مع الجزائر تم خرقها من قبل الانجليز ، الأمر الذي أضر بالجزائريين ، و لم يكن الانتقام إلا لاحقا..."[1145].

احترام المدة الزمنية للمعاهدات المبرمة مع الدول الأجنبية ، بذلك حرصها على علاقات السلم و إن كان هناك خروق استثنائية و إعلان حالة الحرب ، و ما معاهدات السلم المائوية [1146] إلا رغبة في وجود حالة السلم في التعامل مع الغير ، بالإضافة إلى معاهدات السلم المطلقة دون تحديد فترة السلام.

التعامل مع الدول على أساس المساواة[1147] و ذلك ما نستشفه من خلال المعاهدات المبرمة مع الدول و من خلال نظام التشريفات التي حظي بها الممثلون الدبلوماسيون على قاعدة واحدة دون النظر إلى حجمها أو قوتها.

حرص الجزائر على وجود ممثلين دبلوماسيين ، إذ كانت هذه المسألة محور المراسلات بين داي الجزائر حسن باشا و ملك اسبانيا [1148] مما يبين نية الجزائر و حرصها على بناء علاقات متينة مع اسبانيا ، فعندما استبطأ الداي وصول القنصل إلى الملك رسالة في 27 جوان 1792 :

" إن ما يثير العجب أيها الصديق هو عدم ظهور قنصل معتمد عليه من طرفكم بالرغم من مرور عامين على ذلك ، مع أن وزيركم قد وعدنا في مكاتبته أي بوصول القنصل المعتمد عليه في غضون شهرين غير أن هذا الوعد لم يتحقق حتى الآن ..."[1149].

1145- Fisher, op cit , p 290.

1146 -قنان جمال ، المعاهدات ... م سابق، ص 141 ، 163.

1147 -قنان جمال ، المعاهدات... ، م سابق، ص 259.

1148 -فكاير عبد القادر ، م سابق، ص 280.

1149 -فكاير عبد القادر ، ن م ، ص 280.

و يرد الملك الاسباني على هذه المراسلة في 21 أوت 1792 ذكر فيها تعيين قنصل في الجزائر[1150].

الاهتمام بالتوقيع على المعاهدات مع الجزائر ، إذ أصبحت الدول تتسابق إلى عقد سلم مع الجزائر ، فقراءة متمعنة لهذه المعاهدات تبين أن هم القوى الأوروبية هو الدفاع عن مصالحها التجارية ، معظم البنود و الشروط المتفق عليها تنص على حماية مصالح التجار الأجانب في نفسه و ممتلكاته ، و حماية السفن و حرية ملاحتها و استعمالها للموانئ الجزائرية إلى جانب الامتيازات القضائية.

4- السفارات الجزائرية و الفرنسية :

ارتبطت العلاقات الدولية في العصر الحديث بالعلاقات بين العالم المسيحي و الإسلامي التي تعد الجزائر إحدى محطاته ذات العلاقات المباشرة به (عسكريا- سياسيا- دبلوماسيا و تجاريا).

لقد اعتمدت أوروبا على المؤسسة الدبلوماسية و آلياتها للتوغل داخل المجتمعات الشرقية و من بينها المجتمع الجزائري من خلال إدراك ذهنية المجتمع و الاحتكاك و ربط العلاقات مع مختلف عناصر الإيالة . و يظهر ذلك من خلال ما تركه الرحالة من انطباع أو ما يذكره القناصل[1151] و موثقيهم من تقارير مفصلة عن كل ما يتعلق بشؤون الإيالة الداخلية.

و إن توفرت الكتابات عن السفارات الأجنبية ، نجدها شحيحة عن السفارات الجزائرية نحو أوروبا ، و لا نجد من دوّن سفارته كما فعل بعض السفراء المغاربة [1152] أو العثمانيين

1150 -بوعزيز يحيى ، المراسلات ... م سابق، ص 146.

1151 -Esquer G .Mémoire de Thainville.
Mémoire de kercy.

1152 -عبد الرحمن المؤذن و عبد الرحيم بنحادة .السفر في العالم العربي الاسلامي التواصل و الحداثة ،.ص 47 : من بين السفارات المغربية اتجاه اسبانيا ، محمد بن عبد الوهاب الغساني في مخطوطه (رحلة الوزير في افتكاك الأسير) و الكردودي في مخطوطه (التحفة السنية للحضرة الحسنية بالمملكة الصبنيولية) و ابن عثمان المكناسي في مخطوطه الاكسير في افتكاك الأسير.

[1153] ما سنقدمه من نماذج مستقى مما وجد في الأرشيف كوثائق أو ما ورد عنها في المراسلات بين دايات الجزائر و فرنسا أو أوروبا ، و بالتالي سيكون من الصعب الإقرار بوجود آلة دبلوماسية و التي سنتناولها من منظور الآخر.

أ-السفارات الجزائرية :

نجد بعض السفارات الجزائرية التي تقوم بالسفر إلى دولة أوروبية من أجل القيام بمهمة معينة بأمر من الداي أو ديوان الجزائر عكس الرحلة السفارية [1154] التي تندرج ضمن أدبيات الرحلة ، إذ ارتبطت السفارات الجزائرية بظروف خاصة ، و لا تكشف لنا المصادر عن اهتمام الإيالة بتكوين دبلوماسي لشخصية السفراء أو تكوين المترجمين مثل ما هو الحال بالنسبة لأطفال اللغة enfant de langue [1155] ،و هذا ما جعل بعض القناصل يطالبون بتعيين هؤلاء كمترجمين إلى جانبهم لإتقانهم للغة التركية[1156].

أما ما ميز رؤساء السفارات الجزائرية كان عن طريق التجارة و الممارسة فهؤلاء عموما يتبعون الأسلاك التعليمية المتبعة آنذاك . و يبدو أن الإيالة لم تهتم بتعيين قناصل لتمثيلها أو السهر على مصالحها في الدول الأوروبية بصفة دائمة ، و غالبا ما يستعين هؤلاء السفراء بالقناصل أو المبعوثين أو التجار الأوروبيين ، كما اعتادوا على السفن الأجنبية في تنقلاتهم إلى أوروبا [1157] و يذهبون في جو رسمي ، و عند وصولهم تضع لهم الدولة المضيفة مثلما سنرى لاحقا برنامجا لضبط تحركاتهم و مراقبة تنقلاتهم من مكان لآخر [1158] لذا بقيت

[1153] سفارة واصف أفندي لاسبانيا سنة 1787 في ما كتبه محاسن الآثار و حقائق الاختبار.

[1154] -رحلة جلي (شلبي).

[1155] -Gautier Marie et Antoine .La première promotion des jeunes de langue , bulletin de l’association des anciens élèves , avril , 1992 , pp 7-8.

هي تسمية خاصة بمتعلمي اللغات الشرقية ، ظهرت لأول مرة في البندقية سنة 1551 بتأسيس مدرسة فيوفاني Viovanni di lingua و بموجب المرسوم التجاري (18 نوفمبر 1669) أرسل 6 شبان لتعلم اللغة العثمانية في القسطنطينية (في مدرسة de pera) إلى أن تأسست المدرسة الوطنية لدراسة اللغات الشرقية في 30 مارس 1795.

[1156] Grammont . Correspondance ... 1887 , p 172.

[1157] -ACCM , Série J , Art 1381 , objet consulat d’Alger (1749-1758) :

يتناول تقرير الموثق جون باتيست جارمان أن سفارة أحد الكتاب الأربعة "الحاج محمد خوجة" إلى لندن في 19 سبتمبر 1749 على متن سفينة سويدية Gron pricess بقيادة القبطان Christian coch من أجل التفاوض بشأن النقود البرتغالية 17000 و قطع الماس 209 التي تم الاستيلاء عليها.

[1158] -قنان جمال ، نصوص ... ، م سابق، ص 180

أرسل كاتب الدولة الفرنسي بونشتراتن لمأمور البحرية بطولون فوفري Vauvry تعليمات تتضمن عدم السماح للمبعوث الجزائري سليمان بولكباشي (ماي 1696) بالسفر وحده إلى باريس ...

معرفتهم بالمجتمعات الأوروبية سطحية عكس الممثلين الأوروبيين التي نصت المعاهدات على حرية تنقلاتهم في الإيالة[1159].

سوف نأخذ ثلاثة نماذج باعتبارهم أهم سفراء الجزائر خلال فترات حرجة; اثنان خلال القرن 17م باتجاه فرنسا و السفارة الثالثة خلال القرن 19م باتجاه لندن ، و بالتالي فترتين اختلفت فيهما قوة الجزائر البحرية.

❖ سفارة جعفر آغا إلى فرنسا :

نعجب عند اطلاعنا للمصادر الغربية و لا سيما الفرنسية حينما تتناول موضوع السفارات الجزائرية نحو فرنسا، على أنها تذهب للاعتذار و طلب العفو من ملك فرنسا و الاعتذار مما بدر من سلطات الجزائر اتجاه رعاياها ، غير أن ذلك لا يستند على أية حقيقة تاريخية و ذلك بالاطلاع على مراسلات الدايات مع ملك فرنسا و الرد عليها ، فقد يكون ذلك تعمدا من مترجمي الملك ارضاءا لغرور "الملك الشمس".

تكونت سفارة الحاج جعفر آغا - عضو في الديوان - من 12 عضوا مرافقا و هم ضباط سامين في ديوان الجزائر و مترجمين ، ذهبت هذه البعثة في شهر جوان 1684 [1160] و ذلك للتعبير عن رغبة الجزائر في الحفاظ على السلم بين البلدين و الإجماع على ذلك من قبل عناصر الديوان و الداي حاج حسين (ميزومورتو) في رسالته إلى لويس Louis XIV [1161] أن نقض السلم كان عملا شخصيا قام به الداي السابق.

*محمد الأمين الذي أقام في فرنسا ما بين شهر جوان 1690 حتى أواخر ماي 1698 و الذي قتل هو الداي سعبان في جويلية 1695 أنظر : petit de la croix mémoire.

1159 التميمي عبد الجليل . معاهدة السلم الممضاة ... م سابق ص ص 121-122.
ينص البند 17 من معاهدة 1768 : "بإمكان قنصل البندقية الآن و في المستقبل و تحت كل الضمانات الأمنية و السلامة ... أنه إذا أراد التجول إلى ظهر أحد السفن أو قرر الخروج منها فلا أحد يستطيع أن يمنعه"

1160 -ANP/ Marine B7 210.

1161 -Plantet. Correspondance ... T I , pp 87-90.

تجلت مهمة السفير الأساسية في إحصاء عدد الأسرى الجزائريين بفرنسا و تبادلهم وفقا لما جاء في رسالة سابقة لميزومورتو إلى المبعوث الفرنسي تورفيل Tourville [(1162)] التبادل بالمثل و ما زاد عن الأسرى المسلمين يدفع ثمن فديتهم بعد تحديد الأسعار ، كان مدير الباستيون قد تعهد بمقتل الأسرى الجزائريين من فرنسا إلى الجزائر من خلال البند الرابع لمعاهدة السلم 24 أفريل 1684 :

> "للوصول إلى السلم المعني فقد تم الاتفاق بين الطرفين على استرجاع كل الفرنسيين الذين أصبحوا أرقاء ... و أفراد أوجاق هذه المملكة الموجودين حاليا في الأجفان الفرنسية (كمجذفين) حسب القوائم التي يتم تبادلها ... إن السيد ديسو حاكم الباستيون تعهد و التزم باستقدام هؤلاء الأسرى على مراكب مخصوصة..."[(1163)].

يتم ذلك بعد أن يكون الطرفين قد أعدا قوائم لهؤلاء الأسرى في مختلف مناطق البلدين، ذلك من خلال البند التاسع من نفس المعاهدة :

> "إن الداي ، الباشا و الديوان و أوجاق مدينة و مملكة الجزائر سيعطون منذ الآن أوامر لولاتهم لجمع الأرقاء و تهيئتهم ليتم شراءهم من طرف قنصل فرنسا ... نفس التسهيلات تتم في فرنسا إزاء رعايا مملكة الجزائر ... "[(1164)].

و إن لم يكن هناك بند خاص بالطرف الجزائري يسمح لهم بزيارة الأماكن الخاصة بتواجد الأسرى الجزائريين ، بذلك لم يكن هناك التعامل بالمثل و يتأكد ذلك من خلال المراقبة الشديدة التي يتعرض لها المبعوثين الجزائريين عند ذهابهم إلى فرنسا.

فقد أرسلت بهذا الشأن تعليمات لمراقب البحرية لميناء طولون الكونت دو تولوز Compte De Toulouse على الاهتمام و حسن معاملة الوفد الجزائري و مساعدتهم على تحديد

[1162] -Ibid. pp 85-87.

[1163] -قنان ، جمال. المعاهدات ... م سابق، ص 295.

[1164] -قنان ، جمال. المعاهدات ... ن م ، ص 296.

الأسرى عند قدوم القاليرات إلى الميناء. وصل الحاج جعفر آغا إلى باريس في 29 جوان ، حيث انبهر بجمال المدينة و اعتبرها أجمل مدن العالم (1165) أقام في فندق السفراء في قاعة De descente ثم أقام عند كاتب الدولة السيد قروازي M. De Groisy ثم عند الماركيزساينلي M. Seignelay و أخيرا عند العودة عند الكونت دو تولوز De Toulouse.

كانت المقابلة مع الملك لويس الرابع عشر يوم 04 جويلية ، حيث قدم للملك الرسالة في ظرف أنيق من القماش الذهبي الرفيع ، و بعد قراءتها من قبل رئيس الوفد (1166) ، أكد الملك على الموافقة و احترام الاتفاق الذي وقعه المبعوث الفرنسي تورفيل . عند زيارة الوفد أعجبوا بمدينة باريس و قصورها لا سيما (قصر فرساي ، الأنفاليد و فان سان) (1167) ، عند المغادرة حمل الوفد بهدايا ملكية قيمة لرئيس البعثة و مرافقيه ، و قد كلف الماركيز أمفريفيل Marquis d'Amfreville بمرافقة البعثة الجزائرية إلى الجزائر فكانت عودة الوفد في شهر نوفمبر 1684 و في 19 ديسمبر يعود أمفرفيل إلى فرنسا مع 400 أسير فرنسي.

لكن هل نجحت السفارة الجزائرية في تحقيق أهدافها ، خاصة بعد تضييق الخناق على الوفد الجزائري في طريق العودة خاصة في طولون إذ تلقى مأمور البحرية السيد فوفري Fauvret تعليمات من المركيز ساينلي لكي لا يتمكنوا من إحصاء الأسرى الجزائريين في مرسيليا و طولون ، أجّر لهم بيتا بعيدا عن مرسيليا و راقب تحركاتهم و منعوا من الذهاب إلى مدينة مرسيليا إلا عندما يكون الميناء خالي من السفن ، و لم تعد السفارة إلا بهؤلاء الأسرى الذين اختارتهم فرنسا أي من الأتراك و لم يعد من الجزائريين سوى واحد و خمسون من الثلاثمائة و خمسين أسير ، كما أعلم رئيس الوفد جعفر آغا الداي و الديوان بسوء المعاملة ، غير أن القنصل الفرنسي حاول التأثير على العناصر النافذة عن طريق الهدايا و الإكراميات (1168) لإبطال شكاوي الحاج جعفر.

و قد عبر الداي عن استيائه من التلاعب في تنفيذ الاتفاقية في رسالته إلى ملك فرنسا في شهر مارس 1685 :

1165-Peter , J. Les Barbaresques … op cit , p 67.

1166 -Plantet, E. Correspondance … T I op cit pp 90-92.

1167 -peter , J . op cit p 67.

1168 -قنان ، جمال. المعاهدات... م سابق، ص 136.

"... فيما يتعلق بأسرانا لم يرد إلينا سوى 51 أسير انكشاري أما البقية فهم أجانب عنا و ذلك ما استغربنا له ، و قد احتفظ ضباطكم بمرسيليا و حجزوا من كان يجب إطلاق سراحهم ، و بعث لنا بدلا منهم المعطوبين و العجزة الذين لا يمكنهم القيام بأي عمل ..."[1169].

❖ سفارة محمد الأمين * إلى باريس سنة 1690 :

حدثت هذه السفارة في ظروف مميزة للعلاقات الجزائرية- الفرنسية ، و كانت محور العديد من المراسلات بين الداي الحاج شعبان و لويس الرابع عشر Louis XIV ابتداءا من 10 ماي 1690 [1170] في رسالة مطولة كلها مجاملات و شرح مهمة المبعوث الجزائري حول التفاوض بشأن الأسرى الجزائريين الذين يرزخون تحت وطأة الأغلال منذ 25 سنة، بالإضافة إلى الإشارة إلى حملتي دوسكين و ديستري و الأضرار التي لحقت بمدينة الجزائر من جراء القصف ، و يوصي في هذه الرسالة بالسفير "محمد الأمين أفندي" الذي يعتبره الداي كابنه.

كانت هذه السفارة فرصة و سببا في مراسلة الداي للملك الانجليزي جاك الثاني Jacque II اللاجئ إلى البلاط الفرنسي يطلب فيها الداي وساطته من أجل إنجاح هذه السفارة [1171] في 28 نوفمبر 1690 :

"إننا ندعو الله من أجل استعادة عرشكم و استعادة قوتكم و القضاء على أعدائكم ... نطلب منكم التدخل و التوسط لصالحنا لدى الإمبراطور الفرنسي لإتمام مهمتنا..."[1172].

[1169] -Plantet , E. Correspondance .... T I . op cit , pp 96-97.

*محمد الأمين : أقام في فرنسا ما بين شهر جوان 1690 إلى أواخر ماي 1691 و الذي قتل هو و الداي شعبان في جويلية 1695 ، عن : petit de la croix. Mémoire ... op cit .

[1170] -Plantet E , correspondance T I ... op cit , pp 22-233.

[1171] -Ibid , p 233.

[1172]- Ibid p 279 , : ANP/ Marine B7 214.

كما راسل الداي بهذا الشأن كذلك أمير أورانج في رسالتين 3 و 7 ماي 1789 [1173] طلب الوساطة الهولندية لإنجاح سفارة محمد الأمين الأفندي ، كما راسل كاتب الدولة للبحرية

المركيزساينلي Marquis de Seignely *[1174] في 10 ماي 1690 يلتمس منه العمل على تحقيق أهداف السفارة و توفير الحماية بالإضافة إلى مراسلته إلى محاسب (مأمور) البحرية بطولون يقول فيه و هو يوصي بمبعوثه و الإشادة بخصاله :

"... إن الريشة التي تكتب عنه تنبعث منها
رائحة المسك و أنه من أفضل رجال ديوان
الجزائر المحروسة...".

بذلك نستنتج الأهمية التي تكتسيها هذه السفارة بالنسبة للداي الذي يعتبره ابنه و نفس الشيء بالنسبة لمحمد الأمين الذي يكتب في رسالته لساينلي أن الداي والده في رسالته (10 جويلية 1690)[1175].

بالإضافة إلى الخطبة التي ألقاها المبعوث بالتركية أمام لويس الرابع عشر Louis XIV بقصر فرساي يوم 26 جويلية 1690 و ترجمها بوتي دو لا كروا petit de la croix.

أحضر السفير محمد الأمين معه وفقا للأعراف الدبلوماسية جملة من الهدايا للملك الفرنسي [1176] ، تجلت مطالب الديوان لدى الملك الفرنسي من خلال مذكرة ديسمبر 1690 :

- إطلاق سراح 75 أسير جزائري كانوا على متن سفن بعد دفع الفدية للأتراك 150 أوقة و العربي 100 أوقة حسب ما جاء في معاهدة السلم[1177].

1173 -Ibid , p 233.

1174- Plantet , correspondance … T I , op cit , p233.

بالإضافة إلى رسالة الداي أي المبعوث الفرنسي فوق العادة و محافظ الملك في 26 جوان 1690.

*ساينلي Seignely : تقلد عدة مناصب أهمها كاتب الدولة للبحرية توفي في 3 نوفمبر 1690 عن عمر 39 سنة و خلفه بونشارترن Pontchartrain في 06 نوفمبر 1690.

1175 -Plantet , correspondance … T I , op cit , p 247.

1176 -تتمثل هذه الهدايا في 6 خيول عتاق بقيمة 100 بيستول للفرس الواحد. أنظر :

Peter jean , les barbaresques sous louis , p 222.

1177 -Ibid, p 223 :

هنا إشارة إلى معاهدة 24 سبتمبر 1689 التي وقعها عن الطرف الفرنسي السيد مارسل المبعوث من طرف المركيز دوسانيلي De Seigneley في المادة الرابعة :

- طلب مركب سريع بثلاث صواري مجهز كضمان لحالة السلم بين الطرفين.
- الإلحاح في طلب 8 حجاج كانوا على متن سفينة انجليزية أخذت قرب تونس.
- المطالبة باسترجاع حمولة زيت أخذت في فترة السلم.
- دفع فدية 30 أسير فرنسي هربوا على متن سفن حربية فرنسية و غيرها من المطالب.

و يلخص محمد الأمين سفارته في تلك المشاكل التي اعترضته و هو عدم وفاء فرنسا لوعودها و يقول في رسالة له للداي و التي لم تصل لأنها حجزت [1178] من قبل السلطات الفرنسية رغم أن ذلك منافي للأعراف الدبلوماسية و يذكر فيها أنه "أن الاستيلاء على وهران أسهل من استعادة الأسرى المسلمين من بين أيديهم أو هؤلاء الذين هم في المحيط أي المجذفين" ، كما يوصي بعدم تسهيل مهمة الفرنسيين في افتداء أسراهم إلا بعد عودته[1179].

❖ جـ - سفارة علي ريس* إلى لندن 1819 :

أرسلت هذه السفارة في 1819 في عهد آخر دايات الجزائر (حسين باشا)** ، و قد تطرق إليها الأستاذ حماش بنوع من التفصيل بالاستناد إلى الملف الذي وجده في أرشيف الخارجية البريطانية (في دار المحفوظات بلندن P.R.O)[1180].

لقد نشط الريس علي في العمل البحري إذ تمكن من الاستيلاء على غنيمة نابوليتانية و أخرى مالطية و أسر 17 أسيرا باعهم في البادستان كما اشترك في الكثير من العمليات البحرية [1181] ، تجسدت وظيفته "ليمان رئيسي" في المراقبة و التفتيش للسفن الداخلة و الخارجة ، وظيفته سمحت له بجمع الأخبار عن ما يجري في أوروبا عن طريق التجار

اتفاق الطرفان على حرية شراء الأرقاء بدون تمييز بينهم بالسعر الذي يتم الاتفاق عليه بين الباشا و قنصل إمبراطور فرنسا ، باستثناء طاقمي السفينتين محمد خوجة و محمد صغير ...، و تعهد الباشا بإطلاق سراح نفس العدد من الأرقاء الفرنسيين و بنفس السعر . أنظر جمال قنان ، المعاهدات بين الجزائر ... م سابق، ص 309.

1178 -ANP/ Marine B7 213.

1179 -قنان جمال ، المعاهدات ... م سابق، ص 129.

*علي ريس : هو قائد الميناء و هو الذي تكفل بحمل تقارير الداي عمر باشا إلى السلطان العثماني محمود الثاني حول حملة اللورد اكسموث ، مارس نشاطا بحريا منذ 1799 و قد ورد اسمه في سجل الغنائم لدفولكس أنظر :

Devoulx, A registre des prises maritimes.

** الداي حسين باشا : 1818-1830.

1180 -حماش خليفة ، سفارة علي رئيس إلى لندن في عام 1819 (نموذج للدبلوماسية) ن م ، ص 508 : يضم الملف 13 وثيقة 10 باللغة الانجليزية و 3 بالفرنسية (ملف رقم 21 بالقسم F 03).

1181 -حماش خليفة ، سفارة علي ريس ... ن م ، ص 509.

و القباطنة و هو من يتسلم الرسائل ، و يقول شالر القنصل الأمريكي أنه رجل يتميز بالذكاء و تحرر الأفكار[1182] و يذكر الأستاذ حماش أنه يكتب باللغتين العربية و الفرنسية في مراسلاته مع الحكومة البريطانية و تعبيره الدبلوماسي الراقي.

سافر المبعوث الجزائري إلى لندن رفقة (12 شخصا) و هم : كاتبان أحدهما تركي و الآخر أوروبي ، أمين المالية للإشراف على النفقات ، حمال لنقل الأمتعة ، حلاق ، قهواجي، رئيس الخدم ، طباخ ، خادمان أوروبيان و سائسان للعناية بالخيول (التي حملها على ريس)[1183].

و حملت هذه السفارة حسب العرف هدية قيمة [1184] قد ورد ذكرها في الوثيقة الرابعة الملحقة بدراسة أ. حماش و هي 06 أحصنة (02 لاستعمال المبعوث و 04 أحصنة مع نعامتين للملك).

تناول شالر أهداف السفارة نحو لندن [1185] خاصة في ظل التغيرات الدولية و ميزان القوى حول مسألة الاسترقاق بعد حملة اكسموث 1816 و مؤتمر اكس لاشابيل 1818 ، كان الهدف العام لهذه السفارة هو التأكيد على العلاقات الانجليزية الجزائرية من خلال مجموعة من النقاط :

- التأكيد على القنصل الانجليزي و عدم تدخله في شؤون الإيالة، بالإضافة إلى تداخل مهامه مع مهام مصالح دول أخرى (كسردينيا و نابولي).
- إعادة السفن الجزائرية (الاثنا عشر) التي استولى عليها الانجليز .
- تناول المعاملة السيئة التي يتعرض لها الجزائريون في جبل طارق و مالطا و بالتالي طلب احترامهم و السماح لهم بالنزول إلى بر هذه المناطق.

[1182] -شالر وليام ، مص سابق، ص 509.
[1183] -حماش خليفة ، م سابق، ص 501.
[1184] -شالر ، ن مص ، ص.178 : أن السفارة كانت مثقلة بالهدايا من بينها الجياد و السباع و النعام.
[1185] -شالر ، ن م ص178 .

- تصرفات القنصل الانجليزي في تعيين نواب له من غير الانجليز في عنابة و وهران[(1186)] .

إن أهم ما حققته هذه السفارة و إن كان يبدو أنها كللت بالنجاح في دعم العلاقات الانجليزية – الجزائرية و تدعيم ذلك بطلب سفينة انجليزية لحمل الهدية السلطانية السنوية إلى اسطنبول[(1187)] و هو طلب خاص بالدول الصديقة إلا أن الواقع يدل على عكس ذلك إذ كانت انجلترا وراء التحالفات الدولية ضد الجزائر أهمها حملة 1824 [(1188)] بقيادة الأميرال السير هاري نيل Sir Harry Neal و انتهى بعقد صلح بين الجانبين و تعيين قنصل جديد بعد رحيل قنصلها الأول المتورط في مسألة داخلية.

ب-السفارة الفرنسية :

❖ سفارة تورفيل أنموذجا :

وصل تورفيل M.De Tourville (ضابط سامي في البحرية الفرنسية) إلى الجزائر في 02 أفريل 1684 برفقة كابيجي * من الباب العالي على رأس عمارة ، حيث استقبل أحسن استقبال و قد ذهب لتهنئته عضوان من الديوان و هما مصطفى ريس و قارة مصطفى ريس بمرافقة دوسو Dussault حيث تم التوقيع على السلم المائوي .

تلقى تورفيل مراسلة في 06 نوفمبر 1683 من حكومته يطلب العمل على تحقيق سلم مائوي مع إيالة الجزائر و ذلك ضمانا للتجارة الفرنسية.

جاءت هذه السفارة في ظروف حرجة للعلاقات الفرنسية – الجزائرية ، و تعرض الجزائر للقصف من قبل الأميرال دوكين في عامي 1682 – 1683 [(1189)] حملة بلغت تكاليفها أكثر من خمسة و عشرين مليون فرنكا فرنسيا [(1190)] حملة كان ثمنها غاليا إذ هاجم الأهالي مقر

[1186] -حماش ، ن م ، ص ص 515-516.

[1187]شالر .مص سابق.ص 175.

[1188] -Berbrugger A. « Guerre de 1824 entre l’Angleterre et Alger », R.A, pp 202-203.

الزهار ، مص سابق، ص 154.

*كابيجي : كبير بوابي الباب العالي.

[1189] -Charle-Roux, F. op cit , p 181.

[1190] -الترّ ، عزيز سامح . م سابق ، ص 425 :

القنصلية الفرنسية و ألقي القبض على القنصل القس لوفاشي La vacher و تم اقتياده إلى ميزومورطو* (لقب بحجي حسين) بتهمة إرساله لبعض الإشارات لأسطوله فربطه ميزومورطو على كرسي و وضعه أمام المدفع و تم قذفه.

جاء المبعوث الفرنسي برسالة إلى داي الجزائر من الملك لويس الرابع عشر يوضح فيها أن نجاح المفاوضات لن يكون إلا بإطلاق سراح الأسرى الفرنسيين ، و قابله الداي برفض قاطع لهذا الشرط المسبق.

دامت المفاوضات عشرون يوما ، انتهت بالتوقيع على معاهدة السلم المائوي في 24 أفريل 1684 [(1191)] وقعها تورفيل عن الملك و يظهر ذلك في ديباجة المقدمة [(1192)] : (ينظر الملحق)

"بنود و شروط المقدمة من قبلنا نحن الفارس دي تورفيل لواء ملازم للقوات البحرية التابعة ، للأمير لويس الرابع عشر برعاية الله إمبراطور فرنسا و ملك نافار الدي لا يقهر إلى الأمجد الداي باشا ميليشيا مدينة و مملكة الجزائر".

أدركت فرنسا بعد هذه الحملة عدم جدوى استعمال القوة و لغة التهديد ، توجهت فرنسا إلى السلطان العثماني للتأثير على ديوان الجزائر فأرسلت معه مندوبا سلطانيا[(1193)] علاّ و عسا أن ينجح هذا المبعوث في تحقيق أهداف فرنسا و حماية مصالحها بالجزائر من خلال التوصل إلى معاهدة سلم و لم يدخر المبعوث جهدا لتحقيق ذلك.

كانت خسائر الجزائر في تهديم مائة منزل و جامعين و إحراق ثلاث سفن و استشهاد ألف شخص.

*ميزومورطو : و معناه بالإيطالية نصف ميت ، لقب كذلك لأنه أصيب بثمانية عشر رصاصة و ظن أنه مات ، فرمي في البحر ، لكنه نجا.

1191- ANP/ Marine B7 525.

1192-ANP/AE B1 130 (Traites entre l'Empereur et la république d'Alger).

1193 الجيلالي عبد الرحمن. م سابق ص 195.

الخــاتمـــــة :

إن الانطباع الذي يمكن أن نخرج به من خلال دراسة العلاقات الدبلوماسية في إطار التعرف على القناصل و القنصليات الأجنبية في الجزائر من 1564-1830 هو إثبات للعلاقات بين الجزائر و دول الضفة الشمالية للمتوسط ، علاقات تحكمت فيها الظرفية السياسية ، و المصالح التجارية و تواجد الأسرى (العمل البحري) في كلا الجبهتين ، هنا سنحاول وضع الخلاصات الأساسية التي توصلنا إليها من خلال دراسة هذا الموضوع الشائك ، فالقرب من أوروبا أثر و لا شك على الجزائر و باقي إيالات شمال إفريقيا ، إلا أن هذا التأثير بقي محدودا مقارنة مع تأثير و ضغط العادات و التقاليد المحلية ، يمكن حصر النتائج المتحصل عليها فيما يلي :

ازدياد هوة التجاوز بين الجزائر و أوروبا ، إن كانت الجزائر قد فرضت سيطرتها في المراحل الأولى ، نجد الأوروبيين اهتموا بالملموس فقد سيطرت أوروبا على التجارة و فرضت شروطها على العوالم الأخرى بفضل تفوقها التقني و العسكري ، فركزت الدول الأوروبية لا سيما القوى البحرية (انجلترا ، فرنسا و هولندا) على منطق المعاهدات المبني على أسس قانونية التي تبقى أوروبية.

استخدام القوى الأوروبية القانون البحري للضغط على إيالة الجزائر و إيالات شمال إفريقيا الذين استغلوا العمل البحري لمواجهة الهجومات و الأساطيل الأوروبية.

انفتاح الإيالة و بالأخص عاصمتها على العالم الخارجي بتوفر أسباب الاستقطاب و استمرار قنوات التواصل بمختلف أشكاله (تجارة ، أسرى ...) أدى إلى كثرة الإنتاج الأدبي الأوروبي عن الجزائر من خلال ما تركه الدبلوماسيون من كتابات و تقارير حول الجزائر (أمثال دوكرسي ، تانفيل ، برادي ، ابنة القنصل بلانكلاي ...).

في حين بقيت معرفة الجزائريين بدار الحرب (أوروبا) محدودة إلا من خلال ما ذكره الأسرى في بعض المراسلات ، أو ما رواه بعض المبعوثين الجزائريين مثل محمد الأمين أو جعفر آغا اللذان زارا عدة مدن فرنسية و أعجبا بباريس.

بذلك نجد أن العلاقات بين ضفتي المتوسط عن طريق القناصل عرفت الأوروبيين بخصائص العالم الإسلامي - أو ما نسميه بالمجتمعات الشرقية - المجتمع الجزائري أنموذجا لكن من منظور الآخر.

أدى التسامح الديني في الجزائر و العالم الإسلامي إلى استقطاب العديد من الأقليات كاليهود و الأعلاج إلى التعايش بين هذه الفئات مع الاحتفاظ بخصوصية كل مجموعة (يهودية أو مسيحية) ، لقد ساهمت هذه المجموعات في جلب تقنيات و أنماط عيش دخيلة على المجتمع الجزائري.

التأثر شيئا بالنمط الأوروبي من خلال المواد الاستهلاكية (الرفاهية) التي راج استعمالها لدى الطبقة الحاكمة و البرجوازية مثل (الشراشف ، المناديل الحريرية ، المخمل ، المرايا ...) إما عن طريق التجارة أو ما كان يقدمه أعضاء السلك الدبلوماسي فقد مهد ذلك لتغيير الأذواق و العادات.

اعتماد الإيالة في مجال الهدايا سواءا إلى السلطان أو إلى الدول الأوروبية على السفن الأجنبية و في مقدمتها السفن الفرنسية بسبب طبيعة العداء الذي تكنه الدول الأوروبية للبحرية الإسلامية و هذا ما وقف حائلا أمام تكوين أسطول تجاري أو سفن لأغراض سلمية و هذا دليل على تبعية الإيالة في مجال النقل البحري.

كما نستنتج التواصل اللغوي بين الإيالة و دول الضفة الشمالية للمتوسط لدى فئة محدودة كالرياس و التجار و بعض الكتاب ، حتى أن الإيالة كانت تفرض بعضهم على القناصل الأجانب كمترجمين ، ذلك التواصل عن طريق اللغة الفرانكية أي ذلك خليط بين العديد من اللغات المتوسطية.

اقتباس الوثائق و المراسلات كلمات ذات أصول أجنبية و رغم أنها دخيلة على اللغة العربية (قنصلو ، بشادور) إلا أنها توغلت في الحقل الدلالي للدبلوماسية الجزائرية و هذا يدل على تفوق أوروبا حتى لفظيا.

عدم اهتمام الإيالة بتكوين الشخصيات دبلوماسيا ، فالذين كلفوا بمهام السفارات نحو البلدان الأوروبية ، كان تكوينهم تقليدي أي الأسلاك التعليمية المعهودة آنذاك.

كثرة المعاهدات المبرمة بين الجزائر و الدول الأوروبية لهو دليل على مكانة هذه الإيالة بين الإيالات المتوسطية الأخرى و دورها في تحقيق التوازن السياسي ، الدبلوماسي و العسكري معاهدات لم ترض غرور قراصنة الجزائر !!! و اندفاعهم البحري إذ لم يتخل الأسطول الجزائري عن أعماله البحرية رغم التهديدات و الحملات ، مما دفع بالدول الأوروبية إلى دفع الإتاوات و الهدايا الضخمة للجزائر في عدة مناسبات بغرض الوصول إلى معاهدة سلم ، أو عند تنصيب قنصل جديد أو عند افتداء الأسرى.

معاهدات طبعت بصفة الإلزام بالنسبة للجزائر، فشروطها ضمنت في بنود محددة و واضحة حماية السفن و التجارة فعكست لنا ذلك التفاوت بين الطرفين إذ كانت الدول الأوروبية تحتكر المبادرة الجزائرية و تطويقها للحد من أعمالها البحرية. فقد حاولت الدول الأوروبية فرض منطق القوة و الغلبة.

تأثر العلاقات الجزائرية – مع القوى الأجنبية بالسياقات التاريخية و الظرفية السياسية التي حددتها التغيرات الدولية.

مما تقدم يظهر أنه لم يكن للإيالة آلة دبلوماسية هادفة لتحقيق مصالحها التجارية و السياسية و البحرية ، عكس الدبلوماسية الأوروبية التي جعلت منها آلة لتحقيق أهدافها التي كانت تتمثل في فرض منطق التفوق و الغلبة على العوالم الأخرى . يمكن القول أنها كانت دبلوماسية متدرجة في منطق البايلك المعتمد بنسبة كبيرة على أهل الذمة و لا سيما العنصر اليهودي .

يبرز عدم التكافؤ لا سيما مع أواخر عمر الإيالة ، و التبعية للرأسمالية الأوروبية من خلال سياسة الضغط و المعاهدات المفروضة بعد هجوم إكسموث و المعاهدة الأمريكية و انتهاءا بمعاهدة 05 جويلية 1830.

هذه جملة النتائج التي توصلنا إليها من وراء هذا البحث و الذي نأمل أن يفتح شهية الباحثين و الرغبة لمن يريد أن يتناوله من زوايا أخرى التي لا زالت بحاجة إلى إماطة اللثام عنها ، فرغم الجهد المبذول إلا أن العمل يبقى ناقصا و لا بد من العمل لسد الثغرات خاصة و أن مجال البحث سيظل مجالا خصبا لمن أراد الخوض فيه .

أعتقد أن هذا العمل به جملة من النقائص لا يمكن تجاهلها حتى من حيث النقد الذاتي سواءا من الناحية المنهجية أو المادة التاريخية خاصة المادة الأرشيفية التي حزت عليها و لم أتمكن من استغلالها كبعض الوثائق الهولندية ، و بعض المراسلات المشفرة خاصة مع جمهورية البندقية.

أملنا في أن تتقبل الهيئة العلمية و اللجنة الموقرة هذا العمل و أن نكون قد أسهمنا و لو بجزء ضئيل جدا في كتابة تاريخنا الوطني ، و أكون بذلك قد أديت جزءا من واجبي نحو هذا الوطن الكبير، فإن وفقنا بفضل الله سبحانه و إن لم نوفق فمن أنفسنا.

قائمة الملاحق

- قائمة قناصل بعض الدول الأجنبية
- معاهدة الامتيازات و الصداقة 1535
- مراسلة ديوان الجزائر إلى نواب مرسيليا في 1619 لإقرار السلم
- ما تدفعه الدول من مواد حربية للإيالة (الفلامينك ، الدانمارك ، اسبانيا)
- الهدايا التي تقدم عند تنصيب كل قنصل جديد
- قائمة الهدايا التي قدمها القنصل بيرو إلى الداي و كل العناصر النافذة (مفصلة)
- هدايا عادية تقدمها غ.ت.م إلى الايالة
- استعمال مصطلح قنصلو (قنصل) في الوثائق العثمانية
- نموذج لنظر القنصلية الفرنسية قضائيا في تركة أحد الرعايا بعد وفاته
- رسالة أحد الأسرى الجزائريين إلى ملك فرنسا
- انهزام الدوق بوفور أمام جيجل
- جزء من معاهدة انجلترا – الجزائر 1682 باللغة الانجليزية
- جزء من معاهدة انجلترا – الجزائر 1682 باللغة الفرنسية
- رسالة مشفرة نموذج للمراسلات السرية
- قائمة حكام الجزائر خلال الفترة العثمانية

قناصل فرنسا

Consuls de France :

- Bertholle 1564
- Sauron 1577
- Bionneau 1581-1585
- De Vias 1597-1608
- Chaix (vice consul) gestion du consulat 1608-1622
- De Vias Balthazar 1626-1628
- Thomassin François consul suppleant 1628
- Dubourdieu P-Jeqn 1661-1672
- Arvieux 1674-1675
- Le Vacher 1675-1683
- Piolle André 1685-1688
- Dussault Denis
- Mercadier Barthelemy 1689-1690
- Mercadier François (chancelier) 1686-1690
- Le Maire René 1690-1697
- Clairaumbault Jean 1706-1717
- Baume , M 1717
- Duran Philipe -Jacque 1698-1705
- Durand Antoine Gabriel (chancelier A705) consul 1720-1730
- Baume Jean nommé en 1716 et arriva à Alger en 1719
- Loup Lazarre consul suppleant 1719-1720
- Natoire Thomas chancelier et gera le consulat 1718
- Delane Leon 1730-1732
- Le Maire Benoit 1732-1735
- De Jonville Thomas 1733 chancelier n 1743
- Taitbout Alexis -Jean-Eustache 1735-1740

- Devant François 1742-1743
- Le Maire André Alexandre 1749-1755
- Bossu 1756-1757
- Perou Joseph-Barthelemy 1757-1760
- Groiselle Theodore consul provisoire 1760-1763
- Vallire Jean Antoine 1762-1774
- La vallee Langoisseur 1774-1782
- Kercy Jean Batiste-Michel Guyot De 1782-1791
- Valliere Cesaire-Philippe 1791-1796
- Jean-Bon Saint-André 1796-1798
- Moltedo Dominique- Marie 1798-1800
- Dubois-Thainville 1800-1814
- Duval Pierre 1814-1827

Consuls Anglais

- Jonhn Tipton
- Johnn Audelay 1600-1605
- Richard Allen 1606-1609
- Frizell James 1611-1620
- Ford Richard 1620-1622
- Frizell James 1622-1638
- Humphrey Oneby 1648-1653
- Edmon Caso 1653-1654
- Brown Robert 1655-1664
- Parker Nicolas 1664- 1673 provisoire
- Ward John 1666-1673
- Samuel Martin 1673-1680
- John Nevill 1683-1684 provisoire
- Reyeaut Philip 1683-1684
- Erlisman John 1689-1690
- Baker Thomas 1690-1694
- Cole Robert 1694-1712
- Hudson Charles 1720-1728
- Blacke Charles 1729-1739
- Stanyford Ambrose 1741-1752
- Aspinall Stanhope 1754-1761
- Bruce James 1762-1765
- Falcon 1800-1802
- Blancklay 1806-1812

- Mc Donnel 1813-1824

- St-Jean Robert william 1827-1830

Consuls de Holland :

- Wijnant de Keyser 1616-1626

- Pieter Marttenz Coy 1626-1629

- Andries Van Der Burgh 1664

- Thomas Hees 1675-1680

- Jocobus Tollius 1680

- Carel Alexander Van Berk 1681-1682

- Cristofeel Maltias 1684-1686

- Johan Van Baerle 1712-1716

- Ludovius Hameken 1726-1732

- Paulus Paravicini 1733-1755

- François Levell 1757-1760

- Robert Ghuthrie 1760-1761

- Pieter Ellinkhysen 1762-1773

- Simon Rijis 1774-1784

- Antoine Pierre-Fraissinet 1785-1808

- Antoine Fraissinet 1808-1810

- Antoine Joseph-Fraissinet 1816-1830

عن :

Gerard Van Krieken. Corsaires et Marchands . Les relations entre Alger et les Pays-Bas 1604-1830. (Paris : Ed Bouchene , 2002).

Consuls de Suède — قناصل السويد :

-Logié George 1729-1759

- Brandel E , 1759-1791

- Skoldebrand Mattias 1791-1801

- Norderling 1801

- Ankarloo 1816-1830

Consuls Américains : — قناصل الو.م.أ

-Joel Barlow 1796-1797

- O'Brian Richard 1798-1803

- Thobias Lear 1803-1812

- Shaler William 1816-1824

قائمة حكام الجزائر من 1518-1830

- **البيلر بايات :**

خير الدين بربروس 1519

حسن بن خير الدين 1544-1552

صالح ريس 1552-1556

حسن قورطو 1556-1557

حسن بن خير الدين باشا 1557-1562

حسن باشا 1562-1567

...... علي 1568-1571

أحمد عراب 1571-1574

رمضان قايد 1574-1577

حسن فنزيانو 1577-1580

جعفر باشا 1580-1582

حسن فنزيانو 1582-1588

الباشوات :

شعبان باشا 1592-1595

خيدر 1595-1596

مصطفى آغا 1596-1599

دالي حسن بوريشة 1599-1603

خيدر 1603

محمد كوسة 1603-1605

مصطفى كوسة 1605-1607

رضوان بكر لي 1607-1610

مصطفى كوسة 1610-1613

حسين شيخ 1613-1617

سليمان كتانية 1617-1618

حسين شيخ 1618-1620

..... باشا 1620-1623

كوسرو شارف 1623-1626

حسين باشا 1626-1633

يوسف باشا 1634-1637

علي باشا 1637-1639

حسين شيخ 1640-1642

جمال يوسف باشا 1640-1642

محمد بورصالي 1642-1645

أحمد علي باشا 1645-1647

يوسف باشا 1647-1650

محمد باشا 1650-1656

إبراهيم باشا 1656-1659

خليل آغا

- **الآغاوات :**

خليل آغا 1659-1660

رمضان آغا 1660-1661

شعبان آغا 1661-1665

علي آغا 1665-1671

- **الدايات :**

الحاج محمد تريك 1671-1682

بابا حسن 1682-1683

الحاج حسن ميرو مورتو 1683-1688

الحاج شعبان 1688-1695

الحاج أحمد العتبي 1695-1698

حسن شاوش 1698-1700

الحاج مصطفى 1700-1705

حسن خوجة شريف 1705-1707

محمد بكاطاش خوجة 1707-1710

دالي ابراهيم 1710

بابا علي شاوش 1710-1718

كرد عبدي 1724-1732

إبراهيم 1732-1745

إبراهيم كوتشوك 1745-1748

محمد بن بكير 1748-1754

بابا علي بوصبع 1754-1766

محمد بن عثمان باشا 1766-1791

الداي حسين 1791-1798

الداي مصطفى 1798-1805

أحمد باشا 1805-1808

علي الغسال 1808-1809

الحاج علي باشا 1809-1815

عمر باشا 1815-1817

علي خوجة 1817-1818

هذا الملحق عن Gaïd Mouloud

L'Algérie sous les Turcs

رسائل الأسرى

رسالة عصمان بن قاسم أسير في الجفن إلى بونشطران

بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على سيدنا و مولانا النبي الكريم.

الحمد لله و كفى و سلام على الرسول المصطفى : نبتهل إلى الله بالأدعية الصالحة الناطق بها كل عضو و جارحة ، إلى سيد السادات العظمى و ثمرة الشجر التي أصلها ثابت و فرعها في السماء السيد الذي تزينت به صحايف الوداد و أبرع ما أبتهل به متمسك بدليل الولاء و الاعتقاد تحيات ملئها من حلل اليهاء وافية و تسلماته مناهلها صافية سلام تصرف الروض جر النسيم عليه ذيله بعدما باتت كؤوس القطر تدار عليه نهاره و ليله ، و أشرقت شموس نهاره على الروابي و البطاح و أقبلت ترشف ريق الغوادي من ثنايات العقيق و الثنايا الإقاح إلى حضرة المقام العالي كهف الضعيف و اليتامى و المساكن الوزير الأعظم أبو شطرين (بونشرطران) الذي ألقت إليه الفضائل مقاليدها فحن السادات الأعلام و ذخر السادات الكرام سلام عليكم سيدي ، و رحمة الله تعالى و بركاته من العبد الحزين كواه النوى و طال حزنه و انكوى ، و اضطرمت له نيران الجوى ، من هو دائما باكي لربه و عباده شاكي عثمان بن قاسم الجزيري الأعرج في غراب الوليدة ، الأسير الذليل الحقير القاصد إلى جنابكم الكريم و العواطف الرحيمة ، و الأخلاق السليمة ، تنظر إلينا بعين الشفقة و الرأفة ، من جانب الله عز و جل. و نعلمك سيدي بقصتي من المبتدا إلى المنتهى ، على أني جزيري و لا بقا لنا من أهلي حي على وجه الأرض. كلهم ماتوا على زمان صغر سني و كنت وقعت أسيرا ذات مرة في مراكب الجزاير ، وقعت أسيرا في صبانية مدة سنين ، و خرجني مولاي إسماعيل من جملة الأسرى الذي خرج من صبانية خمسة عشر ماية أسير خرجهم مولانا إسماعيل و خرجني من جملتهم و مثينا عنده بقصد الملاقات به و الحضور بين يديه لينظر إلينا. فعند ذلك ودعنا و ودعناه و أرسل كل واحد إلى بلاده. و أنا سيدي ، أرسلني إلى الجزاير بلادي في مركب أتتا سلا و قلت في نفسي حين نصيروا في وسط البحر لا بد يقع بنا بعض المراكب متاع بلادي نركب فيه و نترك مركب سلا. و عند ذلك فعلت كما ذكرنا لكم فينا نحن في المركب متاع سلا و لا فيهم جزيري إلا أنا ، فأخذنا مركب متاع موس بربيلة و

نحن في سفينة الرايس محمد معين السلاوي قاصد إلى بلادي. فاليوم أنا أسير و أنا هذه قصتي و حكايتي و أنا رجل عاجز أعرج ما نقدر نشيل حتى بقال متاع الماء و لا عمري قذفت مقذاف و لا غير لأنني أعرج ، ساقط مالي حركة على خدمة و لا غيرها. أربع مائة فرنك أحسن مني لأني ناكل و نرقد من قلة التحرك كما يخفاك حال الذي شيخ كبير عاجز. و في غراب الوليدة حيث وقعت أسيرا في مركب سلا فكتبوني سلاوي و أما أن و الله العظيم إلا جزيري عن أبنائي و أجدادي. و لا نعرف سلا قط إلا حين خرجني مولاي إسماعيل الذي خرجهم من صبانسه و هذا ما نعلمك به. و الآن نريد من كريم فضلك تجود عني بخلاصي و تبعث أمرك النافد على خلاصي يكون بها أسير شاب صغير و السلام. و بهذا كتب إليك عثمان بن القاسم الأعرج الجزيري في دفتر السلطان مكتوب سلاوي في غراب الوليدة و الماركة متاعي ستة آلاف و سبع ماية و ثمانية 6708 و تاريخ الورقة في السادس يوم من شعبان عام تسعة عشر و مائة و ألف 1119.

عن جمال قنان نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر الحديث.

سفارة جعفر آغا إلى فرنسا :

نعجب عند اطلاعنا للمصادر الغربية و لا سيما الفرنسية حينما تتناول موضوع السفارات الجزائرية نحو الجزائر، أنها تذهب للاعتذار و طلب العفو من ملك فرنسا و الاعتذار مما بادر من سلطات الجزائر اتجاه رعاياها ، غير أن ذلك لا يستند على أية حقيقة تاريخية و ذلك بالاطلاع على مراسلات الدايات مع ملك فرنسا و الرد عليها ، فقد يكون ذلك تعهدا من مترجمي الملك ارضاءا لغرور "ملك الشمس".

تكونت سفارة الحاج جعفر آغا (عضو في الديوان) من 12 عضوا مرافقا و هم ضباط سامين في ديوان الجزائر و مترجمين ، ذهبت هذه البعثة في شهر جوان 1684 ([1194]) و ذلك للتعبير عن رغبة الجزائر في الحفاظ على السلم بين البلدين و الإجماع على ذلك من قبل عناصر الديوان و الداي حاج حسين (ميز و مورتو) في رسالته إلى لويس Louis XIV ([1195]) أن ..... السلم كان عملا شخصيا قام به الداي السابق و الهدف .

تجلت مهمته غير الأساسية في إحصاء عدد الأسرى الجزائريين بفرنسا و تبادلهم وفقا لما جاء في رسالة سابقة لموزومورتو إلى المبعوث الفرنسي تورفيل Tourville ([1196]) التبادل بالمثل و ما زاد من الأسرى المسلمين يدفع ثمن فديتهم بعد تحديد الأسعار ، كان مدير الباستيون فقد تعهد بمقتل الأسرى الجزائريين من فرنسا إلى الجزائر من خلال البند الرابع لمعاهدة السلم 24 أفريل 1684 :

> "للوصول إلى السلم المعني فقد تم الاتفاق بين الطرفين على
> استرجاع كل الفرنسيين الذين أصبحوا أرقاء ... و أفراد أوجاق
> هذه المملكة الموجودين حاليا في الأجفان الفرنسية (كمجذفين)
> حسب القوائم التي يتم تبادلها ... إذ السيد ديسو حاكم الباستيون
> تعهد و التزم باستخدام هؤلاء الأسرى على مراكب مخصوصة..."([1197]).

[1194] -ANP/ Marine B7 210.

[1195] -Plantet. Correspondance ... T I , pp 87-90.

[1196]- Ibid. pp 85-87.

[1197] -قنان ، جمال. المعاهدات ... ن م ، ص 295.

يتم ذلك بعد أن يكون الطرفين قد أعدا قواعد لهؤلاء الأسرى في مختلف مناطق .... ، ذلك من خلال البند التاسع من نفس المعاهدة :

"إن الداي ، الباشا و الديوان و أوجاق مدينة و مملكة الجزائر سيعطون منذ الآن أوامر لولاتهم لجمع الأرقاء و تهيئتهم ليتم شراءهم من طرف قنصل فرنسا ... نفس التسهيلات تمت في فرنسا إزاء رعايا مملكة الجزائر ... "([1198]).

و إن لم يكن هناك بند خاص بالطرف الجزائري يسمح لهم بزيارة الأماكن الخاصة بتواجد الأسرى الجزائريين ، بذلك لم يكن هناك التعامل بالمثل و يتأكد ذلك من خلال المراقبة الشديدة التي يتعرض لها المبعوثين الجزائريين عند ذهابهم إلى فرنسا.

أرسلت تعليمات لمراقب البحرية لميناء طولون الكونت دو تولوز Compte De Toulouse على الاهتمام و حسن معاملة الوفد الجزائري و مساعدتهم على تحديد الأسرى عند قدوم القاليرات إلى الميناء وصل الحاج جعفر أغا إلى باريس 29 جوان ، حيث انبهر بجمال المدينة و اعتبرها أجمل مدن العالم ([1199]) أقام في فندق السفراء في قاعة De descente ثم أقام عند كاتب الدولة السيد قروازي M. De Groisy ثم عند الماركينساينلي M. Seignelay و أخيرا عند العودة عند الكونت دو تولوز De Toulouse.

كانت المقابلة مع الملك لويس الرابع عشر يوم 04 جويلية ، حيث قدم للملك الرسالة في ظرف أنيق من القماش الذهبي الرفيع ، و بعد قراءتها من قبل رئيس الوفد ([1200]) ، أكد الملك على الموافقة و احترام الاتفاق الذي وقعه المبعوث الفرنسي تورفيل . عند زيارة الوفد أعجبوا بمدينة باريس و قصورها لا سيما (قصر فرساي ، الأنفاليد و فان سان) ([1201]) ، عند المغادرة حمل الوفد بهدايا ملكية قيمة لرئيس البعثة و مرافقيه ، و قد كلف الماركيز أمفريفيل

[1198] -قنان ، جمال. المعاهدات ... ن م ، ص 296.

[1199] -Peter , J. Les Barbaresques … op cit , p 67.

[1200] -Plantet, E. Correspondance … T I op cit pp 90-92.

[1201]- Ibid.

Marquis d'Amfreville ، كانت عودة الوفد في شهر نوفمبر 1684 و في 19 ديسمبر يعود أمفرفيل إلى فرنسا مع 400 أسير فرنسي.

لكن هل نجحت السفارة الجزائرية في تحقيق أهدافها ، خاصة تضييق الخناق على الوفد الجزائري في طريق العودة خاصة في طولون إذ تلقى مأمور البحرية السيد فوفري Fauvret تعليمات من المركيز ساينلي لكي لا يتمكنوا من إحصاء الجزائريين في مرسيليا و طولون ، أجر لهم ..... بعيدا عن مرسيليا و راقب تحركاتهم و منعوا من الذهاب إلى مدينة مرسيليا إلا عندما يكون الميناء خالي من السفن ، و لم تعد السفارة إلا بهؤلاء الأسرى الذين اختارتهم فرنسا أي من الأتراك و لم يعد من الجزائريين سوى واحد و خمسون من الثلاثمائة و خمسين أسير ، ما أعلم الداي و الديوان بسوء المعاملة ، غير أن القنصل الفرنسي حاول التأثير على العناصر النافذة عن طريق الهدايا و الإكراميات ([1202]) لإبطال شكاوي الحاج جعفر.

قد عبر الداي عن استيائه من التلاعب في تنفيذ الاتفاقية في رسالته إلى ملك فرنسا في شهر مارس 1685 :

"... فيما يتعلق .... برد إلينا سوى 51 أسير انكشاري أما
البقية فهم أجانب عنا و ذلك ما .... له ، و قد احتفظ ....
بمرسيليا حجزوا من كان يجب إطلاق سراحهم ، و بعث لنا
بدلا منهم المعطوبين و العجزة الذين لا يمكنهم القيام بأي عمل ..."([1203]).

سفارة تورفيل نموذجا :

وصل تورفيل M. De Tourville (ضابط سامي في البحرية الفرنسية) إلى الجزائر في 02 أفريل 1684 برفقة كابيجي * من الباب العالي على رأس عمارة ، حيث

[1202] -قنان ، جمال . المعاهدات ... ن م ، ص 136.

[1203] -Plantet , E. Correspondance .... T I . op cit , pp 96-97.

*كابيجي : كبير بوابي الباب العالي.

استقبل أحسن استقبال و قد ذهب لتهنئته كل عضوان من الديوان كل من مصطفى ريس و قارة مصطفى ريس بمرافقة دوسو Dussault حيث تم التوقيع على السلم المائوي .

تلقى تورفيل مراسلة في 06 نوفمبر 1683 من حكومته يطلب العمل على تحقيق سلم مائوي مع إيالة الجزائر و ذلك ضمانا للتجارة الفرنسية.

جاءت هذه السفارة في ظروف حرجة في العلاقات الفرنسية – الجزائرية ، و تعرض الجزائر للقصف من قبل الأميرال دوكين في عامي 1682 – 1683 ([1204]) حملة بلغت تكاليفها أكثر من خمسة و عشرين مليون فرنكا فرنسيا ([1205]) ، حملة كان شحنها غاليا إذ هاجم الأهالي مقر القنصلية الفرنسية و ألقي القبض على القنصل ...... لوفاشي La vacher و تم ..... إلى ميزومورطو* (......... حسين) بتهمة إرساله لبعض الإشارات لأسطوله فربطه ميزومورطو على كرسي و وضعه أمام المدفع و تم قذفه.

جاء المبعوث الرنسي برسالة إلى داي الجزائر من الملك لويس الرابع عشر يوضح فيها أن نجاح المفاوضات لن يكون إلا بإطلاق سراح الأسرى الفرنسيين ، و قابله الداي برفض قاطع لهذا الشرط المسبق.

دامت المفاوضات عشرون يوما ، انتهت بالتوقيع على معاهدة السلم المائوي في 24 أفريل 1684 ([1206]) وقعها تورفيل عن الملك و يظهر ذلك في ديباجة المقدمة ([1207]) : "... نحن الفارس دي تورفيل لواء ملازم للقوات البحرية التابعة للأقوى و الأسعد و الذي لا يقهر ، الأمير لويس الرابع عشر برعاية الله إمبراطور فرنسا و ملك نافار إلى الأمجد الداي الباشا و ميليشيا مدينة و مملكة الجزائر".

[1204]- Charle-Roux , F. France et Afrique … p 181.

[1205] -ألتر ، عزيز سامح. الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية . ترجمة محمود علـــي عامر. (بيروت : دار النهضة العربية ، 19). ص 425 :

كانت خسائر الجزائر في تهديم مائة منزل و جامعين و إحراق ثلاث سفن و استشهاد ألف شخص.

*ميزومورطو : و معناه بالإيطالية نصف ميت ، لقب كذلك لأنه أصيب ..... رصاصة و ظن أنه مات ، فرمي في البحر ، لكن نجا.

[1206]- ANP/ Marine B7 525.

[1207] -الجيلالي ، عبد الرحمن . تاريخ الجزائر العام .... ص 195.

أدركت فرنسا بعد هذه الحملة عدم جدوى استعمال القوة و لغة التهديد ، توجهت فرنسا إلى السلطان العثماني للتأثير على ديوان الجزائر فأرسلت معه مندوبا سلطانيا([1208]).....

استعمل المبعوث كل جهده لتحقيق .....

1208

اندحار الفرنسيين عن مدينة جيجل "رسالة المدعو لوقران ، أسيرا بالجزائر ، عن التقهقر عن جيجل ، ديسمبر 1664"

إلى أخي

في أحد أيام السبت من الشهر الجاري ، خرجت في الصباح الباكر على غير عادتي ، إلى خارج المدينة لأخفف من بعض أحزاني إلي لم يكن سببها العمل الشاق الذي قمت به ، و إنما كانت من جراء ما أشعر به من العار و الذل الذي أحس به كما يحس به الآخرون (الأسرى الفرنسيون) ، بسقوط جيجري (جيجل) الذي لم أود تصديقه إلا عند ما ألقيت نظرة إلى البحر و رأيت الأجفان العائدة و على متنها ثمانين فرنسيا أو أكثر و أربعة عشر قطعة مدفع إلى جانب غنائم كثيرة ، من بينها ملازم من الكتائب الملكية الذي وقع أسيرا هناك. لقد وصلت في هذا اليوم ثلاثة سفن تحمل عددا من الأسرى مماثلا للذي حمله الأجفان و الذين عملوا معاملة جد سيئة و معظمهم كان مريضا. كما نقلت المدافع التي هي في مجموعها تتكون من اثنين و ثلاثين قطعة مصنوعة من الحديد و الصلب و ستة عشر قطعة مصنوعة من الحديد و لكن لا تقل متانة عن تلك المصنوعة من الحديد و الصلب. كما حملت كمية كبيرة من قطع المنجيق و كمية هائلة من الذخيرة و القذائف و ما يملئ عشر مغازاة كبيرة من الدقيق و أكثر من ثمانمائة برميل من الخمر التي أتلفت من القائد التركي.

إننا ننتظر عودة المحلة في ثمانية أيام. و لقد كان الجيش التركي يتكون من ألفين و خمسمائة رجل كلهم من أهل البلاد. هذه الحملة بثلاثة مدافع التي تبين أنها كانت من عيار 44 إلى 48 رطلا... هذا العدد أجبر أربعة آلاف رجل أو نحو ذلك على الفرار و فقد الكثيرين منهم لحياتهم. و لو استمرت المقاومة خمسة عشر يوما أخرى لاضطروا إلى التراجع (جنود الجيش الجزائري) و ترك كل شيء. و الدليل على هذا هو الاعتقاد الذي كان سائدا عندهم باستحالة التمكن من الفرنسيين. لقد أعدموا في هذه الأيام الأخيرة واحدا من البرج باشية يدعى قارة شريف لأنه قال في دار الجمارك : بأنها مضيعة للوقت باللعب عند جيجل لأن الفرنسيين في مناعة شديدة و بأنهم سوف يمحقون المحلة و حسب شهادة أحد

المدفعيين الجزائريين الذي شارك في المحلة فإن الفرنسيين لو خرجوا لملاقاتهم لا ندحر الجزائريون و ولوا عن أعقابهم.

لقد علمت أن السيد دوق بوفور و الضباط الذين كانوا معه كان من رأييهم لملاقاتها (المحلة الجزائرية) ... و لكن منعوا و تحولوا إلى رأي الآخرين الذي يقضي بعدم ترك الحصن و المجازفة بالخروج ...

لقد كنا نسير و رأسنا مرفوعة أثناء احتلال الفرنسيين لجيجل بالرغم من الأغلال التي في أرجلنا. لقد كانوا يعتقدون أنهم ضاعوا و كتابتهم تتنبأ لهم بكونه بمجرد أن يضع الفرنسيون أقدامهم على أرض البلاد البربرية سينتهي كل شيء. لقد انتاب الناس غضب شديد ضد الفرنسيين و اجتمعوا في الديوان كل واحد عبر عن وجهة نظره : فالبعض قال بوجوب ربطنا إلى العربات و البعض الآخر بوضعنا في أغلال ثقيلة. و لقد حمانا الله من كل هذه الآلام.

أما فإن الشعور بالفخر و الاعتزاز هو على أشده فهم يعتقدون بكونهم ملوك العالم ، و نحن لا نتجرأ على رفع أعيننا. فالأطفال يقذفوننا بالحجارة و الرجال و النساء لا يهددوننا سوى بجيجري أنهم يقولون و يكررون : إياك و جيجري فإن الرؤوس تقطع هناك بالمناجل و هذه العبارات يترنمون بها في شكل أغنية يرددونها باللغة الفرنكاوية و بلغة البلاد. إنني أعتقد أن لهم الحق في ذلك على اعتبار أننا أعداء في الجنس و العقيدة. لكن يجب أن ترى سخرية الأسبان التي لا تحتمل في الواقع. فهم يقولون أشياء بشعة و دنيئة في حق الملك و على كل الأمة ...".

عن جمال قنان نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر الحديث.

ببيبلوغرافيا البحث

1) دور المحفوظات

أ - أرشيف الغرفة التجارية بمرسيليا

ب -الأرشيف الوطني بباريس

جـ- أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية

د- أرشيف مصب الرون

هـ- الأرشيف الوطني :

❖ خط همايون

❖ مهمة دفتري

2) المخطوطات و المصادر العربية (المطبوعة)

3) المراجع باللغة العربية

4) الرسائل الجامعية

5) المقالات باللغة العربية

6) المصادر و المراجع باللغة الفرنسية

7) المقالات باللغة الأجنبية

دور المحفوظات :

أرشيف الغرفة التجارية بمرسيليا :

Archives de la chambre de commerce de Marseille :

Série B/80 : Juifs Marseille, lettres de Barbaresques.

Série G :

- Art 05- Dossier : les juifs de Marseille et à Aix (1672-1773).
- Art 06-Dossier : RIR Musulmans (1685-1775).

Série I :

- Art 06. Objet : Registre (statiques :l'arrivée des navires venant des échelles du levant et de Barbarie 1719-1729).
- Art 07. Objet : 11 Septembre 1719- Octobre 1736.
- Art 58. Objet : article et condition de paix , Denis Dessault , consul et envoyé de Louis XV au Dey.

Série J :

- Art 14 , 16. Objet : états des appartements et tables des consuls de France dans l'empire ottoman.
- Art 46. Objet : Enfants de langue.
- Art 23, 45. Objet : personnel consulaires, dossiers personnels des consuls généraux, vies consuls…
- Art 1340. Objet : consulat d'Alger (François chaix vice – consul 1618-1621).
- Art 1349. Objet : consulat d'Alger (le p. jean & Dubourdieu consul 1661-1672).
- Art 1346. Objet : Nicollier Rion, consul suppléant 1629-1630.
- Art 1338. Objet : consulat d'Alger (jacque de vias de 1602-1617).

- Art 1345. Objet : consulat d'Alger (Thomas Frejus gérant au consulat 1628).
- Art 1347. Objet : J. Blauchard député faisant fonction de consul 1631-1633.
- Art 1350. Objet : consulat d'Alger (le chevalier laurent d'Arvieux , consul 1675).
- Art 1353. Objet : consulat d'Alger (Barthelemy Mercadier consul suppléant 1689).
- Art 1354. Objet : consulat d'Alger (René le maire consul 1690-1697).
- Art 1352. Objet : consulat d'Alger (André piolle consul 1686-1687).
- Art 1362. Bis objet : consulat d'Alger (François d'Evant consul Sep 1742).
- Art 1362. Ter objet : Thomas – François Mervé De Jonville (chancellier faisant fonction de consul 1743).
- Art 1365. Objet : consulat d'Alger, journal des nouvelles tenu par le consul André – Alexandre le maire 1749-1756.
- Art 1367. Objet : consulat d'Alger (Joseph – Barthelemy peron , consul 1757-1760).
- Art 1369. Objet : consulat d'Alger (Antoine vallière consul 1763-1774).
- Art 1370. Objet : consulat d'Alger (Robert Louis Langoisseu de la vallée, consul 1774-1782).
- Art 1377. Objet : consulat d'Alger (Thomas de jonville chancellier 1733-1740 et 1742).
- Art 1379. Objet : consulat d'Alger (Berenger, chancellier suppléant 1747-1768).
- Art 1378. Objet : consulat d'Alger (Jean Fonques du Teil chancelleir 1742-1768).
- Art 1388. Objet : consulat d'Alger (comptes 1700-1730).

- Art 1382. Objet : consulat d'Alger (Mr Gimon chancellier 1758-1762).
- Art 1389. Objet : consulat d'Alger (comptes 1741-1742).
- Art 1396. Objet : consulat d'Alger (comptes 1777-1779).
- Art 1381.Objet : consulat d'Alger (J-St-German chancellier 1749-1758).
- Art 1383. Objet : consulat d'Alger (Benezet Armeny , chancellier 1762-1767).
- Art 1388. Objet : consulat d'Alger (comptes 1700-1730).
- Art 1875. Objet : commerce de Barbarie : négociation traites et capitulations avec le Dey 1662-1764.
- Art 1880. Objet : commerce de Barbarie (présent aux puissances de la régence d'Alger 1701-1791).
- Art 1881. Objet : commerce de Barbarie (Alger affaire diverses 1620-1728).

Série L III :

- Art 07. Objet : compagnie Royale d'Afrique, traité avec les puissances arabes 1694-1790.
- Art 08. Objet : compagnie Royale d'Afrique (mémoire sur les concessions 1754-1782).
- Art 09. Objet : compagnie Royale d'Afrique, (priviligio) 1742-1757.
- Art 10. Objet : compagnie Royale d'Afrique.
- Art 311. Objet : compagnie Royale d'Afrique (lettre d'André Alexandre lemaire) 1747-1752.
- Art 312. Objet : compagnie Royale d'Afrique (lettre du R.P Theodore groiselle vicaire) …… 1760.
- Art 313. Objet : compagnie Royale d'Afrique (lettre de Jean Antoine Vallière 1764-1773).
- Art 316. Objet : compagnie Royale d'Afrique (lettre de Philippe Vallière 1790-1793).

- Art 85. Alger et Tunis (1756-1776).
- Art 86.
- Art 259. Objet : compagnie Royale d'Afrique (lettre de J.B Germain agent à Alger 1749-1751).

Série M.Q – 5.1/13 : commerce international (relation avec les pays étrangers en particulier lavant et Barbarie échelle d'Alger).

- M.R.46.1.3.2 : navigation (réglementation de la navigation).
- M.R.46.1.4.1 : navigation (course , corsaire Barbaresque).

Archives national de paris : الأرشيف الوطني بباريس

ANP /Marine levant et Barbarie B7 : 47- 49- 214-215
385-213-446-520
321-523-528-534
537-433 (micro-film).

ANP/ AE. BI : 116-120-130-145.
AE. BIII : 313-322.

أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية :

AE/ CC :

- Vol 32 Alger (An IV).
- Vol 33 Alger (1796-1797).
- Vol 35 Alger (1800-1801).
- Vol 41 Alger (1813-1814).
- Vol 42 Alger (1815-1816).
- Vol 44 Alger (1818).
- Vol 45 Alger (1819-1821).

- Vol 46 Alger (1822-1824).

Archives des Bouches du Rhône :

- ABDR/B 3339 F° 44
- ABDR.8M/160.

Archives Outre -Mer :

45Mi 2. 1A1 a 16 (1704-1735)

الأرشيف الوطني بالجزائر **:**

خط همايون عدد 22486 تاريخ 1231

خط همايون عدد 22556 تاريخ 1231

مهمة دفتري رقم 35 صحيفة 122 حكم رقم 314 تاريخ 689

المخطوطات و المصادر المطبوعة (باللغة العربية) :

- ابن قيم الجوزية ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر. **زاد المعاد في هدي خير العباد**. الجزء الثالث. (القاهرة : دار الآثار للنشر و التوزيع، 2005).

- التمقروتي علي بن محمد . **النفحة المسكية في السفارة التركية** . تقديم و تحقيق عبد اللطيف الشاذلي . (الرباط : المطبعة الملكية ، 2000).

- التنلاني الشيخ سيدي عبد الرحمن . **رحلة إدريس التنلاني** .مخطوط بخزانة كوسام بأدرار.

- الجامعي . **فتح مدينة وهران** . تحقيق حساني مختار . (الجزائر : مخابر المخطوطات ، 2003).

-المزاري الاغا بن عودة . طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و اسبانيا و فرنسا. تحقيق يحي بوعزيز ,الجزء الأول(. بيروت دار الغرب الإسلامي .1990)

- المكناسي محمد بن عثمان . **البدر السافر لهداية المسافر لفكاك الأسارى من يد العدو الكافر**. مخطوط بالخزانة الحسنية الرباط رقم 12523.

- المكناسي محمد بن عثمان. **الإكسير في فكاك الأسير** . تحقيق محمد الفاسي . (الرباط : منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ، 1965).

- المكناسي محمد بن عثمان. **الإكسير في فكاك الأسير** . المكتبة الوطنية الحسنية بالرباط . رقم 765.

- الغزال أحمد بن المهدي . **نتيجة الاجتهاد في المهادنة و الجهاد** . تحقيق إسماعيل العربي . (الجزائر : د . م . ج ، 1984).

- الناصري أحمد بن خالد . **كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى** . الجزء السابع . تحقيق و تعليق أحمد الناصري . (الدار البيضاء : مطبعة النجاح الجديدة ، 2001).

- الغساني محمد الأندلسي. **رحلة الوزير في افتكاك الأسير (1690-1691)** . تحقيق و تقديم نوري الجراح . (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات و النشر (د . س)).

- الزهار أحمد شريف . **مذكرات أحمد الزهار نقيب إشراف الجزائر**. تقديم و تحقيق أحمد توفيق المدني . الجزائر، 1974.

- شالر وليام . **مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824**. تعريب و تقديم إسماعيل العربي . (الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1982).

- فايست أوجيني . **تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي 1792-1837**. تحقيق صالح تور، تقديم الشيخ عبد الرحمن. (الجزائر : دار قرطبة للنشر، 2010).

- كاتكارت جيمس . **مذكرات أسير الداي كاتكارت قنصل أمريكا في المغرب** . ترجمة إسماعيل العربي. (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، 1982).

- مجهول . **سيرة المجاهد خير الدين بربروس** . تحقيق عبد الله حمادي . (الجزائر : دار القصبة للنشر، 2009).

- حمدان خوجة . **المرآة** . تقديم و تعريب . محمد العربي الزبيري . (الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1982).

- محمد الكاتب . **دفتر التشريفات من الداي شعبان سنة 1103 إلى الغزو الفرنسي** . مخطوط 1649 بالمكتبة الوطنية بالجزائر.

- المقري التلمساني . **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب** . الجزء الرابع . تحقيق إحسان عباس . (بيروت : دار صادر ، 1988).

- المحامي فريد بك . **تاريخ الدولة العلية** . تحقيق إحسان تقي . (بيروت : دار النفائس ، 1981).

المراجع باللغة العربية :

- أحمد المكاوي . **الرحالون المغاربة و أوروبا** . (الرباط : جذور النشر ، 2007).

- إيشبودان العربي . **مدينة الجزائر تاريخ عاصمة** . (الجزائر : دار القصبة للنشر ، 2007).

- إيروين . و . راي . **العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب و الولايات المتحدة (1776-1816)**. ترجمة إسماعيل العربي . (الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1978).

- الجيلالي عبد الرحمن . **تاريخ الجزائر العام** . الجزء الثالث. (بيروت : دار الثقافة، 1986).

- التازي عبد الهادي . **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم** . المجلد (الأول ، السابع ، الثامن و الحادي عشر). (المحمدية : مطابع خصالة ، 1986).

- التازي عبد الهادي. **الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للملكة المغربية**. (الرباط : مطبعة المعارف الجديدة، 1984).

- التر عزيز سامح. **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**. ترجمة محمود علي عامر. (بيروت : دار النهضة العربية، 1989).

- المدني أحمد توفيق. **محمد باشا داي الجزائر 1766-1791 (سيرته ، حروبه ، نظام الدولة و الحياة العامة في عهده)**. (الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986).

- الزبيري العربي. **التجارة الخارجية للشرق الجزائري ما بين 1792**-1830. (الجزائر : المؤسسة الوطنية **للكتاب، 1984).**

- **بنور فريد. المخططات الفرنسية تجاه الجزائر** 1782-1830 . (الجزائر : مؤسسة كوشار للنشر و التوزيع ، 2008).

- بوعزيز يحيى . **المراسلات الجزائرية – الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني** لمدريد **1780-1798** . (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، 1993).

- بوعزيز يحيى . **الموجز** في تاريخ الجزائر. الجزء الثاني . (الجزائر الحديثة). (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، 2007).

- بوعزيز يحيى . **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية** . (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، 1999).

- بركات جمال . **الدبلوماسية ماضيها و حاضرها و مستقبلها** . (القاهرة ، 1991).

- بن صحراوي كمال . **الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات** . (الجزائر : بيت الحكمة للنشر و التوزيع ، 2009).

- جيمس ولسن ستيفن . **الأسرى الأمريكان في الجزائر 1785-1797** . ترجمة علي تابليت . (الجزائر : منشورات ثالة ، 2008).

- حليمي عبد القادر. **مدينة الجزائر**. الجزائر ,1972.

- حجي محمد . **جولات تاريخي**ة . الجزء الثاني . (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1995).

- حركات إبراهيم . **السياسة و المجتمع في العصر السعدي** . (الدار البيضاء : دار الرشاد ، 1987).

- حموش مصطفى أحمد . **المدينة و السلطة في الإسلام . نموذج الجزائر في العهد العثماني** . (دمشق : دار البشائر ، 1999).

- حموش مصطفى أحمد . **فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني في الجزائر** 956-1246 / 1546-1830 . (دبي : دار البحوث للدراسات الإسلامية و إحياء التراث، 2002).

- حموش مصطفى أحمد . **دار السلطان مدينة الجزائر في العهد العثماني (الإدارة الحضرية و التهيئة العمرانية)** . (الجزائر : دار البصائر ، 2009).

- خلاصي علي . **العمارة العسكرية العثمانية لمدينة الجزائر**. (الجزائر : منشورات المتحف المركزي للجيش ، 1985).

- الأرقش دلندة ، جال بن طاهر ، عبد الحميد الأرقش . **<u>مقدمات و وثائق في تاريخ المغرب العربي الحديث</u>** . (تونس : منشورات كلية الآداب منوبة ، 1995).

- سبنسر وليام . **<u>الجزائر في عهد رياس البحر</u>**. تعريب و تقديم عبد القادر زبادية . (الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1980).

- سعيدوني ناصر الدين . **<u>دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة و المعاصرة</u>** . الجزء الثاني . (الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1996).

- سعيدوني ناصر الدين . **<u>دراسات أندلسية . مظاهر التأثير الإيبيري و الوجود الأندلسي بالجزائر</u>**. (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 2003).

- سعيدوني ناصر الدين . **<u>ورقات جزائرية . دراسات و أبحاث في العهد العثماني</u>** . (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 2000).

- سعيدوني ناصر الدين . **<u>النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830)</u>** . (الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1985).

- شويتام أرزقي . **<u>المجتمع الجزائري و فعاليته في العهد العثماني 926-1246 هـ / 1519-1830م</u>** . (الجزائر : دار الكتاب العربي للطباعة و النشر ، 2009).

- شويتام أرزقي . **<u>دراسات و وثائق في تاريخ الجزائر العسكري و السياسي الفترة العثماني</u>**ة <u>1519-1830</u> . (الجزائر : دار الكتاب العربي ، 2010).

- عبد الرحمن المؤذن و آخرون . **<u>العثمانيون و العالم المتوسطي مقاربة جديدة</u>** . (الدار البيضاء : منشورات كلية الآداب ، 2003).

- عطا محمد صالح زهرة . **<u>أصول العمل الدبلوماسي و القنصلي</u>** . (الرباط : دار النشر، 1995). الطبعة الأولى.

- عقاب محمد الطيب . **<u>قصور مدينة الجزائر</u>**. (الجزائر : دار الحكمة ، 2007).

- عمورة عمار. **الجزائر بوابة التاريخ (ما قبل التاريخ إلى 1962)** . الجزء الثاني . (الجزائر : دار المعرفة ، 2006).

- غطاس عائشة . **الحرف و الحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 . مقاربة اجتماعية و اقتصادية** . (الجزائر : منشورات ANEP ، 2007).

- قنان جمال **. العلاقات الفرنسية – الجزائرية 1792-1830** . (الجزائر : منشورات متحف المجاهد).

- قنان جمال . **معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830** . (الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1987).

- قنان جمال . **نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830** . (الجزائر : دار هومة ، 2007).

- فاروق حمادة **. التشريع الدولي في الإسلام** . (الرباط : منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، 1997).

- فارس محمد خير . **تاريخ الجزائر الحديث (من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي).** (دمشق : مطابع ألف باء الأديب ، 1969).

- قادري حسين . **الدبلوماسية و التفاوض** . (الجزائر : منشورات خير جليس ، 2007).

- قدوري عبد المجيد **. التاريخ و الدبلوماسية قضايا المصطلح و المنهج** . (الرباط : منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، 2003).

- قدوري عبد المجيد . **المغارب و أوروبا ما بين القرنين الخامس عشر و الثامن عشر (مسألة التجاوز)** . (بيروت : المركز الثقافي العربي ، 2000).

- قدوري عبد المجيد **. سفراء مغاربة في أوروبا 1610-1922** . (الرباط : دار النشر، 1995).

- لويس رايت و جوليا ماكليود . **الحملات الأمريكية على شمالي إفريقيا في القرن الثامن عشر 1799-1805** . تعريب محمد روجي البعلبكي . (طرابلس : مكتبة الفرجاني ، 1967).

- مروش منور . **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني (القرصنة ، الأساطير و الواقع)** . (الجزائر : دار القصبة ، 2009).

- جماعي . **المغارب في العهد العثماني** . (الرباط : منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية 1995).

- نايت مولود قاسم . **شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية** . الجزء الأول . (قسنطينة : دار البعث للطباعة و النشر ، 1985).

- نعنعي عبد المجيد . **أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة و المعاصرة 1453-1848** . (بيروت : دار النهضة ، 1983).

- نيكولاس فان دام . **هولندا و العالم العربي منذ العصور الوسطى حتى القرن العشرين**. تعريب أسعد جابر ، لاهاي ، 1987.

- وولف جون . **الجزائر و أوروبا** . ترجمة أبو القاسم سعد الله . (الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986).

- ياغي إسماعيل و عبد الفتاح حسن أبو علية . **تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر**. (الرياض : دار الفتح ، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية).

الرسائل الجامعية :

- بلبراوات بن عتو. **الريف و المدينة في الجزائر**. رسالة دكتوراه المشرف بلقاسمي بوعلام. جامعة الجزائر، 2008 .

- بن كردرة زهية. **أسواق مدينة الجزائر من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني من خلال المصادر**. – دراسة تحليلية – رسالة ماجستير. إشراف سعيدوني ناصر الدين ، جامعة الجزائر 1999-2000 .

- بليل رحمونة. **العلاقات التجارية لإيالة الجزائر مع بعض موانئ البحر المتوسط مرسيليا و ليفورن من 1700 إلى 1827** . رسالة ماجستير ، إشراف فغرور دحو جامعة وهران 2001-2002 .

- بوشنافي محمد . **الجيش الانكشاري خلال العهد العثماني في الجزائر 1700-1830** . رسالة ماجستير ، إشراف بلقاسمي بوعلام جامعة وهران ،2001-2002 .

- دادة محمد. **اليهود في الجزائر في العهد العثماني (منذ مطلع القرن الثامن عشر حتى 1830)**. رسالة ماجستير ، إشراف محمد خير فارس ، دمشق 1985 .

- راجعي زكية . **مساكن الفحص بمدينة الجزائر في العهد العثماني دراسة أثرية معمارية** . إشراف لعرج عبد العزيز، جامعة الجزائر، 2007.

المقالات باللغة العربية :

- إسماعيل العربي : "دور اليهود في الدبلوماسية الجزائرية في أواخر عهد الدايات". **مجلة تاريخ و حضارة المغرب** ، ديسمبر 1974 ، العدد 12 ، ص ص 37-71.

- التميمي عبد الجليل : "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول 1519" . **المجلة التاريخية المغربية**. العدد 06 . 1976 . ص ص 116-120.

- التميمي عبد الجليل : "معاهدة السلم الممضاة بين البندقية و الجزائر في 23 جوان 1768". دراسات و وثائق في التاريخ المغاربي الحديث.

- المازري بديرة : "الجزائر و السويد : تجارة عالمية و صراعات دولية 1729-1830 حسب مصادر سويدية". **المجلة التونسية** . العدد 101، 1990 . ص ص 33-76.

- المازري بديرة : "حياة اللهو و خدمات الخمارات و المقاهي و الفنادق في الجزائر في أوائل القرن الثامن عشر " . **الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني** . 1988 . ص ص 97-101.

- الوسلاتي الهادي : "المستشفى الترينتاري الإسباني بتونس و وثيقة من أرشيفه عن حملة العثمانيين بالجزائر 1756 على تونس" . **المجلة التاريخية المغربية** . عدد 21-22 . 1981 . ص ص 167-176.

- بلبراوات بن عتو : "معاهدة الصلح بين الجزائر و إسبانيا سنة 1791". **مجلة الآداب و العلوم الإنسانية**. العدد 03 . ص ص 183-192.

- بلفريج أحمد : "أسرى المسلمين في أوروبا" **. مجلة المغرب** . السنة الثالثة . 1934 (نوفمبر) . ص ص 2-5.

- بوعزيز يحيى : "مفاوضات الصلح بين الجزائر و إسبانيا من خلال الداي محمد عثمان باشا". **مجلة أوراق**. العدد 7-8 . 1985 . ص ص 75-89.

- بوعزيز يحيى : "وساطة السلطان محمد بن عبد الله بين الجزائر و إسبانيا 1768-1784" . أعمال الذكرى الألفية لتأسيس حاضرة وجدة 1994 (تنسيق أعمال الندوة : المصطفى مولاي رشيد) . ص ص 83-93.

- بوحموش نعيمة : "البحرية الجزائرية و حصار مالطا 1565" . **مجلة حولية المؤرخ** . العدد 05 . 2005 . ص ص 125-147.

- تابليت علي : "الأسرى الأمريكان في الجزائر 1785-1797" . **حوليات جامعة الجزائر**. العدد 03 . 1988-1989 . ص ص 193-207.

- تابليت علي : "الجزائر في القرن السادس عشر" . **بحوث جامعة الجزائر** . العدد 05. 1985 . ص ص 255-340.

- تابليت علي : "القنصل الأمريكي الأول في الجزائر 1796-1797 جون بارلو" . **مجلة جوليات جامعة الجزائر** . العدد 09 . 1995 . ص ص 45-57.

- تابليت علي : "معاهدة السلام و الصداقة بين الجزائر و الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1795". **حوليات جامعة الجزائر**. العدد 04. 1989-1990 . ص ص 93-104.

- حماش خليفة : "سفارة علي رئيس إلى لندن عام 1819 : نموذج للدبلوماسية الجزائرية في العهد العثماني من خلال وثائق جديدة". **المجلة التاريخية المغربية**. العدد 87-88 . سنة 1997. ص ص 507-535.

- زكية زهرة : "مهمة القنصل الانكليزي بلانكلاي في الجزائر 1805-1812". **المجلة التاريخية المغربية** . العدد 107-108. جوان 2002. ص ص 49-58.

- ساحلي خليل : "الصراع بين قراصنة تونس و الجزائر و البندقية في القرن السابع عشر". **المجلة التاريخية المغربية**. العدد 04. جويلية 1975. ص ص 105-112.

- سعيدوني ناصر الدين : "من المظاهر الأثرية المندثرة بفحص مدينة الجزائر الشبكة المائية في العهد العثماني". **مجلة الدراسات التاريخية**. العدد 09 . 1995. ص ص 61-81.

- سلفاتور بونو : "العلاقات بين الجزائر و إيطاليا خلال العهد التركي". ترجمة أبي القاسم بن تومي . **مجلة الأصالة**. العدد 6-7 . ص ص 113-118.

- شويتام أرزقي : "التنافس الدولي في البحر المتوسط خلال القرنين 18-19 و موقف الجزائر منه" . **حولية المؤرخ** . العدد 3-4. 2005 . ص ص 161-183.- عادل عمر : "حصانة الدولة بين الإشكالية و المعايير". **منتدى العلوم القانونية و الإسلامية** و الإنسانية.

- محمد الأمين : "القرصنة و شروط افتداء الأسرى الإسبان بالجزائر في القرن الثامن عشر". **المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية** . العدد 21 . سبتمبر 2000. ص ص 23-36.

- ميكال دي بلارا : "تقرير حول العلاقات الإسبانية المغربية سنة 1812". **المجلة التاريخية المغربية**. العدد 04 . جويلية 1975 . ص ص 91-96.

المصادر و المراجع باللغة الفرنسية :

- Abdelkader, Sid Ahmed .**Les flux d'échanges en Méditerranée**. (Tunis : Ed Chif ,1996).
- Anonyme .**Alger topographie, population, force militaire de terre et de mer , acclimatement et ressource que le pays peut offrir a l'armée de l'expédition** . (par un français qui a résider a Alger). Marseille, 1831.
- Anonyme. **Histoire des Etats Barbaresques qui exercent la piraterie**. Tome II, Pris, (S.D).
- Balvin ,J. **La condition de la vie des Français dans la régence d'Alger**. Alger ,1899**.**
- Bartolomé Bennasar, Lucille Bennaser. **Les chrétiens d'Allah, l histoire extraordinaire des renégats XVIe-XVIIe siècle.** (Paris : Ed Perrin), 1989.
- Belhamissi Moulay **.Alger la ville au mille canons.** (Alger : ENL ,1990).
- Belhamissi, M. **.Alger, l'Europe et la guerre secrète(1518-1830).** Paris : Ed France Empire, 1984).
- Belhamissi,M . **Les captifs algériens et l'Europe chrétienne**. (Alger : ENL, 1988) .
- Belhamissi, M. **Marine et marins d'Alger ottomane (1518-1831)**. Thèse d'état en vue de doctorat .Directeur de recherche Pr Paul Butel ,3tomes , 1986 .
- Bigues, Jean-Marc **«.La monarchie catholique »de Philippe II et les Espagnoles**. (Paris : Ed Messène, 1999).
- Blanqui, (A.J) **.Alger rapport sur la situation économique de nos possessions dans le Nord d'Afrique.** Paris, 1840

- Blok, Isaak. **Les Israelites d'Oran de 1792 a 1815** .d'après des documents inédits extrait de la revues des études juifs T XII Paris.: A Jourdan 1886 .
- Boutin Abel .**Relations commerciales et Diplomatique de la France avec la Barbarie(1515 -1830)** .(Paris :Ed A Pedone ,1902) .
- Boyer pierre .**la vie quotidienne a Alger a la veille de l'intervention Française**. (Paris : Hachette, 1963) .
- Braudel ,Fernand. **La Méditerranée a l'époque de Philipe II** .T II .Paris :Ed Armond Collin ,1990).
- Busquet Raoul .**Les origines du consulat de la nation Française a Alger** .Marseille ,1927 .
- Capot Rey .**La politique française et le Maghreb Méditerranéen (1643 -1685).** Alger : Société historique religieuse extrait de la revue africaine de1934 ,1935).
- Carriere Charle. Richesse du passé Marseillais.Le port mondial mondial au XVIII . Marseille ,1978.
- Charl es-Roux,F**. France et Afrique du Nord avant 1830** .(Paris :Ed Félix Alcan ,1918) .
- Castelot , André. **François 1er**.(Paris :Ed France Loisir, 1983)
- Castelot André. **Bonapart** . T II, Switzerland : Ed Perrin, 1967) .
- Cat, E. **Histoire de l'Algérie- Tunisie-Maroc.** (A Algérie : Ed A Jourdan ,1889) .
- Cervantes,M,De . **Les bagnes d'Alger** .Traduction Guenoun Pierre .(Paris : Ed Seuil, 1971).
- Chaillou Lucien .**Textes pour servir a l'histoire d'Algérie au XVIIIe siècle .Suivi de la guerre de quinze heures**. Toulon (SD) .

- Charles-Roux,F**. France et Afrique du Nord avant 1830** .(Paris :Ed Félix Alcan ,1918) .
- Chatekain Chevalier. **Mémoire sur les moyens employer pour punir et detruire la piraterie Barbaresque** .Paris , 1928 ;
- Chouraqui,A. **Histoire des juifs en Afrique du Nord**. Paris,1952.
- Comelin , pp François ,Philémon de la Motte et Joseph Bernard de l'ordre de la Sainte trinité dits Mathurins . **voyage pour la rédemption des captifs aux royaumes d'Alger et Tunis** .Paris, fait en 1720.
- Dan P.P.H. **Ministre etupérieur du couvent de la Sainte Trinité et rédemption des captifs** (inédit) .Paris ,1637 .
- Devoulx, A .**Les archives du consulat général de France a Alger**. (Alger : Bastide, 1865).
- Devoulx, A. **Le Rais Hamidou(notice biographique) sur le plus célèbre corsaire algérien au XIIIe siècle l'hégire (**Alger :Ed G.A.L, 2005) .
- Devoulx A. **Tachriffat .Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger** . Alger ,1853 .
- Djait, Hicham. **L'Europe et l'Islam** . Paris, 1978.
- Dupuy ,E . **Américains et Barbaresques (1776-1824) .** Paris : Ed Roger et Chernoviz ,1910 .
- El Hassani-ZEGHARI Latifa. **Les captifs d'Alger d'après la relation de Emmanuel d'Aranda jadis esclave a Alger** XVIIe siècle. Alger : Ed Casbah ,2004 .
- Eisenbeth Maurice. **Les juifs en Algérie et en Tunisie a l'époque turque (1518-1830)** .Alger : Société historique algérienne (S.D) .
- -Emerit Marcel .**L'Ancienne capital du Corail .**

- Emerit Marcel. **Un Mémoire sur Alger par petit de la Croix** .Paris . 1695.
- Engel Clair-Eliane .**L'Ordre de Malte en Méditerranée (1530-1798)** (Monaco : Ed A du Rocher ,1957).
- Esquer Gabriel .**Reconnaissance des villes, forts et batteries d'Alger par :Chef de bataillon Boutin (1808)Suivie DE Mémoires sur Alger par les consuls De Kercy (1791) et (Dubois –Thainville 1809)** .Paris, 1927 ;
- Esquer ,G . **les commencement d'un empire, la prise d'Alger 1830** .(Paris : Ed la Rose , 1929) .
- Estry, D,Stephen .**Histoire d'Alger .Depuisles temps les plus reculés jusqu'à nos jours**. Tours ,1843.
- Favre, R.P François .**Le véritable récit de la rédemption 1645** .in 8° . Paris

-Feraud geraud. **De la juridiction Française dans les echelles du levant et de Barbarie**.(Paris :Ed durand, 1859) .

Fay jean De La Denise, Augustin Arcias ,Henry le Roy **.Relation en forme de journal de voyage pour la redemption des captifs aux royaume de Maroc et d'Alger endant les annees 1723,1724, et 1725** . présentation et note d'Ahmed Farouk. Paris : Ed Bouchene ,2000 .

- Feraud . **Histoire de Jijeli** .
- Fey, Leon .**Histoire d'Oran, avant, pendant et après la domination Espagnol**. Oran ,1858.
- Fisher,Sir Geodfrey .**Légende Barbaresque :Guerre , Commerce et piraterie de 1415 a 1830** .Traduit par Farida Hellal . (Alger : OPU, 1991) .

- Gallot Max. **Maximilien Robespierre (Histoire d'une Solitude)**. (Paris :Ed France Loisir ,1989) .
- Garrot, Henry. **Histoire Générale de l'Algérie**. Alger ,1910 .
- Garrot ,H .**La Colonisation Maritime de Marseille** . Alger 1900 .
- Gaid Mouloud. **Chronique des Beys de Constantine**. Alger : OPU,
- Galibert ,Leon .**L 'Algérie ancienne et moderne .Depuis les premières établissements des carthaginois jusqu'à l'expédition du General Randon en 1853** . Paris ,1854.
- Garnier François. **Journal de la bataille de Lépante .** Paris : Ed de Paris, (S. D).
- Gautier Marie et Antoine. **La première promotion des jeunes de langue**. Bulletin de l'association des anciens élèves, Avril 1992.
- Gérard Van Krieken. **Corsaires et marchands , Les relations entre Alger et les Pays-Bas1604-1830** . (Paris :Ed Bouchene, 2002) .
- Godbout Jacques. **L'Esprit du Don**. (Paris : Ed La Découverte, 1992).
- Grammont, H.D.De .**Correspondance des consuls d'Alger (1640-1742** (Alger : Jourdan, Paris : E. le Roux, 1890) .
- Grammont, H.H-DE. **Histoire d'Alger sous la domination Turque.** Paris : Ed le Roux 1887).
- Haddey M.J.M . **Le livre d'or des Israelites Algériens (Recueils de renseignement inédits et authentique sur les principaux négociants juifs pendant la période Turque)** . (Alger :A.Bouyer , 1871) .
- Haedo .DiegoDe **. Histoire des rois d'Alger** . Traduit et annoté par H-DE Grammont, (Alger : A Jordan, 1881)

- Haedo, D. **Topographie et Histoire générale d'Alger (la vie a Alger au XVIé siecle)** .Traduction de A. Berbrugger et Dr Monnereau , 3é édition , (Alger : Ed GAL , 2007) .
- Hanoun,J. A .**perçus sur les Israelites Algériens et sur la communauté d'Alger .** (Alger : A. Jourdan, 1922).
- Harsin Paul. **Doctrine monétaire et Financière du XVII°** siècle .Paris, 1929 .
- Heers,Jacque. **Les Barbaresques, la course et la guerre en Méditerranée XVI-XVI° siècle.** Perrin ,2001.
- Henrich pierre. **L'Alliance Franco-Algérienne.** Paris ,1898 .
- Hubac . **Les Barbaresques**. Paris, 1949.
- Jacque Taib. **Etre juif au Maghreb a la veille de la colonisation**. (Paris :Ed El Bine Michel ,1994) .
- Joliers Henry et Marcel Philibert. **Les Oliviers**. Alger, 1970.
- Klein ,H . **Feuillet d'Eljazair (Le vieil Alger et sa banlieue : lettres, ecrits, divers ….**TI-II (Alger : A. Jourdan) .
- Labat, R.P.Jean-Batiste. **Mémoires du chevalier d'Arvieux, envoyé extraordinaire du Roy a la porte, consul d'Alep ,d'Alger de Tripoli et autres échelles du lavant** . T. IV –VI.(S.L) , (S.D) .
- Laye Yves**. Le Port d'Alger**. (S.D).
- Lespes René. **Alger .Etude de géographie et d'histoire urbaine .** Paris :Ed Felix Alcan
- Lespes,R .**Oran ,Etude de géographie et d'Histoire urbaine**. Alger, 1938 .
- Louis Cara delsguila. Les Espagnols en Afrique, les relations politiques et commerciales avec la regence d'Alger de 1786a1830. these de doctorat 3é siclen professeur M.Perez ,Université de BordeauIII , 1977.

- Macarenhas De Jao **. Esclave a Alger ,récit de captivité (1621-1626)** . Traduit du portugais et présenté par Paul Tessier. Paris : Ed Chandigné, 1993).
- Mas-Laterie. **Relation et commerce de l'Afrique Septentrional ou Maghreb avec les nations chrétiennes au moyen-âge**. Paris, 1886.
- Masson Paul .**Histoire des établissements de commerce Français dans l'Afrique Barbaresque 1560-1793.** (Paris : hachette, 1930) .
- Masson, P. **Le commerçant Français dans le levant** .Alger .
- Masson, P. **Les galères de France (1481-1781)** . Paris ,1938 .
- Marseille,P. **Marseille et la colonisation Française. Essai d'histoire coloniale**. Paris, 1906.(2é partie).
- Marchetti M. **le négoce des gentilhomme de la ville de Marseille et sur la qualité de nobles marchands qu'il prenaient il ya cent ans** . Marseille (S. D).
- Marchika , Dr Jean **. peste en La Afrique Septentrionale , histoire de la peste en Algérie de 1363 a1810** . Alger ,1927 .
- Marcus Berg. **Description de l'esclavage Barbaresque dans l'empire de Fez et au Maroc** .Stockholm ,1757 . traduit du suédois et présente par Nontalge .Suède 1974 ;
- Mattingly Garret. **Renaissance Diplomaty** . London ,1969
- Mauss Marcel. **Essai sur le Don .Forme et raison de l'échange dans les société archaïques**. Paris ,1983 .
- Monleau Jean. **Les Etats Barbaresques**. Paris, 1964.
- Morgan,J . **A complete history of Algiers** . London
- Nicolson Haroid. **Diplomaty.** London, 1969.

- Pananti Signor .**Narrative of a residence Algiers (Geographical and historical account of the regency)**. London ,1830iere) London , 1830 .
- Panzac Daniel. **Les corsaires barbaresques .Fin d'une épopée 1800-1820.** (Paris : CNRS, 1999).
- Pares Jacque. **Un Toulonnais a Alger au XVIII) siècle Meifrund (PIERRE JOSEPH** . Paris :Ed rider ,(S.D) .
- Pechot,L .**Histoire de l'Afrique du Nord avant 1830**.Vol II. Alger,1914.
- Peter Jean . **Les Barbaresques sous Louis XVI, le duel entre Alger et la marine du roi (1681-1698)** .(Paris : ed economica ,1997).
- Peysonnel .J.A et Desfontin . **Voyage dans la régence de Tunis et Alger**. (Paris : Ed Guide, 1838).
- Pirenne Jacque . Les **grands courants de l'histoire universelle .TIV (De la révolution française au révolution de 1830).** Suisse (Newchatel) : Ed la Baconniere , 1948) .
- Plantet Eugene. **Correspondance des Deys d'Alger avec la cour de Franc 1579- 1833 ,** T I-TII , Paris , 1889 .
- Plantet, E. **Les consuls de France a Alger avant la conquête (1579-1830)**. Paris : Extrait des études, 1930.
- Poirret Abbé .**Voyage en Barbarie ou lettres de Barbarie.** (Paris : Ed Sucomre, 1980).
- Primaudaie Helie De La. **Le Commerce et la navigation avant la conquete Française**.(Paris :1860)
- Primaudaie Helie De La . L'Algerie avant l'occupation française. (Bejaia : Ed Lumiere Libres, 2010).
- Provençal, Legier .**La Djazairid.Poeme en trois chants** .Vichy ,1874.
- Raymond, André. **Grandes villes arabes à l'époque ottomane** (Paris : Ed Sindbad , 1985) .

- Raynal , G.T .**Histoire Philosophique et Politique des établissements du commerce des Européens dans l'Afrique septentrional** .T II ,Paris , 1826 .
- Roland, Courtinat **. L a piraterie barbaresque en Mediterranée XVI°-XIX° siecle**. (Paris : Ed Jacque , Gandini , 2003) .
- Romano, R. **Commerce et prix de blé a Marseille au XVIII° siecle** . (Paris : Ed Armont Collin ,1956).
- Rouard De Card,E .**Traités de la France avec les pays de l'Afrique du Nord (Algérie, Tunisie , Tripolitaine ,Maroc**). (Paris : Ed Pedone , 1996) .
- Roy, J.J.E. **Histoire de l'Algérie depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours** . Tours, 1859 .
- Saidouni , Nacer Eddine . **L'Algérois rurale a la fin de l'époque Ottomane (1791-1831)**. (Beyrouth : Dar el Gharb, 2001).
- Salvator, Bono. **Les corsaires en Méditerranée** . (Paris : Ed la porte, 2000).
- S haw, Dr .Thomas .**Voyage dans la régence d'Alger au XVIII° siècle** . Traduit de l'anglais par E. Mac (1830). (Alger : Ed GAL, 2007).
- Shuval, Tal. **L a ville d'Alger vers la fin du XVIII° siecle .** (Paris : Ed CRNS, 1988).
- Tassy Laugier. **Histoire du Royaume d'Alger**. (Paris : Ed Loysel , 1992) .
- Tessier, O. **Inventaire des archives de la chambre de commerce de Marseille.** Bibliothèque de l'école des chartes, N°41 ,1881.
- Tournier, Jules. **Jean Le Vacher, Prêtre consul de France et martyr (1647-1683)** .(Rabat : Ed La porte , 1947) .
- Valenci, Lucette. **Le Maghreb avant la prise d'Alger**. (Paris : Ed Flammarion, 1969).

- Venture, De Paradis. **Alger au XVIII° siècle .** (Paris : Ed Sindbad, 1983).
- Windler Christian. **La diplomatie comme experience de l’autre . Consuls Français au Maghreb (1700-1840) .** (Geneve : Ed Droz ,2002)
- Yerasisnos ,S. **.La règlementation Urbaine ottomane XVI° -XIX° siecle** .Institut Français d’Urbanisme. Université de Paris III.

- المقالات باللغة الأجنبية :

- Bardoux , J : « La vie d'un consul auprès de la régence d'Alger » . **R.A**, 1924, pp 261-286.
- Belarbi , Louba : « Le Régime Liberal des capitulations , le cadre juridique « **Cahiers Maghrébine d'Histoire** . N° 7, juin 1990, pp 85-112.
- Belhamissi, M : « Course contre Course .Ou comment les algériens sont tombé dans l'esclavage XVI°-XIX° siècle » **Revue Cahier de la Méditerranée**. Vol. 65, 2002, pp
- Belhamissi , M : « Les Relations entre l'Algérie et l'Eglise Catholique à l'époque moderne ». **Majalat Et- Tarikh** , 1990 , pp 52-63 .
- Belhamissi , M : « Une lettre inédite sur Alger au XVIII° siècle » . **Archive National**, N° 6, Vol I, 1977.
- Berbrugger,A : « Guerre de 1824 entre l'A ngleterre et Alger » . **R.A** , pp
- Berbrugger , A : « La charte des hôpitaux a Alger » **R.A** .,1864 ,pp 135-139 .
- Berbrugger , A : « La régence sous le consulat et l'empire » **. R.A** ,1865 , pp 401-414.
- Berbrugger , A : « Les Algériens demandent un roi Français 1572 » . **R.A**, 1861, pp 1-
- Berbrugger ,A : « Les consuls d'Alger pendant la conquête de 1830» **R.A** , 1865 ,pp 57 -60 .
- Berbrugger , A : « Un consul a Alger au XVIII siècle » **R.A** , 1862 ,pp 332 – 348 .

- Boulard , Claude : « Les consuls Français dans la régence d'Alger (1581-1827) » **l'Algerianiste** , N° 54 , juin 1991, pp 4 – 15
  N° 55, septembre 1991, pp 16 – 27.
- Boyer, Pierre : « Alger en 1645 d'après les notes du R.P Hérault ». **ROMM**, 1975, pp 19- 29.
- Boyer,Pierrre : « Le problem des kouloughli dans la regence d'Alger ».**R.O.M.M**, 1970,pp78-94.
- Brahimi Denise : « Qulques jugements sur les maures andoulous dans les regences turques au XVII siecle ». **R.H.C.M**, juillet, 1970 ,pp39-51.
- Canard,M . « Une description de la cote Barbaresque au XVIII siècle par un officierde la marine Kokovstov ». **R.A** 1949, pp 131-380.
- Casenave, Jean : « Un consul français en Alger au XVIII° siècle Langoisseur de la Vallée». **R .A**, 1936 pp 101 -122.
- Colombe , M : « Contribution de recrutement de l'Odjak d'Alger dans les dernières années de l'histoire de la régence d'Alger ». **R. A** , 1943 , pp 165 – 183 .
- Degen ,Maddy : « Le Bastion de France » . **Algerianiste,** 1982,
  N°17 pp 18-21
  N° 18 pp 33-38
  N° 19 pp 37-40
- Delarymple , Majore :«Expédition d'Oreilly en 1775 » **R.A** , 1861 ,pp 31-40 .
- Devoulx, A : «La batterie des Andalous ». **RA,** 1872, pp 340-342.
- Devoulx, A. « La Regence d'Alger sous le consulat et l'Empire. » **RA** 1887, pp
- Devoulx, A : « Le capitaine Prepaud » **R.A** 1872 , pp 161 – 172
- Devoulx,A : « Les édifices religieux de l'ancien Alger» **R.A** pp 102 -113 .

- Devoulx , A : « M. J-B, Germain , chancelier du consulat de France a Alger » . **R .A** ,1871, pp 415 -
- Devoulx , A : « Querelle entre consul et négociant » . **R.A**, 1871, pp 260 – 270.
- Devoulx ,A : « Relevé des principaux français qui ont résidés a Alger de 1686 à 1830 **« R.A** , 1872 , pp 356-387

pp440-445
- Devoulx , A : « Un exploit des algériens en 1802 « **R.A** , 1865 , pp 126-130 .
- Devoulx,A : « Un incident Diplomatique a Alger en 1750 » **. R.A** 1872, pp 81 – 88.
- Despois , M : « La mission a Alger du consul de Venise Nicolas Rosalem (1753 – 1754) . **R.A** ,1952, pp 64- 104.
- Emerit ,Marcel :« Essai d'une marine marchande Barbaresque au XVIII° siecle « **Les cahiers de la Tunisie** N° 11, 1955 ,pp 363 -370 .
- Emerit , M : « L'ancienne capital du corail : la Calle » . **Revue Mediterannée** , 1951 , pp 60-70 .
- Emerit, M : « Voyage de la Condamine a Alger 1731».**R.A,** 1954, pp 181-353.
- Epalza , Mikel : « Intérêts Espagnoles et Intérêts de la Turquie et de ses alliés Maghrébins dans la diplomatie Hispano-Musulmane du XVIII° « **Is.Studia lamica** .Ex Fasculo , LVII° ,Paris , pp 148-161 .
- Feraud , L. CH : « Ephéméride d'un secrétaire official sous la domination de 1775-1805 « **R . A** .1872, pp 308-312.
- Feraud ,L.CH : « Documents relatif a la deuxième entreprise de Don Angelo Barcelo (1784) **. R.A** 1882, pp 219 – 229 .

– Fillippini ,J.P : « Livourne et l'Afrique du Nord au XVIII° siècle » . **R.H.M**, N° 7-8, 1977, pp 125 – 149.

- Fillippini , J.P : « Les juifs d'Afrique du Nordet la communauté de Livourneau XVIIIé siecle : les relations inter- communautaire juifs en mediterranee occidental » **CNRS**, 1884, pp60-70 .

– Ghazali, Maria : « La régence de Tunis et l'esclavage a la fin du XVIII° siècle ». **CMMC**. Université de Nice –Sophia – Antipolis.

– Guettas, Aicha : «Le Regard d'un captif Anglais sur Alger durant la première moitié du XXVIIe siècle» .II2 Congre du dialogue Britain-Maghreb (septembre 2002). **The Movement of peopleand ideas between Britain and the Maghreb.** 2003, pp 49-124.

– Grammont ,H-D,D : « Correspondance des consuls de France d'Alger » **R. A** 1887, pp 161 – 212.

PP 294 -319.

PP 436 – 475.

– Grammont,H-De : « La mission de Sanson Napollon » , **RA** 188 , pp

– Grammont, H-De : « Relation entre la France et la regence d'Alger au 17é siecle ». RA 1879, pp5-32

Pp 95-114

Pp134-160

– Grammont ,H-D, H : « Un académicien captif a Alger 1674-1675 » **R.A** 1882, pp 309 – 320 .

– Grammont , H-De : « Un Episode Diplomatique à Alger au XVIIIe siècle » . **R.A** , 1882 .pp 130 -138 . »

– Grand Champ : «Le Baise main des Consuls a la cour de Tunis ». **R.A,** 1945. pp 291-292.

– Grand Champ : « Une Mission délicate en Barbarie au XVIIe siècle J.B Salvago (Drogman vénitien a Alger et a Tunis 1625) ». **3é Congre de la**

Fédération Savante de l'Afrique du Nord . Constantine, Avril 1937. T. LXXX, pp 694-699.

- Hewood ,Collin : « An English Merchant and Consul-General in Algiers 1676-1712 : Robert Cole and his circule ». II é Congre du dialogue Britain –Maghrebin (September 2002). **The movement of people and ideas between Britain and the great Maghreb**. 2003. pp 52-53.
- Mathiex , J : « Sur la Marine marchande barbaresque au XVIIIe siècle ». **Annales Economiques, Société, Civilisation.** N° 13, 1958, pp 87-93.
- Mazaebedo : « Expédition d'Oreilly contre Alger en 175 » **R.A** 1864, pp 255-266.
- Miege,J-Louis : « Les cereales en Mediterranée .Histoire Economique, Antropologie » .**Actes de la table ronde de la chambre de commerce** .Rabat , 1994.
- Nocchi , Edouard : « Le carré des Consuls au cimetière Sainte –Eugene ». **L'Algerianiste** , mars 1987 , N° 37 pp 21-25 .
- Panzac Daniel :« L'Esclavage chrétien en Barbarie au XVIIIe siècle » **Revue Cahier de la Méditerranée**, vol 65 ,2002 .
- Pascual ,J :«Approche de la ville du Levant , continuité et renouvellement » **.ROMM** . N° 55 , 56 , 1990 , pp 9-17
- Pestimaljoglou ,A : « Le consulat Français d'Oran de 1732 à 1754 » **R.A** 1942 , pp 220-254 .
- Playfair ,R.L : « Histoire des Relations de la Grande Bretagne avec les Etats Barbaresques » **. R.A** 1878 pp320, 401-433
  - 1879 pp 460-470.
  - 1880pp 22-36 ,193-214,
  - 147-160.
- Picard ,Aleth : «Architecture et Urbanisme en Algerie d'une rive a l'autre (1830-1962) ». **ROMM.** Vol 73-74 , 1994 ,pp 121-136 .

- Remond ,A : «Le Centre d'Alger en 1830 » .**ROMM** .Vol 31 ,1981 , pp 73-84 .
- Riggio, Achille : « Esclaves et Missionnaires en Barbarie (1672-1682) » **R. A ,** 1949, pp38-66.
- Sacerdoti, A : «L'Esclavage chrétien en Barbarie au XVIIIe siècle ». **R.A** 1949, pp 133-139.
- Sandoval ,C : « Guerre de1824 entre l'Angleterre et Alger » **R.A**,1864 , pp 202-226 .
- Sandoval, C :« Sur la Reprise d'Oran ». **R.A**, 1864, pp 221-226.
- Temmimi Abdeljelil :« Pour une histoire de la grande mosque d'Alger ».**Revue d'histoire Maghrebine** ,1980, p182.
- Veronne, Ch . De la : « Un faux captif a Alger en 1728 ». **RH.M.** N°5 janvier 1976, pp 93-94.
- Watbled , Ernest : « Aperçus sur les premiers consulats Français dans le Levant et les Etats Barbaresques » . **R.A** 1872, pp 20-34
- Watbled, Ernest : « Expeditient du Duc Beaufort contre Djijdjeli1664 ». **RA** , 1873 , pp 218-
- Watebled,Ernest : «Pachas, Pachas Deys ».**RA**, 1873, pp 144-
- Yacine , T : « Les Bagnes d'Alger d'après Cervantès » . **R .H.M**, N°21-22, Avril 1981, pp 87-91.

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن و البلدان

(أ)

(ب)

(ر)

(ن)

(و)

فهرس الجماعات و القبائل

فهرس الموضوعات

الفصل الثاني البروتوكولات القنصلية

الفصل الثالث علاقة القناصل بمختلف الأوساط

الفصل الرابع دور و مهام القناصل

الفصل الخامس مسألة التجاوز و عدم التكافؤ الدبلوماسيين